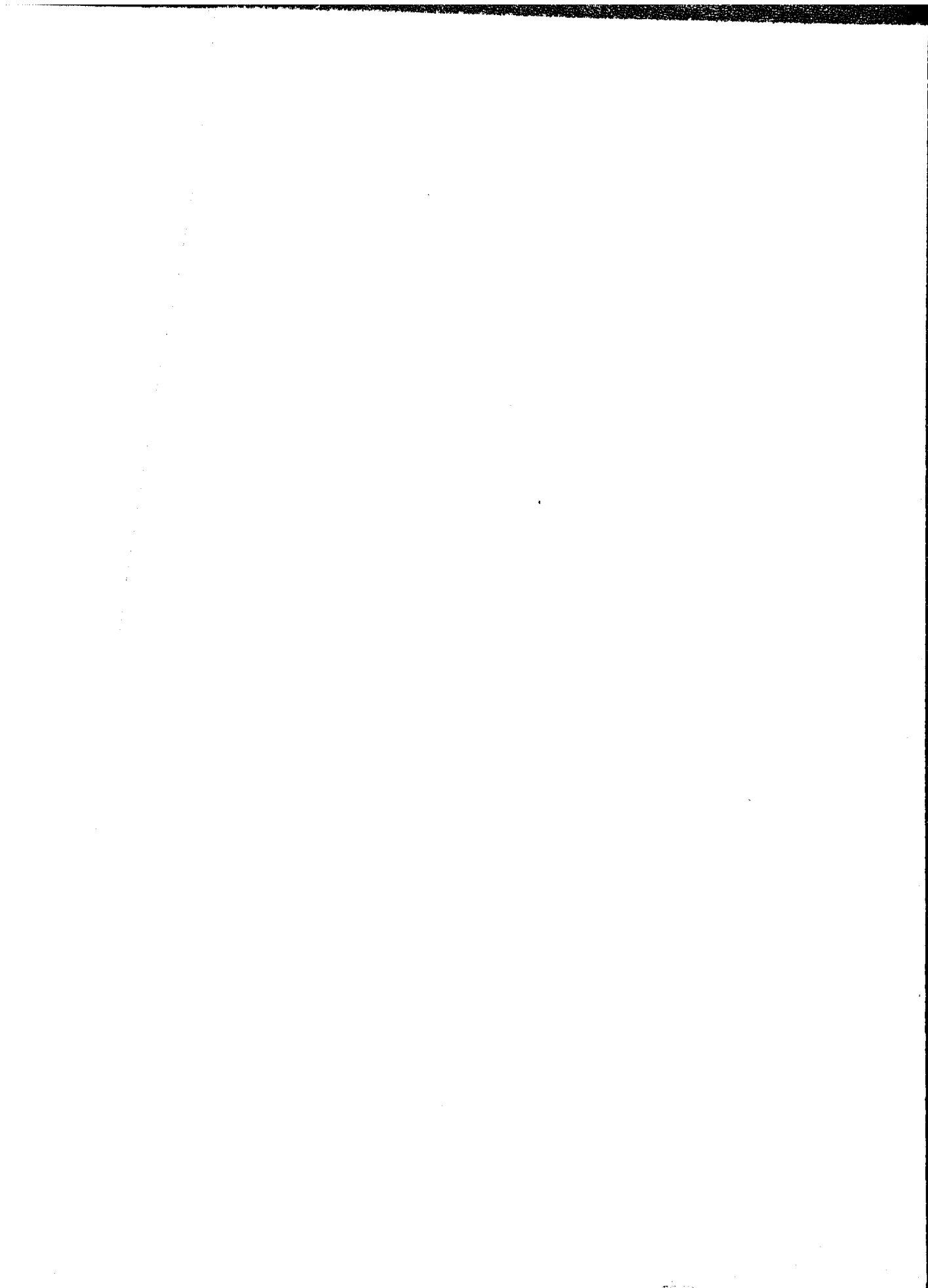




928 429

600 4

P

14

منتقيات أدباء العرب

في الأعصر العباسية

المكتبة العامة مكتبة الاسكندرية

رقم المكتبة: 927

رقم التسجيل: 10405

بطر البستاني

مُنتقِيَاتُ
أَدْبَاءِ الْعَرَبِ
فِي الْأَعْيُنِ الْعَبَّاسِيَّةِ

طبعة جديدة منقحة ، مشروحة ، مفهرسة



دار
نظير عبود

جَمِيعُ الْحُقُوقِ مَحْفُوظَةٌ
لِدَارِ نَظِيرِ عَيْبُور

صِبْ : ٨٠٨٦ / ١١ تلفون : ٩٣٦٧٧٢ - ٩٣٤٧١٤

العصر العباسي الاول

بشار بن برد (٧١٤ - ٧٨٤ م و ٩٦ - ١٦٨ هـ)

ابو العتاهية (٧٤٨ - ٨٢٦ م و ١٣٠ - ٢١٠ هـ)

ابو نواس (٧٦٢ - ٨١٤ م و ١٤٥ - ١٩٩ هـ (؟))

ابو تمام (٧٨٨ - ٨٤٥ م و ١٧٢ - ٢٣١ هـ (؟))

دعبل (٧٦٥ - ٨٦٠ م و ١٤٨ - ٢٤٦ هـ)

ابن المقفع (٧٢٤ - ٧٥٩ م و ١٠٦ - ١٤٢ هـ)

بشار بن برد

الهجاء

هجاء أبي جعفر المنصور

كان بشار مبعداً عن البصرة عندما ثار فيها إبراهيم بن عبد الله العلوي يريد الخلافة لأخيه محمد الثائر في المدينة ، فأرسل الشاعر إلى إبراهيم بهذه القصيدة من الكوفة يهجو بها أبا جعفر المنصور ويحرض على قتله ويضم إلى ذلك أبياتاً يمدح بها الثائر ويشير عليه :

أبا جَعْفَرِ ! ما طولُ عَيْشِ بدائِمِ ؛ ولا سالمٌ ، عما قليلٍ ، بسالمِ
على المَلِكِ الجَبَّارِ يَتَقَحِّمُ الرَّدَى ، ويَصْرَعُهُ في المَأْزِقِ المُتَلاحِمِ¹
كَأَنَّكَ لم تَسْمَعْ بِقَتْلِ مُتَوَجِّجٍ عَظِيمٍ ، ولم تَسْمَعْ بِفَتكِ الأعاجِمِ
تَقَسَّمَ كِسْرَى رَهْطُهُ بِسِوْفِهِم² ، وأَمْسَى أبو العَبَّاسِ أحلامَ نائِمِ³
وقد كانَ لا يَخْشَى انْقِلَابَ مَكِيدَةٍ عَلَيْهِ ، ولا جَرِي النُّحُوسِ الْأَشائِمِ⁴
مُقيمًا على اللَّذاتِ ، حتى بَدَتْ لَهُ وجوهُ المَنائِيا حاسراتِ العَمائِمِ⁵
وقد تَرَدُّ الأَيَّامُ غُرًّا ، وربَّما وَرَدَنَ كُلُّوْحًا ، بادِياتِ الشَّكائِمِ⁶

١. المَأْزِقُ : المضيق . المتلاحم : المتلاصق بالمتحاربين .
٢. تقسم : قطع . رهطه : قومه . أبو العباس : كنية الوليد بن يزيد . مات مقتولا متهماً بالكفر والمجون .
٣. الأشائم : جمع الأشأم أي الكثير الشؤم .
٤. حاسرات العمام : كاشفات الرؤوس . كناية عن وقوع الشر .
٥. غرأ : بيضاً مشرقة ، من غرة الجواد . كلوحاً أي كالحة : عابسة مكشرة بادية الأسنان . الشكائم : جمع الشكيمة وهي حديدة اللجام المعترضة في فم الفرس . شبه الأيام بالخيول العابسة البادية الشكائم لتكشيرها ، وهي في حالة الضيق والشدّة .

ومروان^١ قد دارت على راسه الرحي ،
فأصبحت تجري سادراً في طريقهم^٢ ،
تجردت للإسلام تعفو طريقه^٣ ،
فما زلت ، حتى استنصر الدين أهله^٤ ،
فرم وزراً يُنجيك يا ابن سلامة^٥ ،
لحاً الله قوماً رأسوك عليهم^٦ ،
أقول لبسّام^٦ ، عليه جلالة^٧ ،
من الفاطميين الدعاة إلى الهدى
سراج لعين المستضيء^٨ ، وتارة^٩
إذا بلغ الرأي المشورة^٩ ، فاستعين^٩
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة^٩ ،

وكان^١ ، لِمَا أجمعت ، نزر الجرائم^١
ولا تتقي أشباه تلك النقائم^٢
وتعري مطاه^٣ لليوث الضراغم^٣
عليك^٤ ، فعادوا بالسيوف الصوارم^٤
فلست بناج من مضمٍ وضائم^٥
وما زلت مرووساً خبيث المطاعم^٥
غداً أريحيًا عاشقاً للمكارم^٦
جهاراً ، ومن يهديك مثل ابن فاطم^٧
يكون ظلاماً للعدو المزاحم^٨ :
برأي نصيح أو نصيحة حازم^٩
فإن الخوافي قوة للقوادم^٩

- ١ مروان بن محمد : آخر خلفاء بني أمية . قتله أبو العباس السفاح في مصر . الرحي : الطاحون ويكنى بها عن شدة الحرب وحومة الموت فيها .
٢ سادراً : غير مبال ولا يهتم بما يصنع . النقائم : جمع النقيمة وهي الانتقام .
٣ تعفو : تمحو . مطاه : ظهره . الليوث : الأسود . الضراغم جمع الضرغام وهو الأسد أو صفة له . يقول : أخذت تمحو طريق الإسلام ، وتجعل ظهره مركباً لأعدائه .
٤ فما زلت : أي فما زلت تفعل ذلك . استنصر الدين أهله : أي أن الدين دعا العلويين أهل البيت إلى نصرته . عادوا : لاذوا واعتصموا . الصوارم : السيوف القواطع .
٥ الوزر : الملجأ . سلامة : أم المنصور . وقد جعل بشار موضعها يا ابن وشيكة ؛ وهي أم أبي مسلم الخراساني ، عندما قلب القصيدة وحولها إلى مدح المنصور وهجاء أبي مسلم . مضمٍ وضائم : مظلوم وظالم . أي من مظلوم قهرته أو ظالم يقهره .
٦ الاربيحي : من يرتاح إلى صنع المعروف .
٧ فاطم : أصله فاطمة وهي بنت النبي ، فرخمه بحذف تاء التأنيث ، والترخم في غير النداء جائز للضرورة . وهذا البيت حذفه الشاعر من القصيدة عندما أظهرها في عهد المنصور .
٨ إذا بلغ الرأي المشورة : أي إذا احتاج إليها . حازم : الذي يحسن ضبط أمره .
٩ غضاضة : نقصاً من القدر . الخوافي : الريش الصغار التي في جناح الطائر بعد القوادم ، مفردتها الخافية .

وما خَيْرُ كَفٍّ أَمْسَكَ الْغُلَّ أُخْتَهَا ،
 إِذَا كُنْتَ فَرْدًا ، هَرَّكَ النَّاسُ مُقْبِلًا ؛
 فَأَدْنِ ، عَلَى الْقُرْبَى ، الْمُقْرَبَ نَفْسَهُ ،
 وَحَارِبٌ ، إِذَا لَمْ تُعْطَ إِلَّا ظِلَامَةً ،
 وَخَلَّ الْهُوَيْنَا لِلضَّعِيفِ ، وَلَا تَكُنْ
 فَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ الْهَمَّ بِالْمُنَى ،
 فَمَا قَرَعَ الْأَقْوَامَ مِثْلُ مُشِيعٍ
 وَمَا خَيْرُ سَيْفٍ لَمْ يُؤَيِّدْ بِقَائِمٍ^١
 وَإِنْ كُنْتَ أَدْنَى ، لَمْ تَفْزُ بِالْعَزَائِمِ^٢
 وَلَا تُشْهِدِ الشُّورَى أَمْرًا غَيْرَ كَاتِمٍ^٣
 شَبَا الْحَرْبِ خَيْرٌ مِنْ قَبُولِ الْمَظَالِمِ^٤
 نَوُومًا ، فَإِنَّ الْحَزْمَ لَيْسَ بِنَائِمٍ^٥
 وَلَا تَبْلُغُ الْعَلِيَا بِغَيْرِ الْمَكَارِمِ^٦
 أَرِيبٌ ، وَلَا جَلَّى الْعَمَى مِثْلُ عَالِمٍ^٧

هجاء المهدي

قطع المهدي صلاته عن بشار فقال يهجوهُ ، ويستفزه على وزيره يعقوب بن داود لأنه أبى التوسط له عنده ، ويحرض بني أمية على استرجاع ملكهم :

بَنِي أُمَيَّةَ ! هُبُّوْا طَالَ نَوْمُكُمْ !
 ضَاعَتْ خِلَافَتُكُمْ ، يَا قَوْمُ ، فَالْتَمِسُوا
 إِنَّ الْخَلِيفَةَ يَعْقُوبُ بْنُ دَاوُدَ
 خَلِيفَةَ اللَّهِ بَيْنَ الزَّقِّ وَالْعُودِ

القوام : عشر ريشات في مقدم جناح الطائر وهي كبار الريش ، مفردها القادمة . يقول : لا تحسب ان في الشورى نقصاً من قدرك . فأنت وإن كنت أعلى قدراً ، واجزم رأياً من كل من تشاوره من الناس ، فالكبير يستفيد من الصغير ويتقوى به كما تتقوى الريش الكبار في الطيران باستنادها إلى الريش الصغار .

١ الغل : الحديدة التي تجمع بين يد الأسير وعنقه وتسمى الجامعة . قائم السيف : مقبضه . يقول : الكف الواحدة ضعيفة إذا لم تستند إلى أختها . والسيف القاطع قليل النفع إذا لم يستند إلى مقبضه .
 ٢ هرك : كره ناحيتك ، أو نبحك واعتدى عليك . الأدنى : الساقط الضعيف . العزائم : جمع العزيمة وهي الثبات والصبر والجلد .

٣ يقول : أدن من يقرب نفسه إليك ، مع ما لديك من ذوي القربى .

٤ الشبا : جمع الشبابة وهي حد كل شيء .

٥ الهوينا : التؤدة والرفق .

٦ تستطرد الهم : تطلب طرده . المنى : جمع المنية وهي ما يتمناه الإنسان ، أي لا يطرد الهم بالتمنيات .

٧ قرع : غلب . المشيع : الشجاع . الأريب : الماهر . جلى : كشف . العمى : الجهل .

هجاء واصل بن عطاء

كان واصل بن عطاء شيخ المعتزلة يحرض الناس على بشار لما بلغه من إلحاده . فقال فيه :

ما لي أشايحُ غَزَّالاً ، لهُ عُنُقُ كَنِيقِ الدَّوِّ : إنْ وَلَّى وإنْ مَثَلَا^١
عُنُقَ الزَّرَافَةِ ! ما بالي وبالْكُفْمُ ، أَتُكْفِرُونَ رِجَالاً كَفَرُوا رِجَالاً؟^٢

هجاء حماد عجرد

التحم الهجاء بين بشار وحماد عجرد نحواً من خمس عشرة سنة حتى مات حماد . فمن قوله فيه يرميه بالزندقة :

يا ابنَ نِهْيَا ! رأسٌ عليّ ثَقِيلُ ، واحْتِمَالُ الرَّاسَيْنِ خَطْبٌ جَلِيلُ^٣
أَدْعُ غَيْرِي إلى عِبَادَةِ الْإِثْنَيْنِ ، فَإِنِّي بِوَاحِدٍ مَشْغُولُ^٤
يا ابنَ نِهْيَا بَرِئْتُ مِنْكَ إلى اللَّهِ ، وَذَاكَ مِنِّي قَلِيلُ !

١ أشايح : أوالي . غزالا : لقب واصل بن عطاء سمي به لكثرة جلوسه في سوق الغزالين . النقيق : الظليم وهو ذكر النعام . الدو : الفلاة . وكان واصل طويل العنق ، وقوله : ان ولي وان مثلاً أي إن أدبر أو أقبل .

٢ ما بالي وبالكم : أي ما شأني وشأنكم واحد . وقوله أتكفرون رجالاً ، خطاب لواصل الذي كان يكفر الخوارج لتكفيرهم علي بن أبي طالب .

٣ نهيا : اسم أم حماد . يقول : إن رأسه ثقيل عليه فكيف يحتمل رأسين . قال حماد : « يفيظني منه تجاهله بالزندقة ، فيوهم الناس أن الزنادقة تعبد رأساً ليظن الجاهل أنه لا يعرفها . لأن هذا قول تقوله العامة لا حقيقة له . وهو ، والله ، أعلم بالزندقة من ماني . »

٤ عبادة الاثنين : يريد بها الثنوية أو مذهب المانوية منسوباً إلى مؤسسه ماني . وهو مذهب فارسي جاء مصدقاً لما بين يديه من المذهب الزرادشتي ، متفقاً معه على أن في الكون لإثنين أحدهما إله النور والخير وهو النهار والثاني إله الظلام والشر وهو الليل . وهنا يبين الشاعر حقيقة الزندقة المانوية بعد أن أدخل عليها في البيت السابق مزاعم العامة ليظهر بهذا الخلط المقصود جهله لها ، وبرأته منها . ثم يقول بأنه مشغول بعبادة إله واحد .

فاخر الاعراب

تعرض أعرابي لبشار ، فأنكر عليه قول الشعر لأنه مولى . فسكت بشار هنيئة ثم أنشأ يهجو ويهجو الأعراب معه ، ويفاخر بفارسيته :

خَلِيلِي ، لَا أَنَامُ عَلَى اقْتِسَارٍ ، وَلَا آبَى عَلَى مَوَلَى وَجَارٍ^١
سَأُخْبِرُ فَاخِرَ الْأَعْرَابِ عَنِّي وَعَنهُ ، حِينَ تَأْذَنُ بِالْفَخَارِ^٢ :
أَحِينَ كُسِّيتَ بَعْدَ الْعُرَى خَزَاءً ، وَنَادَمْتَ الْكِرَامَ عَلَى الْعُقَارِ^٣
تُفَاخِرُ ، يَا ابْنَ رَاعِيَةٍ وَرَاعٍ ، بَنِي الْأَحْرَارِ ، حَسْبُكَ مِنْ خَسَارٍ^٤ !
وَكُنْتَ إِذَا ظَمِئْتَ إِلَى قَرَّاحٍ ، شَرِكَتَ الْكَلْبَ فِي وَلَغِ الْإِطَارِ^٥
تُرِيغُ بِخُطْبَةٍ كَسَرَ الْمَوَالِي ، وَيُنْسِيكَ الْمَسْكَارِمَ صَيْدُ فَارٍ^٦
وَتَغْدُو لِلْقَنَافِدِ تَدْرِهَا ، وَلَمْ تَعْقِلْ بِدَرَّاجِ الدِّيَارِ^٧
وَتَتَشِيحُ الشَّمَالَ لِإِلَاسِيهَا ، وَتَرَعَى الضَّانَ بِالْبَلَدِ الْقِفَارِ^٨

- ١ اقتسار : ضم وقهر . لا آبى : لا امتنع . المولى : هنا بمعنى الخليف والصديق .
- ٢ عني وعنه : أي عن أصلي وأصله . وقوله : حين تأذن بالفخار : خطاب للخليفة مجزأة بن ثور السدوسي ، وكان بشار عنده حين تعرض له الأعرابي .
- ٣ خزأ : أي ثوباً من حرير أو حرير وصوف . العقار : الشراب .
- ٤ بني الأحرار : أي الفرس ، والشاعر منهم . الخسار : الضلال .
- ٥ القراح : الماء الخالص . الولغ : أن يدخل الكلب لسانه في الماء ليشرب . الإطار : من معانيه ، ما حول البيت . ومن هذه المادة : المأطور ، وهي البثر بجانبها بثر أخرى . والماء في السهل يطوى بالشجر مخافة الانهيار . فيكون المعنى أن الكلب يلغ في المياه الراكدة حول البيوت ، ويشركه الأعرابي فيها .
- ٦ تريغ : تريد وتطلب . أي تريد كسر الموالي بكلمة تقولها . وينسيك المكارم : أي اشتغالك بالأمور الحفيرة كصيد الفار ينسيك المكارم وأهلها ، فتنكر فضل الموالي .
- ٧ تدريها : تتخفى لها لتصيدها . ولم تعقل : بمعنى لم تعتقل وتعتدى بنفسها لا بالباء . كما أنه لا يصح الاعتقال للقنافة إلا مع التوسع . ولعلها لم تقفل أي لم ترجع . الدراج : القنفذ . يقول : تغدو لصيد القنافة ولم ترجع بواحد منها يدرج حول الديار لأنك لا تحسن إلا صيد الفار .
- ٨ الشمال : جمع الشملة وهي كساء يلتف فيه . ويقال أتشح بالثوب مع التعدية بالباء . ولعلها : تنتسج بمعنى تنسج كما نه على ذلك شارح الأغاني (نشر دار الكتب المصرية) . البلد : كل قطعة من الأرض ←

مُقامُكَ بَيْنَنَا دَنَسٌ عَلَيْنَا ، فَلَيْسَتْكَ غَائِبٌ فِي حَرِّ نَارِ
وَفَخْرُكَ ، بَيْنَ خِنْزِيرٍ وَكَلْبٍ ، عَلَى مِثْلِي مِنَ الْحَدَثِ الْكِبَارِ

هجاء بني زيد

قال صاحب الأغاني : وقف رجل من بني زيد شريف على بشار فقال له : يا بشار قد أفسدت علينا موالينا ، تدعوهم إلى الانتفاء منا ، وترغبهم في الرجوع إلى أصولهم وترك الولاء . وأنت غير ذاكي الفرع ، ولا معروف الأصل . فقال بشار : والله لأصلي أكرم من الذهب ، ولفرعي أذكى من عمل الأبرار . وما في الأرض كلب يود أن نسبك له بنسبه . وموعدك غداً بالمريد . فرجع الرجل إلى منزله وهو يتوهم أن بشاراً يحضر معه المريد ليفاخره . فخرج من الغد يريد المريد فإذا رجل ينشد في هجائه ، فسأل عن قال هذا ، ف قيل له : هذا لبشار فيك . فرجع إلى منزله من فوره ، ولم يدخل المريد حتى مات :

بَلَوْتُ بَنِي زَيْدٍ ، فَمَا فِي كِبَارِهِمْ حُلُومٌ ، وَلَا فِي الْأَصْغَرِينَ مُطَهَّرٌ^٢
فَأَبْلِغْ بَنِي زَيْدٍ ، وَقُلْ لِسَرَاتِهِمْ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ سَرَاةٌ تَوْقَرُ^٣ :
لَأَمْتَكُكُمْ الْوِيَلَاتُ ! إِنْ قَصَائِدِي صَوَاعِقُ ، مِنْهَا مُنْجِدٌ وَمُغَوَّرٌ^٤
أَجَدَّهُمْ ، لَا يَتَّقُونَ دَنِيَّةً ، وَلَا يُؤْثِرُونَ الْخَيْرَ ، وَالْخَيْرُ يُؤْثَرُ^٥
يَكْفُونَ أَبْنَاءَ الزَّنا فِي عِيَادِهِمْ ، فَعِدَّتُهُمْ مِنْ عِدَّةِ النَّاسِ أَكْثَرُ^٦
إِذَا مَا رَأَوْا مَنْ دَابُّهُ مِثْلُ دَابِّهِمْ ، أَطَافُوا بِهِ ، وَالْغَيُّ لِلْغَيِّ أَصَوَرُ^٧

منحصرة عامرة أو غامرة . ويقال : بلد قفار على توهم الجمع لسعته . يعبر الشاعر الأعرابي بصناعة النسيج على طريقة العرب في التخييل بالصناعات . يقول له : تنسج الثياب للابسيها وأنت عار .

- ١ الكبار : العظيم الكبير .
- ٢ بلوت : جربت . حلوم : عقول .
- ٣ السراة : الأشراف .
- ٤ المنجد : من يأتي النجد وهو الأرض المرتفعة . المغور : من يأتي الغور وهو الأرض المنخفضة . يقول : أن قصائده كالصواعق تنقض على كل الأرض أعاليها ووهادها .
- ٥ أجدهم : يستحلفهم بحظهم . وهي منصوبة على المصدرية . وتكسر الجيم فيكون الاستحلاف بحقيقة الشخص . والجد بالكسر ضد الهزل .
- ٦ يلفون : يجمعون .
- ٧ الدأب : العادة والشأن . النغي : الضلال . اصور : أميل ، من صار يصور : أي مال بوجهه إليه .

ولو فارقُوا مَنْ فِيهِمْ مِنْ دَعَارَةٍ ، لَمَّا عَرَفْتَهُمْ أُمُّهُمْ حِينَ تَنْظُرُ^١
لَقَدْ فَخَرُوا بِالْمُلْحَقِينَ عَشِيَّةً ، فَقُلْتُ: افْخَرُوا، إِنْ كَانَ فِي اللَّؤْمِ مَفْخَرُ^٢
يُرِيدُونَ مَسْعَايَ ، وَدُونَ لِقَائِهَا قَنَادِيلُ أَبْوَابِ السَّمَاوَاتِ تَزْهَرُ^٣
فَقُلْ فِي بَنِي زَيْدٍ ، كَمَا قَالَ مُعَرِبٌ : قَوَارِيرُ حَجَّاسٍ غَدَاً تَتَكَسَّرُ^٤

المدح

مدح سليمان بن هشام

قصده بشار إلى حران نحو سنة ٧٤٤ م وافداً على سليمان بن هشام بن عبد الملك من أمراء بني أمية ومدحه بهذه القصيدة :

نَأْتِكَ عَلَى طُولِ التَّجَاوُرِ زَيْنَبُ ، وَمَا شَعَرْتَ أَنَّ التَّوَى سَوْفَ تَشْعَبُ^١
يَرَى النَّاسُ مَا تَلْقَى بِزَيْنَبَ، إِذْ نَأَتْ ، عَجَبِيًّا ، وَمَا تُخْفِي بِزَيْنَبَ أَعْجَبُ^٢
وَقَائِلَةً لِي حِينَ جَدَّ رَحِيلُنَا ، وَأَجْفَانُ عَيْنَيْهَا تَجُودُ وَتَسْكُبُ :^٣

١ يقول : لو فارقوا من اجتمع إليهم من أبناء الدعارة لما عرفت المرأة الزينة أولادها من أبناء الزنا لاختلاط بعضهم ببعض .

٢ الملحقين : أي الذين استلحقوهم من أولاد الزنا أي ضموهم إليهم .

٣ المسعاة : المكرمة والمعلقة في أنواع المجد والجلود لأن الكريم يسعى فيها كأنها من مكاسبه . تزهو : تتألق . يقول : يريدون الوصول إلى مرتبتي في المجد ، وهي فوق النجوم الزاهرة .

٤ المعرب : المفصح الذي لا يتقي أحداً في كلامه . الحجام : محترف الحجامه وهي أن يشرط الجلد بالشرط ثم يلقي في المحجمة أي قارورة الحجام ، قرطاس ملتهب أو قطن ونحوه . ويلزم بها مكان الشرط فتجذب الدم بقوة الامتصاص .

٥ تشعب : تفرق أي تفرق بيننا .

« أَغَادِي إِلَى حَرَّانَ فِي غَيْرِ شَيْعَةٍ ؟ »
فَقُلْتُ لَهَا : كَلَّفْتَنِي طَلَبَ الْغِنَى ،
سَيَكْفِي فَتًى ، مِنْ سَعْيِهِ حَدُّ سَيْفِهِ ،
إِذَا اسْتَوْغَرَتْ دَارٌ عَلَيْهِ ، رَمَى بِهَا
فَعُدَّتِي إِلَى يَوْمِ ارْتَحَلْتُ ، وَسَائِلِي
لَعَلَّكَ أَنْ تَسْتَيْقِنِي أَنَّ زَوْرَتِي
أَغْرَتْ هِشَامِي الْقَنَاةَ ، إِذَا انْتَمَى ،
وَمَا قَصَّدَتْ يَوْمًا مُحْلِينَ خَيْلُهُ ،
فَتَصْرَفُ إِلَّا عَنْ دِمَائِهِ تَصَبَّبُ^١
وَلَيْسَ وَرَاءَ ابْنِ الْخَلِيفَةِ مَذْهَبُ^٢
وَكُورٌ عَلَافِيٌّ ، وَوَجَنَاءُ ذِعْلِبُ^٣
بَنَاتِ الصَّوَى مِنْهَا رَكُوبٌ وَمُصْعَبُ^٤
بِزُورِكَ ، وَالرَّحَالُ مَنْ جَاءَ يَضْرِبُ^٥
سُلَيْمَانَ مِنْ سَيْرِ الْهَوَاجِرِ تُعْقِبُ^٦
نَمَّتُهُ بُدُورٌ لَيْسَ فِيهِنَّ كَوَكَبُ^٧
فَتَصْرَفُ إِلَّا عَنْ دِمَائِهِ تَصَبَّبُ^٨

١ الشَّوْر : الغاية . مغرب : يعيد .

٢ يريد أن طالب المعروف ليس له طريق يسلكها بعد طريق الممدوح .

٣ من سعيه : أي في طلب المجد والمكاسب . الكور : الرحل . علافي : نسبة إلى علاف بن طوار . يزعم العرب أنه أول من صنع الرحال . وجنء : ناقة عظيمة الوجنتين ، أو صلبة قوية ، من الوجين وهو الصعب من الأرض . ذعلب : سريعة . يقول : ان الممدوح سيكفي قاصده ، أي الشاعر . وهذا الشاعر يستحق أن يكفى لأنه فتي شجاع مغامر لا يقيم على ضميم . وله من مساعيه إلى النجاح حد سيفه ، وأسفاره على ناقة قوية سريعة يعلو ظهرها كور أصيل .

٤ استوغرت : حميت واشتد حرها . يريد أنها ضاقت به . رمى بها : أي بناقته . الصوى : جمع صوة وهي حجارة تكون علامة في الطريق يهتدى بها . وما غلظ وارتفع من الأرض . والمراد من بناتها حجارتها الصغيرة أو طرقها . الركوب : الناقة المذلة للراكب . والمصعب : البعير الذي لم يذل بالركوب . والمراد ما سهل أو صعب قطعه من الطرق .

٥ الزور : الزائر . يضرب : يقال ضرب في الأرض خرج يطلب الرزق ، وأسرع . يقول لها : عدي مدة غيابي إلى اليوم الذي ارتحلت فيه ، ثم سألني عن زائرك تجديده عائداً إليك ، فإن الرحال من يرجع مسرعاً كاسياً . وقوله : بزورك : يريد به نفسه . والباء بمعنى عن .

٦ الهواجر : شدة الحر مفردة الهاجرة . تعقب : تأتي بعاقبة حسنة ، أي يكون له بها عوض وبدل من تعب وسيره في الهواجر .

٧ القناة : أي القامة والمخبر .

٨ محلين : جمع المحل وهو العدو الذي ليس له عندك حرمة عهد ولا ذمة ، وضده المحرم . قال زهير :
وكم بالقنان من محل ومحرم .

مدح خالد بن برمك

كان خالد البرمكي وزيراً للسفاح ثم المنصور . فلما تغلب الأكراد على بلاد فارس انتدبه المنصور والياً عليها سنة ٧٥٥ م (١٣٨ هـ) فوفد عليه بشار وأنشده مادحاً :

لَعَمْرِي ! لَقَدْ أَجْدَى عَلَيَّ ابْنُ بَرْمَكٍ ، وَمَا كُلُّ مَنْ كَانَ الْغِنَى عِنْدَهُ يُجْدِي
حَمَلْتُ بِشِعْرِي رَاحَتِيهِ ، فَدَرَّتْنَا سَمَاحاً ، كَمَا دَرَّ السَّحَابُ مَعَ الرَّعْدِ
إِذَا جِئْتَهُ لِلْحَمْدِ ، أَشْرَقَ وَجْهُهُ إِلَيْكَ ، وَأَعْطَاكَ الْكَرَامَةَ بِالْحَمْدِ^١
لَهُ نِعَمٌ فِي الْقَوْمِ لَا يَسْتَشِيْبُهَا جَزَاءً ، وَكَيْلَ التَّاجِرِ الْمُدَّ بِالْمُدِّ^٢
مُفِيدٌ وَمِثْلَافٌ ، سَبِيلُ ثَرَاثِهِ ، إِذَا مَا غَدَا أَوْ رَاحَ ، كَالْجَزْرِ وَالْمُدِّ^٣
لَمَسْتُ بِكَفِّي كَفَّهُ أَبْتَغِي الْغِنَى ، وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الْجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُعْدِي
فَلَا أَنَا مِنْهُ مَنَّا أَفَادَ ذَوُو الْغِنَى أَفَدْتُ ، وَأَعْدَانِي فَأَتَلَقْتُ مَا عِنْدِي
أَخَالِدُ ، إِنَّ الْحَمْدَ يَبْقَى لِأَهْلِهِ جَمَالاً ، وَلَا تَبْقَى الْكُنُوزُ عَلَى الْكَمَدِ
فَأُطْعِمُ وَكُلُّ مِّنْ عَارَةٍ مُّسْتَرْدَّةٍ ، وَلَا تُبْقِيهَا ، إِنَّ الْعَوَارِيَّ لِلرَّدِّ^٤

مدح المهدي

وَقَائِلَةٌ : إِنَّ الْعِيَالَ مُعَوَّلٌ عَلَيْكَ ، فَلَا تَقْعُدُ ، وَأَنْتَ مُضِيعٌ^٥
فَقُلْتُ لَهَا : كُفِّي ! سَيَكْفِيكَ وَافِدٌ أَشْمٌ ، لِأَبْوَابِ الْمُلُوكِ قَرُوعٌ

١ بالحمد : الباء باء البدل أي بدلا من الحمد .

٢ يستشيها : يسترجمها . أي لا يطلب عليها جزاء أو مَدْحاً كالتاجر الذي يبيع مبادلا كيلا يمد .

٣ مفيد : مستفيد . التراث : ما يخلفه الرجل لورثته . يريد أن ماله الذي هو إرث أولاده من بعده ، معرض أبدأ للزيادة والنقصان .

٤ أفاد : استفاد وكسب .

٥ العارة : مفرد العواري وهي ما تداوله الناس بينهم . والمال عارة لأنه متداول .

٦ مضيع : اسم فاعل من أضاع . يقول : لا تقعد عن طلب الرزق فتكون قد أضعت عليك . وقد عولوا عليك إذ لا كاسب لهم غيرك .

وما أنا راضٍ بالهوانِ ، إذا احتسبى
إذا الأمرُ لم يُقبلْ عليّ بوجهيه ،
وزرتُ هُمَاماً ، يُصبحُ القومُ حَوْلَهُ
ولمّا التقينا سابقَ الحمدِ جُودُهُ ،
وأملكُ صدقِ البستني طرازَهم
إذا حاجةٌ ألفتْ عليّ بِناعِها ،
يُردنَ امرأٌ قد شذّبَ الحمدُ مالهُ ،
وغيرانَ من دونِ النساءِ ، كأنه
على جنباتِ الدّستِ منه مُهابةٌ ،
يَشْقُ الوغى عن وجهه صدقُ نجدةٍ ،
إذا خزنَ المالَ البَخيلُ ، فإنما

على الدّلّ ، في دارِ الهوانِ ، رتوعٌ^١
فلي مَسَلَكٌ باليَعْمَلاتِ وَسِيعٌ^٢
عُكُوفاً ، عَلَيْهِمُ ذِلَّةٌ وَخُضُوعٌ^٣
فأجدى ، وجُودُ الطّالِبينَ سَرِيعٌ^٤
قَصائِدُ ، ما لي غيرَهنَّ شَفِيعٌ^٥
رَكِبتُ ، وحَسبي مُنْصَلٌ وَقَطِيعٌ^٦
أغرّ ، طَوِيلَ الباعِ ، حينَ يَبْئُوعٌ^٧
أُسامَةُ ذُو الشَّيْلينِ حينَ يَجُوعٌ^٨
وفي الدَّرعِ عَبلُ السّاعدينَ قَرُوعٌ^٩
وأَيَضُ من ماءِ الحَديدِ ، وَقِيعٌ^{١٠}
خَزائِنُهُ خَطِيطَةٌ وَدُرُوعٌ^{١١}

- ١ احتسبى : قد عاقداً حبوته أي معتمداً يديه أو سيفه على ركبته . والمراد هنا أنه عاقد حبوته على الدّل ، ذاك الذي يرتع في دار الهوان .
- ٢ اليعملات : جمع اليعلة وهي الناقة التي يعمل عليها في الأسفار .
- ٣ الطالبين : أي طالبي الحمد .
- ٤ أملاكُ صدق : أي ملوك شيمتهم الصدق في القول والفعل . الطراز : الثوب الملوكي . يقول : إن قصائده أليسته ما يخلعون عليه من الحلل الملوكية .
- ٥ بِناعها : ثقلها . ركبت : أي ركبت إبل السفر في طلبها . المنصل : السيف . القطيع : السوط يسوق به مطيته .
- ٦ يردن : الضمير يعود إلى الإبل المحذوفة . شذّب الحمد ماله : أي فرقه . الباع : قدر مد اليدين ، والشرف والكرم . يبيع : يمد بابه ، ويبسط يده بالمال والهبات .
- ٧ أسامة : معرفة علم للأسد . كان المهدي شديد الغيرة على النساء . يقول : إنه غيور يغضب للنساء كالأسد إذا جاع وعنده ولدان يحرص عليهما أن لا يجوعا معه .
- ٨ الدست : صدر المجلس . العبل : الضخم من كل شيء . قروع : من قرعه أي غلبه .
- ٩ يشق الوغى : يريد أنه يشق حومة الحرب ، ويكشف شدتها عن وجهه بصدق نجدة وسيفه المرهف .
- ١٠ الخطية : الرماح . والمراد أنه يجود بالمال ويحرص على السلاح .

وبيضُ^١ بها مِسْكٌ مكانَ بَنَانِهِ ، ولكنَّها رِيحُ الدِّمَاءِ تَضُوعُ^١
تَروُحُ بأرزاقٍ ، وتَغْدُو بغَارَةٍ ، فَأَنْتَ ذُعَافٌ مَرَّةً^٢ وَرِيْعٌ^٣

الغزل

لم يطل ليلى

لم يَطُلْ لَيْلِي ، ولكن لم أَنَسْ ، ونَفْسِي عَنِّي الْكَرَى طَيْفٌ أَلَمٌ^٤
وإذا قُلْتُ لها : جُودِي لَنَا ، خَرَجْتُ بِالصَّمْتِ عَن لَّا وَنَعَمْ^٥
نَفْسِي يَا عَبْدَ عَنِّي ، واعْلَمِي أَنَّنِي ، يا عَبْدَ ، من لَحْمٍ وَدَمٍ^٥
إِنَّ فِي بُرْدِي جِسْمًا نَاحِلًا ، لو تَوَكَّاتِ عَلَيْهِ ، لَأَنهَدَمَ^٥
خَتَمَ الْحُبِّ لها في عُنُقِي ، موضعَ الْخَاتَمِ ، من أَهْلِ الدَّمَمِ^٦

-
- ١ تضوع : تفوح .
٢ الذعاف : السم السريع القتل . وقوله تروح بأرزاق : أي تعود سيوفه مساء من الحرب بالغنائم لأمنته ،
وتغدو في الصباح بغارة على الأعداء .
٣ خرجت بالصمت عن لا ونعم : أي لم تجب بلا ولا بنعم .
٤ نفسي : فرجي .
٥ بردي : ثوبي .
٦ أهل الدم : في الدول الإسلامية كالنصارى واليهود وكانوا يعلقون في أعناقهم خواتم من الرصاص ،
ليدلوا بها على ما لهم عند الدولة من عهد . فالشاعر يقول هنا إن حبها ملازم له ملازمة الخاتم لأهل الدمة ،
ويخضع عنقه لحكم هذا الحب خضوع أعناقهم لخاتم العهد .

الأذن العاشقة

يا قومُ ، أذني لبعض الحَيِّ عاشِقَةٍ ،
قالوا : بمن لا ترى تهدي؟ فقلتُ لهم :
هل من دواءٍ لمشغوفٍ بجاريةٍ ،
والأذنُ تعشقُ قبلَ العينِ أحياناً
الأذنُ كالعينِ تُوفي القلبَ ما كانا^١
يلقَى بلُقيانِها روحاً وريحاناً^٢؟

يا رحمة الله حلّي !

قال هذه الأبيات في جارية اسمها رحمة الله :

يا أطيّبَ النَّاسِ ريقاً غيرَ مُختبَرٍ ،
قد زُرّتنا مرّةً في العامِ واحدةً ،
يا رَحمةَ اللهِ ، حلّي في منازِلنا ،
لولا شهادَةُ أطرافِ المساويكِ
ثَنّي ، ولا تجعلِها بيضةَ الديكِ^٣
حَسبي برائحةَ الفردوسِ من فيكِ

صفة حسناء

يا ليلتي تزدادُ نُكراً ،
حوراءُ إن نظرتُ إليّ
وكانَ رَجَعَ حَدِيثُها
من حُبِّ مَنْ أَحَبَّتْ بِكَرّاً ،
لَكَ ، سَقَمْتُكَ بالعينينِ خَمراً^٤
قِطْعُ الرِّياضِ ، كُسِينَ زَهراً^٥

١ توفي : تبلغ .

٢ الروح : الراحة والسرور .

٣ على اعتقاد العامة أن الديك يبيض مرة في السنة .

٤ الحوراء : أي حوراء العينين ، من الحور وهو شدة البياض والسواد في العين مع استدارة الحدقة ورقة الجفون .

٥ يقول : إن حديثها جميل فيه ألوان متنوعة كأزهار الرياض .

وكان تحت لسانها هاروت ، ينفث فيه سحراً^١
وتخال ما جمعت عليه ثيابها ذهباً وعطراً^٢
وكانها برد الشرا ب، صفا، ووافق منك فطراً^٣
جنيّة إنسيّة ، أو بين ذلك أجل أمراً^٤
وكفاك أني لم أحيط بشكاة من أحببت خيراً^٥
إلا مقالة زائر ، نشرت لي الأحزان نثراً^٦
متخشعاً تحت الهوى عشراً، وتحت الموت عشراً^٧

مجلس غناء

وذا دَلِّ كَأَنَّ الْبَدْرَ صَوَّرَتْهَا ، باتت تُغْنِي عَمِيدَ الْقَلْبِ سَكْرَانًا :^٨
« إِنَّ الْعُيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوَرٌ قَتَلْنَنَا ، ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنَ قَتْلَانَا »
فَقُلْتُ : أَحْسَنْتِ يَا سُؤْلِي وَيَا أَمَلِي ، فَأَسْمِعِينِي ، جَزَاكِ اللَّهُ إِحْسَانًا :

- ١ هاروت : أحد ملكي السحر ، والثاني ماروت . تقول الأسطورة إن الله غضب عليهما فحبسهما في بابل فهما معلقان بشعورهما في بئر يأتيها طلاب السحر فيتعلمون منهما . يقول الشاعر : إن حديث هذه الفتاة يسحر سامعه فكان هاروت محبوبس تحت لسانها ينث السحر كلما تكلمت .
- ٢ يقول : تحسب جسمها الذي جمعت عليه ثيابها مجبولا من ذهب وعطر لا من طين وماء .
- ٣ ووافق منك فطراً : أي بعد صوم وعطش .
- ٤ يقول : فيها من الجن السحر . وفيها من الإنس الشكل والجسم . أو هي شيء بين الجن والإنس أعظم أمراً منهما لأنها مخلوقة من ذهب وعطر .
- ٥ الشكاة : المرض . الخبر ، بالكسر والضم : العلم بالشيء . وكانت هذه الفتاة قد وعدت بشاراً بالزيارة فأخلفت وعدّها . فأرسل يعاتبها فاعتذرت بمرضها . فهو يستعظم عدم معرفته بذلك .
- ٦ إلا مقالة زائر : أي الذي جاء بخبر مرضها .
- ٧ يقول : تركتني مقالة الزائر متخشعاً تحت الهوى عشر مرات ومثلها تحت الموت . والعرب تستعمل عدد العشرة لأنه تمام العقد الأول . ويعبرون به عن الكثرة . ومن ذلك قولهم : قلب أعشار أي مكسر على عشر قطع .
- ٨ عميد القلب : مريضه من العشق .

« يا حَبَبُدا جَبَبَلُ الرِّيانِ مِنْ جَبَبَلٍ ،
 قالت: فهلا ، فذلكَ النَّفسُ ، أحسنُ من
 » يا قومُ أذني لبعضِ الحيِّ عاشقَةٍ ،
 فقلتُ: أحسنتِ ، أنتِ الشمسُ طالعةٌ ،
 فأسمِعيني صوتاً مُطرباً هزجاً ،
 يا لَيْتَنِي كنتُ تَفاحاً مُفلَجَةً ،
 حتى إذا وَجَدَتُ ريحي فأعجبَها ،
 فحرَّكتْ عودَها ، ثمَّ انثَنَتْ طرباً ،
 » أَصَبَحْتُ أَطوَعَ خَلَقَ اللهُ كُلَّهُمْ ،
 فقلتُ: أَطَرَبَتِنَا ، يا زَيْنَ مَجْلِسِنَا ،
 لو كنتُ أَعْلَمُ أَنَّ الحُبَّ يَقْتُلُنِي ،
 فغَنَّتِ الشَّرَبَ صَوْتاً مُوَنِقاً رَمَلاً ،
 » لا يَقْتُلُ اللهُ مَنْ دَامَتْ مَوَدَّتُهُ ،

وَحَبَبُدا ساكنُ الرِّيانِ مَنْ كانا «
 هذا ، لمن كانَ صَبَّ القلبِ حَيَرا :
 والأُذنُ تَعشَقُ قَبْلَ العَيْنِ أحياناً «
 أَضَرَمْتُ في القلبِ والأحشاءِ نيراناً
 يَزِيدُ صَبّاً مُحِبّاً ، فيكَ أَشجاناً :
 أو كنتُ من قُضْبِ الرِّيحانِ رِيحاناً
 ونَحْنُ في خَلوَةٍ ، مُثَلَّتْ إنساناً
 تَشْدُو بِهِ ، ثمَّ لا تُخْفِيهِ كِثماناً :
 لا كَثُرَ الخَلْقُ لي في الحُبِّ عِصياناً «
 فهاتِ ، إِنَّكَ بِالإِحسانِ أولاناً
 أَعَدَدْتُ لي ، قَبْلَ أَنْ أَلْقاكَ ، أَكفاناً
 يُذَكِّي السَّروَرَ ، وَيُبْكِي العَيْنَ ألواناً :
 واللهُ يَقْتُلُ أَهْلَ العَدْرِ أحياناً «

ترك الغزل

يا مَنْظَرًا حَسَنًا رَأَيْتُهُ ، مِنْ وَجْهِ جاريةٍ فَدَيْتُهُ*
 بَعَثْتُ إِلَيَّ تَسْومُنِي بُرْدَ الشَّبَابِ ، وَقَدْ طَوَيْتُهُ*

١ قوله : تفاحاً مفلجة : على اعتبار أنه شبه جميع لتفاحة . مفلجة : مشققة حيث تكون رائحتها
 أسطع نفحاً .

٢ ريحي : رائحتي .

٣ الرمل : ضرب من الأغاني .

٤ تسومني : تطلب مني الشراء . والمراد أنها تطلب منه أن يبادلها الحب .

والله رَبُّ مُحَمَّدٍ ، ما إنْ غَدَرْتُ ، ولا نَوَيْتُهُ
أَمْسَكْتُ عَنْكَ ، وريّما عرضَ البلاءُ ، وما ابْتَغَيْتُهُ
إنَّ الخَلِيفَةَ قد أَبَى ، وإذا أَبَى شَيْئاً أَبَيْتُهُ
وَمُخَضَّبٍ رَخَصَ البَسَا نِ بَكَى عَلَيَّ ، وما بَكَيتُهُ^١
قامَ الخَلِيفَةُ دُونَهُ ، فصَبَرْتُ عَنْهُ ، وما قَلَيْتُهُ^٢
ونَهَانِي المَلِكُ الهُمَا مٌ عَنِ النِّسَبِ ، وما عَصَيْتُهُ
لا بَلٌ وَقَيْتُ فلمْ أَضِيعْ عَهْداً ، ولا وَايَا وَأَيْتُهُ^٣
وأنا المُنْطَلُ على العِدا ، وإذا غَلَا عِلْقٌ ، شَرَيْتُهُ^٤
أَصْفِي الخَلِيلَ ، إذا دَنَّا ، وإذا نَأَى عَنِّي ، نَأَيْتُهُ
وَيَشُوقُنِي بَيْتُ الحَبِيءِ بَ ، إذا ادَّكَرْتُ ، وأَيْنَ بَيْتُهُ^٥

١ ومخضب : على تذكير المؤنث . البنان : الأصابع وأحدثها بنانة . وقوله : بكى علي وما بكيت : جعل النساء يجزعن لبعده ، ويتلهفن على أوقاته . وهو لا يبكي ولا يجزع بل يحمد الصبر في طاعة الخليفة .
٢ قليته : أبغضته .
٣ وَايَا وَأَيْتُهُ : وعداً وعدته .
٤ العلق : الشيء النفيس .

الفخر والحماسة

رويد تصاهل !

هاجم الضحاك بن قيس الشيباني فقيه الخوارج ورئيسهم الكوفة سنة ٧٤٥ م (١٢٨ هـ) فاستولى عليها وبايعه الناس على الخلافة . ثم عاد إلى الموصل . فبعث الخليفة الأموي مروان بن محمد ابنه عبد الله لمحاربته وردّه عن الجزيرة ، فالتقاء الضحاك بنصيبين ، وضيق عليه الحصار . فأسرع مروان لنجدة ولده ومعه قائده يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري . فحصلت بين الفريقين موقعة قتل فيها الضحاك . ثم ولى مروان قائده ابن هبيرة على العراقيين . فلبث يقاتل الخوارج حتى أجلاهم . وكان بشار ينتمي إلى بني عقيل بالولاء وعقيل وفزارة من قيس عيلان . فلما خرج ابن هبيرة لقتال الضحاك ومعه قيس عيلان ، أنشده بشار هذه القصيدة مفاخرأ بالقيسية وانتصاراتها مهدداً الضحاك مثيراً الحماسة في صدور الرجال :

جَفَا وَدَّهٗ ، فَازَوْرَ ، أَوْ مَلَّ صَاحِبُهُ ، وَأَزْرَى بِهِ أَلَا يَزَالُ يُعَاتِبُهُ^١
خَلِيلِي ، لَا تَسْتَكْثِرُ لَوَعَةَ الْهَوَى ، وَلَا سَلْوَةَ الْمَحْزُونِ ، شَطَّتْ حَبَائِبُهُ^٢
فَقَدْ رَابَنِي قَلْبِي يُكَلِّفُنِي الصَّبَا ، وَمَا كُلَّ حِينَ يَتَّبِعُ الْقَلْبَ صَاحِبُهُ^٣

* * *

إِذَا كُنْتَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُعَاتِباً صَدِيقَكَ ، لَمْ تَلَقَ الَّذِي لَا تُعَاتِبُهُ^١
فَعِشْ وَاحِداً ، أَوْ صِلْ أَخَاكَ ، فَإِنَّهُ مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً ، وَمُجَانِبُهُ^٢
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَاراً عَلَى الْقَسَدَى ظَمِئْتَ ، وَأَيُّ النَّاسِ تَصِفُو مَشَارِبُهُ^٣
وَمَنْ ذَا الَّذِي تُرْضِي سَجَايَاهُ كُلُّهَا ، كَفَى الْمَرْءَ نُبْلاً أَنْ تُعَدَّ مَعَايِبُهُ^٤

* * *

- ١ الضمير في وده يعود للشاعر . صاحبه : فاعل جفا وازور ومل . الضمير في به : يعود للشاعر المتغزل .
٢ شطت : بعدت .
٣ مقارف ذنب : مرتكبه .
٤ القلبي : ما يقع في الماء فيكدر صفاءه .

يَخَافُ الْمَنَايَا أَنْ تَرَجَلَتْ صَاحِبِي ، كَانِ الْمَنَايَا فِي الْمَقَامِ تُنَاسِبُهُ^١
فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّ الْعِرَاقَ مُقَامُهُ وَخِيمٌ ، إِذَا هَبَّتْ عَلَيْكَ جَنَائِبُهُ^٢
لَأَلْقَى بَنِي عَيْلَانَ ، إِنَّ فَعَالَهُمْ^٣ تَزِيدُ عَلَى كُلِّ الْفَعَالِ مَرَاتِبُهُ^٣
أُولَاكَ الْأُلَى شَقُّوا الْعَمَى بِسُيُوفِهِمْ^٤ عَنِ الْعَيْنِ ، حَتَّى أَبْصَرَ الْحَقَّ طَالِبُهُ^٤
رُؤَيْدَ تَصَاهُلٍ بِالْعِرَاقِ جِيَادُنَا ، كَأَنَّكَ بِالضَّحَاكِ قَدْ قَامَ نَادِبُهُ^٥
وَسَامٍ لِمُرَوَانٍ ، وَمِنْ دُونِهِ الشَّجَا ، وَهَوْلٌ كُلُّجِ الْبَحْرِ ، جَاشَتْ غَوَارِبُهُ^٦
أَحَلَّتْ بِهِ أُمُّ الْمَنَايَا بَنَاتِهَا بِأَسْيَافِنَا ، إِنَّا رَدَدَى مَنْ نُحَارِبُهُ^٧
وَأَرَعْنَ ، يَغْشَى الشَّمْسَ لَوْنٌ حَدِيدُهُ ، وَتَحْبِسُ أَبْصَارَ الْكُمَاةِ كَتَائِبُهُ^٨
تَقْصُ بِهِ الْأَرْضُ الْفَضَاءُ ، إِذَا غَدَا تُزَاحِمُ أَرْكَانَ الْجِبَالِ مَنَاقِبُهُ^٩
رَكِبْنَا لَهُ جَهْرًا بِكُلِّ مُشَقِّفٍ ، وَأَبْيَضَ تَسْتَسْقِي الدَّمَاءَ مَضَارِبُهُ^{١٠}

- ١ تناسبه : تكون نسيبة له أي قريبة فلا يخشى شرها
٢ الجنائب : جمع الجنوب ، وهي الريح الجنوبية .
٣ الفعال بالفتح : الفعل الحسن والكرم .
٤ أولاك : أولئك . العمى : الضلال والجهل .
٥ رويد : قال الليث : « إذا أردت برويدا التهديد نصبتها بلا تنوين . » وأنشد بيت بشار . كأنك :
تفيد هنا التقريب لا التشبيه . أي قرب أن يقوم نادبه . والكاف حرف خطاب . الضحاك اسم كان
والباء فيه زائدة . وجملة قام نادبه خبر كان .
٦ وسام لمروان : أي طامح إلى الخلافة مكان مروان . الشجا : الهم والحزن والفصة . غواربه : أمواجه .
٧ أم المنايا : يريد بها أعظمها هولا . بناتها : ويلاتها .
٨ الأرعن : الجيش الطويل الجرار . يغشى : يغطي ويحجب . لون جديده : أي اسوداده من صدأ الحديد .
تحبس أبصار الكماة كتائبه : أي من الدهشة والارتياح .
٩ المذاكب : جمع منكب وهي هنا الجوانب .
١٠ المشقف : صفة الرمح من ثقف الرمح قومه . الأبيض : صفة السيف . تستسقي : تطلب سقيا .
المضارب : جمع مضرب وهو حد السيف . وقد جعل للسيف الواحد عدة مضارب على اعتبار أن كل
جزء من حده مضرب .

وكُنَّا ، إذا دَبَّ العدوُّ لِسُخْطِنَا ، وراقبنا في ظاهرٍ ، لا نراقبُه^١
وجيشٍ كجُنْحِ اللَّيْلِ ، يزحفُ بالحصى ، وبالشوكِ ، والخطيِّ حُمراً ثعالبُه^٢
غَدَوْنَا لهُ ، والشمسُ في خِدرِ أمَّها ، تُطالعُنَا ، والطلُّ لم يتجرِ ذائبُه^٣
بضربٍ يَذوقُ الموتَ من ذاقَ طَعْمَهُ وتُدركُ مَنْ نَجَّى الفِرَارُ مثالبُه^٤
كَأَنَّ مِثَارَ النَّقْعِ ، فوقَ رؤوسِنَا ، وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبُه^٥
بَعَثْنَا لَهُمْ موتَ الفُجَاءَةِ ، إننا بنو الموتِ ، خفَّاقٌ علينا سبائبُه^٦
فراحوا : فريقٌ في الإِسَارِ ، ومثله قتلٌ ، ومِثْلٌ لاذَ بالبحرِ هاربُه^٧
إذا المَلِكُ الجَبَّارُ صَعَرَ خَدَّهُ ، مَشِينَا إِلَيْهِ بالسِّيَوفِ نُعَاتِبُه^٨

- ١ دب : جاء في خفية . ظاهر : المكان المشرف من الأرض . يقول : إذا جاءنا العدو خفية ليثير غضبنا عليه وأخذ يراقبنا من مكان عال ، منتظراً غفلتنا ، فنحن لا نراقبه بل نسير إليه جهراً .
- ٢ جنح الليل : طائفة وقطعة منه . ويشبه به الجيش في أسوداد حديدته وتللمه . الحصى : العدد الكثير . الشوك : السلاح الحاد . الخطي : أي القنا الخطي منسوب إلى الخط وهو مرفأ للسفن في البحرين تباع فيه الرماح . الثعالب : جمع ثعلب وهو طرف الرمح الداخل في السنان . يصف ضخامة جيش العدو وسلاحه .
- ٣ خدر أمها : خباؤها . والخر : ظلمة الليل . تطالعنا : تدبُّم إلينا النظر . الطل : الندى . يقول : غدونا إلى هذا الجيش عند ذرور قرن الشمس إذ كانت لم تزل مستترة في خباء أمها . جعلها مخدرة ولها أم . والندى لم يبرح منعقداً على الأوراق غير ذائب من حرارة الشمس .
- ٤ المثالب : جمع مثلبة وهي العيب والنقيصة . أي من يهرب يدركه العيب والعار .
- ٥ مِثَار : اسم مفعول من أثار الغبار . النقع : الغبار . تهاوى : على حذف إحدى التائين ، واصله تهاوى : أي يتساقط بعضها إثر بعض . يقول : كأن الغبار المرتفع فوق رؤوسنا ، وكأن أسيافنا اللامعة في تساقطها على رؤوس الأعداء ليل تتساقط كواكبها . وهذا البيت يستشهد به على التشبيه الحسي الذي طرفاه مركبان . ووجه الشبه الهيئة الحاصلة من هوي أجرام مشرقة مستطيلة متفرقة في جوانب شيء مظلم . فوجه الشبه مركب وكذا طرفاه .
- ٦ خفَّاق : متحرك من خفقت الراية إذا تحركت . وهو مبتدأ لم يعتمد فيه على نفي أو استفهام . السبائب : جمع سبيبة ، وهي شقة رقيقة من الكتان . والمراد هنا الرايات . والسبائب فاعل خفَّاق سد مسد الخبر .
- ٧ فريق : خبر لمبتدأ مخدوف تقديره وهم ، والجملة حالية من الواو . الإِسَار : الأسر . لاذ : اعتصم وعاذ . وفي هذا البيت صورة من البديع المعنوي تعرف بالتقسيم . وهي ان يذكر متعدد ثم يضاف إلى كل فرد من أفراده ما له على التعيين .
- ٨ صعر خده : أماله كبراً وغطرسة .

غضبة مضرية

إذا ما غضبنا غضبةً مضريةً ، هتكنا حجاب الشمس ، أو تُمطر الدُّما^١
 خلَقنا سماءً فوقنا بنجومِها سيوفاً ، ونقماً يقبضُ الطرفَ ، أقتما^٢
 وإنَّا لقومٌ ما تزالُ جِسادُنا تُساورُ ملكاً ، أو تُناصبُ مغنماً^٣
 إذا ما أعرنا سيِّداً من قبيلةٍ ذرى منبرٍ ، صلتى علينا وسلماً

آراؤه وعقائده

الجبرية

طُبِعْتُ على ما في غيرِ مُخَيَّرٍ هَوَايَ ، ولو خُيِّرْتُ كُنْتُ المُهْدَبَا
 أريدُ فلا أُعْطى ، وأُعْطى ولم أُرَدْ ، وقصَّرَ عِلْمِي أنْ أنالَ المُغَيَّبَا
 فأصرفُ عن قصدي ، وعلمي مُقْصَرٌ ، وأمسي ، وما أعقبتُ إلاَّ التَّعَجَّبَا

- ١ حجاب الشمس : شعاعها. هتكنا : فضحنا. أو : بمعنى إلى أن أو حتى. يقول : إذا ما غضبنا غضبة شريفة عرف بها أهل مضر ، سللنا سيوفنا للقتال ففضحنا بلمعانها لمعان أشعة الشمس لأنها أشد بريقاً من الشمس . وتظل الشمس مفضوحة في نورها إلى أن تمطر دماء أعدائنا ، فتكتسي بها سيوفنا ، فيذهب لمعانها . وفي هذا البيت إيجاز حذف لا يظهر فيه المعنى إلا بشرح مسبب .
- ٢ نقماً : غباراً . يقبض : ضد يبسط . الطرف : البصر . أقم : أسود .
- ٣ تساور : تواءم . تناصب : تقاوم .
- ٤ يقول : نحن أصحاب المنابر ، وهي ملك لنا ، فإذا أعرنا سيد قبيلة منبراً ليخطب عليه ، بدأ بالصلاة والسلام على محمد وآله ، ومحمد من مضر فكانه صلى وسلم على مضر كلها . والشاعر ينتسب إلى بني عقيل بالولاء ، وعقيل من بني عامر ، وعامر قيسية مضرية .

البعث والحساب

كَيْفَ يَبْكِي لِمَحَبَسٍ فِي طُلُولٍ ، مَن سَيُفْضِي لِمَحَبَسٍ يَوْمٍ طَوِيلٍ^١
إِنَّ فِي الْبَعْثِ وَالْحِسَابِ لَشُغْلًا عَنِ وَقُوفٍ بِرَسْمٍ دَارٍ مُحِيلٍ^٢

مَجُوسِيَّة

إِبْلِيسُ أَفْضَلُ مِنْ أَيْكُكُمْ آدَمُ ، فَتَبَصَّرُوا ، يَا مَعْشَرَ الْفُجَّارِ
النَّارُ عُنْصُرُهُ ، وَآدَمُ طِينُهُ ، وَالطِّينُ لَا يَسْمُو سَمَوِ النَّارِ

صَبْرٌ وَأَمَلٌ

خَلِيقِي ، إِنَّ الْعُسْرَ سَوْفَ يُفِيقُ ، وَإِنَّ يَسَارًا فِي غَدٍ لَخَلِيقٌ^٣
ذَرَانِي أَشْبُ هَمِّي بِرَاحٍ ، فَإِنْتَنِي أَرَى الدَّهْرَ فِيهِ فَرَجَةٌ وَمَضِيقٌ^٤
وَمَا كُنْتُ إِلَّا كَالزَّمَانِ ، إِذَا صَحَا صَحَوْتُ ، وَإِنْ مَاقَ الزَّمَانُ ، أَمُوقُ^٥
أَدْمَاءُ ، لَا أَسْطِيعُ فِي قِلَّةِ الثَّرَى خَزُوزًا وَوَشْيًا ، وَالْقَلِيلُ مَحِيقٌ^٦
خُذْنِي مِنْ يَدِي مَا قَلَّ ، إِنَّ زَمَانَنَا شَمُوسٌ ، وَمَعْرُوفُ الرِّجَالِ رَقِيقٌ

- ١ المحبس : اسم مكان من الحبس أي الوقف ويريد به حبس الإبل على الطلول الدوارس للبكاء على الأحبة .
سيفضي : سيصير . حبس يوم طويل : أي عذاب الآخرة .
٢ محيل : من أحال الشيء أتت عليه أحوال أو تغير من حال إلى حال .
٣ يفيق : يأتي بالخصب بعد الضيق .
٤ أشب همي : أي أخلطه .
٥ ماق : حلق .
٦ أدماء : اسم امرأة . الثرى : الخير والغنى . الخزوز : جمع الخرز : ثياب من صوف وحرير أو من حرير وحده . الوشي : الثياب المنقوشة التي خلط فيها لون بلون . محيق : لا خير فيه ، وهي فعيل بمعنى المفعول من محقه الله أي أذهب خيره وبركته .

لقد كنتُ لا أَرْضَى بأدنى معيشةٍ ، ولا يَشْتَكِي بِخُلَاةٍ عليّ رَفِيقُ
خَلِيلِي ، إنَّ المَالَ ليسَ بِنَافِعٍ ، إذا لم يَسْتَلْ مِنْهُ أَخٌ وَصَدِيقُ
وكنتُ إذا ضاقتُ عليّ مَحَلَّةٌ ، تَيَسَّمْتُ أُخْرَى ، ما عليّ تَضْيِيقُ^١
وما خَابَ بَيْنَ اللَّهِ والنَّاسِ عَامِلٌ ، له في التَّقَى ، أو في المَحَامِدِ سَوْقُ
ولا ضاقَ فَضْلُ اللَّهِ عن مُتَعَفِّفٍ ، ولكنَّ أَخْلَاقَ الرِّجَالِ تَضْيِيقُ^٢

١ تيممت : توخيت وقصدت .
٢ متعفف : أي عن السؤال وبذل ماء الوجه .

ابو العنابه

الزهد والحكم

الله واحد

ألا ! إننا كلنا بائدٌ ، وأيُّ بني آدمٍ خالِدٌ ؟
وبَدُوهمُ كانَ مِن رَبِّهِمْ ، وكلُّ إلى رَبِّهِ عائِدٌ
فيا عَجَبًا ! كيفَ يُعصى الإِلَـهَ ، أم كيفَ يَحمِدهُ الجاحِدُ ؟
وفي كلِّ شيءٍ لَهُ آيَةٌ ، تدُلُّ على أَنَّهُ واحدٌ

وخذ ما انت محتاج اليه

أرى الدنيا ، لمن هيَ في يَدَيْهِ ، عَذَابًا كُلَّمَا كَثُرَتْ لَدَيْهِ
تُهَيِّنُ المُكْرِمِينَ لها بِصُغُرٍ ، وتُكْرِمُ كُلَّ مَنْ هَانَتْ عَلَيْهِ
إذا اسْتَغْنَيْتَ عَنْ شَيْءٍ فَدَعَهُ ، وَاخُذْ ما أَنْتَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ

لدوا للموت

لِدُوا لِلْمَوْتِ وابْنُوا لِلْخَرَابِ ، فَكُلُّكُمْ يُصِيرُ إِلَى تَبَابٍ !

١ التباب : الهلاك .

أَلَا يَا مَوْتَ ! لَمْ أَرَ مِنْكَ بُدًّا ،
كَأَنَّكَ قَدْ هَجَمْتَ عَلَى مَشِيبي ،
أَتَيْتَ ، وَمَا تَحْيِفُ وَمَا تُحَابِي^١
كَمَا هَجَمَ الْمَشِيبُ عَلَى شَبَابِي

خَانَكَ الطَّرْفُ

خَانَكَ الطَّرْفُ الطَّمُوحُ ،
لِدَوَاعِي الْخَسِيرِ وَالشَّ
أَيْهَا الْقَلْبُ الْجَمُوحُ !
هَلْ لِمَطْلُوبٍ بِذَنْبٍ ،
كَيْفَ إِصْلَاحُ قُلُوبٍ ،
أَحْسَنَ اللَّهُ بِنَا ،
فَإِذَا الْمَسْتَوْرُ مِنَّا ،
كَمْ رَأَيْنَا مِنْ عَزِيزٍ ،
صَاحٍ مِنْهُ بِرَحِيلٍ ،
مَوْتُ بَعْضِ النَّاسِ ، فِي الْأَر
سَيَصِيرُ الْمَرْءُ ، يَوْمًا ،
بَيْنَ عَيْنَيْ كُلِّ حَيٍّ ،
كُلُّنَا فِي غَفْلَةٍ ، وَال
لَبَنِي الدُّنْيَا ، مِنْ الدَّنْ
رُحْنٍ فِي الْوَشْيِ ، وَأَصْبَحَ
كُلُّ نَطَّاحٍ ، مِنْ الدَّهْرِ ،
أَيْهَا الْقَلْبُ الْجَمُوحُ !
رَ ، دُنُوءُ وَنُزُوحُ^٢
تَوْبَةٍ مِنْهُ نَصُوحُ^٣
إِنَّمَا هُنَّ قُرُوحُ ؟
نَ الْخَطَايَا لَا تَفُوحُ
بَيْنَ ثَوْبَيْهِ فُضُوحُ
طُوِيَتْ مِنْهُ الْكُشُوحُ^٤
صَائِحُ الدَّهْرِ الصَّدُوحُ
ضٍ ، عَلَى قَوْمٍ فَتُوحُ
جَسَدًا مَا فِيهِ رُوحُ
عَلِمَ الْمَوْتَ يَلُوحُ
مَوْتُ يَغْدُو وَيُرُوحُ
يَا ، غَبُوقٌ وَصَبُوحُ
نَ عَلَيْهِنَ الْمُسُوحُ
لَهُ يَوْمٌ نَطُوحُ

١ تحيف : تجور . وما تحابي : لا تميل الى احد منحرفاً عن العدل .

٢ نصوح : صادقة .

٣ الكشوح ، جمع الكشح : وهو ما بين السرة ووسط الظهر .

٤ الغبوق : شراب المساء . الصبوح : شراب الصباح .

نُحْ عَلَى نَفْسِكَ ، يَا مَسْكِينُ ، إِنْ كُنْتَ تَنْتُوخُ
لَتَمُوتَنَّ ، وَإِنْ عُدَّ حَرَّتْ ، مَا عُمَرَ نُوحُ !

من ملك الى ملك

ما اختلفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، وَلَا
إِلَّا لِنَقْلِ السُّلْطَانِ عَنْ مَلِكٍ ،
دَارَتْ نَجُومُ السَّمَاءِ فِي الْفَلَكِ
قَدْ انْقَضَى مُلْكُهُ ، إِلَى مَلِكٍ

إلهي لا تعذبي

إلهي ! لَا تُعَذِّبْنِي ، فَإِنِّي
فَمَا لِي حِيلَةٌ ، إِلَّا رَجَائِي
وَكَمْ مِنْ زَلَّةٍ لِي فِي الْخَطَايَا ،
إِذَا فَكَّرْتُ فِي نَدَمِي عَلَيْهَا ،
أَجَنُّ بِزَهْرَةِ الدُّنْيَا جُنُونًا ،
وَلَوْ أَنِّي صَدَقْتُ الزُّهْدَ عَنْهَا ،
يَظُنُّ النَّاسُ بِي خَيْرًا ، وَإِنِّي
مُقِرٌّ بِالَّذِي قَدْ كَانَ مِنِّي !
لَعَفْوِكَ ، إِنْ عَفَوْتَ ، وَحُسْنُ ظَنِّي
وَأَنْتَ عَلَيَّ ذُو فَضْلٍ وَمَنْ
عَضَضْتُ أَنَامِلِي ، وَقَرَعْتُ سِنِّي !
وَأَقْطَعُ طَوْلَ عُمْرِي بِالتَّمَنِّي
قَلْبِي لِأَهْلِهَا ظَهَرَ الْمِجَنُّ^١
لَشَرُّ الْخَلْقِ ، إِنْ لَمْ تَعْفُ عَنِّي

تحليل الكسب

وَلَا تَدْعَ مَكْسِبًا حَلَالًا
فَالْمَالُ مِنْ حِلِّهِ قِيَامٌ
وَالْفَقْرُ ذُلٌّ عَلَيْهِ بَابٌ
تَكُونُ مِنْهُ عَلَى بَيَانٍ
لِلْعِرْضِ وَالْوَجْهِ وَاللِّسَانِ
مِفْتَاحُهُ الْعَجْزُ وَالتَّوَانِي

١ المِجَنُّ : الترس وكل ما وقى من السلاح . قلب له ظهر المِجَنِّ : أي تحول عن الصداقة الى العداوة .

ذم الفقر

يُسْكِرُمُ الْمَرْءُ، وَإِنْ أُمِّ لَمَقَ أَقْصَاهُ بَشُوهُ^١
 لو رأى النَّاسُ نَبِيًّا سَائِلًا مَا وَصَلُوهُ
 لَا تَرَانِي آخِرَ الدَّهْرِ بِرٍ بِتَسَالٍ أَفُوهُ^٢
 أَنْتَ مَا اسْتَغْنَيْتَ عَنْ صَا حَبَكَ الدَّهْرَ أَخُوهُ
 فَإِذَا احْتَجَجْتَ إِلَيْهِ سَاعَةً مَجَّكَ فُوهُ^٣

ذم جمع المال

١. ماذا تُؤْمَلُ، لَا أَبَا لَكَ، فِي مَالٍ تَمُوتُ وَأَنْتَ تُمَسِّكُهُ
 ٢. مَا لَمْ تَكُنْ لَكَ فِيهِ مَنَفَعَةٌ مِمَّا مَلَكَتَ فَلَسْتَ تَمْلِكُهُ
 ٣. أَنْفِقْ، فَإِنَّ اللَّهَ يُخْلِفُهُ، لَا تَمْضِرْ مَذْمُومًا وَتَتَرُكُهُ

وقفه على القبور

يَا مَعْشَرَ الْأَمْوَاتِ، يَا ضَيْفَانَ ثَرِ بِ الْأَرْضِ كَيْفَ وَجَدْتُمْ طَعْمَ الثَّرَى
 أَهْلَ الْقُبُورِ مَحَا التُّرَابُ وَجُوهَكُمْ أَهْلَ الْقُبُورِ تَغَيَّرَتْ تِلْكَ الْحِلَى
 أَخِيَّ لَمْ يَقِكِ الْمَنِيَّةَ إِذْ أَنْتَ مَا كَانَ أَطْعَمَكَ الطَّيِّبُ وَمَا سَقَى
 أَخِيَّ لَمْ تُغْنِ التَّمَائِمُ عَنْكَ مَا قَدْ كُنْتُ أَحْذَرُهُ عَلَيْكَ وَلَا الرُّقَى
 أَخِيَّ، كَيْفَ وَجَدْتَ مَسَّ خُشُونَةِ الْبُحْرِ وَكَيْفَ وَجَدْتَ ضَيْقَ الْمُتَشَكِّا

١. املق : افتقر واحتاج .

٢. آخر الدهر : ابد الدهر .

٣. مجك : لفظك وبصمك .

٤. التمايم : جمع التسمية وهي المودة تعلق في العنق ليتوق بها من الجن . الرق : جمع الرقية : المودة التي ينفث فيها الرقاء لاستجلاب النفع أو الضرر في زعمهم .

ابو نواس

الخمير

شهر في خمارة

وفتيانٍ صديقٍ ، قد صرفتُ مطيَّهمُ
فلَمَّا حكى الزُّنارُ أن ليسَ مُسليماً ،
فقلنا : على دينِ المسيحِ بنِ مريمٍ ،
ولكن يهوديٌ ، يُحبُّكَ ظاهراً ،
فقلتُ له : ما الإسمُ ؟ قال : سمَّوْعٌ ،
وما شرفتنِي كُنيسةٌ عَرَبِيَّةٌ ،
ولكنها خفتُ وقلتُ حروفها ،
إلى بيتِ خَمَارٍ ، نزلنا بهِ ظهراً
ظننَّا بهِ خيراً ، فظنَّ بنا شراً^١
فأعرضَ مُزوراً ، وقال لنا هُجْراً^٢
ويُضمِرُ في المَسكونِ منه لك الغدراً^٣
ولكنني أكنى بعمرو ولا عمراً^٤
ولا أكسبني لا ثناءً ، ولا فخراً^٥
وليست كأخرى ، إنما جعلتُ وقرأً

١ الزنار : خيط دقيق كان أهل الذمة من النصارى واليهود والمجوس يتزرون به في البلاد الإسلامية ليعرفوا من المسلمين . وقوله : ظننا به خيراً : لأن الخمار التي يديرها المسلم سرّاً تكون معرضة لأنظار رجال الشرطة وتنقيهم . وقوله : فظن بنا شراً ، لأنهم نزلوا به ظهراً على أعين الناس ورجال الشرطة .

٢ مزوراً : منحرفاً . هجراً : كلاماً قبيحاً .

٣ قوله : ولا عمراً أي ليس له ولد اسمه عمرو ولكنه يكنى به .

٤ هنا شعوبية أبي نواس في فهم الخمار .

٥ كأخرى : أي لفظة سموعل . الوقر : ثقل في الأذن . يريد أن لفظة سموعل كثيرة الحروف ثقيلة على السمع بخلاف لفظة عمرو .

فَقُلْتُ لَهُ عُجْبًا بظَرْفِ لِسَانِهِ :
فَادْبَرَ كَالْمُزَوَّرِ ، يَقْسِمُ طَرْفَهُ
وَقَالَ : لَعَمْرِي ، لَوْ أَحْطَمْتُ بَوْصَفِهَا ،
أَفْجَاءَ بِهَا زَيْتِيَّةً ذَهَبِيَّةً .
خَرَجْنَا عَلَى أَنَّ الْمَقَامَ ثَلَاثَةٌ ،
عِصَابَةٌ سَوَاءٌ ، لَا تَرَى الدَّهْرَ مِثْلَهُمْ
إِذَا مَا دَنَا وَقْتُ الصَّلَاةِ ، رَأَيْتَهُمْ

أَجَدْتَ أَبَا عَمْرٍو ، فَجَوَّدَ لَنَا الْخُمْرَ
لَأَرْجُلِنَا شَطْرًا ، وَأَوْجُهِنَا شَطْرًا
لَلْمُنَاكِمِ ، لَكِنْ سَتَوْسِعُكُمْ عُذْرًا
فَلَمْ نَسْتَطِعْ دُونَ السَّجُودِ لَهَا صَبْرًا
فَطَابَ لَنَا ، حَتَّى أَقَمْنَا بِهَا شَهْرًا
وَإِنْ كُنْتَ مِنْهُمْ لَا بَرِيئًا وَلَا صِفْرًا
يَحْثُونَهَا ، حَتَّى تَفُوتَهُمْ سُكْرًا

في دير الأكرّاح

دَعِ الْبَسَاتِينَ مِنْ آسٍ وَتُفَّاحٍ
إِعْدِلْ إِلَى نَقَرٍ دَقَّتْ شُخُوصُهُمْ
يُكْرَرُونَ نَوَاقِيسًا مُرْجَعَةً
تَبْعُدُ بِسَمْعِكَ عَنْ صَوْتِ تَكَرُّهٍ ،

وَاعْدِلْ ، هُدَيْتَ ، إِلَى دَيْرِ الْأُكْرَاحِ
مِنَ الْعِبَادَةِ ، إِلَّا نِضْوَ أَشْبَاحِ
عَلَى الزُّبُورِ ، بِإِمْسَاءٍ وَإِصْبَاحِ
فَلَسْتَ تَسْمَعُ فِيهِ صَوْتَ فَلَاحِ

- ١ لو أحطمت بوصفها : أي لو عرفتم خميرتنا وحسن صفاتها لكننا فلومكم إذ قلتم جود لنا الخمر ، ولكن سنعذركم بلهلكم إياها .
- ٢ طاب لنا : أي المقام . أقمنا بها : أي الخمار .
- ٣ السوء بالفتح : الشر والفساد . الدهر : أي مدى الدهر . وقوله : وإن كنت منهم لا بريئاً ولا صفرأ ، خطاب لابن عسره أي لا يبرأ ولا يخلو أن يكون فيه شيء منهم .
- ٤ يحثونها : الضمير يعود للخمرة ويريد أنهم يسرعون في شربها لكي تفوتهم الصلاة وهم في حالة السكر .
- ٥ اعدل : ارجع . دير الأكرّاح : دير حنة بظاهر الكوفة . الأكرّاح : تصغير أكرّاح ، مفردا كرح وهي لفظة سريانية معناها الكوخ الصغير يكون حول الدير ويسكنه الراهب الذي لا قلاية له .
- ٦ النضو : الهزيل .
- ٧ فلاح : أراد به المؤذن الذي يقطعه عن شرابه إذا دعا حي على الفلاح . ولم ترد فلاح بهذا المعنى في كتب اللغة .

إلا الدراسة للإنجيل عن كُتُب ، ذكرُ المسيح بإبلاغ وإفصاح
يا طيبه ! وعتيقُ الرّاح تحفّتهم ، بكلّ نوعٍ من الطّاسات رّحاح^١

الخمرة والغفران

دعْ عنك لومي ، فإنّ اللّومَ إغراء^٢ ، وداوئي بالتي كانت هي الداء^٣
صفراء^٤ ، لا تنزلُ الأحزانُ ساحتها ، لو مسّها حجرٌ ، مسّتهُ سرّاءُ

* * *

قامتُ بإبريقها ، واللّيلُ مُعْتَكِرٌ ، فلاح من وجهها ، في البيتِ ، لألاءُ
فأرسلتُ من فمِ الإبريقِ صافيةً ، كأنما أخذُها بالعينِ إغفاءُ
رقتُ عن الماءِ ، حتى ما يلائمُها لطافةً ، وجفا عن شكليها الماءُ
فلو مزجتَ بها نوراً ، لمازجها ، حتى تولّدُ أنوارٌ وأضواءُ
دارتُ على فتيةٍ دانَ الزّمانُ لهمْ ، فما يُصيّهمْ إلا بما شأوا
لتلكَ أبكي ، ولا أبكي لمنزلةٍ ، كانتَ تحلُّ بها هندٌ وأسماءُ
حاشا لدرةٍ أنْ تُبنى الخيامُ لها ، وأنْ تروحَ عليها الإبلُ والشّاءُ^٣
فقلْ لمن يدّعي في العلمِ فلسفةً : حفِظتَ شيئاً ، وغابتْ عنك أشياءُ !
لا تحظُرِ العفو ، إن كنتَ امرأً حرجاً ، فإنّ حظركه بالدينِ إزراءُ^٤

١ يا طيبه : الضمير عائد إلى دير الأكرّاح . رجّاح : واسع . كانت الحانات تقام قرب الأديار فيقصدّها عشاق الخمرة لجمال موقعها الطبيعي ؛ فيصفون الرهبان ، والخمرة معاً .

٢ إغراء : أي إبلاغ بالشيء وحض عليه . كان : زائدة بين اسم الموصول والصلة في قوله : بالتي كانت هي الداء .

٣ الدرة : اللؤلؤة العظيمة . استعارها للخمر أو لكأسها ، وأجراها مجرى اسم العلم ، فمنعها من الصرف العلمية والتأنيث .

٤ لا تحظر : لا تمنع . حرجاً : ضئيلاً متشدداً في الدين . ازراء : تحقير ، أي منع العفو تحقير للدين . والخطاب لإبراهيم النظام شيخ المعتزلة .

العيش سكرة بعد سكرة

ألا فاسقني خمرأ، وقل لي: هي الخمر؛
 فعيشُ الفتى في سكرةٍ بعد سكرةٍ ،
 وما الغبنُ إلا أن ترائي صاحياً ،
 فبُحْ باسمِ مَنْ أهوى، ودعني من الكنى،
 ولا خيرَ في فتكٍ بغيرِ مجانسةٍ ،
 بكلِّ أخي قصفٍ كأنَّ جبينه
 ولا تسقني سراً، إذا أمكنَ الجهرُ
 فإن طالَ هذا عندَهُ ، قصُرَ الدهرُ
 ولا الغنمُ إلا أن يتعتعي السُّكْرُ
 فلا خيرَ في اللذاتِ من دونِها سِرُ
 ولا في مُجُونٍ ليسَ يتبعه كُفْرُ
 هلالٌ ، وقد حَقَّتْ به الأنجمُ الزُّهرُ

نشوتان

لا تبك ليلى، ولا تطربِ إلى هِنْدٍ ،
 كأساً إذا انحدرتُ في حلقِ شاربِها ،
 فالخمرُ ياقوتةٌ ، والكأسُ لؤلؤةٌ ،
 تسقيك من طرفِها خمرأ ، ومن يديها
 لي نشوتانٍ ، وللندمانِ واحدةٌ ،
 واشربْ على الوردِ من حمراءِ كالوردِ
 أجدتهُ حُمَرتُها في العينِ والحدِّ
 في كَفٍّ جاريةٍ مَمشوقةٍ القَدِّ
 خمرأ ، فما لك من سُكرينِ من بُدِّ
 شيءٌ خُصِصْتُ بهِ ، من دونهم، وحدي

١ يتعتعي : يحركني بمنف .

٢ الفتك : الجرأة والمضي في الأمور التي تدعو إليها النفس .

٣ بكل : أي مع كل . قصف : هو . الأنجم الزهر : أي الحسان الوجوه . أو الكؤوس المتلاثلة .

٤ لا تطرب : لا تحزن ، والطرب خفة تأخذ الإنسان لشدة السرور أو الحزن . وقوله : واشرب على

الورد : إشارة إلى الأزهار التي كانوا يفرشونها أمامهم على بساط المدام .

٥ أجدته : أعطته . وقوله : كأساً ، مجاز مرسل قام به اسم المحل مكان الحال فيه .

٦ الندمان : المنادم على الشراب ، وقد يأتي جمعاً كما في هذا البيت . تنبيه : هذه الأبيات من البسيط

في ضربه الثاني المقطوع وهو فعلن ، ولا يكون إلا مردفاً أي مسبوق الروي بحرف لين ، كقول المتنبي :

لا خيل عندك تهديها ولا مال ، فليسعد النطق إن لم تسعد الحال

وقد ورد هنا غير مردف شلوذاً .

قصة الأُمم

١ - يا شقيق النفس من حَكَمٍ ، نِمْتَ عَن لَيْلِي ، ولم أُنَمِ ١
 - فاسقني البكر التي اختَمَرَتْ ٢
 - ثُمَّتْ انصنات الشَّبابُ لها ، بعدما جازَتْ مدى الهرَمِ ٣
 - فهي لليوم الذي بُزِلَتْ ؛ وهي تَرِبُ الدهر في القِدَمِ ٤
 + عُنُقَتْ ، حتى لو اتَّصَلَتْ ٥
 + لاحتَبَّتْ في القومِ ماثِلَةً ، ثمَّ قَصَّتْ قِصَّةَ الأُمَمِ ٦
 - فَرَعَتْهَا بالمِزاجِ يَدٌ ، خُلِقَتْ للسِّيفِ والْقَلَمِ ٧
 - في نَدَامِي ، سادَةَ زُهْرٍ ، أخذوا اللَّذاتِ مِن أُمَمِ ٨
 + فتمَشَّتْ في مفاصِلِهِمْ ، كتمَشَّي البُرءِ في السَّقَمِ ٩
 + فعلتْ في البَيْتِ ، إذ مُزِجَتْ ، مثلَ فِعْلِ الصَّبْحِ في الظُّلَمِ ١٠
 واهتدى ساري الظَّلامِ بها ، كاهْتِدَاءِ السَّفَرِ بالعَلَمِ ١١

- ١ حكم : قبيلة يمنية كان ينتسب إليها الشاعر بالولاء .
 ٢ البكر : أي الخمرة التي لم تزل بطيئتها . اختمرت الخمرة : أدركت وصار لها إزباد وغلان ، واختمرت أيضاً : لبست الخمار وهو النصف يغطي به الرأس . يقول : هذه الخمرة شابت وهي في أول تكوينها . ويريد بالشيب ما ستر وجهها من الزبد في مدة إدراكها وغلانها .
 ٣ انصنات : أقبل . يقول : إن هذه الخمرة أقبل لها شبابها بعدما هربت أي عتقت . يريد بذلك أنها صفت وسكن إزبادها ، ففارقها الشيب .
 ٤ بزلت الخمرة : ثقب دنها بالبزال وهو حديدة يفتح بها . ترب الدهر : رفيقته كأنها ولدت معه . يقول : هذه الخمرة بقيت مخنومة بطيئتها معدة لليوم الذي بزل به دنها . يشرب منها الشاعر ، وهي قديمة كالدهر .
 ٥ احتبت : جلست عاقدة حبوتها كالشيوخ لتحدث عن الماضي . والاحتباء هو أن يجمع الرجل بين ظهره وساقيه معتمداً يديه على ركبتيه ، ليصير كالمستند .
 ٦ المزاج : مزج الخمرة بالماء .
 ٧ الزهر : حركت الهاء بالضم للشعر ، مفردها أزهر وهو الأبيض والشرق الوجه . من أُمَم : من قرب .
 ٨ السفر : المسافرون ووردت في الديوان : البصقر وهو تحريف . العلم : شيء ينصب في الطريق ليهتدي به المسافرون .

روحان في جسد

ما زِلْتُ أَسْتَلُّ رُوحَ الدَّنِّ فِي لَطْفٍ ، وَأَسْتَقِي دَمَهُ مِنْ جَوْفِ مَجْرُوحٍ^١ ،
حَتَّى انْتَنَيْتُ وَلِي رُوحَانِ فِي جَسَدٍ ، وَالدَّنُّ مُنْطَرِحٌ جِسْماً بِلَا رُوحٍ .

ثورة على القديم

عَاجَ الشَّقِيِّ عَلَى رَسْمٍ يُسَائِلُهُ ، وَعُجْتُ أَسْأَلُ عَنْ خَمَارَةِ الْبَلَدِ^٢ ،
يَبْكِي عَلَى طَلَلِ الْمَاضِينَ مِنْ أَسَدٍ ، لَا دَرَّ دَرُّكَ ، قُلْ لِي : مَنْ بَنُو أَسَدٍ ؟
وَمَنْ تَمِيمٌ ، وَمَنْ قَيْسٌ وَلِفْهُمَا؟ لَيْسَ الْأَعَارِبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ أَحَدٍ^٣ ،
لَا جَفَّ دَمْعُ الَّذِي يَبْكِي عَلَى حَجَرٍ ؛ وَلَا صَفَا قَلْبُ مَنْ يَصْبُو^٤ إِلَى وَتَدٍ .
كَمْ بَيْنَ نَاعَتِ خَمْرِ فِي دَسَاكِرِهَا قَهْرًا ، وَبَيْنَ بَاكِ عَلَى نُؤْيٍ ، وَمُنْتَضِدٍ^٥ ،
دُعْ ذَا ، عَدِمْتُكَ ، وَاشْرَبَهَا مُعْتَقَّةً ، صَفْرَاءَ ، تَفَرِّقُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ^٥ .

المركب الوعر

أَعْرِ شِعْرَكَ الْأَطْلَالَ وَالْمَنْزِلَ الْقَفْرَا ، فَقَدْ طَلَمَّا أَزْرَى بِهِ نَعْتُكَ الْخَمْرَا .

- ١ الدن : وعاء كبير كالخاوية . في لطف : في رفق . وقوله : دمه ، استعارة على تشبيه الخمرة الخارجة من الدن المثقوب بالبزال ، بالدم المنبعث من جوف مجروح .
- ٢ عاج : عطف على المكان .
- ٣ لفهما : حزبهما .
- ٤ النؤي : نهر يحفر حول الخيمة ليجري فيه ماء المطر ، ويصنع له حاجز لئلا يدخل الماء البيت . المنتضد : المقيم بالمكان ، ويريد به ساكنة الدار .
- ٥ قوله : تفرق بين الروح والجسد ، على حد تعبير الفلاسفة في قولهم : النفوس المفارقة ، ويريدون بها الأرواح السماوية المنفصلة عن المادة . فخمرة أبي نواس كخمرة الصوفيين ، تبعد الروح مدة السكر عن حبس الجسد وآلامه .

دَعَانِي إِلَى وَصْفِ الطُّلُولِ مُسَلِّطٌ ، يَضِيقُ ذِرَاعِي أَنْ أَرُدَّ لَهُ أُمْرًا
فَسَمِعًا ، أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَطَاعَةً ، وَإِنْ كُنْتَ قَدْ جَشَّمْتَنِي مَرْكَبًا وَعَرًا

آداب المنادمة

- وَلَسْتُ بِقَائِلٍ لِنَدِيمٍ صِدْقٍ ، وَقَدْ أَخَذَ الشَّرَابُ بِمُقْلَتَيْهِ :
- تَنَاوَلْتُهَا ، وَإِلَّا لَمْ أَذُقْهَا ، فَيَأْخُذُهَا ، وَقَدْ ثَقُلْتُ عَلَيْهِ
- وَلَكِنِّي أَدِيرُ الْكَأْسَ عَنْهُ ، وَأَصْرِفُهَا بِغَمَزَةٍ حَاجِبِيهِ
- وَأَحْبِسُهَا إِلَى أَنْ يَشْتَهِيَهَا ، وَأَخْذُهَا بِرِفْقٍ مِنْ يَدَيْهِ
- وَإِنْ مَدَّ الْوِسَادَ لِنَوْمٍ سُكْرٍ ، دَفَعْتُ وَسَادَتِي أَيْضًا إِلَيْهِ
- فَذَلِكَ مَا حَيَّيْتُ لَهُ ، وَإِنِّي أَبَرُّ بِمِثْلِهِ مِنْ وَالِدَيْهِ

الغزل

حامل الهوى

حَامِلُ الْهَوَى تَعِيبٌ ، يَسْتَخِفُّهُ الطَّرَبُ
إِنْ بَكَى يُحَقِّقُ لَهُ ، لَيْسَ مَا بِهِ لَعِيبٌ^١

١ مسلط : يريد به الخليفة الأمين . يضيق ذراعي : يقال ضاق بالأمر ذرعه وذراعه : ضعفت طاقته ، ولم يجد من المكروه فيه مخلصاً .

٢ من المواضع التي تخرج فيها ليس عن وجه استعمالها هي أن تدخل على المبتدأ والخبر مرفوعين ، فيكون اسمها ضمير الشأن لتعظيم الشيء ، والجملة بعدها في محل نصب خبراً لها . مثال ذلك : ليس الأمر هين ، أو كقول أبي نواس هنا : ليس ما به لعب .

تَضَحَّكِينَ لَاهِيَةً ، وَالْمُحِبُّ يَسْتَحِبُّ
تَعْجَبِينَ مِنْ سَقَمِي ، صِيحَّتِي هِيَ الْعَجَبُ
كُلَّمَا انْتَفَى سَبَبٌ مِنْكَ ، جَاءَ فِي سَبَبُ

المغتسلة

نَضَّتْ عَنْهَا الْقَمِيصَ لَصَبِّ مَاءٍ ، فَوَرَدَ وَجْهَهَا فَرَطُ الْحَيَاءِ^١
وَقَابَلَتْ الْهَوَاءَ ، وَقَدْ تَعَرَّتْ ، بِمُعْتَدِلِ أَرْقٍ مِنْ الْهَوَاءِ^٢
وَمَدَّتْ رَاحَةً ، كَالْمَاءِ ، مِنْهَا ، إِلَى مَاءٍ مُعَدِّ فِي إِنَاءٍ^٣
فَلَمَّا أَنْ قَضَتْ وَطَرًا ، وَهَمَّتْ ، عَلَى عَجَلٍ إِلَى أَخَذِ الرِّدَاءِ
رَأَتْ شَخْصَ الرَّقِيبِ عَلَى التَّدَانِي ، فَأَسْبَلَتْ الظَّلَامَ عَلَى الضِّيَاءِ^٤
فَغَابَ الصَّبْحُ مِنْهَا تَحْتَ لَيْلٍ ، وَظَلَّ الْمَاءُ يَقْطِرُ فَوْقَ مَاءٍ
فَسُبْحَانَ إِلَهِهِ ، وَقَدْ بَرَّاهَا كَأَحْسَنِ مَا يَكُونُ مِنَ النِّسَاءِ

حب بين نارين

قال هذه الأبيات في دنابير جارية البرامكة :

صَلَّيْتُ مِنْ حُبِّهَا نَارَيْنِ : وَاحِدَةً فِي وَجَنَتَيْهَا ، وَأُخْرَى بَيْنَ أَحْشَائِي
وَقَدْ حَمَيْتُ لِسَانِي أَنْ أَبِينَ بِهِ ، فَمَا يُعْبَرُ عَنِّي غَيْرَ إِيْمَاءِ

١ نضت : غلعت .

٢ بمعتدل : أي بقوام معتدل .

٣ راحة : كفاً .

٤ الظلام : أي شعرها الأسود . قيلت هذه القصيدة في إحدى جوارى القصر في خلافة الرشيد لا في خلافة الأمين إذ قص جوارى القصر شعورهن بتشبهات بالغللمان .

يا وَيَحْ أَهْلِيَّ أَبْلَى بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ ، على الفِراشِ ، وما يَدْرُونَ ما دائي
لو كان زُهدُكَ في الدُّنيا كزُهدِكَ في حُبِّي ، مَشَيْتِ بلا شَكٍّ على الماءِ

يزيدك وجهه حسناً

كَأَنَّ ثِيَابَهُ أَطْلَعُ نَ مِنْ أَزْوَاجِهِ قَمَرًا
يزيدُكَ وجهُهُ حُسْنًا ، إذا ما زِدْتَهُ نَظَرًا
بِوَجْهِ سَابِرِي ، لو تَصَوَّبَ ماوَهُ ، قَطَرًا^١
وَعَيْنٍ خَالَطَ التَّفْتِي رُ في أَجْفَانِهَا الحَوَرًا^٢
وقد خَطَّتْ حَوَاضِنُهُ له مِنْ عَنَبٍ طُرَرًا^٣

١ سَابِرِي : رقيق ، وأصله الثوب الرقيق نسبة إلى سابور على غير قياس . وسابور كورة في بلاد الفرس .
تصوب : تحدر . يقول : له وجه رقيق ريان بماء الصبا ، فلو تحدر هذا الماء لقطر قطراً لعظم فيضه
ورونقه على وجهه .

٢ التفتير : انكسار الطرف وضعف الجفون . الحور : شدة سواد المقلة في شدة بياضها .

٣ الحواضن : جمع الحاضنة وهي الداية التي تقوم على الصغير في تربيته . العنبر : طيب وهو مادة بقامة
الشمع الصغير ، إذا سحقت أو أحرقت أبعثت منها رائحة ذكية . الطرر : جمع الطرة وهي الناصية .
يقول : إن حواضنه تعني بتزيينه فتجعل له من شعره طرراً مطيبة بالعنبر .

المدح

مدح الرشيد

حَيَّ الدِّيَارَ إِذِ الزَّمانُ زَمانُ ، وإِذِ الشَّباكَ لَنَا خَوَى وَمَعانُ^١
يا حَبَّذا سَفَوانُ مِنْ مُتَرَبِّعٍ ، وَلرُبَّما جَمَعَ الهوى سَفَوانُ^٢
وَإِذا مَرَّرتَ على الدِّيَارِ مُسَلِّمًا ، فَلِغَيرِ دارِ أُمَيِّمَةِ الهِجْرانِ^٣
إِنَّا نَسَبُنا وَالْمَناسِبُ ظِنَّةٌ ، حَتَّى رُمِيتَ بِنَا ، وَأنتِ حَصانُ^٤
لَمَّا نَزَعْتَ عَنِ الْغَوَايَةِ وَالصَّبَا ، وَخَدَّتْ بِي الشَّدَنِيَّةُ الْمِذْعانُ^٥
سَبَطُ مَسافِرُها ، دَقِيقُ خَطْمُها ، وَكَأَنَّ سائِرَ خَلْقِها بُنيانُ^٦
وَاحتازَها لَوْنُ جَرى في جِلدِها ، يَتَقَّى ، كَقَرطاسِ الْوَلِيدِ ، هِجانُ^٧
وإلى أَبِي الْأَمْناءِ هَارونَ الَّذِي يَحيا ، بِصَوْبِ سَمائِهِ ، الْحَيوانُ^٨

١ الشباك : طريق حاج البصرة قريية من سفوان . الخوى : الأرض اللينة . وقد وردت في الديوان حرى وهو تحريف ، لأن حرى لغة في حراء : جبل في مكة . وليس من جامع بينه وبين الشباك وسفوان وهما في البصرة . فاعتمدنا رواية ياقوت في معجم البلدان ، استشهد بشعر أبي نواس في كلامه على الشباك . المعان : المنزل . يحیی الديار إذ كان الزمان مؤاتياً ، وإذ كان الشباك بأرضه اللينة منزلاً له وللأحبة .

٢ سفوان : ماء على قدر مرحلة من باب المزيد بالبصرة .

٣ نسب بالمرأة : شَبَّ بها في الشعر . المناسب : جمع المنسبة وهي التشبيب بالمرأة . الظنة : التهمة . رميت بنا : اتهمت بنا . حصان : متعقفة مصوفة .

٤ نزع : انتهت عنه . الغواية : الضلال . الصبا : جهلة الفتوة . الشدنية : الناقة ، منسوبة إلى شدن وهو فعل ، أو موضع باليمن . مذعان : منقادة لسلة الرأس .

٥ سبط : مرسى . خطمها : مقدم أنفها وفمها .

٦ احتازها : جمعها وضمها . يقى : شديد البياض . هجان : فاقة كريمة بياض .

٧ أبي الأمناء : كنية هارون الرشيد والد محمد الأمين وعبد الله المأمون ، والقاسم المؤتمن . الصوب : مجيء السماء بالمطر . السماء : المطر ، ويريد بذلك جود المدح .

مَلِكٌ تَصَوَّرَ فِي الْقُلُوبِ مِثَالَهُ ، فَكَأَنَّمَا لَمْ يَخْلُ مِنْهُ مَكَانٌ
 مَا تَنْطَوِي عَنْهُ الْقُلُوبُ بِفَجْرَةٍ ، إِلَّا يُكَلِّمُهُ بِهَا اللَّحْظَانُ^١
 فَيَظَلُّ لَاسْتِنْبَائِهِ ، وَكَأَنَّهُ عَيْنٌ عَلَى مَا غَيَّبَ الْكِتْمَانُ^٢
 هَارُونَ أَلْفَنَا اثِثِلَافَ مَوَدَّةٍ ، مَاتَتْ لَهَا الْأَحْقَادُ وَالْأَضْغَانُ^٣
 فِي كُلِّ عَامٍ غَزْوَةٌ ، وَوِفَادَةٌ ، تَنَبَّتْ ، بَيْنَ نَوَاهُمَا ، الْأَقْرَانُ^٤
 حَجٌّ وَغَزْوٌ مَاتَ بَيْنَهُمَا الْكَرَى ، بِالْيَعْمَلَاتِ شِعَارُهَا الْوِخْدَانُ^٥
 يَرْمِي بِهِنَّ نِيَاطَ كُلِّ تَنُوفَةٍ ، فِي اللَّهِ ، رَحَالٌ بِهَا ، ظَعْمَانُ^٦
 حَتَّى إِذَا وَاجَهْنَ أَقْبَالَ الصَّفَا ، حَنَّ الْحَطِيمُ ، وَأَطَّتِ الْأَرْكَانُ^٧
 لِأَغْرٍ ، يَتَفَرَّجُ الدُّجَى عَنْ وَجْهِهِ ، عَدَلَ السِّيَاسَةِ ، حُبُّهُ إِيْمَانُ^٨
 يَصَلَّى الْمَهْجِرَ بِغُرَّةٍ مَهْدِيَّةٍ ، لَوْ شَاءَ صَانَ أَدِيمَهَا الْأَكْنَانُ^٩

- ١ الفجرة : الكذب والعصيان والمخالفة . اللحظان : مصدر لحظ : نظر بمؤخر عينيه . أي يعرف ما في القلوب من نظره إلى أصحابها .
- ٢ لاستنبائه : لاستخباره . أي يظل يلحظ من يطوي الكذب والخلاف ، ليستنبر أمره .
- ٣ الوفاة : الحج إلى البيت الحرام . تنبت : تنقطع . نواهما : قصدهما أي قصد الحج والغزو . الأقران : الحبال واحدها القرن . وقوله : تنبت الأقران : أي الصلة بينه وبين أهله .
- ٤ مات بينهما الكرى : أي عاف النوم من أجلهما . اليعملات : جمع اليملة وهي الناقة التي يعمل عليها في الأسفار . الوخدان : إسراع النوق .
- ٥ النياط : ألفؤاد . التنوفة : القلاة البعيدة الأطراف لا ماء فيها ولا أنيس . في الله : أي في سبيل الله حجاً لبيت الله الحرام . ظعان ، من ظعن : سار .
- ٦ الأقبال : أوائل الشيء مفرداً القبل . أو هي جمع القبل : وهو ما استقبلك من الشيء . الصفا : من مشاعر مكة بلحف أبي قبيس . الحطيم : حجر الكعبة أو جداره . أطت : أنت حنيئاً . الأركان : أي أركان الكعبة ، وهي الحجارة المكرمة كالركن الأسود ، والركن اليماني ، والركن الشامي ، والركن العراقي .
- ٧ لأغر : الحار متعلق بأطت . الأغر : الأبيض الوجه . العدل : العادل .
- ٨ يصل : يقاسي الحر . الهجير : شدة الحر . الغرة : الوجه . مهديّة : منسوبة إلى والده المهدي . أديمها : جلدها . الأكنان : جمع كن وهو البيت .

لَكِنَّهُ فِي اللَّهِ مُبْتَدِلٌ لَهَا ، إِنَّ التَّقِيَّ مُسَدَّدٌ ، وَمُغَانٌ
 أَلِفَتْ مُنَادِمَةَ الدَّمَاءِ سَيُوفُهُ ، فَلَقَلَّمَا تَحْتَازُهَا الْأَجْفَانُ^١
 حَتَّى الَّذِي فِي الرَّحِمِ ، لَمْ يَكْ صُورَةٌ ، لِفُؤَادِهِ ، مِنْ خَوْفِهِ ، خَفَقَانٌ
 حَدَثَ أَمْرِي نَصَرَتْ يَدَاهُ عَلَى الْعَدَى كَالدَّهْرِ ، فِيهِ شَرَّاسَةٌ وَلَيَانٌ
 مُتَبَرِّجٌ الْمَعْرُوفِ ، عَرِيضُ النَّدَى ، حَصِيرٌ ، بَلَا ، مِنْهُ فَمٌ وَلِسَانٌ^٢
 لِلْجُودِ مِنْ كِلْتَا يَدَيْهِ مُحَرَّكٌ ، لَا يَسْتَطِيعُ بُلُوغَهُ الْإِسْكَانُ

مدح الخصيب

أتى أبو نواس مصر ومدح الخصيب بن عبد الحميد العجمي عامل الخراج فيها من قبل هارون الرشيد .
 فمن مدائحه هذه القصيدة التي يذكر فيها المواضع التي مر بها في طريقه من العراق إلى القسطنطينية عاصمة مصر
 يومذاك :

أَجَارَةَ بَيْتَيْنَا ، أَبُوكِ غَيُورٌ ، وَمَيْسُورٌ مَا يُرْجَى لَدَيْكَ عَسِيرٌ^٣
 فَإِنْ كُنْتَ لَا خِلْمًا وَلَا أَنْتِ زَوْجَةٌ ، فَلَا بَرِحَتْ ، دُونِي ، عَلَيْكِ سُتُورٌ^٤
 وَجَاوَرْتُ قَوْمًا ، لَا تَزَاوَرُ بَيْنَهُمْ ، وَلَا وَصَلَ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ نُشُورٌ^٥
 فَمَا أَنَا بِالْمَشْغُوفِ ضَرْبَةً لَا زِبٍ ، وَلَا كُلُّ سُلْطَانٍ عَلَيَّ قَدِيرٌ^٦
 فَلِئَنِّي لَطَرْفِ الْعَيْنِ بِالْعَيْنِ زَاجِرٌ ، فَقَدْ كِدْتُ لَا يَخْفَى عَلَيَّ ضَمِيرٌ^٧

١. الأجفان : جمع الجفن وهو غمد السيف .
٢. متبرج : ظاهر للناس . عريض الندى : يتعرض للناس بالكرم . الحصر : البخيل بالشيء ، ومن يضيق بالكلام . يريد أن الممدوح يبخل ويضيق بقول لا لطالب معروفة .
٣. قوله : بيتينا ، على عادتهم في تثنية المفرد .
٤. الخلم : الصديق والصاحب .
٥. النشور : يوم القيامة .
٦. ضربة لازب : أي شغفاً لازماً شديداً .
٧. يقول : إنه يرد بعينه الصادقة النظر كل عين مخاتلة يضمر صاحبها له شراً .

كَمَا نَظَرْتُ ، وَالرَّيْحُ سَاكِنةٌ ، لَهَا ،
 طَوْتُ ، لَيْلَتَيْنِ ، الْقَوْتُ عَنْ ذِي ضَرُورَةٍ ،
 فَأَوْفَتْ عَلَى عُلْيَاءَ ، حِينَ بَدَأَ لَهَا ،
 تُقَلِّبُ طَرَفًا فِي حَاجَايَ مَغَارَةٍ ،
 تَقُولُ الَّتِي مِنْ بَيْتِهَا خَفَّ مَرَكَبِي :
 أَمَا دُونَ مِصْرٍ لِلْغِنَى مُتَطَلَّبٌ ؟
 فَقُلْتُ لَهَا ، وَاسْتَعْجَلَتْهَا بِوَادِرٍ ،
 ذَرِينِي أَكْثَرُ حَاسِدِيكَ بِرِحْلَةٍ
 إِذَا لَمْ تَزُرْ أَرْضَ الْحَصِيبِ رِكَابُنَا ،
 فَتَى ، يَشْتَرِي حُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ ،
 وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّائِرَاتِ تَدُورُ^٩

- ١ الأرساغ ، جمع الرسغ : المفصل ما بين الساعد والكف ، والساق والقدم . الدور : الخروج العظم من موضعه . في هذا البيت تقديم وتأخير . ووجه الكلام : كما نظرت عقاب لما ندور بأرساغ اليمين . يشبه صدق نظره بصدق نظر العقاب وهي موصوفة عند العرب بمحبة البصر . والظاهر أنه يشير إلى جوعها في خروج عظم يديها من موضعه .
- ٢ قوله : عن ذي ضرورة أي محتاج إلى غيره ليأتيه بالقوت . الأزيغ : تصغير أزغب وهو الفرج ذو الزغب أي الريش الدقيق اللين . الشكير : الريش أول نبتة .
- ٣ قرن الشمس : أول شعاعها . الضريب : الثلج والجليد . يمور : يتحرك ليسيل ويجري .
- ٤ الحجاج : العظم الذي ينبت عليه الحاجب . المغارة : الكهف ، استعارها لعينها الغائرتين . ذرور . ما يذر من الدواء في العين ليشفيها من الرمد وغيره . يقول : إن هذه العقاب بقيت ليلتين لا تجد قوتاً لها ولفرخها الصغير حتى إذا سكنت الريح ، ولاح شعاع الشمس ، وأخذ الجليد يذوب ، أشرفت من عل تقلب طرفها السليم الصادق النظر تبحث عن صيد لتتنقض عليه .
- ٥ خف : ارتحل مسرعاً . المركب : ما يركب في البحر أو البر وهنا بمعنى المطية .
- ٦ بوادر : سوابق من الدمع . العير : أخلاط من الطيب ، أي امتزج العير بدمعها .
- ٧ ذريني : دعيني . وقوله : أكثر حاسديك ، أي حينما يأتيها بالمال فتصبح غنية .
- ٨ الركاب : الإبل ، واحدها راحلة .
- ٩ الدائرات تدور : أي تتغير الأيام على الإنسان ، فلا يبقى له إلا الذكر الحسن إذا استطاع أن يكتسبه في أيام عزه وورعائه .

فما جازهُ جُودٌ ، ولا حلَّ دونهُ ، ولكنْ يَصِيرُ الجُودُ حَيْثُ يَصِيرُ^١ ،
فلَمْ تَرَ عَيْنِي سُودُداً مِثْلَ سُودُدي ، يَحُلُّ أبو نصرٍ بهِ ، وَيَسِيرُ^٢
وأطرقَ حَيَّاتُ البِلادِ حَيَّةٌ ، خَصِيَّةُ التَّصميمِ حينَ تَسُورُ^٣
سَمَوْتَ لأهلِ الجَوْرِ في حالِ أَمَنِهمْ ، فأضحوا ، وكلُّ في الوَثاقِ أَسِيرُ^٤
إذا قامَ ، غَنَّتْهُ على السَّاقِ حَلِيَّةٌ ، لها خَطوهُ ، عندَ القِيامِ ، قَصِيرُ^٥
فَمَنْ يَكُ أَمْسَى جاهِلاً بِمَقالَتِي ، فإنَّ أَمِيرَ المؤمنينَ خَبِيرُ^٦
فَمَا زِلْتُ تُؤْلِيهِ النَّصِيحَةَ يافِعاً ، إلى أنْ بَدَأَ في العارِضِينَ قَتِيرُ^٧
إذا غالَهُ أَمْرٌ ، فلمَّا كَفَيْتَهُ ، وإمَّا عَلَيْهِ بالكِفَاءِ تُشِيرُ^٨
إِلَيْكَ رَمَتْ بالقَوْمِ هُوجٌ ، كَأَنَّمَا جَمَّاجِمُها ، تحتَ الرِّحالِ ، قُبُورُ^٩
رَحَلْنَ بَناءَ من عَقَرَقُوفَ ، وقد بَدَأَ ، من الصَّبْحِ ، مَفْتُوقُ الأديمِ ، شَهِيرُ^{١٠}
فما نَجِدَتْ بالماءِ ، حتَّى رَأَيْتُها ، معَ الشَّمسِ ، في عَيْنِي أباغٌ ، تَغُورُ^{١١}

- ١ قوله : فما جازه جود ، ولا حل دونه ، أي ما عدا عنه جود ، ولا حل في غيره .
٢ التصميم : المضي في الأمر . تسور : تثب وتثور . كان أهل مصر قد شغبوا على الخصب ، وشنعوا عليه لزيادته في أسرارهم . فشبهم أبو نواس في إفكهم وبهتانهم ، بحيات السحرة الذين كانوا عند فرعون ، وشبه الخصب بمصا موسى التي انقلبت حية بأمر الله وتلقفت الحيات الكاذبة . وله مثل ذلك قصيدة يخاطب بها أهل مصر :
فإن يك باقي إفك فرعون فيكم ؛ فإن عصا موسى بكف خصب
٣ حلية : أراد بها سيفه في غمد محلى بالذهب ، يرن على ساقه إذا قام يمشي ، فكانه يغني له ، ويخطو معه خطواً قصيراً . يصف الممدوح بالرزاق ، لا يوسع الخطى في مشيه .
٤ يافعاً : قتي راهق العشرين . والمراد : وأنت يافع . العارضين : جانبي الوجه . قتير : بياض الشيب .
٥ غاله الأمر : أخذه من حيث لا يدري . كفيته : قمت به دونه . الكفاء : دفع الأمر .
٦ بالقوم : بالوافدين إلى الممدوح ومنهم الشاعر هوج : جمع الهوجاء وهي الناقة المسرعة حتى كأن بها هوجاً .
٧ عقرقوف : قرية من نواحي دجيل بينها وبين بغداد أربعة فراسخ . أديم الصبح : بياضه ، وقوله : مفتوق : أي منشق عن سواد الليل .
٨ نجت بالماء : فضحت بالعرق . عين أباغ : مثلثة ، واد على طريق الفرات إلى الشام . وقوله : عيني أباغ ، على تثنية المفرد . روي عن أبي نواس أنه قال : جهدت على أن تقع في الشعر عين أباغ فامتعت علي ، فقلت عيني أباغ ليستوي الشعر .

وغمَّرنَ من ماءِ النقيبِ بشربةٍ ، وقد حانَ من ديكِ الصَّباحِ زَميرُ^١
ووافينَ لإشراقِ كنائسٍ تدمرُ ، وهُنَّ إلى رَعنِ المدخنِ صُورُ^٢
يؤمننَ أهلَ الغوطتينِ ، كأنما لها ، عندَ أهلِ الغوطتينِ ، ثُورُ^٣
وأصبحنَ بالجلولانِ يرضخنَ صخرَها ، ولم يبقَ من أجراحهنِ شُطورُ^٤
وقاسينَ ليلاً دونَ بيسانَ ، لم يكدَّ سنا صُبحِه ، للناظرينَ يُنيرُ^٥
وأصبحنَ ، قد فوزنَ من نهرِ فطرسٍ ، وهُنَّ عنِ البَيْتِ المقدسِ زُورُ^٦
طوالِبُ بالرُّكبانِ غزاةَ هاشمٍ ، وفي الفرما من حاجيهنِ شُقُورُ^٧
ولما أتتْ فسطاطَ مصرَ أجارَها ، على ركبِها ، أنْ لا تزالَ ، مُجِيرُ^٨
مِنَ القومِ بسامُ ، كأنَّ جبينَه سنا الفجرِ ، يسري ضوءُه ويُنيرُ^٩

١ غمرن : أسقين قليلاً ، أو أسقين بالقدح لضيق الماء . النقيب ، تصغير النقب : الثقب وهو كما يظهر اسم موضع في طريق تدمر غير النقيب الذي ذكره ياقوت بين تبوك ومعان . الزمير : الغناء ؛ وأراد به صياح الديك .

٢ الرعن : أنف يتقدم الجبل . المدخن : جبل لم يذكره ياقوت . صور : جمع أصور وهو المائل إلى الشيء .

٣ يؤمن : يقصدن . الغوطتين : أراد بهما غوطة دمشق على تغذية المفرد . ثور : ثارات .
٤ الجلولان : كانت يومئذ من أعمال حوران ، وهي إلى الجنوب من إقليم البلان ، كثيرة القرى خصبة المراعي . يرضخن : يكسرن ، أي بوطء أخفافهن . وقوله : لم يبق من أجراحهن شطور : يريد أن الأنساع أي السيور التي تشد بها الأحمال ، أثرت في ظهور الإبل فجعلت فيها جراحاً اتسعت لطول السفر فتلاقت أجزاءها .

٥ بيسان : مدينة بالأردن عند الغور الشامي في الجنوب الشرقي من مرج ابن عامر . يقول : كان الليل طويلاً لشدة ما لقيت به المطايا من العناء .

٦ فوزن : مضين ناجيات . نهر فطرس : أي بطرس ، موضع قرب الرملة من فلسطين . زور ، جمع أزور : وهو المائل عن الشيء والمنحرف عنه .

٧ غزة : جنوبي يافا من فلسطين . ويقال لها غزة هاشم لرواية تزعم أن هاشم بن عبد مناف القرشي ، والد جد النبي محمد ، مدفون فيها . الفرما : مدينة على الساحل من ناحية مصر . حاجهن : أي حاجاتهن جمع حاجة . ويريد بذلك حاجتهن إلى الراحة . الشقور : جمع الشقر وهو الأمر اللاصق بالقلب المهم له .

٨ الفسطاط : عاصمة مصر قبل القاهرة ، بناها عمرو بن العاص . على ركبها : أي مع ركبها .
٩ من القوم : الجار متعلق بمجير .

زَها بالخَصِيبِ السَّيْفُ والرَّمْحُ في الوغى ، وفي السَّلَمِ يَزْهَو مِنبَرٌ وسَرِيرٌ^١
جوادٌ ، إذا الأيدي كَفَفْنَ عن النَّدَى ، ومِنْ دُونِ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ غَبُورٌ
لَهُ سَلَفٌ في الأَعْجَمِينَ كَأَنَّهُمْ ، إذا اسْتَوْذِنُوا ، يَوْمَ السَّلَامِ ، بُدُورٌ^٢
ولَئِي جَدِيرٌ ، إذ بَلَغْتُكَ ، بالْمُنَى ، وأَنْتَ ، بما أَمَلْتُ مِنْكَ ، جَدِيرٌ
فَإِنْ تَوَلَّيْنِي مِنْكَ الْجَمِيلَ ، فَأَهْلُهُ ، وإِلَّا فَإِنِّي عاذِرٌ ، وشَكُورٌ

مدح الخليفة محمد الأمين

كان للأمين خمس من السفن المعروفة بالحراقات : إحداها على مثال الأسد ، والثانية على مثال العقاب ،
والثالثة على مثال الدلفين ، والرابعة على مثال الفيل ، والخامسة على مثال الحية . فركب ذات يوم في سفينة
الأسد متنزهاً ، وركب أبو نواس معه يناديه ؛ فقال في ذلك :

سَخَّرَ اللهُ لِلْأَمِينِ مَطَايَا ، لَمْ تُسَخَّرْ لِمُصَاحِبِ الْمِحْرَابِ^٣
فإذا ما رَكابُهُ سِرْنَ بَرًّا ، سارَ في المَاءِ رَاكِبًا لَيْثَ غَابِ^٤
أَسَدًا بِاسِطًا ذِرَاعِيهِ يَعْدُو ، أَهَرَّتِ الشَّدَقِ ، كَالْحِجِّ الْأَنْيَابِ^٥
لا يُعَانِيهِ بِاللَّجَامِ ، ولا السَّوِطِ ، ولا غَمَزَ رِجْلِهِ في الرِّكَابِ
عَجَبَ النَّاسُ ، إذ رَأَوْهُ ، على صُورِ رَقَةٍ لَيْثٍ ، يَمُرُّ مَرَّةً السَّحَابِ
سَبَّحُوا ، إذ رَأَوْكَ سَرْتَ عَلَيْهِ ، كَيْفَ لو أَبْصَرُوكَ فَوْقَ الْعُقَابِ
ذاتِ زَوْرٍ ، وَمَنْسِيرٍ ، وَجَنَاحِيٍّ ، نِ تَشْتَقُّ الْعُبابَ بَعْدَ الْعُبابِ^٦

١ السرير : تخت الملك وعرشه .

٢ يقول : تشرق وجوههم كالبدور متهلة ، وهم يستقبلون الذين يدخلون للسلام .

٣ المحراب : موضع الإمام من المسجد ، وأراد بصاحب المحراب سليمان الحكيم لأنه بنى الهيكل .
وقوله : لم تسخر لصاحب المحراب : إشارة إلى ما يروى من أن الريح كانت مطية له ولأصحابه .

٤ ركابه : مطاياه .

٥ أهرت الشدق : واسعه . كالحج الأنياب : متكشر في عبوس .

٦ الزور : الصدر . المنسر : المنقار . العباب : تدفق المياه وكثرتها .

تَسْبِقُ الطَّيْرَ فِي السَّمَاءِ ، إِذَا مَا اسْدَ تَعَجَّلُوها ، بِجَيْشَةٍ وَذَهَابِ
بَارَكَ اللهُ لِلْأَمِينِ . وَأَبْقَا هُ . وَأَبْقَى لَهُ رِداءَ الشَّبَابِ
مَلِكٌ تَقْصُرُ الْمَدَائِحُ عَنْهُ . هَاشِمِيٌ . مُوَفَّقٌ لِلصَّوَابِ

الهجاء

هجاء اليمانية

كان أبو نواس قد ادعى أنه من العدنانية ، فأخذ يتعصب لها ، وهجا هاشم بن حديج الكندي :

يا هاشِمَ بْنَ حُدَيْجٍ . لَيْسَ فَخْرُكُمْ . بِقَتْلِ صِهْرِ رَسُولِ اللَّهِ . بِالسَّدَادِ^٢
أَدْرَجْتُمْ فِي إِهَابِ الْعَيْرِ جُشَّتَهُ . فَبِئْسَ مَا قَدَّمْتَ أَيْدِيَكُمْ لَغَدِ^٣
إِنْ تَقْتُلُوا ابْنَ أَبِي بَكْرٍ ، فَقَدْ قَتَلْتَ حُجْرًا . بِدَارَةِ مَلْحُوبٍ . بَنُو أَسَدٍ^٤
وَطَرَدُوكُمْ إِلَى الْأَجْبَالِ مِنْ أَجَلٍ . طَرَدَ النَّعَامَ إِذَا مَا تَاهَ فِي الْبَلَدِ^٥

١ تقصر : تكف عاجزة .

٢ الصهر : هما بمعنى الختن وهو من كان من قبل المرأة كالأب والأخ . والمراد بصهر الرسول محمد ابن أبي بكر أخو عائشة زوج النبي محمد ، وكان عامل علي بن أبي طالب على مضر ، قتله معاوية ابن حديج الكندي ، وقطع رأسه ، ثم أدرج الجثة في جلد حمار وأحرقها بالنار ، وبعث بالرأس إلى معاوية . قيل : وكان أول رأس طيف به في الإسلام سنة ٣٨ هـ (٦٥٨ م) .

٣ الإهاب : الجلد . العير : الحمار . وقوله : قدمت أيديكم لغد أي للآخرة .
٤ حجر : والد امرئ القيس الشاعر ، ثارت به بنو أسد القبيلة العدنانية فقتلته وأزالت عنها ملك بني كندة . داراة ملحوب : اسم موضع .

٥ أجاً : أحد جبلي بني طي ، وثانيتها سلمى . وطى : قبيلة يمانية . البلد : قطعة من الأرض عامرة أو غامرة .

وقد أصابَ شَراحيلًا أبو حنَّشٍ ، يومَ الكلابِ ، فَمَا دافَعْتُمْ بِيَدِ
ويومَ قُلْتُمْ لزيدٍ ، وهوَ يَقْتُلُكُمْ
وكلُّ كِنْدِيَّةٍ قالتْ بلحارَتِها ، قتلَ الكلابِ : لقد أبرحتَ من وَلَدِ
ألهي امرأ القيسِ تشيبٌ بغانيَّةٍ ، والدَّمعُ يَنْهَلُ ، من مَشْنَى ومن وَحْدِ :
عن ثأرِهِ ، وصِفَاتُ النَّوْمي والوَتْدِ .

هجو العدنانية

وقال من قصيدة يهجو بها قبائل نزار العدنانية ويفخر بالقحطانية بعد انتسابه إلى الين :

أحِبُّ قُرَيْشًا لِحُبِّ أَحْمَدِها ، واعْرِفْ لها الجَزَلَ من مَوَاهِبِها^١
إنَّ قُرَيْشًا ، إذا هي انتَسَبَتْ ، كانَ لَنَا الشَّطْرُ من مَناسِبِها
فأمُّ مَهْدِي هاشِمٍ ، أمُّ موسى الـ خَيْرُ مِنَّا ، فافخَرْ ، وسامِ بها^٢
إن فَاخَرْتَنَا ، فلا افْتِخَارَ لها إلاَّ التَّجَارَاتُ من مَكاسِبِها
وإنَّها ، إنْ ذَكَرْتَ مَكْرُمَةً ، جاءَتْ تِجَارَاتُها بِغَالِبِها
واهجُ نِزاراً ، وأفرِ جِلْدَتِها ، وهتَكِ السَّترَ عن مَثالِبِها^٣

١ شراحيل : كذا في الأصل ، وهو في الأغاني والعقد الفريد شرحبيل أي شرحبيل بن الحارث الكندي

قتله أبو حنش عصيم بن مالك التغلبي يوم الكلاب الأول . والكلاب : ماء بين الكوفة والبصرة .

٢ أبرحت من ولد : يقال : أبرحت فارساً ، وأبرحت كرمًا أي فضلت وعظمت .

٣ الجزل : الكثير .

٤ يقول : إن أم الخليفة المهدي منا أي قحطانية . وأم المهدي هي أروى بنت منصور الحميرية . وكانت

تكنى أم موسى . وقوله الخير : في معنى أفعل التفضيل .

٥ أفر : أقطع وشق . هتك الستر : شقه . مثالها : معايبها ، واحداً منها مثلبة .

هجاء الخصيب

خُبِزُ الخَصِيبِ مُعَلَّقٌ بالكَوَكَبِ ، يُحْمَى بِكُلِّ مُشَقَّفٍ ، وَمُشَطَّبٍ^١
جَعَلَ الطَّعَامَ عَلَى بَنِيهِ مُحَرَّمًا قُوْتًا ، وَحَلَّلَهُ لِمَنْ لَمْ يَسْغَبِ^٢
فَإِذَا هُمْ رَاوُوا الرَّغِيفَ ، تَطَرَّبُوا طَرَبَ الصَّيَامِ إِلَى أَذَانِ الْمَغْرِبِ^٣

هجو الرقاشي

قُلْ لِلرَّقَاشِيِّ ، إِذَا جِئْتَهُ : لَوْ مِتَّ ، يَا أَحْمَقُ ، لَمْ أَهْجُكَ
لَأَتْنِي أَكْرَمُ عِرْضِي ، وَلَا أَقْرَنُهُ يَوْمًا إِلَى عِرْضِكَ
إِنْ تَهْجُنِي ، تَهْجُ فَتَى مَا جِدَّا ، لَا يَرْفَعُ الطَّرْفَ إِلَى مِثْلِكَ
وَاللَّهِ ، لَوْ كُنْتُ جَرِيرًا ، لَمَّا كُنْتُ بِأَهْجَى لَكَ مِنْ أَصْلِكَ

١ المشقف : الرمح المقوم . المشطب : السيف فيه شطب أي طرق .

٢ يسغب ، من سغب : جاع .

٣ راؤوا : بمعنى رأوا من باب القلب المكاني .

الطرديات

نعت كلب

لَمَّا تَبَدَّى الصَّبْحُ مِنْ حِجَابِهِ ، كَطَلَعَةِ الْأَشْمَطِ مِنْ جِلْبَابِهِ ١
وَانْعَدَلَ اللَّيْلُ إِلَى مَابِهِ ، كَالْحَبَشِيِّ افْتَرَّ عَنْ أَنْيَابِهِ ٢
هَجْنَا بِكَلْبٍ ، طَالَمَا هَجْنَا بِهِ ، يَنْتَسِفُ الْمِقْوَدَ مِنْ كَلَابِهِ ٣
كَأَنَّ مَتْنِيَهُ ، لَدَى انْسِلَابِهِ ، مَتَنَا شُجَاعٍ ، لَسَجَّ فِي انْسِيَابِهِ ٤
كَأَنَّمَا الْأُظْفُورُ ، فِي قِنَابِهِ ، مُوسَى صَنَاعٍ ، رُدَّ فِي نِصَابِهِ ٥
تَرَاهُ فِي الْحُضْرِ ، إِذَا هَاهَا بِهِ ، يَكَادُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ إِهَابِهِ ٦
شَدَّاءَ بَبْطَنِ الْقَاعِ ، مَنْ أَلْهِى بِهِ ، يَتْرُكُ وَجْهَ الْأَرْضِ ، فِي إِهَابِهِ ٧

- ١ تبدى : في كتب اللغة أقام بالبادية وصار من أهلها ، وهنا يستعملها الشاعر بمعنى بدا أي ظهر .
الأشمت : من خالط سواد شعره بياض الشيب . جلبابه : قميصه أو ثوبه . والمعنى أن الصباح في أوله يخالط بياضه سواد الليل ، كرأس الأشمت الخارج من قميصه .
- ٢ انعدل : حاد وتنحى . مآبه : مرجعه . افتر : تبسم . والمعنى أن الليل في ذهابه عند قدوم الصباح يشبه حبشياً أسود يتبسم عن أسنانه البيض ، فيبدو بريقها على سواده .
- ٣ هجنا بكلب : أي أثرناه من مرقده . ينتسف : يقتلع . الكلاب : قائد الكلب . يصف حمية كلبه ونشاطه ، فيقول : إنه يشد بجبله حتى يقتلعه من يد كلابه .
- ٤ متنيه : ما اكتنف الظهر من اليمين والشمال . انسلابه : إسرعه في السير . الشجاع : ضرب من الحيات دقيق .
- ٥ الأظفور ، والظفر واحد . القناب : موضع الظفر . صناع : ماهر في عمل اليدين ، ويريد به الحلاق . نصابه : مقبضه وقرابه .
- ٦ الحضر : الارتفاع في الركض . هاها : مخفف هاها أي زجر . إهابه : جلده . أي يكاد يخرج من جلده حميته ونشاطه .
- ٧ شدأ : عدواً . القاع : أرض سهلة قد انفرجت عنها الجبال والآكام . ألهى به : يريد أن الكلب ألهى الكلاب به ، وجعله يقفز وراءه ليستطيع لحاقه لشدة عدوه . إهابه : إسرعه في العدو .

كَأَنَّ نَشْوَانَ ، تَوَكَّلْنَا بِهِ ، يَغْفُو عَلَى مَا جَرَّ مِنْ ثِيَابِهِ^١
إِلَّا الَّذِي آثَرَ مِنْ هُدَايِهِ ، تَرَى سَوَامَ الْوَحْشِ تَحْتَوِي بِهِ^٢

نعت ديك

أَنَعْتُ دِيكًا مِنْ دُيُوكِ الْهِنْدِ ، كَرِيمَ عَمٍّ ، وَكَرِيمَ جَدٍّ^٣
لِنِسْبَةٍ لَيْسَتْ إِلَى مَعَدٍّ ، وَلَا قُضَاعِيٍّ ، وَلَا فِي الْأَزْدِ^٤
مُفْتَتَحُ الرِّيشِ ، شَدِيدُ الزَّنْدِ ، ضَخْمُ الْمَخَالِبِ ، عَظِيمُ الْعَضْدِ^٥
حَتَّى إِذَا الدَّيْكَ ارْتَأَى مِنْ بُعْدٍ ، وَنَجْمُهُ فِي النَّحْسِ ، لَا فِي السَّعْدِ^٦
رَأَيْتَهُ كَالْفَارِسِ الْمُعِدِّ ، يَخْطِرُ خَطَرًا مِثْلَ خَطَرِ الْأُسْدِ^٧
يَقُتُّهُ بِالْكَدِّ بَعْدَ الْكَدِّ ، وَتَعَبٍ مُوَصَّلٍ بِجَهْدٍ^٨
حَتَّى تَرَى الدَّيْكَ لَهُ كَالْعَبْدِ ، مُفَكَّرًا ، يُعْظِمُهُ بِالسَّجْدِ^٩

يَا لَكَ مِنْ دِيكِ رَبِّي فِي الْمَهْدِ

١ نشوان : سكران . يغفو : يمحو . يقول : إن هذا الكلب لعدوه الشديد يشق التراب بقوائمه ، ثم يتمرغ ويتقلب فيمحو تلك الآثار بحمسه ، فكأنه سكران يرتدي ثياباً طويلة الأذيال تجر على الأرض فتترك أثراً ، فإذا مشى وقع من سكره وتقلب فمحا آثار أذياله .

٢ أثر : فضل . الهداب : طرف الثوب . السوام : الراعية . الوحش : أي حمار الوحش . يقول : يمحو هذا السكران آثار ما جر من ثيابه إلا بعضها فضله على غيره فأبقاه ، أي أن الكلب في تمرغه لا يمحو جميع آثار قوائمه بل يبقى بعضها ظاهراً . ثم يقول : إن هذا الكلب ، وهو على هذه الحال من النشاط والحمية ، إذا بلغ الصيد تراه يحتوي على الحمر الراعية حتى تصيح في حوزته .

٣ معد : مجموع القبائل العدنانية . قضاة والأزد من القبائل القحطانية الجامعة . تظهر هنا شعبية الشاعر في سخره بالقبائل التي تفاخر بأنسابها ، فيقول : إن ديكه هندي لا عربي ، ومع ذلك فهو كريم العم والجد .

٤ العضد : ما بين المرفق إلى الكتف .

٥ ارتأى : أخذها بمعنى تراءى أي ظهر .

٦ يقته : يجره ويسوقه .

٧ مفكراً : هكذا وردت في الديوان ، ولعلها مكفراً ، والتكفير : خضوع الشخص لغيره .

الزهديات

خداع الدنيا

ألا رُبَّ وَجْهٍ ، في التُّرابِ ، عَتِيقٍ ؛ ويا رُبَّ حُسنٍ ، في التُّرابِ ، رَقِيقٍ^١ ؛
ويا رُبَّ حَزْمٍ ، في التُّرابِ ، وَنَجْدَةٍ ؛ ويا رُبَّ رَأْيٍ ، في التُّرابِ ، وَثِيقٍ ؛
فَقُلْ لِقَرِيبِ الدَّارِ : إِنَّكَ رَاحِلٌ^٢ إلى مَنَزَلٍ نَائِي المَحَلِّ سَحِيقٍ^٣ ؛
وما النَّاسُ إِلَّا هَالِكٌ وابْنُ هَالِكٍ ، وذو نَسَبٍ ، في الهَالِكِينَ ، عَرِيقٍ ؛
إذا امْتَحَنَ الدُّنيا لَبِيبٌ ، تَكَشَّفَتْ له عن عَدُوٍّ في ثِيَابِ صَدِيقٍ ؛

العمل الصالح

أَيَّةَ نَارٍ قَدَحَ القَادِحُ ، وَأَيَّ جِدٍّ بَلَغَ المَازِحُ^٤ ؟
لِلَّهِ دَرُّ الشَّيْبِ مِنْ وَاغِظٍ ، وَنَاصِحٌ ، لَوْ خُطِئَ النَّاصِحُ^٥ ؛
يَأْتِي الفَتَى إِلَّا اتِّبَاعَ الهَوَى ، وَمَنْهَجَ الحَقِّ لَهُ وَاضِحٌ ؛
فَاسْمُ بَعِيْنَيْكَ إِلَى نِسْوَةٍ ، مُهُورُهُنَّ العَمَلُ الصَّالِحُ ؛
لَا يَجْتَلِي العَذْرَاءُ مِنْ خَدْرِهَا إِلَّا امْرُؤٌ مِيزَانُهُ رَاجِحُ^٥ ؛
مَنْ اتَّقَى اللَّهَ ، فَذَلِكَ الَّذِي سِيقَ إِلَيْهِ المَتَجَرُّ الرَّابِحُ^٥ ؛

١ عتيق : كريم .

٢ سحيق : بعيد .

٣ النار : يريد بها الشيب . يقال : اشتعل الرأس شيباً . الجد : أي جد الشيخوخة بعد مزح الشباب .

٤ يقول : لو قلت لمن وعظك ونصحتك أخطأت ، فأنت لا تقول ذلك للشيب .

٥ اجتلي العروس : أخرجها من خدرها بأحسن جلوة . ميزانه راجح : أراد به العقل الراجح لأنه يقال :

فلان راجح الوزن أي كامل العقل .

شَمَّرَ ، فَمَا فِي الدِّينِ أَغْلُوطَةٌ ، وَرُحٌ بِمَا أَنْتَ لَهُ رَائِحٌ

صلاة خاطيء

يَا رَبِّ ، إِنْ عَظُمَتْ ذُنُوبِي كَثْرَةً ، فَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنْ عَفْوَكَ أَعْظَمُ
إِنْ كَانَ لَا يَرْجُوكَ إِلَّا مُحْسِنٌ ، فَبِمَنْ يَلُودُ وَيَسْتَجِيرُ الْمُجْرِمُ ؟
أَدْعُوكَ ، رَبِّ ، كَمَا أَمَرْتَ ، تَضَرَّعًا ، فَإِذَا رَدَدْتَ يَدَيَّ ، فَمَنْ ذَا يَرْحَمُ ؟
مَا لِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِلَّا الرَّجَا ، وَجَمِيلُ عَفْوِكَ ، ثُمَّ لَأَنْتَ مُسْلِمٌ

على سرير الموت

دَبَّ فِي السَّقَامِ سُفْلًا وَعُلُوًا ، وَأُرَانِي أُمُوتُ عُضْوًا فَعُضْوًا
لَيْسَ تَمْضِي مِنْ لَحْظَةٍ بِي ، إِلَّا نَقَصْتَنِي ، بِمَرِّهَا فِي ، جُزْوَآ
ذَهَبَتْ جِدَّتِي بِحَاجَةٍ نَفْسِي ، وَتَطَلَّبْتُ طَاعَةَ اللَّهِ نِضْوًا
لَهْفَ نَفْسِي عَلَى لَيَالٍ وَأَيَّامٍ ، تَجَاوَزْتُهُنَّ لِعِبَاءٍ وَلَهْوَا
قَدْ أَسَانَا كُلَّ الْإِسَاءَةِ ، فَالَّذِ هُمْ صَفْحَاءُ عَنَّا أَوْ غَفْرَاءُ وَعَفْوَا !

١ شمر : امض في أمرك جاداً مجتهداً .

٢ نقصتني : أي أنقصت مني . جزوا : يريد به جزءاً .

٣ الجدة : حالة الشيء الجديد ، ويريد به شبابه وصحته . نضوا : ضعيفاً مهزولاً .

ابو تمام

المدح

فتح عمورية

قال يمدح المعتصم ، ويذكر انتصاره على الروم في واقعة عمورية سنة ٨٣٧ م :

أَسِيفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنْ الْكُنُوبِ ، فِي حَدَدِ الْحَدِّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِيبِ^١
بِیْضُ الصَّفَائِحِ ، لَا سَوْدُ الصَّحَائِفِ ، فِي مُتُونِهِنَّ جَلَاءُ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ^٢
وَالْعِلْمُ فِي شُهْبِ الْأَرْمَاحِ ، لَا مِيعَةٌ ، بَيْنَ الْخَمِيسَيْنِ ، لَا فِي السَّبْعَةِ الشُّهُبِ^٣
أَيْنَ الرِّوَايَةِ ، بَلْ أَيْنَ النُّجُومِ وَمَا صَاغُوهُ مِنْ زُخْرُفٍ فِيهَا ، وَمَنْ كَذَبَ ؟
تَخَرَّصًا ، وَأَحَادِيثًا مُلَفَّقَةً ، لَيْسَتْ بِنَبْعٍ ، إِذَا عُدَّتْ ، وَلَا غَرْبٍ^٤
عَجَائِبًا ، زَعَمُوا الْأَيَّامَ مُجْفَلَةً ، عَنْهُمْ ، فِي صَفَرِ الْأَصْفَارِ ، أَوْ رَجَبٍ^٥

- ١ الكتب : أي كتب السحر والتنجيم . الحد : الفاصل .
- ٢ الصفائح : جمع الصفيحة وهي السيف المريف . الصحائف : جمع الصحيفة وهي القرطاس المكتوب .
المتون : جمع المتن ، ومتن السيف : صفحته .
- ٣ الشهب الأولى : أسنة الرماح لما فيها من البريق . الخميسين : الجيشين . الشهب الثانية : السيارات
السيح ، وهي عندهم : زحل ، والمشتري ، والمريخ ، والشمس ، والزهرة ، وعطارد ، والقمر .
- ٤ تخرصاً : كذباً . النبع : شجر صلب تصنع منه القسي . الغرب : شجر هش أي رخو لين . يقول :
أحاديث ملفقة ليس لها أصل قوي ولا ضعيف .
- ٥ مجفلة : ذاهبة منقلبة . عنهم : الضمير يعود على عجائباً . والمراد ما تحدثه عجائب النجوم من تدمير
العالم فتمضي معه الأيام . صفر ورجب : من الأشهر العربية . الأصفار : جمع صفر ، يقال صفر ←

وَخَوْفُوا النَّاسَ مِنْ دَهْيَاءِ مُظْلِمَةٍ ، إِذَا بَدَأَ الْكَوْكَبُ الْغَرْبِيُّ ذُو الذَّنَبِ
 وَصَيَّرُوا الْأَبْرُجَ الْعُلْيَا مُرْتَبَةً ، مَا كَانَ مُنْقَلِبًا ، أَوْ غَيْرَ مُنْقَلِبٍ^١
 يَقْضُونَ بِالْأَمْرِ عَنْهَا ، وَهِيَ غَافِلَةٌ ، مَا دَارَ فِي فَلَكٍ ، مِنْهَا ، وَفِي قُطْبٍ^٢
 لَوْ بَيَّنَّتْ قَطُّ أَمْرًا ، قَبْلَ مَوْقِعِهِ ، لَمْ يَخَفْ مَا حَلَّ بِالْأَوْثَانِ وَالصُّلْبِ^٣
 فَتَحُ الْفُتُوحِ ، تَعَالَى أَنْ يُحِيطَ بِهِ ، نَظْمٌ مِنَ الشَّعْرِ ، أَوْ نَثْرٌ مِنَ الْخُطْبِ^٤
 فَتُتَحَّ ، تَفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَهُ ، وَتَبْرُزُ الْأَرْضُ فِي أَثْوَابِهَا الْقَشْبِ^٥
 يَا يَوْمَ وَقْعَةِ عَمُورِيَّةَ ، انْصَرَفَتْ عَنْكَ الْمُنَى حُفْلًا ، مَعْسُولَةَ الْحَلَبِ^٦
 أَبْقَيْتَ جَدَّ بَنِي الْإِسْلَامِ فِي صُعْدٍ ، وَالْمُشْرِكِينَ وَدَارَ الشَّرِكِ فِي صَيْبٍ^٧

- الأصفار : وهو يدل على الخلو لأن الأصفار أيضاً جمع الصفر وهو الخالي . جعل المنجمون هذا الشهر ميقاتاً لتدمير العالم وخلوه من السكان ، وجعلوا رجب كذلك لأن مادته تدل على الخوف والعظمة يقال : رجب : فزع وهاب وعظم .
- ١ الأبرج : جمع البرج . وروج السماء اثنا عشر ، وهي عند المنجمين مرتبة على ثلاثة أقسام : المتقلبة وهي أربعة : الحمل والسرطان والميزان والجدي . والثابتة ، وهي أربعة : الثور والأسد والعقرب والدلو . وذوات الجسدين ، وهي أربعة أيضاً : الجوزاء والسنبلة والقوس والحوت .
- ٢ ما ، في قوله ما دار : مفعول به من يقضون . القطب : كوكب لا يبرح مكانه يدور عليه الفلك وهو بين الجدي والفرقدين .
- ٣ الصلب : جمع الصليب . يقول : لو صح أن الكواكب تبين الأمور قبل وقوعها ، لما خفي عن المنجمين مصير الروم يوم عمورية . وكان المعتصم قد استشار المنجمين قبل زحفه ، فزعموا أن الزما غير موافق للفتح ، فلم يحفل بأقوالهم ، وغزا عمورية ، وافتتحها .
- ٤ أن يحيط به : أي أن يحيط بوصفه .
- ٥ القشب : الجدد . يقول : إنه فتح من الله تعيد له الأرض والسماء .
- ٦ المنى : جمع المنية وهي الرغبة . حفلا جمع حافل ، مأخوذ من قولهم : فاقة حافل أي مجتمعة اللبن معسولة : ممزوجة بالعسل . الحلب : اللبن المحلوب . يقول : ذهبنا إلى هذه الحرب ، ونحن نت الانتصار والفتح ، فرجعنا وأمانينا حافلة بأطيب العواقب وأحلاها .
- ٧ الجد : الحظ . المشركين : الذين يجعلون لله شريكاً ويريد بهم الروم . دار الشرك : أي عمورية صيب : ما انحدر من الأرض ضد صعد .

أَمْ لَهُمْ ، لَوْ رَجَوُا أَنْ تُفْتَدَى ، جَعَلُوا
وَبَرَزَةُ الْوَجْهِ ، قَدْ أُعِيَتْ رِيَاضَتُهَا
مِنْ عَهْدِ إِسْكَندَرٍ ، أَوْ قَبْلَ ذَلِكَ ، قَدْ
بِكَرٍّ ، فَمَا افْتَرَعَتْهَا كَفُّ حَادِثَةٍ ،
حَتَّى إِذَا مَخَضَ اللَّهُ السَّيْنِ لَهَا ،
أَتَتْهُمْ الْكُرْبَةُ السُّودَاءُ سَادِرَةً ،
جَرَى لَهَا الْفَالُ نَحْسًا ، يَوْمَ أَنْقِرَةَ ،
لَمَّا رَأَتْ أُخْتَهَا بِالْأَمْسِ قَدْ خَرِبَتْ ،
كَمْ بَيْنَ حَيْطَانِهَا مِنْ فَارِسٍ بَطَلٍ ،
فِدَاءَهَا كُلِّ أُمٍّ بَرَّةٍ وَأَبٍ
كَيْسَرِي ، وَصَدَّتْ صُدُودَ عَنْ أَبِي كَرِبٍ
شَابَتْ نَوَاصِي اللَّيَالِي ، وَهِيَ لَمْ تَشِبْ
وَلَا تَرَقَّتْ إِلَيْهَا هِمَّةُ النُّوْبِ
مَخَضَ الْبَخِيلَةِ ، كَانَتْ زُبْدَةَ الْحُقُبِ
مِنْهَا ، وَكَانَ اسْمُهَا فَرَّاجَةَ الْكُرْبِ
إِذْ غُودِرَتْ وَحْشَةُ السَّاحَاتِ وَالرَّحْبِ
كَانَ الْخَرَابُ لَهَا أَعْدَى مِنَ الْجَرَبِ
قَانِي الذَّوَائِبِ مِنْ آتِي دَمٍ سَرَبٍ

١ برة : صادقة كثيرة البر . هذه رواية الديوان . ورواية الصولي في أخبار أبي تمام : كل أم منهم .
٢ البرزة : الحية . وقيل هي المرأة البارزة المحاسن التي تظهر للرجال . فعل المعنى الأول يقول : إن
عمورية كانت كالمرأة المتخففة تصد عن كل طالب وراغب . وعلى المعنى الثاني يقول : هي مع
بروزها ممتعة لا يقدر عليها ، أعجزت كسرى فارتد عنها ، وامتنعت على أبي كرب اليماني أحد
الملوك الثبابعة .

٣ وهي لم تشب : أي بقيت على جدتها ، مع تقدم زمانها ، لسلامتها من نكبات الغزو والفتح .
٤ يقول : بقيت عذراء لم تنلها يد حادثة من حوادث الدهر ، ولا سمت إليها همة النوايب .
٥ مخض اللبن : حركه ليستخرج زبدته . مخض البخيلة : أي الحريصة على لبنها لا تفرط فيه . الحقب :
الدهر .

٦ الكربة : الحزن يأخذ في النفس . سادرة : لا تبالي ما تصنع . يقول : أتتهم (أي الروم) الكربة
السوداء القاسية من عمورية عندما سقطت بيد المسلمين ، وكانوا المناعتها يسمونها فراجة الكرب .

٧ نحساً : رواية الديوان ، ورواية الصولي : برحاً . الرحب : جيع الرحبة وتسكن الهاء ، وهي من
المكان ساحته ومتسعه . غودرت : الضمير يعود إلى أنقرة . وكان المعتصم قد استولى عليها قبل
بلوغه عمورية .

٨ أختها : أي أنقرة .

٩ القاني : الأحمر . الذوائب : الشعر المنسدل من وسط الرأس إلى الظهر . الآني : الذي انتهى حره .
السرب : السائل .

بِسُنَّةِ السَّيْفِ وَالْخَطِّ^١ ، مِنْ دَمِهِ ،
لَقَدْ تَرَكْتَ ، أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، بِهَا ،
غَادَرْتَ فِيهَا بِهَيْمَ اللَّيْلِ ، وَهُوَ ضُحَى^٢
حَتَّى كَأَنَّ جَلَابِيبَ الدَّجَى رَغِبَتْ^٣
ضَوْءَ^٤ مِنَ النَّارِ ، وَالظُّلُمَاءُ عَاكِفَةٌ^٥ ،
فَالشَّمْسُ طَالَعَةٌ^٦ مِنْ ذَا ، وَقَدْ أَفْلَتَ^٧ ،
تَصْرَحَ^٨ الدَّهْرُ ، تَصْرِيحَ الْغَمَامِ^٩ ، لَهَا ،
لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ فِيهِ ، يَوْمَ ذَلِكَ ،
مَا رُبَّ مَيَّةَ^{١٠} ، مَعْمُورًا ، يُطِيفُ بِهِ^{١١}
لَا سُنَّةَ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ ، مُخْتَضِبًا^{١٢}
لِلنَّارِ يَوْمًا ذَلِيلَ الصَّخْرِ وَالْخَشَبِ^{١٣}
يَقَالُهُ^{١٤} ، وَسَطَهَا ، صُبْحٌ مِنَ اللَّهَبِ^{١٥}
عَنْ لَوْنِهَا ، أَوْ كَأَنَّ الشَّمْسَ لَمْ تَغِبْ^{١٦}
وِظْلُمَةٌ مِنْ دُخَانٍ^{١٧} ، فِي ضُحَى شَحْبٍ^{١٨}
وَالشَّمْسُ وَاجِبَةٌ^{١٩} مِنْ ذَا ، وَلَمْ تَجِبْ^{٢٠}
عَنْ يَوْمٍ هَيَّجَاءَ^{٢١} ، مِنْهَا ، طَاهِرٍ جُنُبٍ^{٢٢}
عَلَى بَانَ^{٢٣} بِأَهْلٍ ، وَلَمْ تَغْرُبْ^{٢٤} عَلَى عَرْبٍ^{٢٥}
غِيلَانُ^{٢٦} ، أَهَى رُبِّي^{٢٧} مِنْ رَبْعِهَا الْخَرْبِ^{٢٨}

- ١ الخطي : الرمح . يقول : هو مختضب من دمه بحكم السيف والرمح ، وهذه هي السنة التي أجريت عليه أحكامها لا سنة الدين الإسلامي لأنه نصراني .
- ٢ يومًا : مفعول به من تركت .
- ٣ بهيم الليل : ليل لا ضوء فيه . يقله : يحمله . هذه رواية الديوان ، ورواية أخبار أبي تمام للصولي : يشله : أي يطرده . وسطها : أي وسط عمورية .
- ٤ الجلابيب : الثياب الواسعة ، ويريد بها كثافة الظلام وشدته . رغب عن الشيء : ضد رغب فيه .
- ٥ شحب : متغير اللون . يقول : ضوء النار ظهر ليلا فصيره نهاراً ، وتحول إلى دخان في الصباح فجعله شاحب اللون . الضحى : يغلب عليها التأنيث ، وتذكر .
- ٦ طالعة من ذا : أي من ضوء النار . أفلت : غابت . واجبة : غائبة . من ذا : أي من الدخان . لم تجب : لم تغب .
- ٧ تصرح : انكشف وانجلي . تصریح الغمام : انجلاؤه وظهور الشمس . جنب : نجس . يقول : انجلي الدهر لعمورية عن يوم حرب طاهر نجس منها . ويريد بذلك أنه طاهر لما فيه من جهاد ديني ظافر ، نجس لما فيه من انتهاك الأعراض .
- ٨ بان بأهل : متزوج . يريد أنه قتل في هذا اليوم كل متزوج وعزب من الروم .
- ٩ مية : هي مي بنت مقاتل صاحبة ذي الرمة الشاعر . غيلان : اسم ذي الرمة ، وهو من محسني شعراء صدر الإسلام ، يتصور الشاعر دار مية عامرة تكتنفها بهجة والنضارة ، وغيلان يطيف بها ، يغني صاحبته بشعره ، فيزيد الديار بهجة ورواء . ثم يقول : إن ديار مي على جمالها وبهجتها وهي في مثل هذه الحال ، ليست أهى عندي من ربع عمورية الحرب . جمل منظر الخراب أجمل من منظر العمران .

ولا الخُدودُ ، وإن أدمينَ من خَجَلٍ ،
 سَماجَةٌ ، غَنِيَّتْ مِنَّا العُيونُ بها
 وحُسْنُ مُنْقَلَبٍ تَبْدُو عَوَاقِبُهُ ،
 لم يَعْلَمِ الكُفْرُ كَـمَ من أَعْصُرٍ كَمَنْتْ
 تَدْبِيرُ مُعْتَصِمٍ بِاللَّهِ ، مُنْتَقِمٍ
 ومُطْعِمٍ النَّصْلِ ، لم تَسْكُهمْ أَسِنَّتُهُ
 لم يَغْزُ جَيْشاً ، ولم يَنْهَضْ إلى بَلَدٍ ،
 لو لم يَقْدُ جَحْفَلًا يَوْمَ الوَغَى ، لَغَدَا
 رَمَى بِكَ اللهُ بُرْجِيَّهَا ، فَهَدَّامَهَا ،
 أَشْهَى إلى نَظَرِي مِن خَدَّهَا التَّرِبِ ١
 عَن كُلِّ حُسْنٍ بَدَأَ ، أَوْ مَنَظَرٍ عَجَبٍ ٢
 جَاءَتْ بِشَاشَتُهُ عَن سَوْءٍ مُنْقَلَبٍ ٣
 لَهُ المَنِيَّةُ ، بَيْنَ السُّمْرِ والقَضْبِ ٤
 اللهُ ، مُرْتَقِبٍ فِي اللهِ ، مُرْتَهَبٍ ٥
 يَوْمًا ، وَلَا حُجِبَتْ عَن رُوحٍ مُّحْتَجِبٍ ٦
 إِلَّا تَقَدَّمَ مَهْ جَيْشٌ مِّنَ الرُّعْبِ ٧
 مَن نَفْسِهِ وَحَدَّهَا فِي جَحْفَلٍ لَّجِبٍ ٨
 وَلَوْ رَمَى بِكَ غَيْرُ اللهِ ، لَمْ تُصِبْ ٩

- ١ وإن ادمين : رواها الصولي ولو ادمين . التراب : الكثير التراب . يقول : وليست الحسان ، إذا زادهـا احمرار الخجل جمالا ، أشهى إلى ناظري من أرض عمورية التي كثر فيها التراب بعد خرابها .
 ٢ الساجدة : ضد الملاحة . يقول : إن الخراب قبيح بذاته ، ولكن خراب عمورية أغنى عيوننا عن كل حسن يبدو لها ، لأن فيه يتمثل ظفر المسلمين بأعدائهم .
 ٣ المنقلب : التحول والتغير من حال إلى حال . تبدو عواقبه : رواها الصولي تبقى عواقبه .
 ٤ لم يعلم : وتروى لو يعلم . السمر والقضب : الرماح والسيوف .
 ٥ منتقم لله : أي ينتقم له من أعداء دينه ، ويريد به الإسلام . مرتقب في الله ، مرتهب : أي أنه يراقب في الله العقاب فيخشاه ويحذره . ورواية الصولي : مرتغب بدلا من مرتهب . وفي هذا البيت نوع من البديع يعرف بالتشطير ، وهو أن يجعل كل شطر سبعة مخالفة لصاحبها في الشطر الآخر .
 ٦ لم تكهم : لم تكل . محتجب : أي مدرع ممتنع بسلحه .
 ٧ لم يغز جيشاً : في رواية لم يغز قوماً . ورواها الصولي : لم يرم قوماً ولم يند إلى بلد . يقول : إن العدو إذا بلغه أن المعتصم خرج لقتاله استولى عليه الرعب قبل أن يصل إليه الخليفة .
 ٨ الجحفل : الجيش . لجب : كثير العدد ، عظيم الجلبة . وقوله : في جحفل لجب : تجريد .
 ٩ كانت أسوار عمورية قد تهدم جانب منها بين برجين ، قبل أن يهاجمها المعتصم . فبنى بطريقها ظاهره بالحجارة ، وترك الخلل في باطنه . فلما جاءها المعتصم ، خرج إليه رجل من المسلمين كان قد أسره الروم ، فتنصر وتزوج قبيهم ، فدلّه على ثلثة السور ، فسدّد إليها المجانيق ، فصدّعها ، واستولى على البرجين ، ثم على المدينة فهدمها .

مِنَ بَعْدِ مَا أَشَبَّوْهَا ، وَاثْقَيْنَ بِهَا ، وَاللَّهُ مُفْتَاخُ بَابِ الْمَعْقِلِ الْأَشْبِ^١
 وَقَالَ ذُو أَمْرِهِمْ : لَا مَرْتَعٌ صَدَدٌ^٢ لِلسَّارِحِينَ ، وَلَيْسَ الْوَرْدُ مِنْ كَثَبِ^٣
 أَمَانِيًا ، سَأَبَتْهُمْ نُجَجَ هَاجِسِيهَا ، ظُبَى السِّيُوفِ ، وَأَطْرَافُ الْقَنَا السُّلْبِ^٤
 إِنَّ الْحِمَامَيْنِ : مِنْ بَيْضٍ وَمِنْ سُمْرٍ ، دَلَوَا الْحَيَاتَيْنِ : مِنْ مَاءٍ وَمِنْ عُشْبٍ^٥
 لَبَّيْتَ صَوْتًا زَبْطَرِيًّا ، هَرَقْتَ لَهُ كَأْسَ الْكَرَى ، وَرُضَابَ الْخُرْدِ الْعُرْبِ^٦
 عِدَاكَ حَرُّ الثَّغُورِ الْمُسْتَضَامَةِ عَنْ بَرْدِ الثَّغُورِ ، وَعَنْ سَكْسَالِيهَا الْحَصْبِ^٧
 أَجَبْتَهُ مُعَلِنًا بِالسَّيْفِ ، مُنْصَلِتًا ، وَلَوْ أَجَبْتَ بَغَيْرِ السَّيْفِ ، لَمْ تُجِيبِ^٨

- ١ أشبوها : حصنوها . المعقل : الحصن . الأشب : الحصين . أخذ عليه تشبيه الله بالمفتاح .
- ٢ ذو أمرهم : صاحب أمرهم ، رئيسهم ، والضمير يعود على الروم . المرتع : الموضع المخصب . صدد : قريب . السارحين : أي للمسلمين الذين سرحوا مطاياهم لترعى . وليس الورد من كَثَب : أي ليس الماء قريباً منهم .
- ٣ أمانياً : منصوبة على المصدرية . الهاجس : الذي يحدث نفسه بما يخطر ويوسوس لها والمراد به ذو أمرهم . والضمير في هاجسها يعود إلى الأمانى . ظبى السيوف : شفارها . القنا : الرماح . السلب : الطويلة .
- ٤ يقول : إن موت الأعداء بالسيوف وموتهم بالرماح كانا كدلوين يستقيان لنا حياة الماء وحياة العشب ، أي أن سيوفنا ورماحنا كذببت أمانى رئيس الروم ، فحملت لهم الموت ، وحملت لنا الحياة إذ قربتنا من الماء والعشب .
- ٥ زبطرياً : نسبة إلى زبطرة ، وهي بلدة في تركيا أسيا بين ملطية وسميساط . وكان ملك الروم قد خرج إليها قبل واقعة عمورية ، فاستباحها قتلاً وسبياً . وقوله صوتاً زبطرياً : إشارة إلى ما روي من أن هاشمية سبيت ، فصاحت وهي في أيدي الروم : « وا معصماه ! » . الرضاب : الريق . الخرد : جمع الخريدة وهي المرأة الطويلة ، السكوت الخفرة ، والبكر . العرب : جمع العروب وهي المرأة المتحبة لزوجها . والمعنى : أنه منع نفسه راحة النوم وفارق نساءه تلبية لذلك الصوت .
- ٦ عداك عنه : صرفك عنه . الثغور : المواضع التي يخاف منها هجوم العدو . المستضامة : التي أصابها ضيم ، ويريد بها زبطرة وغيرها من الأماكن التي أوقع بها قيصر الروم . وقوله : حر الثغور : قد يراد به الحر جمعناه ، وقد يراد به حر نار الحرب . الثغور الثانية : المباسم ، أي ثغور نساءه اللواتي صرفته الحرب عنهن ، وتستحسن البرودة في الثغر . السلسال : العذب البارد ، استعاره للريق . الحصب : المكان الكثير الحصى ، والمراد هنا الأسنان البيض في ثغور النساء .
- ٧ أجبته : الضمير يعود إلى صوتاً زبطرياً . منصلتاً : مجرداً . وقوله : لم تجب ، أي لم يكن ذلك منك جواباً للصوت الصارخ .

حَتَّى تَرَكَتْ عَمُودَ الشَّرْكِ مُنْقَعِرًا ، وَلَمْ تُعَرَّجْ عَلَى الْأَوْتَادِ وَالطُّنُبِ^١ ،
 لَمَّا رَأَى الْحَرْبَ رَأْيَ الْعَيْنِ تَوَفَّلِسَ^٢ ، وَالْحَرْبُ مُشْتَقَّةُ الْمَعْنَى مِنَ الْحَرْبِ^٣ ،
 غَدَا يُصَرِّفُ بِالْأَمْوَالِ خَزَائِنَهَا ، فَعَزَّهُ الْبَحْرُ ذُو التِّيَّارِ وَالْعُيُوبِ^٤ ،
 عَنْ غَزْوِ مُحْتَسِبٍ ، لَا غَزْوِ مُكْتَسِبٍ^٥ ، عَلَى الْحَصَى ، وَبِهِ فَقَرَّ إِلَى الذَّهَبِ^٦ ،
 لَمْ يُنْفِقِ الذَّهَبَ الْمُرَبِّي بِكَثْرَتِهِ ، يَوْمَ الْكَرِيهَةِ فِي الْمَسْلُوبِ لَا السَّلْبِ^٧ ،
 إِنَّ الْأُسُودَ أُسُودَ الْغَابِ ، هِمَّتُهَا ، وَلَى ، وَقَدْ أَلْجَمَ الْخَطِيئُ مَنَظِمَتَهُ^٨ ،
 أَحْسَى قَرَايِنَهُ صَرَفَ الرَّدَى ، وَمَضَى ، يَسْخَرُ قَرَايِنَهُ صَرَفَ الرَّدَى ، وَمَضَى ،
 مُوَكَّلًا بِسِتْمَاعِ الْأَرْضِ ، يُشْرِفُهُ^٩ ، مِنْ خِفَّةِ الْخَوْفِ ، لَا مِنْ خِفَّةِ الطَّرَبِ^٩

- ١ عمود الشرك : أي عمورية . منقعرًا : مقطوعاً من أصله . الطنب : حبال طويلة تشد بها الخيمة ، وأراد بالأوتاد والطنب بقية المدن والقرى في الأنضول . يقول : إن المعتصم اكتفى بعمورية فلم ينز بقية المدن والقرى لأنه متى سقط عمود الخيمة فلا قيمة بعده للجبال والأوتاد .
- ٢ توفلس : تيوفيل بن ميخائيل قيصر الروم . الحرب : ذهاب المال والحرمان منه .
- ٣ يصرف : يدفع . خزيتها : ذلها وبليتها . عزه : غلبه وقهره . التيار : موج البحر الهائج . العيب : المياه المتدفقة . يقول : لما رأى ملك الروم حصار عمورية حاول أن يدفع بلية الحرب وعار الانكسار بالمال ، وهو يعلم أن المال ذاهب : « الحرب مشتقة المعنى من الحرب » . فراسل المعتصم يطلب الصلح ويعرض عليه مالا ليرتد عنه ، فأبى المعتصم وسما عليه وغلبه بما عنده من مال وفر يبذله ولا يسأل عنه ، وهو البحر الفياض بجوده وكثرة أمواله .
- ٤ هيهات : أي هيهات أن يقبل المال . الوقور : الرزينة التي لا تزعزع . به : الضمير راجع إلى المعتصم . المحتسب : طالب الأجر عند الله .
- ٥ المرابي : الزائد .
- ٦ همتها : مقصدها . الكريهة : الحرب . يقول : إن الفارس الشجاع يقصد في الحرب إلى خطف الأرواح لا إلى سلب المال . وهذا مثل أرسله الشاعر .
- ٧ يقول : هرب توفلس ساكتاً كأن رمح المعتصم وضع لجاماً في فيه ، فلا يستطيع الكلام . ولكن قلبه كان في وجيب واضطراب من شدة الرعب .
- ٨ أحسى : سقى . قرايينه : خواصه وقواده . يحث : يسوق . أنجى : أسرع .
- ٩ اليفاع : ما ارتفع من الأرض . يشرفه : يعلوه .

إنْ يَعدُّ من حرَّها عدوَّ الظَّليمِ ، فقد
 تَسعونَ ألفاً ، كآسادِ الشَّرى ، نَضِجتْ
 يا رَبَّ حوْباءَ ، لما اجْتُثَّ دابرُهُمْ ،
 ومُغْضِبِ ، رَجَعَتْ بِيضُ السَّيُوفِ به
 والحَرْبُ قائِمةٌ في مَأْزِقٍ لَجبِ ،
 كم نِيلَ تَحْتَ سَنَاهَا ، من سِنَى قَمَرٍ ،
 كم كانَ في قَطرِ أسبابِ الرِّقابِ بها ،
 كم أحرَزَتْ قُضْبُ الهِنْدِيِّ ، مُصْلَحةً ،
 أوسَعَتْ جاحِمَها من كَثَرَةِ الحَظْبِ^١
 جُلودُهُمْ ، قبلَ نَضِجِ التَّينِ والعَنَبِ^٢
 طابَتْ ، ولو ضُمَّخَتْ بالمِسْكِ ، لم تَطِيبِ^٣
 حَيَّ الرِّضَى عن رَدَاهم ، مَيَّتَ الغَضَبِ
 تَجشَّوُ الرِّجالُ بهِ ، صِعْراً ، على الرُّكَبِ^٤
 ونَحَتْ عارِضِها ، من عارِضِ شَنِيبِ^٥
 إلى المُخَدَّرَةِ العَذراءِ مِن سَبَبِ^٦
 تَهتَزُّ مِن قُضْبِ ، تَهتَزُّ في كُشْبِ^٧

١ حرها : الضمير يعود على الحرب . الظليم : ذكر النعام . أوسعت : ملأت وأشبع . جاحمها :
 وقودها وشدة اشتعالها . يقول للمعتصم : إن هرب توفلس لم يخمد نار الحرب لأنك أحرقت المدينة ،
 فزدت نارها اشتعالا .

٢ الشرى : مأسدة ، يضرب المثل بشدة أسودها . يشير إلى كذب المنجمين الذين زعموا أن المدينة لا
 تؤخذ إلا في الصيف بعد نضج التين والعنب .

٣ الحوباء : النفس ، أو النفس الآثمة ، ويريد بها نفساً من نفوس المسلمين المحاربين . اجث :
 اقتلع من أصله . دابرهم : آخرهم ، والضمير عائد إلى الأعداء . طابت : طهرت وزكت ، والتذت .
 ٤ المأزق : المكان الضيق . اللجب : ذو الحلبة . صِعراً : جمع أصعر وهو الذي يميل وجهه كبراً
 وغطرسه . يقول : كانت الحرب قائمة في مضيق يصعب فيه الانتقال والكر ، فكان المتقاتلون على
 كبرياتهم وغطرسهم ، يبحثون على ركبهم ليتجالدوا بالسيف .

٥ سناها : ضيائها ، والضمير يعود على الحرب . وأراد بالسنى : ضياء نار الحريق . سنى قمر :
 أي ضياء وجه كالقمر ، ويريد به وجه السبية الرومية . عارضها : سحابها المعترض في الأفق ،
 ويريد به دخان نار الحريق . العارض الثانية : السن التي في عرض الفم ، وما يبدو من الوجه عند
 الضحك . الشنب : البارد ، والمراد : أسنان ياردة الريق . والوصف هنا للسبايا أيضاً .

٦ أسباب الرقاب : حبالها ، أي عروقه . بها : الضمير يعود على الحرب . من سبب : أي من وسيلة
 يتوصل بها إلى العذراء ، ويريد بها السبية .

٧ القضب : جمع القضيب وهو السيف اللطيف والقطاع . مصلته : مسلوله . تهتز : أي مهتزة ،
 والمراد : سببات تهتز من قدود كالقضب أي كالأغصان . الكشب : جمع الكشيب ، وهو التل من
 الرمل . يريد أن هذه القدود قائمة على أوراك ثقيلة ، فهي كالأغصان في كشبان من الرمل .

بَيْضٌ^١، إِذَا انْتَضَيْتْ مِنْ حُجْبِهَا، رَجَعْتُ
 خَلِيفَةَ اللَّهِ، جَازَى اللَّهُ سَعْيَكَ عَنَّا
 بَصُرْتُ بِالرَّاحَةِ الْكُبْرَى، فَلَمْ تَرَهَا
 إِنْ كَانَ بَيْنَ صُرُوفِ الدَّهْرِ مِنْ رَحِيمٍ،
 فَبَيْنَ أَيَّامِكَ اللَّاتِي نَصِرْتَ بِهَا،
 أَبَقْتُ بَنِي الْأَصْفَرِ الْمُصْفَرَّ، كَاسْمِهِمْ
 أَحَقَّ بِالْبَيْضِ أَبْدَانًا، مِنْ الْحُجْبِ^٢
 جُرْثُومَةَ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ، وَالْحَسْبِ^٣
 تُنَالُ إِلَّا عَلَى جِسْرِ مِنْ التَّعَبِ^٤
 مَوْصُولَةٍ، أَوْ ذِمَامٍ غَيْرِ مُنْقَضِبٍ^٥
 وَبَيْنَ أَيَّامٍ بِدَرٍ أَقْرَبُ النَّسَبِ^٦
 صُفْرَ الْوُجُوهِ، وَجَلَّتْ أَرْجُهُ الْعَرَبِ^٧

- ١ بيض : سيوف . انتضيت : جردت . من حجبها : من أغمادها . بالبيض أبداناً : أي بالسبيات البيض الأبدان . الحجب : ستور النساء .
 ٢ سعيك : عملك ودفاعك . الجرثومة : الأصل . الحسب : الشرف .
 ٣ الراحة الكبرى : أي راحة الآخرة ونعيم الجنة . جسر من التعب : إشارة إلى الصراط ، وهو عند المسلمين جسر ممدود على متن جهنم ، يعبر عليه الناجون إلى الجنة بتعب وجهد ، وهو يرمز إلى أن الجنة لا تنال بدون تعب ومشقة .
 ٤ صرُوف الدهر : ورواها الصولي : مرور الدهر . من رحم : أي من صلة وقرابة . الذمام : العهد . منقضب : منقطع .
 ٥ يجعل بين غزوة عمورية وغزوة بدر التي انتصر فيها النبي على القرشيين ، صلة من النسب المقدس ، على اعتبار أن قريشاً والروم كليهما من المشركين .
 ٦ أبقت : الضمير يعود إلى أيامك . الأصفر : جد ملوك الروم ويسميه العرب الأصفر بن روم بن يعصو بن إسحق ، كما ذكر القاموس . المصفر : الذي به صفرة والمراد بها شقرة الشعر ولونه الذهبي . والظاهر أن العرب أطلقوا على الروم هذا الاسم نظراً للون شعورهم ، وهم يستنكرون الشقرة ويعيرون بها بعضهم بعضاً ، ولا يمدحون غير الشعر الأسود . صفر الوجوه : أي صفر الوجوه مثل اسمهم ، من الرعب والانكسار . جلت : من فعل جلى الشيء : أظهره وجعله يتجلى .

احراق الافشين

من قصيدة يمدح بها المعتصم ويصف إحراق قائده حيدر بن كاوس المعروف بالافشين ، سنة ٨٣٩ م بعد أن ظهرت خيافته وزندقته . وكان المعتصم قد سجنه وقطع عنه الطعام والشراب حتى مات . ثم صلبت جثته على باب العامة ، وأضرمت تحتها نار عالية ، فتساقطت قطعاً قطعاً :

ما زال سرُّ الكُفْرِ بينَ ضُلُوعِهِ ، حتى اصْطَلَى سرُّ الزَّنادِ الواري^١
ناراً ، يُساوِرُ جسمَه ، من حرِّها ، لَهَبٌ ، كما عَصَفَرَتْ شِقْ لُزَارِ^٢
طارَتْ لها شُعْلٌ ، يُهْدِمُ لَفْحُهَا أركانَه ، هَدَمًا ، بغيرِ غُبَارِ^٣
فصلنَ منه كُلَّ مَجْمَعٍ مَفْصِلٍ ، وفعلنَ فاقِرَةً بِكُلِّ فَقَارِ^٤
للهِ مِن نَارٍ رَأَيْتُ ضِيَاءَها ! ضاقَ الفَضَاءُ بها على النُّظَارِ !
مَشْبُوبَةٌ ، رُفِعَتْ لِأَعْظَمِ مُشْرِكٍ ، ما كانَ يَرْفَعُ ضَوْءَها لِلسَّارِ^٥
صَلَّتْ لها حَيًّا ، وكانَ وَقُودَها مَيِّتًا ، وَيَدْخُلُها مَعَ الْفُجَّارِ^٦

١ اصطلى : لقي النار . الزناد : جمع الزند : العود الذي يقدح به النار . وقوله : سر الزناد ، أي النار الكامنة في العود . الموارى : المشتعل ، وهو نعت سر .

٢ ناراً : بدل أو عطف بيان من سر الثانية . يساور : يواكب . عصفت : صبت بالعصفر ، وهو نبت صبغه أصفر . شق لزار : رواية الصولي : نصف لزار . والمعنى أن لهب النار كان يشب إلى الخشب المصلوب عليه الافشين فيوقده طولاً ، فشبه اشتعال الجانب الذي استند إليه الجسم بإزار عصفت أحد شقيه طولاً .

٣ لفحها : إحراقها . يقول : كانت شعل النار تحرق جوانب جسمه ، فيتساقط قطعاً محترقة دون أن يثير تدميرها غباراً .

٤ فصلن : رواية الصولي : ففصلن . والضمير يعود إلى الشعل . الفاقرة : الداهية التي تكسر الفقار . الفقار : خرزات الظهر ، مفردا الفقرة والفقارة . قال أبو بكر الصولي : « إنما قال : وفعلن ، فخص هذه اللفظة لقول الله عز وجل : « تظن أن يفعل بها فاقرة » ولقول الناس : فعل به الفواقر ، أي الدواهي » .

٥ مشبوبة : موقدة . المشرك : من يجعل لله شريكاً . الساري : السائر ليلاً . يقول : هذه النار أوقدت عالية اللهب لأعظم مشرك كان يرفع ضوؤها لعبدها ، ولا يرفعه للطارقين ليلاً كما يفعل العرب الأجواد في باديتهم .

٦ هذا نوع من البديع المعنوي يسمى الاستخدام ، فقد استخدم ضمائر النار لثلاثة معان : نار المجوس ، ونار الإحراق ، ونار جهنم .

وَكَذَلِكَ أَهْلُ النَّارِ فِي الدُّنْيَا هُمْ ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، جُلُّ أَهْلِ النَّارِ
يا مَشْهَدًا ، صَدَرَتْ ، بِفَرَحِهِ إِلَى
رَمَقُوا أَعَالِيَ جِدْعِهِ ، فَكَأَنَّمَا
وَاسْتَنَشَقُوا مِنْهُ قُتَارًا ، نَشْرُهُ
وَتَحَدَّثُوا عَنْ هُلْكِهِ ، كَحَدِيثٍ مِنْ
وَتَبَاشَرُوا ، كَتَبَاشِرِ الْحَرَمَيْنِ ، فِي
يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، جُلُّ أَهْلِ النَّارِ
أَمْصَارِهَا الْقُصُوصُ ، بَنُو الْأَمْصَارِ
وَجَدُوا الْهَيْلَالَ ، عَشِيَّةَ الْإِفْطَارِ
مِنْ عَنَبَرٍ ذَفِيرٍ ، وَمِسْكٍ دَارِي
بِالْبَدْوِ عَنْ مُتَتَابِعِ الْأَمْطَارِ
قُحْمِ السَّنِينَ ، بِأَرْخَصِ الْأَسْعَارِ

مدح ابن الزيات

قال من قصيدة يمدح بها الكاتب الأديب محمد بن عبد الملك الزيات ، وزير المعتصم ، ويصف قلبه :

لَكَ الْخَلَوَاتُ اللَّائِي ، لَوْلَا نَجِيَّتُهَا ، لَمَّا احْتَفَلْتَ ، لِلْمُلْكِ ، تِلْكَ الْمَحَافِلُ
لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بِشَبَابِهِ تُصَابُ ، مِنَ الْأَمْرِ ، الْكُلِّي وَالْمَقَاصِلُ

- ١ أهل النار الأولى : المجوس أصحاب النار وعبادها . جل : أكثر . أهل النار الثانية : سكان جهنم .
- ٢ صدرت : رجعت . أمصارها : بلدانها . والضمير يعود إلى متأخر وهو بنو . القصوى : البعيدة .
- ٣ رمقوا : أطلوا النظر . الجذع : الخشب الذي صلب عليه . يقول : كانوا يطيلون النظر إلى أعالي جذعه المحترق ، مبهجين ، كأنهم رأوا الهلال عشيّة حيث يفطرون بعد صيام يومهم ، فبشرهم الهلال بالعيد ، وانقضاء رمضان .
- ٤ القطار : رائحة اللحم المشوي . نشره : فوحه . ذفر : طيب الرائحة . داري : نسبة إلى دارين ، بلدة بالشام معروفة بمطرها .
- ٥ البدو : البادية . والمعنى : أن فرحهم بموته كفرح أهل البادية بالأمطار المتتابعة .
- ٦ تباشروا : بشر بعضهم بعضاً . الحرمين : مكة والمدينة ، وفيهما تجارة وصناعة وزراعة . القمح : جمع القحمة ، وهي السنة الشديدة والقحط .
- ٧ لك الخلوات : هذه رواية الديوان ، ورواية البديعي في هبة الأيام : له الخلوات . وموضع هذا البيت بعد قوله : لك القلم الأعلى . نجيباً : حديثها السري . احتفلت : أحسنت القيام بالأمور . المحافل : المجالس ، واحدها : محفل . يقول : إن أعمال الدولة التي تحفظ أسرارها في خلواتك هي التي يقوم بها نظام الملك .
- ٨ شبابه : حده أي رأس القلم . شبه حد قلبه بحد السيف ، وجعله يفتك بالأمر المضل فيفصله ويدلّ صعبه ، وينال منه ما لا ينال الحسام .

لُعَابُ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ لُعَابُهُ ، وَأَرِيُّ الْجَنَى اشْتَارَتُهُ أَيْدِي عَوَاسِلٍ^١
لَهُ رِيْقَةٌ طَلٌّ ، وَلَكِنْ وَقَعَتْهَا بِأَثَارِهِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَابِلٌ^٢
فَصِيحٌ إِذَا اسْتَنْطَقَتْهُ ، وَهُوَ رَاكِبٌ ، وَأَعْجَمٌ إِنْ خَاطَبَتْهُ ، وَهُوَ رَاجِلٌ^٣
إِذَا مَا امْتَطَى الْخُمْسَ اللَّطَافَ ، وَأَفْرِغَتْ عَلَيْهِ شِعَابُ الْفِكْرِ ، وَهِيَ حَوَافِلُ^٤
أَطَاعَتِهِ أَطْرَافُ الْقَنَا ، وَتَقَوَّضَتْ لِنَجْوَاهُ ، تَقْوِيضُ الْخِيَامِ ، الْجَحَافِلُ^٥
إِذَا اسْتَعَزَّ الذَّهْنَ الذِّكْيَ ، وَأَقْبَلَتْ أَعَالِيهِ ، فِي الْقِرطَاسِ ، وَهِيَ أَسَافِلُ^٦
وَقَدْ رَفَدَتْهُ الْخِنْصِرَانِ ، وَسَدَدَتْ ثَلَاثَ نَوَاحِيهِ الثَّلَاثُ الْأَنَامِلُ^٧
رَأَيْتَ جَلِيلًا شَأْنُهُ ، وَهُوَ مُرْهَفٌ ضَنَى ، وَسَمِينًا خَطْبُهُ ، وَهُوَ نَاحِلُ^٨

١ لعاب الأفاعي : سمها . لعابه : ريقه أي مداده . الأري : العسل . الجنى : كل ما ينجى أي يقطف . اشتارته : جثته . العواسل : جمع عاسلة وهي التي تجني العسل . يقول : إن مداد قلمه في تهديد الأعداء قاتل كسم الأفاعي ، وفي التلطف للإخوان كالعسل . وقوله : أري الجنى ، على إضافة الموصوف إلى الصفة . ويصح أن يكون الجنى بمعنى العسل ، وتكون الإضافة للتخصيص ، لأن الأري يأتي أيضاً بمعنى ما لزق بأسفل القدر من الطبخ .

٢ الطل : الندى أو المطر الخفيف ، وهو هنا صفة لريقة . يقول : إن ما يجري من ريق هذا القلم على القرطاس تافه يحكي الندى في قلته ، ولكنه يشبه المطر الغزير ببقوته ، إذا نظرت إلى خيره ، ووقع آثاره في الشرق والغرب .

٣ راكب : أي راكب على أصابع الكاتب . أعجم : ضد فصيح . راجل : ضد راكب .

٤ الخمس اللطاف : أي أنامل الوزير . شعاب : جمع شعب وهو مسيل الماء ، استعارها للمجاري الفكر . الحوافل : جمع حافلة وهي الشعبة كثر سيلها .

٥ القنا : الرماح . تقوضت : تهدمت . لنجواه : لحديثه السري . الجحافل : الجيوش . يقول : إن قلم الوزير يفعل في الحروب أكثر مما تفعل الرماح ، فإن الجيوش الحرارة تحترق له ذليلة ، كما تحترق الخيام إذا تقوضت . يظهر تأثير رسائله التي يبعث بها إلى الأعداء يدعوهم إلى الطاعة والاستسلام .

٦ استعزر : استعان . يقول : إذا استعان هذا القلم بذهن الوزير ، فأمسكه الوزير ليكتب به ، وجعل رأسه على القرطاس منحدرًا إلى أسفل .

٧ رفدته : أعانته . الخنصران : مثنى الخنصر ، وهي الأصبع الصغرى من الكف . وقوله : الخنصران ، على التثنية والمراد منهما الخنصر والخنصر التي تليها . سددت : وجهت . ثلاث نواحيه : أي زواياه الثلاث . الثلاث الأنامل : أي الوسطى والسبابة والإبهام ، وهي التي يسد بها القلم للكتابة ، وتسدها الخنصر والخنصر .

٨ مرهف : محدد مرقق ، أي مبري . ضنى : مرضاً . خطبه : أمره . ناحل : هزيل . يقول : إن الوزير إذا سد قلمه للكتابة ، رأيت من هذا القلم الذي رقت شفرتاه ، شأنًا جليلاً ، وأمرًا عظيمًا على ما فيه من سقام ونحول .

الرثاء

مصرع محمد بن حميد الطوسي

قال يرثي نسيبه محمد بن حميد الطوسي الطائي الذي قتل في خلافة المأمون وهو يحارب الحرمية سنة ٨٢٩م:

كذا فليَجِلَّ الخَطْبُ ، وليَفدَحِ الأمرُ ،
فليسَ لَعَيْنٍ ، لم يَفِضْ ماؤُها ، عُدْرُ^١
تُوفِيتِ الآمالُ ، بَعْدَ مُحَمَّدٍ ،
وأصْبَحَ في شُغْلٍ عَنِ السَّفَرِ السَّفَرُ^٢
وما كانَ إلَّا مالَ مَنْ قَتَلَ مالُهُ ،
وذُخْرًا لِمَنْ أَمْسَى ، وليسَ لَهُ ذُخْرُ^٣
وما كانَ يَدْرِي مُجْتَدِي جودِ كَفِّهِ ،
إذا ما اسْتَهَلَّتْ ، أَنَّهُ خُلِقَ العُسْرُ^٤
ألا في سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ عَطَلَتْ لَهُ^٥
فِجَاجُ سَبِيلِ اللَّهِ ، وانْثَغَرَ الثَّغَرُ^٦
فَتَى ، كُلَّمَا فاضَتْ عُيُونُ قَبِيلَةٍ^٧
دَمًا ، ضَحِيكَتْ عَنْهُ الْأَحَادِيثُ وَالذِّكْرُ^٨
فَتَى ، دَهْرُهُ شَطْرَانِ فِيمَا يَنْوِبُهُ^٩
فَفِي بَأْسِهِ شَطْرُ ، وفي جودِهِ شَطْرُ^{١٠}

١ فليجل : فليعظم . وليفدح : وليثقل . أخذ عليه قوله : كذا فليجل . . . لأن في هذا الطلب تمنياً ، فكأنه يتمنى حلول الخطوب الفادحة ليصبح بكاء العيون على الميت .

٢ السفر : المسافرين . يقول : ذهبت آمال الناس ، بعد وفاته ، وأصبح الذين كانوا يقصدونه لنيل عطاياهم في شغل عن الأسفار ، لأنه لم يبق بعده من يرجي نواله فيرحل إليه العفاة .

٣ المجتدي : طالب العطاء . وفي رواية : من بلا : أي خبر . جود : رواية البديعي : يسر . استهلت : مطرت أي مطرت جوداً ، والضمير عائد إلى كفه .

٤ الفجاج : جمع الفج : الطريق الواسع الواضح بين جيلين ، والمراد بذلك طريق الجهاد الديني . انثغر : انشق واتسع . الثغر : موضع الخوف من الأعداء على حدود البلاد . والمعنى : أن الميت كان يحمي الثغر ، فيضيق على الأعداء طريق اجتياز الحدود ، فانشق المضيق واتسع بعد وفاته ، وهان على الأعداء دخول البلاد .

٥ يقول : لئن بكت عليه القبائل دماً ، فمآثره الطيبة ، يتهلل لها وجه أخباره وذكرياته ، نيابة عنه .

٦ ينوبه : يصيبه من الأحداث . بأسه : شجاعته . يقول : إن حياته على شطرين من الأحداث : لقاء الأعداء ، ولقاء المجتدين ، فهو أبداً معرض لحرب أو لبذل مال .

فتى ، مات بين الضرب والطعن ميتة
وما مات ، حتى مات مضرِبُ سيفه ،
وقد كان قوت الموت سهلاً ، فردة
ونفس تعاف العار ، حتى كأنما
فأثبتت في مستنقع الموت رجله ،
غدا غدوة ، والحمد نسج ردائه ،
تردّى ثياب الموت حمراً ، فما دجا
كأن بني نبهان ، يوم وفاته .

تقوم مقام النصر ، إن فاته النصر
من الضرب ، واعتلت ، عليه ، القنا السمر
إليه الحفاظ المر ، والخلق الوعر
هو الكفر ، يوم الروع ، أو دونه الكفر
وقال لها : من تحت أحمصك الحشر
فلم ينصرف ، إلا وأكفانه الأجر
لها الليل ، إلا وهي ، من سندس ، خضر
نجوم سماء ، خر من بينها البدر

١ مضرب السيف : حده . ومات مضربه : أي تثلّم وكل . اعتلت : مرضت . القنا : الرماح . السمر :
الصلاب . والمعنى : أنه لم يمّت إلا بعد أن تعطل سيفه ، وتكسرت رماح الأعداء على هذا السيف .
٢ الحفاظ : المحافظة على الأعراض والمحارم . وقوله : المر ، أي الشديد . الخلق : الطبع . الوعر :
الصعب . يقول : لو أراد النجاة لسهل عليه ذلك ، ولكن رده إلى الموت محافظته الشديدة على شرفه
ودينه ، وطبعه الصعب الذي لا يلين للهرب .

٣ تماف : تكره . الروع : الخوف ، أي خوف الحرب .
٤ الأحمص : ما لا يصيب الأرض من باطن القدم . الحشر : القيامة . يقول : أثبت رجله في ساحة
القتال ، وقال لها : مكانك ، لا تبرحي من هنا إلى يوم الحشر .
٥ الحمد نسج ردائه : أي تحمده الناس لمسيره إلى قتال الكفار . رواية الصولي : حشو ردائه . قوله :
وأكفانه الأجر : لأنه مات شهيداً في الجهاد .

٦ تردى : لبس . دجا : أظلم . السندس : نسج رقيق . يقول : تلطخت ثيابه بالدم عند موته ، ولم
ينقص يوم قتله ويدخل في الليل إلا وقد صارت ثيابه خضراً ، وهي ثياب أهل الجنة . وأخذ عليه في
هذا البيت قوله : فما دجا لها الليل . . . لأنه جعل دخول الجنة مقيداً بمجيء الليل ، وترك روحه في
النهار معلقة بين الأرض والسماء . قال صاحب معاهد التنصيص : (لو قال أبو تمام : « فما اختفى عن
العين ، إلا وهي ، الخ . . . » لكان أبلغ في القصد) وعندي أن هذا التصحيح غير بليغ أيضاً ، لأن
تبدل أحوال الميت إلى خير أو شر ، لا يناط بدفته وتغييبه عن العيون . وفي هذا البيت نوع من الطباق
يسمى التدييح ، وهو أن تذكر عدة ألوان لقصد الكناية أو التورية . فإنه ذكر هنا لون الحمرة
والخضرة ، والمراد من الأول : الكناية عن القتل ، ومن الثاني : الكناية عن دخول الجنة .

٧ بنو نبهان : قوم الميت ، بطن من طي . خر : سقط . عيب هذا البيت على الشاعر ، فقال خصومه : إن
النجوم تكون أكثر نوراً وأحسن حالاً ، إذا غاب عنها البدر . فبنو نبهان إذ لم يخسروا بفقد الميت ←

يُعَزَّوْنَ عَنْ ثَاوٍ ، تُعَزَّى بِهِ الْعُلَى ، وَيَبْكِي عَلَيْهِ الْبَاسُ وَالْجُودُ وَالشَّعْرُ^١
وَأَنْتَى لَهُمْ صَبْرٌ عَلَيْهِ ، وَقَدْ مَضَى إِلَى الْمَوْتِ ، حَتَّى اسْتَشْهَدَا : هُوَ وَالصَّبْرُ^٢
فَتَى ، كَانَ عَذَابُ الرُّوحِ ، لَا مِنْ غَضَاظَةٍ ، وَلَكِنَّ كِبَرًا أَنْ يُقَالَ بِهِ كِبَرُ^٣
فَتَى ، سَلَبَتْهُ الْحَيْلُ ، وَهُوَ حِمَى لَهَا ، وَبَزَّتْهُ نَارُ الْحَرْبِ ، وَهُوَ لَهَا جَمْرُ^٤
وَقَدْ كَانَتْ الْبَيْضُ الْمَآثِيرُ ، فِي الْوَعَى ، بَوَاتِرَ ، فَهِيَ الْآنَ ، مِنْ بَعْدِهِ ، بُشْرُ^٥
أَمِنْ بَعْدِ طَيِّ الْحَادِثَاتِ مُحَمَّدًا ، يَكُونُ لِأَثْوَابِ النَّدَى ، أَبَدًا ، نَشْرُ^٦
إِذَا شَجَرَاتُ الْعُرْفِ جُدَّتْ أَصُولُهَا ، فَفِي أَيِّ فَرَعٍ يَوْجَدُ الْوَرَقُ النَّضْرُ^٧
لَكِنَّ أَبْغَضَ الدَّهْرِ الْخَوَوْنَ لِفَقْدِهِ ، لَعَهْدِي بِهِ مِمَّنْ يُحَبِّبَ لَهُ الدَّهْرُ^٨
لَكِنَّ غَدَرَتْ ، فِي الرَّوْعِ ، أَيَّامُهُ بِهِ ، فَمَا زَالَتْ الْآيَامُ شِيمَتُهَا الْغَدَرُ^٩

بل ربحوا . وعندي أن في هذا النقد تعنتاً غير مقبول ، فالشاعر يريد أن يشبه الميت بالبدر ، وقومه
بالنجوم ، والبدر بين النجوم زينة السماء ، فإذا غاب خسرت السماء درتها الوسطى ، وإن ازداد نورها
بهام ولعاناً . فظهور الضعيف في غياب القوي ، لا يعني أن هذا الضعيف تحسنت أحواله عن ذي قبل ،
بل خلا له الجو فظهر ، ولكن لا عوض في ظهوره من الرزء بالقوي .

١ ثاو : ميت .

٢ استشهد : قتل في سبيل الله . المعنى : أن الصبر قتل معه فكيف لبني نهبان أن يتمزوا . وقوله : استشهدا :
هو والصبر ، جائز على اعتبار أن الضمير فسر بالظاهر فكان الظاهر بدلا منه أو عطف بيان . وعلى كل
فإن هذا التجوز لا يتخذ قياساً .

٣ غضاظة : مذلة . كبراً : تجبراً . يقول : كان لطيفاً من غير ضعف ومذلة ، فهو قوي عزيز من دون
تكبر ، ومن المكابرة أن يقال : به كبرياء .

٤ سلبته : اختلسته . بزته : أخذته وغلبته بجفاء وقهر .

٥ البيض : السيوف . المآثر : جمع مآثور ، وهو السيف في منته أثر . والآثر : جوهر السيف . بواتر :
قواطع . بتر : مقطوعة ، واحدها أبتير .

٦ الندى : الجود .

٧ العرف : المعروف . جذت : قطعت . النضر : الحسن والأخضر .

٨ يقول : لئن أبغضنا الدهر بعد وفاته ، لقد كنا نحب هذا الدهر في حياته لجوده وحسن أعماله .

٩ الروع : الحرب .

لَتَيْنِ أَلْبِسَتْ فِيهِ الْمُصِيبَةَ طَيًّا ،
كَذَلِكَ مَا نَفَقْتُ نَفَقِدُ هَالِكًا ،
سَقَى الْغَيْثُ غَيْثًا وَارَتْ الْأَرْضُ شَخْصَةً ؛
وَكَيْفَ احْتِمَالِي لِلْغَيْوُثِ صَنِيعَةً ،
مَضَى طَاهِرَ الْأَثْوَابِ ، لَمْ تَبْقَ رَوْضَةً ،
ثَوَى فِي الثَّرَى مَنْ كَانَ يَحْيَا بِهِ الثَّرَى ،
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ ، وَقَفًّا ، فَإِنِّي
فَمَا عَرِيَتْ مِنْهَا تَمِيمٌ ، وَلَا بَكَرًا^١
يُشَارِكُنَا فِي فَقْدِهِ الْبَدْوُ وَالْحَضَرُ^٢
وَلِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ سَحَابٌ وَلَا قَطْرُ^٣
بِاسْقَائِهَا قَبْرًا ، وَفِي لَحْدِهِ الْبَحْرُ^٤
غَدَاةَ ثَوَى ، إِلَّا اشْتَهَتْ أَنَّهَا قَبْرُ^٥
وَيَغْمُرُ صَرْفَ الدَّهْرِ نَائِلُهُ الْغَمْرُ^٦
رَأَيْتُ الْكَرِيمَ الْحُرَّ لَيْسَ لَهُ عُمُرُ

رثاء ابنه أبي علي

كَانَ الَّذِي خِفْتُ أَنْ يَكُونَا ،
أَمْسَى الْمُرْجَى أَبُو عَلِيٍّ^١
حِينَ انْتَهَى وَاسْتَوَى شَبَابًا ،
وَحَقَّقَ الرَّأْيَ وَالظُّنُونَا^٢
أَصِيبُ فِيهِ ، وَكَانَ عِنْدِي^٣
كُنْتُ عَزِيزًا بِهِ كَثِيرًا ،
إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاجِعُونَ !
مُوسَدًا ، فِي الثَّرَى ، يَمِينًا^٤
وَحَقَّقَ الرَّأْيَ وَالظُّنُونَا^٥
عَلَى الْمُصِيبَاتِ أَنْ يُعِينَا^٦
وَكُنْتُ صَبًّا ، بِهِ ضَمِينَا

- ١ طي : قبيلة الشاعر والمرثي ، وهي قحطانية يمانية . تميم : قبيلة مضرية عدنانية . بكر : قبيلة ربيعة عدنانية . يقول : إن المصاب بالميت لم يقتصر على قحطان بل شمل عدنان بفرعيه ربيعة ومضر .
- ٢ الحضر : أي الحضر ، بفتح الضاد ، سكنها للشعر .
- ٣ الغيث : المطر . غيثًا : مستعار منه ، والمستعار له المرثي . يقول هو الغيث في الجود ، لا في ارتكाम الغيوم وهطل السيول .
- ٤ للغيوث : في هبة الأيام : للسحاب . الصنعة : الاحسان . يقول : كيف أحتمل احسان الأمطار إذا سقت قبره ؟ وفي هذا القبر بحر ثاو ، وهل بالبحر من حاجة إلى الماء ؟
- ٥ يغمر : يغطي . صرف الدهر : حوادثه . نائله : عطاؤه . الغمر : الكثير . يقول : إنه كان بجوده يحمي الأرض الموات ، فتصبح خصيبة ؛ ويدفع عن الناس صروف الدهر ، فلا يشعرون بقحط الأرض وبلايا الأيام ، فكأنه أحيا الأرض ودفع كوارث الدهر .
- ٦ يمينًا : مفعول موسدًا ، وهو التيمن : أي وضع الميت في قبره على جنبه الأيمن .

دافعتُ، إلاّ المنونَ، عنه، والمرءُ لا يدفعُ المنونَ
 آخرُ عهدي بهِ صريعاً ، للموتِ بالداءِ ، مُستَكِيناً^١
 إذا شكا غُصّةً وكرباً ، لاحظَ ، أو راجعَ الأنيناً^٢
 يُديرُ ، في رَجْعِهِ ، لساناً ، يَمْنَعُهُ الموتُ أن يُبيناً^٣
 يَشْخَصُ ، طَوْرًا ، بناظرِيه ، وتارةً ، يُطْبِقُ الجُفونَا^٤
 ثمّ قضى نَحْبَهُ ، فأَمسى ، في جَدَثٍ ، للثرى ، دَفِيناً^٥
 بَعِيدَ دارٍ ، قَرِيبَ جارٍ ، قد فارقَ الإلفَ والقَرِينَا^٦
 بِاشْرَ بُرْدَ الثرى بوجهٍ ، قد كانَ ، من قَبْلِهِ ، مَصُونَا^٧
 بُنَيَّ ، يا واحدَ البَنِينَا ! غادَرَتْنِي مُفْرَدًا حَزِينَا^٨
 هَوْنَ رُزْئِي بكَ الرّزايا عَليّ ، في الناسِ أَجمَعِينَا^٩
 آلَيْتُ أنْساكَ ، ما تَجَلَّيَ صُبْحُ نَهَارٍ المُصْبِحِينَا^{١٠}
 وما دَعَا طائرٌ هَدِيلاً ، وَرَجَعَتْ وَالِهِ حَنِينَا^{١١}

- ١ مستكيناً : خاضعاً ، أي مستكيناً للموت .
- ٢ لاحظ : نظر بمؤخر عينه ، أي نظر إلى أهله شاكياً أو مستغيثاً .
- ٣ رَجْعُهُ : رده ، أي رَجْعُهُ الأنين . ان يبين : ان يفصح .
- ٤ يشخص بناظرِيه : يفتح عينيه ولا يطرف .
- ٥ الجَدَث : القبر . الثرى : الأرض والتراب . واللام الجارة بمعنى التمليك أو شبه التمليك ، أي دفننا ، في جدث ، ملكاً للثرى .
- ٦ بعيد دار : لأنه ميت لا وصول إليه . قريب جار : أي مكان القبر قريب . الإلف : القرين . المصاحب .
- ٧ من قبله : الضمير يعود إلى برد الثرى .
- ٨ رُزْئِي : مصابي . الرزايا : المصائب ، مفردُها رزية . علي : الجار متعلق بهون .
- ٩ آلَيْت : حلفت . أنْساكَ : أي لا أنْساكَ ؛ يجوز حذف لا النافية بعد القسم .
- ١٠ الهديل : صوت الحمام ، وفرخه ، وفي أساطير العرب أنه فرخ على عهد نوح مات عطشاً وضيعة أو صاده جارح من الطير فما من حمامة إلا وهي تبكي عليه . فهديلاً على المعنى الأول : نائب عن المفعول المطلق ، وعلى المعنى الثاني : مفعول به . الواله : التي ذهب عقلها من الحزن ، والمراد بها الناقة التي فقدت ولدها ، فوجدت به ، وأخذت ترجع الحنين .

تَصَرَّفَ الدَّهْرُ بِي صُرُوفًا ، وَعَادَ لِي شَأْنُهُ شُؤُونًا
وَحَزَنًا فِي اللَّحْمِ ، بَلَّ بَرَاهُ ، وَاجْتَثَ مِنْ طَلَحَتِي فُنُونًا^١
أَصَابَ مِنِّي صَمِيمَ قَلْبِي ، وَخِفْتُ أَنْ يَقْطَعَ الْوَتِينَ^٢
فَالْمَرَّةُ رَهْنٌ بِحَالَتِيهِ : فَشِدَّةٌ مَرَّةً ، وَلِينًا

أغراض مختلفة

وصف الربيع

من قصيدة يصف بها الطبيعة في فصل الربيع ثم يتخلص إلى مدح المعتصم :

يَا صَاحِبِي ، تَقْصِيًا نَظَرَ يَكُمَا ، تَرَيَا وَجْهَ الْأَرْضِ كَيْفَ تَصَوَّرُ^٣
تَرَيَا نَهَارًا مُشْمِسًا ، قَدْ شَابَهُ زَهْرُ الرَّبِيِّ ، فَكَأَنَّمَا هُوَ مُقْمِرُ^٤
دُنْيَا مَعَاشٍ^٥ لِلْوَرَى ، حَتَّى إِذَا حَلَّ الرَّبِيعُ ، فَإِنَّمَا هِيَ مَنَظَرُهُ
أَضْحَتْ تَصَوُّغٌ بَطُونُهَا لظُهُورِهَا نَوْرًا ، تَكَادُ لَهُ الْقُلُوبُ تُنَوِّرُ^٦

- ١ براه : نخته ، وهزله . اجتث : قطع . طلحتي : أي شجرتي ، والطلح : نوع من الشجر . الفنون : الفصون ، مفردا فتن .
- ٢ الوتين : عرق في القلب يجري منه الدم إلى سائر العروق ، وقطع الوتين : كناية عن الموت .
- ٣ تقصى الشيء : تتبعه وبلغ غايته ومداه . تصور : أي تتصور .
- ٤ شابه : خالطه . الربى : التلال ، شبه زهر الربيع في الجبال بنجوم السماء ، والنجوم لا تظهر مع الشمس ، فكأن النهار مقمر لا مشمس .
- ٥ معاش الورى : أي هي عمل لتحصيل المعاش ، في جميع فصول السنة إلا فصل الربيع ، فالدنيا فيه متعة للنظر .
- ٦ بطونها : أي بطون الأرض . نوراً : زهراً .

من كل زاهرة تَرَقَرُقُ بالنَدَى . فكأنها عَيْنٌ إِلَيْكَ تُحَدِّرُ^١
تَبْدُو ، وَيَحْجُبُهَا الْجَمِيمُ ، كأنها عَدْرَاءُ ، تَبْدُو تَارَةً ، وَتَخْفَرُ^٢
حَتَّى غَدَتَ وَهْدَاتُهَا وَنِجَادُهَا فِئْتَيْنِ : فِي حُلُلِ الرَّبِيعِ تَبَخَّرُ^٣
مُصْفَرَّةً ، مُحْمَرَّةً ، فكأنها مِنْ فَاغِعِ غَضِّ النَّبَاتِ ، كَأَنَّهُ^٤
أَوْ سَاطِعِ فِي حُمَرَةٍ ، فكأنما صُنِعَ الَّذِي ، لَوْلَا بَدَائِعُ لُطْفِهِ ،
خَلَقَ أَطْلَ منَ الرَّبِيعِ . كَأَنَّهُ خَلَقَ الْإِمَامَ ، وَهَدِيَهُ الْمُتَنَشِّرَ^٥

- ١ زاهرة : متألثة حسناً أو حمراء ، والمراد : زهرة زاهرة . ترقق : تتحرك وتجيء وتذهب . وقوله :
عين إليك تحدر ، أي تحدر الدمع إليك ، أو عين ناظرة إليك تحدر الدمع .
٢ الجميم : التبت الكثير أو الناهض المنتشر يغطي الأرض . تخفر : تستحي ، والمراد تختبئ بأوراق
العشب حياء .
٣ وهداها : منخفضاتها ، مفردا وهدة . نجادها : مرتفعاتها ، مفردا نجد . الحلل : الثياب ، مفردا
حلة . تبخر : تتمايل .
٤ مصفرة ، محمرة : أي حلل الربيع بلونها الأصفر والأحمر . عصب : جمع عصبية : جماعة من الرجال
ما بين العشرة إلى الأربعين . تيمن : تنتسب إلى اليمن . الوغى : الحرب . تمضر : تنتسب إلى مضر
الحمراء . شبه فئة أزهار الربيع المصفرة بجيوش يمانية لأن راية اليمن صفراء ؛ وشبه فئة الأزهار
المحمرة بجيوش مصرية لأن راية مضر حمراء .
٥ فاقع : شديد الصفرة . غض : رطب . تشقق قبل : أي تشقق أولاً . تزعفر : تصبغ بالزعفران .
٦ ساطع : أي منتشر فائح ، من قولهم : سطع البرق ، و سطعت الرائحة . معصفر : صابغ بالعصفر ،
وهو نبت صبغه أصفر . والمعنى : أن الزهرة الحمراء تخالطها صفرة .
٧ أي هو صبغ الله تعالى يبدع بلطف صنعه الألوان ، فيجعل نباتها الأخضر زهراً أصفر .
٨ الامام : الخليفة المعتمد . الهدى : الرشاد . المنتشر : يقول : إن الله خلق من الربيع خلقاً
جميلاً كخلق الخليفة ، منتشراً في الأرض كهدهاء .

مولى يعذب عبده

أعطاك دمعك جهده ، فشكا فؤادك وجدته
حملت نفسك ، في الهوى ، ما لا تطيق ، فهذه^١
يا شاميتاً بي ، إذ رأى هجر الحبيب وصدته ،
لا تسمتن ، فإنه مولى يعذب عبده

الحبيب الأول

البين جرعتني نقيع الحنظل ، والبين أنكلني ، وإن لم أنكل^٢
ما حسرتي أن كدت أقضي ، إنما حسرات قلبي أنني لم أفعل^٣
نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ، ما الحب إلا للحبيب الأول
كم منزل ، في الأرض ، يالفه الفتى ، وحينئذ ، لأول منزل

زيارة في المنام

استزارته فكرتي في المنام ، فأتاني في خيفة واكتيتام
فألتالي أخفى بقلبي ، إذا ما جرعتته النوى ، من الأيام^٤

١ فهذه : أي هد الهوى فؤادك .

٢ وإن لم أنكل : أي لم أصب بولد .

٣ لم أفعل : أي لم أقض .

٤ الأيام : النهار ، فالنهار اسم لكل يوم ، وضد اليوم ليلة . يقول : إذا جرعت الليالي قلبي فراق الحبيب ، فإنها أستر له من الأيام إذ تخفي ما به من لوعة لا تزال تلح عليه تصوراً وتفكيراً حتى تقضي إلى الأحلام وزيارة طيف الخيال .

يا لها ليلةٌ ، تنزهتِ الأرواحُ فيها سراً عن الأجسامِ !
مجلسٌ ، لم يكن لنا فيه عيبٌ ، غيرَ أنا في دعوةِ الأحلامِ

هجاء عياش

قال يهجو عياش بن لميعة :

صدقٌ مقالتهُ ، إن قال مُجتهداً : « لا ، والرَّغيفُ ! » فذاك البرُّ من قسَمِهِ ٢
وإن هممت به ، فافتكُ بحُبزَتِهِ ، فإنها قِطعةٌ من لحمِهِ ودَمِهِ ٣

لسان الحسود

وإذا أرادَ اللهُ نَشَرَ فضيلَةٍ طُوِيَتْ ، أتاحَ لها لسانَ حَسُودٍ
لولا اشتعالُ النَّارِ فيما جاورَتْ ، ما كان يُعرَفُ طيبُ عَرَفِ العُودِ ٤

١ تنزهت : ترفعت وتباعدت .

٢ البر : الصدق .

٣ وإن هممت به : أي هممت بقتله .

٤ عرف العود : رائحته . شبه لسان النار ، يمتد إلى ما يحاوره من الأشياء ، ليحرقها ، بلسان الحسود ، يمتد إلى أعراض الناس ، ليمزقها . فقد يمر لسان النار بعود طيب الرائحة ، ولكن رائحته كامنة فيه ، فإذا أحرقه ، انتشرت رائحته ، فعرف فضله . وهكذا لسان الحسود فإنه يمر بعرض طيب لم تشهر فضائله ، فيحاول تمزيقه وتقبيلحه ، فتنتشر هذه الفضائل ، ويلتفت إليها الناس .

دعبل

الهجاء

هجاء المطلب

قال دعبل يهجو المطلب بن عبد الله بن مالك الخزاعي أمير مصر بعد أن كان مدحه :

أُمُطْلِبٌ ، أَنْتَ مُسْتَعْدِبٌ حُمَيَّا الْأَفَاعِي ، وَمُسْتَقْبِلٌ^١
سَتَأْتِيكَ ، إِمَّا وَرَدْتُ الْعِرَا قَ ، صَحَائِفُ ، يَأْثُرُهَا دِعْبِلٌ^٢
مُسَمَّقَةٌ ، بَيْنَ أَثْنَائِهَا مَخَازٍ تَحُطُّ ، فَلَا تَرَحَّلُ^٣
وَضَعْتَ رِجَالًا ، فَمَا ضَرَّهُمْ ، وَشَرَفْتَ قَوْمًا ، فَلَمْ يَنْبُلُوا^٤
تُنَوِّطُ مِصْرُ بَكَ الْمُخْزِيَا تِ ، وَتَبْصُقُ فِي وَجْهِكَ الْمَوْصِلُ^٥
إِذَا الْحَرْبُ كُنْتَ أَمِيرًا لَهَا ، فَحَظَّاهُمْ مِنْكَ أَنْ يُقْتَلُوا^٥
فَمِنْكَ الرُّؤُوسُ غَدَاةَ اللَّقَا ، وَمِمَّنْ يُحَارِبُكَ الْمُنْصِلُ^٥
شِعَارُكَ فِي الْحَرْبِ ، يَوْمَ الْوَغَى ، إِذَا انْهَزَمُوا : عَجَلُوا ! عَجَلُوا^٥
فَأَنْتَ ، إِذَا مَا التَّقَوَّا ، وَأَنْتَ ، إِذَا انْهَزَمُوا ، أَوَّلُ^٥

١ حميا الأفاعي : سمها ، ويريد به الهجاء الموجه .

٢ يَأْثُرُهَا : ينقلها ويرونها .

٣ تنوِّط : تعلق .

٤ حظهم أي حظ الجنود الذين أنت أمير عليهم .

٥ الوغى : الصوت والجلبة في الحرب ، وتطلق على الحرب .

هجاء عبد الله بن طاهر

كان عبد الله بن طاهر ينتمي إلى خزاعة بالولاء ، وهو من كبار رجال الدولة في خلافة المأمون ، ثم صار أميراً على خراسان بعد أبيه طاهر بن الحسين . وكان قد وعد دعبلاً بعتية فلم ينجزها فقال فيه :

يا جَوَادَ اللِّسَانِ مِنْ غَيْرِ فِعْلٍ ، لَسَيْتَ فِي رَاخَتَيْكَ جُودَ اللِّسَانِ
عَيْنَ مِهْرَانَ قَدْ لَطَمْتَ مِرَاراً ، فَاتَّقِ ذَا الْجَلَالِ فِي مِهْرَانِ^١
عُرْتَ عَيْنًا ، فَدَعِ مِهْرَانَ عَيْنًا ، لَا تَدْعُهُ يَطُوفُ فِي الْعُمَيَّانِ^٢

هجاء مسلم بن الوليد

تخرج دعبل في الشعر على مسلم بن الوليد ، ولزمه مضافاً حتى ولي البريد بجرجان من قبل ذي الرئاستين الفضل بن سهل ، فقصده دعبل مؤملاً منه شيئاً فلم ينله ، فكتب إلى الفضل بيتين يحرضه بهما على إقصاء مسلم لأنه لا يحفظ مودة . فعرف بهما مسلم فجافى دعبلاً ، فتهاجيا وتقاطعا . فمن ذلك قول دعبل في أستاذه :

أَبَا مَسْخَلِدٍ كُنَّا عَقِيدَي مَوْدَةٍ ، هَوَانَا ، وَقَلْبَانَا جَمِيعًا ، مَعًا مَعًا
أَحْوَطُكَ بِالْغَيْبِ الَّذِي أَنْتَ حَائِطِي ، وَأَجْزَعُ لِشِفَاقًا مِّنْ أَنْ تَتَوَجَّعًا^٣
فَصَيَّرْتَنِي ، بَعْدَ انْتِكَائِكَ ، هُتَهِيمًا ، لِنَفْسِي ، عَلَيْهَا أَرْهَبُ الْخَلْقِ أَجْمَعًا
غَشَّشْتَ الْهَوَى حَتَّى تَدَاعَتْ أَصُولُهُ ، بَنَّا ، وَابْتَدَلْتَ الْوَصْلَ حَتَّى تَقْطَعَا
وَأَنْزَلْتَ مِنْ بَيْنِ الْجَوَانِحِ وَالْحَشَى ، ذَخِيرَةً وَدَّيْ طَالَمَا قَدْ تَمَنَّعَا^٤

- ١ من أمثال العرب : فلان يلطم عين مهران ، يضرب للرجل الذي يكذب في حديثه .
- ٢ عرت عيناً : صيرتها عوراء ، يريد بها عين مهران لكثرة كذبه . وقوله في العميان : أي مع العميان .
- ٣ اشفاقاً : خوفاً .
- ٤ انتكائك : انتفاضك وانصرافك عني .
- ٥ الجوانح : الأضلاع تحت الترائب مما يلي الصدر ، سميت بذلك لميلها وانحنائها ، واحداً جنانحة . وقوله : من بين الجوانح والحشى ، أي القلب .

فلا تَلَحَّيْنِي ، ليس لي فيك مَطْمَعٌ ، تَحَرَّقْتَ ، حتى لم أَجِدْ لك مَرَقَعَا
فَهَبَكَ يَمِينِي اسْتَأْكَلْتُ ، فَقَطَعْتُهَا ، وَصَبَرْتُ قَلْبِي بَعْدَهَا ، فَتَشَجَعَا

هجاء أبي عباد

كان أبو عباد ثابت بن يحيى كاتب المأمون ، وكان فيه عجلة وسرعة وغضب وانتقام . فقال فيه دعبل :

أولى الأمور بضيعة وفساد ، أمرٌ يُدَبِّرُهُ أَبُو عَبَّادٍ
خَرَقَ على جُلَسَائِهِ ، فكأنهم
يَسْطُو على كُتَّابِهِ بِدَوَاتِهِ ، فمُضْمَخٌ بدمٍ ، ونَضَحَ مِدَادٍ
وكأنه من دير هزقل مُمْلِتٌ ، حَرِدٌ يَتَجَرَّرُ سِلَاسِلَ الأقيادِ
فاشدُّ ، أمير المؤمنين ، وثاقه ، فأصَحَّ منه بَقِيَّةُ الحَدَادِ

أكل الديك

كان صالح بن علي بن عبد القيس جاراً لدعبل في بغداد ، فوقع على ديك له دخل إلى داره ، فطعمه وأطعم ضيوفه ، فقال دعبل فيهم :

أَسَرَ الْمُؤَذَّنَ صَالِحٌ وَضُيُوفُهُ ، أَسَرَ الْكَمِيَّ هَفَا خِلَالَ المَاقِطِ

- ١ استأكلت : هنا بمعنى أكلت . يقال : أكل العضو واثكل وتأكل : أكل بعضه بعضاً . والأكلة داء في العضو يأتكل منه .
- ٢ انحرق : الأحرق .
- ٣ روي أن أبا عباد غضب يوماً على بعض كتابه فرماه بدواة كانت بين يديه ، فلما رأى الدم يسيل منه ندم . فبلغ ذلك المأمون فعتب عليه ، وقيل إنه أخرجه من الديوان .
- ٤ دير هزقل ، وأصله حزقل ، أي حزقيال ، نقل إلى هزقل : دير مشهور بين البصرة وعسكر مكرم . وكانت تشد فيه المجانين طلباً للشفاء .
- ٥ أصح منه : أي أصح عقلاً . بقية الحداد : اسم مجنون كان في البيمارستان .
- ٦ المؤذن : الديك . يروي عن النبي أنه نهى عن سب الديك لأنه يؤذن للصلاة ، وفي حديث آخر أن صياح الديكة تسيح لله . الكمي : الشجاع اللابس السلاح . هفا : زل . الماقت مخفف مأقت : اضيق المواضع في الحرب .

بَعَثُوا عَلَيْهِ بَنِيهِمْ وَبَنَاتِيهِمْ ، من بَيْنِ نَاتِفَةٍ ، وَآخَرَ سَامِطٍ
يَتَنَازَعُونَ ، كَأَنَّهُمْ قَدْ أُوثِقُوا خَاقَانَ ، أَوْ هَزَمُوا قَبَائِلَ نَاعِطٍ^١
نَهَشُوهُ ، فَانْتَزَعَتْ لَهُ أَسْنَانُهُمْ ، وَتَهَشَّمَتْ أَقْفَاؤُهُمْ بِالْحَائِطِ^٢

هجاء الرشيد والعباسيين

هجا دعبل هارون الرشيد سنة ٨١٨ م أي بعد موته بنحو عشر سنوات ، على أثر وفاة علي الرضا ،
واتهام المأمون بأنه دس له السم ليتخلص منه . ودفن علي الرضا في طوس عند قبر هارون الرشيد :

وَلَيْسَ حَيٌّ مِنْ الْأَحْيَاءِ نَعْلَمُهُ ، من ذِي يَمَانٍ ، وَمِنْ بَكْرِ ، وَمِنْ مُضَرٍ^٣
إِلَّا وَهُمْ شُرَكَاءُ فِي دِمَائِهِمْ ، كَمَا تَشَارَكَ أَيْسَارٌ عَلَى جُزُرٍ^٤
قَتْلٌ ، وَأَسْرٌ ، وَتَحْرِيقٌ ، وَمَنْهَبَةٌ ، فِعْلَ الْغَزَاةِ بِأَرْضِ الرُّومِ وَالْخَزَرِ^٥
أَرَى أُمِّيَّةَ مَعْدُورِينَ إِنْ قَتَلُوا ، وَلَا أَرَى لِبَنِي الْعَبَّاسِ مِنْ عُذْرِ^٦
إِرْبَعٍ بِطُوسَ ، عَلَى الْقَبْرِ الزَّكِيِّ ، إِذَا مَا كُنْتَ تَرْبَعُ مِنْ دِينَ ، عَلَى وَطَرٍ^٧

١ خاقان : اسم لكل ملك من ملوك الترك . ناعط : جبل في اليمن نزلت به قبائل همدان ، فنسبوا إليه ،
وهم أهل شرف وشجاعة .

٢ الاقفاء : جمع القفا ، مؤخر العنق . وقوله : وتهشمت أقفاؤهم بالحائط ، أي لشدة نهشهم كانوا
يخطون اقفاءهم بالحائط .

٣ من ذي يمان : أي من اليمانية . ومن بكر ومن مضر : أي من العدنانية .

٤ أيسار : جمع بسر وهم القوم المجتمعون على الميسر أي القمار . الجزر : جمع الجزور وهي ما
يجزر من النوق والغنم ، وكانوا إذا نحروها ، قسموها أقساماً يقامرون عليها . يقول : اشتركت
قبائل قحطان وعدنان بدماء أبناء علي كما يتشارك المقامرون في اقتسام الجزر .

٥ الخزر : البلاد المجاورة بحر قزوين ، وهم خليط من الوثنيين والنصارى واليهود . يريد أن المسلمين
نكلوا بالعلويين كما ينكل الغزاة المسلمون بأعداء الدين الإسلامي .

٦ يعذر بني أمية لأنهم ليسوا من هاشم كالعباسيين أبناء عم العلويين .

٧ أربع : قف . طوس : مدينة بخراسان . الزكي : الطاهر . الوطر : الحاجة والبغية . يقول : إذا
مررت بطوس فقف على القبر الطاهر أي قبر علي الرضا ، إن كنت ممن يعتقد أن في وقوفه طاعة للدين
وتحقيقاً لما يبتغيه من الشفاعة في الآخرة .

قبران في طُوس ، خيرُ الناسِ كلِّهمُ ،
 ما يُنْفَعُ الرَّجْسُ من قُربِ الزَّكِيِّ ، ولا
 هِيَهَاتِ ! كلُّ امرئٍ رَهْنٌ بما كَسَبَتْ
 وقَبْرُ شَرِّهِمْ ، هذا من العِبرِ !^١
 على الزَّكِيِّ بقُربِ الرَّجْسِ من ضَرَرٍ^٢
 له يَدَاهُ ، فخذُ ما شئتَ أو قَدَرٍ^٣

هجاء المأمون

أَيْسُومُنِي المأمونُ خُطَّةَ عاجِزٍ ؟
 نُوفِي على رُوسِ الخِلَائِقِ مِثْلَما
 وَنَحْلُ في أَكْنافِ كلِّ مُمْتَنِعٍ ،
 لَأَنِّي مِنَ القَوْمِ الَّذِينَ سَيُوفُهُمْ^٤
 رَفَعُوا حُلَّكَ بَعْدَ طَوْلِ خُمُولِهِ ،
 إِنَّ التُّرَاتِ مُسَهَّدٌ طَلَابُهَا ،
 أَوْما رَأَى بِالْأَمْسِ رَأْسَ مُحَمَّدٍ^٥
 تُوفِي الجِبَالُ على رُؤُوسِ القَرَدَدِ^٥
 حَتَّى نُنْذِلَ شَاهِقًا لَمْ يُصْعِدِ^٦
 قَتَلْتَ أَخَاكَ ، وَشَرَفْتَكَ بِمَقْعَدِ^٧
 وَاسْتَنْقَذوكَ مِنَ الحَضِيضِ الأَوْهَدِ^٨
 فَاكْشِفْ مَذَاقَكَ عَنِ لُعَابِ الأَسْوَدِ^٩

١ قوله : خير الناس ، أي قبر خير الناس ، حذف المضاف واستغنى عنه بالمضاف إليه ، ويريد به قبر علي الرضا . قبر شرهم : أي قبر الرشيد .

٢ الرجس : الشيء القذر الأثيم .

٣ هيهات : اسم فعل بمعنى بعد . فذر : فدع . يقول : هيهات أن ينتفع الرجس من قرب الزكي أو يتأذى الزكي من قرب الرجس ، فالإنسان يلقي جزاء ما صنعت يده ، فخذ ما شئت أو فدعه فأنت ملاق فيه عاقبة أعمالك .

٤ يسومني : يكلفني . الخطئة : الحالة والطريقة . يقول : أيعاملي المأمون كما يعامل الرجل العاجز ، أوما رأى بالأمس رأس أخيه محمد الأمين كيف طار عن جسده . يهدده بالقتل كما قتل أخوه .

٥ نوفي : نشرف . القردد : ما ارتفع من الأرض .

٦ أكناف كل منع : أي جوانب كل جبل منع .

٧ يقول : لاني من بني خزاعة الذين قتلوا أخاك ، وشرفوك بمقعد الخلافة . يشير إلى طاهر بن الحسين الخزاعي قائد المأمون ، وقاتل الأمين .

٨ الحضيض : القرار من الأرض عند أسفل الجبل . الأوهد : الكثير الانخفاض .

٩ الترات ، جمع الترة : الثار . اللعاب : سم الحية . الأسود : العظيم من الحيات وفيه سواد .

هجاء إبراهيم بن المهدي

كان إبراهيم بن المهدي عم المأمون قد طمع في الخلافة ، وبايعه العباسيون في بغداد ، ثم غلموه وبايعوا المأمون . فقال فيه دعبل :

نَفَرَ ابنُ شِكْلَةٍ بِالعِراقِ وأهْلِهِ ، فهِمَا إِلَيْهِ كُلُّ أَطْيَشٍ مائِقٍ^١ ،
أَتَى يَكُونُ ، وليسَ ذاكَ بكائنٍ ، يَرِثُ الخِلافةَ فاسِقٌ عن فاسِقٍ
إن كانَ إبراهيمُ مُضْطَلِعاً بها ، فلتَصْلَحَنَّ ، من بَعْدِهِ ، لِخِراقٍ^٢ ،
ولتَصْلَحَنَّ ، من بَعْدِ ذاكَ ، لَزَلِ^٣ ، ولتَصْلَحَنَّ ، من بَعْدِهِ ، لِلمارِقِ^٤ ،

هجاؤه أيضاً

يا مَعْشَرَ الأَجنادِ لا تَقْنَطُوا ، وارضُوا بما كانَ ، ولا تَسْخَطُوا
فَسَوْفَ تُعْطَوْنَ حُنَيْنِيَّةً ، يَلْتَذُّها الأَمْرَدُ والأَشْمَطُ^٥ ،
والمُعَبَّدِيَّاتُ لِقُودٍ كُفْمٌ ، لا تَدْخُلُ الكَيْسَ ، ولا تُرَبِّطُهُ

١ نفر : غلب ، هذه رواية الصولي في الأوراق . وفي ابن خلكان ومعاهد التنخيص : نعر أي صاح .
شكلة ، بفتح السين وكسر ها : أم إبراهيم ، جارية سوداء . هفا : أسرع وذهب . المائق : الأحق ،
ورواية الصولي : أطيش مائق . وفي ابن خلكان : أطلس ، وهو الذي يرمى بالقبيح . وفي المعاهد :
أجرق أي أحرق .

٢ مضطلماً بها : ناهضاً بها . مخارق : أحد المغنين في صدر الدولة العباسية . وكان إبراهيم بن المهدي
مشهوراً بالغناء والضرب على العود ، فالشاعر يتكلم به ويقول : إذا صلحت الخلافة له ، وهو مغن
عواد ، فأجدر بها أن تصلح لغيره من المغنين فيكون مخارق ولي عهده .

٣ زلزل : هكذا ضبطه الفيروزآبادي في القاموس ، وقال : وإليه تضاف بركة زلزل في بغداد .
أما ابن خلكان ف ضبطه بضم الزايين . ولم يضبطه ياقوت في ذكره بركة زلزل . وهو منصور زلزل
كان مغنياً واشتهر بالضرب على العود . ولتصلحن من بعده : في أوراق الصولي : ولتصلحن ورائة .
المارقي : هو زر زور غلام علي بن المارقي ، كان من المغنين . وهو وزلزل ومخارق من معاصري إبراهيم .
٤ حنينية : أي ألحاناً منسوبة إلى حنين المغني . يقول : إن الجنود سيتقاضون أرزاقهم أصواتاً . الأشمط :
من خالط رأسه البياض .

٥ المعبديات : يريد بها أصواتاً منسوبة إلى معبد المغني .

وهكذا يَرْزُقُ قُوَادَهُ ، خَلِيفَتُهُ ، مُصَحِّفُهُ الْبَرَبَطُ^١
 قد خَتَمَ الصَّلَاةَ بِأَرْزَاقِكُمْ ، وَصَحَّحَ الْعَزْمَ ، فَلَا تَسْخَطُوا
 بِسِعَةِ إِبْرَاهِيمَ مَشْؤُومَةٍ ، يُقْتَلُ فِيهَا الْخَلْقُ ، أَوْ يَقْحَطُ

هجاء المعتصم

بَكَى لَشَتَاتِ الدِّينِ مُكْتَتِبٌ صَبٌ ، وَفَاضَ بِفَرْطِ الدَّمْعِ مِنْ عَيْنِهِ غَرْبٌ^٢
 وَقَامَ إِمَامٌ ، لَمْ يَكُنْ ذَا هِدَايَةٍ ، فَلَيْسَ لَهُ دِينٌ ، وَلَيْسَ لَهُ لُبٌ^٣
 وَمَا كَانَتْ الْأَنْبَاءُ تَأْتِي بِمِثْلِهِ ، يُحْمَلُكَ يَوْمًا ، أَوْ تَدِينُ لَهُ الْعُرْبُ
 وَلَكِنْ ، كَمَا قَالَ الَّذِينَ تَتَابَعُوا ، مِنَ السَّلَفِ الْمَاضِينَ ، إِذْ عَظُمَ الْخَطْبُ^٤
 مُلُوكُ بَنِي الْعَبَّاسِ ، فِي الْكُتُبِ سَبْعَةٌ ، وَلَمْ تَأْتِنَا ، عَنْ ثَامِنٍ لَهُمْ ، كُتُبُهُ
 كَذَلِكَ أَهْلُ الْكَهْفِ ، فِي الْكَهْفِ سَبْعَةٌ ، خِيَارٌ إِذَا عُدُّوا ، وَثَامِنُهُمْ كُتُبُهُ^٥

١ مصحفه : قرآنه . البربط : العود .

٢ الصب : العاشق المشتاق . الغرب : مسيل الدمع من العين . تشتت الدين في خلافة بني العباس ، فبكيت عليه كثيراً مشتاقاً لجمع شمله .

٣ لب : عقل .

٤ إذ عظم الخطب : يريد بذلك الشقاق الذي وقع بين المسلمين من أجل الخلافة . وأراد بأنباء السلف الماضين : ما رواه العباسيون تأييداً لحقهم في الخلافة ، من أن أبا هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية قال إن أباه قال إنه سمع أبا علي بن أبي طالب يقول : إن الخلافة صائرة إلى بني العباس ، عرف ذلك بما كان له من العلم بالحوادث الغيبية وبما سمعه من النبي . ويروون أيضاً أنه لما ولد عبد الله بن عباس ولده علياً ، ساء علي بن أبي طالب أبا الأملاك أي أبا الملوك . وهذه الرواية عن محمد بن الحنفية جعلت العباسيين يستفيدون من الشيعة الكيسانية ، ويجدون عندهم مناصرة .

٥ الكتب : يراد بها الأحاديث النبوية ، وأقوال الصالحين الذين ينظرون إلى المستقبل بما في نفوسهم من هداية ونور . عن ثامن : أي عن المعتصم وهو ثامن الخلفاء العباسيين .

٦ الكهف : المغارة . وأهل الكهف ورد ذكرهم في القرآن ، وهم سبعة شبان صالحون لجأوا إلى مغارة خوفاً من ملك اضطهدهم ، وكان معهم كلب ، فسد باب الكهف ، وأنزل الله عليهم سباتاً فناموا ثم بعثوا بعد زمن طويل . شبه الخلفاء العباسيين السبعة بالسبعة الفتيان ، ولم يشبههم هؤلاء توقيراً لهم ، بل ليشبه ثامنهم المعتصم بالكلب .

ولائي لأعلي كلبتهم عتك رفعة ، لأنك ذو ذنب ، وليس له ذنب
لقد ضاع ملك الناس ، إذ ساس ملكهم وصيف وأشناس^١ ، وقد عظم الكرب^١
وفضل بن مروان يثلم ثلثة ، يظل لها الإسلام ليس له شعب^٢

موت المعتصم وقيام الواصل

أحمد لله ، لا صبر ، ولا جلد ، ولا عزاء ، إذا أهل البلى رقدوا
خليفة مات ، لم يحزن له أحد ، وآخر قام ، لم يفرح به أحد

دفن المعتصم وبيعة الواصل

قد قلت ، إذ غيبوه ، وانصرفوا ، في شر قبر ، لشر مدفون :
إذ هب إلى النار والعذاب ، فما خلتك إلا من الشياطين
ما زلت ، حتى عقدت بيعة من أضرت بالمسلمين والسدين

١ وصيف واشناس : غلامان تركيان كانت لهما منزلة رفيعة عند المعتصم ، ويد مستطيلة في سياسة الملك.
٢ الفضل بن مروان : وزير المعتصم وكان عامياً لا علم عنده ولا معرفة ، وكان رديء السيرة جهولاً
بالأمور . يثلم : يكسر ويهدم . الثلثة : فرجة المكسور والمهدوم . الشعب : الإصلاح .

المدح

براعة الاستجداء

وقف دعبل ببعض امراء الرقة ، فمدحه بقوله :

ماذا أقولُ ، إذا أتيتُ معاشيري صِفْراً يَدَايَ مِنْ الْجَوَادِ الْمُجْزِلِ ؟
إن قلتُ : أعطاني ، كذبتُ ، وإن أقل : ضَنَّ الأَمِيرُ بِمَالِهِ ، لم يَجْمُلِ
ولأنتَ أعلمُ بالْمَكَارِمِ والعُلا ، مِنْ أَنْ أَقُولَ فَعَلْتَ مَا لم تَفْعَلِ
فاخترَ لِنَفْسِكَ مَا أقولُ ، فلأنتي ، لا بُدَّ ، مُخْبِرُهُمْ ، وإن لم أَسْأَلِ

مدح عبد الله بن طاهر

عرض دعبل لعبد الله بن طاهر بن الحسين وهو راكب في حراقة له في دجلة ، فأشار إليه برقعة فأمر
بأخذها فإذا فيها :

عَجِبْتُ لِحَرَّاقَةِ ابْنِ الْحُسَيْنِ نِ كَيْفَ تَسِيرُ وَلَا تَفْرُقُ
وبَحْرَانِ : مِنْ تَحْتِهَا وَاحِدٌ ، وَآخِرُ مِنْ فَوْقِهَا مُطَبِّقُ
وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ عِيدَانُهَا ، إِذَا مَسَّهَا ، كَيْفَ لَا تُورِقُ ؟

الرثاء

رثاء أهل البيت

مَدَارِسُ آيَاتٍ خَلَّتْ مِنْ تِلَاوَةٍ ، وَمَنْزِلٌ وَحِيٍّ مُقْفِرُ الْعَرَصَاتِ^١ ،
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، بِالْخَيْفِ ، مِنْ مِئْنَى ، وَبِالرَّكْنِ ، وَالتَّعْرِيفِ ، وَالْجَمَرَاتِ^٢ ،
دِيَارُ عَلِيٍّ ، وَالْحُسَيْنِ ، وَجَعْفَرٍ ، وَحَمْزَةُ ، وَالسَّجَّادِ ذِي الثَّنَائَاتِ^٣ ،
دِيَارُ ، عَقَاها كُلُّ جَوْنٍ مُبَاكِيرٍ ، وَلَمْ تُعَفَّ لِلْأَيَّامِ وَالسَّنَوَاتِ^٤ ،
قِفَا ، نَسْأَلُ الدَّارَ الَّتِي خَفَّ أَهْلُهَا : مَتَى عَهْدُهَا بِالصُّومِ وَالصَّلَوَاتِ^٥ ؟
وَأَيْنَ الْأُولَى شَطَّتْ بِهِمْ غُرْبَةُ النَّوَى ، أَفَانِينَ ، فِي الْآفَاقِ ، مُقْتَرِقَاتِ^٦ ؟
هَمْ أَهْلُ مِيرَاثِ النَّبِيِّ ، إِذَا اعْتَزَلُوا ، وَهُمْ خَيْرُ قَادَاتٍ ، وَخَيْرُ حُمَاةٍ^٧

١ المدارس : المواضع التي يدرس فيها القرآن ، مفردا مدراس . التلاوة : قراءة القرآن . ومنزل وحى : أي منزل النبوة . العرصات : جمع العرصة وهي البقعة الواسعة بين الدور ليس فيها بناء .

٢ الخيف : غرة بيضاء في الجبل الأسود الذي خلف أبي قبيس بمكة ، وبها سمي مسجد الخيف . مئى : موضع بمكة . الركن : جانب حجر الكعبة أو جداره . التعريف : وقوف الحجاج بعرفات على اثني عشر ميلا من مكة . الجمرات : الحصى التي ترمى في مناسك الحج . يقول : أقفرت وخلت هذه المواضع التي هي لآل رسول الله ، والتي كانت مدارس لآيات القرآن .

٣ علي بن أبي طالب . الحسين بن علي . جعفر الصادق من نسل علي . حمزة عم النبي قتل في غزوة أحد . السجاد : الكثير السجود . الثفنات ، جمع الثفنة : وهي من البعير ما لاصق الأرض إذا استنخ ، ومن الإنسان الركبة ، ومجتمع الساق والفخذ . وذو الثفنات : لقب زين العابدين بن علي بن الحسين ، وإنما قيل له ذلك لأنه كان يصلي كل يوم ألف ركعة فصار في ركبتيه مثل ثفن البعير في الخشونة والغلظ .

٤ الجون : السحاب الأسود الممطر . يريد أن هذه الديار عفت لكثرة ما تسقيها الأمطار ، وتجد عليها السماء بخيرها لقدسيتها أماكنها ، ولم تعف لكرور الأيام والسنين ، لأن عاديات الأيام لا تأتي عليها .

٥ خف : ارتحل . والمراد بعد عهدها بالصوم والصلوات بعد موت من ذكرهم .

٦ شطت : بعدت . أفانين : جال من شطت ، مفردا أفنون وهو الحال والنوع من الشيء . أي بعدت بهم على أحوال وأنواع متفرقة .

٧ ميراث النبي : الخلافة ، وسواها من أرض ومال كان للرسول . اعتزوا : انتسبوا . قادات : جمع قادة ، جمع قائد .

وما الناسُ إلا حاسِدٌ ، ومُكَذِّبٌ ، ومُضْطَغِنٌ ، ذو إحنَةٍ ، وتِراتٍ^١
 إذا ذَكَرُوا قَتْلَى بَيْدَرٍ ، وخَيْبَرٍ ، ويَوْمَ حَنْينٍ ، أَسْبَلُوا الْعَبْرَاتِ^٢
 قُبُورُ بَكُوفَانٍ ، وأُخْرَى بِطَيِّبَةٍ ، وأُخْرَى بِفَخٍّ ، نَالَهَا صَلَوَاتِي^٣
 وَقَبْرُ بَيْغَدَادٍ ، آنَفَسَ زَكِيَّةٌ ، تَضَمَّنَتْهَا الرَّحْمَنُ فِي الْغُرَفَاتِ^٤
 فَأَمَّا الْمُصِصَمَاتُ الَّتِي لَسْتُ بِالْغَا مَبَالِغَهَا مِثِّي بِكُنْهِ صِفَاتِ^٥

- ١ وما الناس : أي أعداؤهم الذين ينكرون عليهم حقهم . مكذب : أي مكذب بالحق . المضطغن : صاحب الضغينة . الإحنة : الحقد . الترات : جمع الترة ، وهي النار .
- ٢ وقعة بدر : في السنة الثانية للهجرة . انتصر فيها المسلمون على مشركي قريش ، وشهدا من بني هاشم جماعة أبلوا فيها بلاء حسناً . في مقدمتهم حمزة عم النبي وعلي بن أبي طالب . روي أن عدد قتلى المشركين يوم بدر كان تسعة وأربعين ، وقيل بل نيف على الستين . وذكروا أن علياً قتل وحده ثلاثة وعشرين أو اثنين وعشرين ، والباقون لسائر الناس . وقعة خيبر : في السنة السابعة للهجرة ، انتصر فيها المسلمون على اليهود ، واستنز لوهم من حصونهم . وكان لعلي بن أبي طالب شأن عظيم في هذه الواقعة ولا سيما أمام حصني الوطيج والسلام حيث سلمه النبي اللواء بعد أن انكشف عمر بن الخطاب وأصحابه . وقعة حنين : في السنة الثانية للهجرة بين المسلمين وبني هوازن تضايق المسلمون في بدء هذه المعركة ، فانهزموا ولم يثبت مع الرسول إلا سبعة من أهل بيته ، منهم علي بن أبي طالب يضرب أمامه بسيفه ، والعباس بن عبد المطلب آخذ بلجام بغلته . والباقون يحقدون به خوفاً عليه ، وثبت عمر وأبو بكر وبعض الأنصار . وفي هذه الواقعة رمى علي بن أبي طالب حامل اللواء من هوازن عن ظهر جملة ، فقطع بعض الأنصار ساقه . وأخيراً تم النصر للمسلمين . قوله : إذا ذكروا : الضمير يعود على أهل البيت ، أي إذا ذكروا قتلهم أو ما قتلوا من أعداء الدين في هذه المواقع جهاداً في سبيل الإسلام ، بكوا قهراً عندما يرون أنفسهم مضطهدين ، مهضومي الحقوق .
- ٣ كوفان والكوفة واحد . في معجم الأدباء : كوفات جمع كوفة ، وفيها قبر علي بن أبي طالب . طيبة : المدينة ، وفيها قبر النبي ، وقبر فاطمة وولدها الحسن ، وزين العابدين ، ومحمد الباقر ، ومحمد بن عبد الله بن الحسن الملقب بالنفس الزكية . فخ : واد بمكة ، وفيه قتل الحسين بن علي بن الحسن سنة ١٦٩ هـ . (٧٨٥ م) قتلته جيوش العباسيين لطلبه الخلافة . وتركت جثته وجث أهل بيته مكشوفة حتى أفرستها السباع .
- ٤ وقبر ببغداد لنفس زكية : يريد به قبر الإمام موسى الكاظم . قيل مات مسموماً ، وقيل مات في الحبس . في الغرفات : أي غرفات النعيم .
- ٥ المصيمات : أي نفوس من أهل البيت دعت الناس إلى نصرتها ، فصمت الأذان عن سماع صوتها . يقال : أصم دعاؤه : أي وافق قوماً صماً لا يسمعون منه . يقول : إنه عاجز عن إظهار حقيقة صفاتها الحسنى .

إلى الحشر ، حتى يبعث الله قائماً ،
نفوس^١ لدى النهرين ، من أرض كربلا ،
تقتسمهم ريب الزمان ، كما ترى ،
سوى أن منهم^٢ بالمدينة عصبية^٣ ،
قليلة زوار ، سوى بعض زور^٤ ،
لهم^٥ كل حين نومة^٦ بمضاجع^٧
وقد كان منهم^٨ ، بالحجاز وأهلها ،
تنكب^٩ لأواء^{١٠} السنين جوارهم^{١١} ،
إذا وردوا خيلاً ، تشمس^{١٢} بالقنا^{١٣}
وإن فخرُوا يوماً ، أتوا بمحمد^{١٤} ،
ملاملك^{١٥} في أهل النبي^{١٦} ، فإنهم^{١٧}
تخيرتهم^{١٨} رُشداً لأمرى^{١٩} ، فإنهم^{٢٠} ،

يُفرج^{٢١} منها^{٢٢} الهَم^{٢٣} والكُرْبَاتِ^{٢٤}
مُعَرَّسُهُمْ^{٢٥} فيها^{٢٦} يشطّ^{٢٧} فُرَاتِ^{٢٨}
لَهُمْ^{٢٩} عُمَرَةٌ^{٣٠} مَغْشِيَّةُ^{٣١} الحُجُرَاتِ^{٣٢}
مَدَى^{٣٣} الدهر^{٣٤} ، أنضاء^{٣٥} من^{٣٦} الأزْمَاتِ^{٣٧}
من^{٣٨} الضَّعِجِ^{٣٩} ، والعِقبَانِ^{٤٠} ، والرَّخْمَاتِ^{٤١}
لَهُمْ^{٤٢} ، في نَوَاحِي^{٤٣} الأرضِ^{٤٤} ، مُخْتَلِفَاتِ^{٤٥}
مَغَاوِيرُ^{٤٦} ، يُخْتَارُونَ^{٤٧} فِي^{٤٨} السَّرَوَاتِ^{٤٩}
فَلَا^{٥٠} تَصْطَلِيهِمْ^{٥١} جَمْرَةُ^{٥٢} الجَمَرَاتِ^{٥٣}
مَسَاعِرُ^{٥٤} جَمْرِ^{٥٥} المَوْتِ^{٥٦} ، والغَمَرَاتِ^{٥٧}
وَجِبْرِيلَ^{٥٨} ، والفُرْقَانِ^{٥٩} ذِي^{٦٠} السُّورَاتِ^{٦١}
أَحِبَّائِي^{٦٢} ، مَا^{٦٣} عَاشُوا^{٦٤} ، وَأَهْلُ^{٦٥} ثِقَاتِي^{٦٦}
عَلَى^{٦٧} كُلِّ^{٦٨} حَالٍ^{٦٩} ، خَيْرَةُ^{٧٠} الْخَيْرَاتِ^{٧١}

- ١ إلى الحشر : الجار متعلق بمصمات . القائم : أي الإمام المنتظر عند الشيعة . يريد أن هذا الإمام هو الذي يسمع صوتها ، ويظهر حقها المهضوم ، ويفرج همها .
- ٢ نفوس : خبر المصمات ، جرد من الفاء الرابطة ، ووجه الكلام أن يقال : فنفس . كربلا : موضع في طرف البرية عند الكوفة ، وفيه قتل الحسين بن علي وأصحابه . معرسهم : أي منزلهم .
- ٣ العمرة : الزيارة ، يريد : أن قبر الحسين مشهد يزار وتغشى حجره تبركاً .
- ٤ أنضاء : جمع النضو ، وهو المهزول والبالى ، ويريد بالعصبية : المدفونين في المدينة من أهل البيت ، ونعتهم بالأنضاء لما يلاقون من الشدة والحيف ، فقبورهم لا تزار ولا تكرم كقبر الحسين .
- ٥ الرخمات : جمع الرخمة ، واحدة الرخم : طائر أبيض يشبه النسر في الحلقة ، وتسميه العامة الشوحة .
- ٦ مغاوير : جمع مغوار ، كثير الغارات . السروات : جمع السراة ، جمع السري ، وهو السيد الشريف ذو المروءة .
- ٧ تنكب : تتجنب . اللأواء : الشدة وضيق العيش . الجمرة : أي جمرة الحرب . الجمرات : جمع الجمرة وهي القوم انضموا فصاروا يداً واحدة ولم يحالفوا غيرهم . وجمرات العرب قبائل معروفة .
- ٨ تشمس : امتنع . مساعر : فاعل تشمس . الغمرات : جمع الغمرة وهي شدة الموت وكرائمه .
- ٩ ملاملك : منصوب على التحذير أي كف ملاملك .

فَيَا رَبِّ، زِدْنِي، مِنْ يَتَقِينِي، بِصَبْرَةٍ^١،
 بِنَفْسِي أَنْتُمْ، مِنْ كُهُولٍ وَفِتْيَةٍ،
 أَحَبُّ قَصِي الرَّحِمِ، مِنْ أَجْلِ حُبِّكُمْ،
 وَأَكْثَمُ حُبِّكُمْ مَخَافَةَ كَاشِحٍ^٢،
 لَقَدْ حَفَّتِ الْأَيَّامُ حَوْلِي بِشَرِّهَا،
 أَلَمْ تَرَ أَنِّي، مِنْ ثَلَاثِينَ حِجَّةً^٣،
 أَرَى فَيَاهُمْ، فِي غَيْرِهِمْ مُتَقَسِّمًا،
 قَالَ رَسُولُ اللَّهِ نُحِفُ جُسُومُهُمْ،
 بَنَاتُ زِيَادٍ فِي الْقُصُورِ مَصُونَةٌ^٤،
 إِذَا وَتَرُوا، مَدَدُوا إِلَى أَهْلِ وَتَرِهِمْ^٥،
 وَزِدْ حُبَّهُمْ، يَا رَبِّ، فِي حَسَنَاتِي
 لَفَكَ عُنَاةً^٦، أَوْ لِحْمَلِ دِيَاتٍ^١
 وَأَهْجُرُ فَيْكُمْ أُسْرَتِي وَبَنَاتِي^٢
 عَنِيدٍ، لِأَهْلِ الْحَقِّ غَيْرِ مُوَاتٍ^٣
 وَإِنِّي لِأَرْجُو الْأَمْنَ بَعْدَ وَفَاتِي
 أَرْوَحُ، وَأَغْدُو دَائِمَ الْحَسَرَاتِ
 وَأَيْدِيَهُمْ، مِنْ فَيْثِهِمْ، صَفِرَاتٍ^٤
 وَآلُ زِيَادٍ حَقْلُ الْقَصَرَاتِ^٥
 وَآلُ رَسُولِ اللَّهِ فِي الْفَلَكَوَاتِ
 أَكْفَأَ عَنِ الْأَوْتَارِ مُنْقَبِضَاتٍ^٦

١ العناية : جمع العاني أي الأسير .

٢ قصي الرحم : أي الغريب لا تجمعك به قرابة . يريد أنه ليس بينه وبين أهل البيت قرابة رحم ، وهو يحبهم حتى أصبح يحب كل بعيد الرحم من أجل حبهم .

٣ الكاشح : العدو . موات : مجار .

٤ فياهم .: ما لهم الذي أفاء الله عليهم في الجهاد أو مال الجزية والحراج . صفرات : خاليات .

٥ آل زياد : دولة ملكت اليمن في أيام المأمون ، ونسبتهم إلى زياد ابن أبيه . وذلك أن شخصاً منهم يقال له محمد بن إبراهيم بن عبيد الله بن زياد ابن أبيه كان مع جماعة من بني أمية قد سلمهم المأمون إلى الفضل بن سهل ، وقيل إلى أخيه الحسن . وفي ذلك الوقت اختلت أمور اليمن فبلغ المأمون ذلك ، فأثنى الفضل بحضرة المأمون على محمد بن زياد المذكور ، ومدح همته وشجاعته . فأرسله المأمون ومعه جماعة لإصلاح أمر اليمن . فسار وأرسل الهدايا إلى الخليفة . فبعث إليه المأمون ألفي فارس ليكونوا في إمرته ، فعظم شأنه ، وانتقل ملكه بعده إلى أولاده . وكانت مدة دولتهم ٢٠٤ سنوات . القصرات ، جمع القصرة : أصل العنق . يؤلم الشاعر أن يكون أهل البيت ضعاف الأجسام لما بهم من عوز وهم أبناء عم العباسيين ، في حين أن آل زياد غلاظ الرقاب من النعمة التي أولاهم إياها العباسيون ، مع أنهم أمويون .

٦ وتروا : كان لهم ثار عند غيرهم . وترهم : ثأرهم . الأوتار : جمع الوتر ، وهنا بمعنى الظلم والاعتداء . نعمهم بالمساحة وحب السلام .

فلولا الذي أرجوه في اليوم ، أو غدا ،
خروجُ إمامٍ ، لا محالة خارجٌ ،
يُمَيِّزُ فينا كلَّ حقٍّ وباطلٍ ،
سأقصُرُ نفسي ، جاهداً ، عن جِدالهم ،
فيا نفس طيبي ، ثم يا نفس أبشري ،
فإنَّ قَرَّبَ الرَّحْمَنُ من تلك مُدَّتِي ،
شُفِيتُ ، ولم أتركْ لنفسي رَزيَّةً ،
أحاولُ نقلَ الشمسِ من مُستَقَرِّها ،
فَمِنْ عارِفٍ لم يَستَفِيعْ ، ومُعانِدٍ
قُصارايَ مِنْهُمْ أنْ أموتَ بغُصَّةٍ ،
كأنَّكَ بالأضلاعِ قد ضاقَ رَجُبُها ،
لَقَطَعَ قَلْبِي ، لِإِثْرِهِمْ ، حَسْرَاتِي^١
يَقُومُ على اسمِ اللهِ والبركاتِ^٢
ويَجْزِي على النعماءِ والنقَماتِ
كَفَانِي ما أَلْقَى مِنَ العَبَرَاتِ^٣
فَغَيْرُ بَعِيدٍ كُلُّ ما هُوَ آتٍ
وَأَخَّرَ مِنْ عُمْرِي لِطَوْلِ حَيَاتِي^٤
وَرَوَيْتُ مِنْهُمْ مُنْصَلِي وَقَنَاتِي^٥
وَأَسْمِعُ أَحْجَاراً مِنَ الصَّلَدَاتِ^٦
يَمِيلُ مَعَ الْأَهْوَاءِ وَالشَّبْهَاتِ^٧
تَرَدَّدُ بَيْنَ الصَّدْرِ وَاللَّهَوَاتِ^٨
لِمَا ضُمَّتَتْ مِنْ شِدَّةِ الزَّفَرَاتِ

- ١ حسراتي : فاعل قطع .
٢ خروج إمام : أي الإمام المنتظر الذي يخرج من أهل البيت ليظهر الأرض من الجور والفساد .
٣ عن جدالهم : أي عن جدال من ينكرون مجيء الإمام المنتظر . العبرات : جمع العبرة ، أي العبارة فاللعن : كفاني ما ألقى من الكلام . أو هي عبارات : جمع عبرة ، أي العجب والموعظة يتعظ بها .
٤ تلك : أي تلك الساعة التي يخرج فيها الإمام .
٥ منهم : أي من الذين ينكرون مجيئه .
٦ احاول نقل الشمس : أي أن صعوبة اقناع المنكرين كصعوبة نقل الشمس من مكانها . الصلداات : الصلاب ، مفردها صلدة . أي واسماع المنكرين كاسماع الحجارة الصلاب .
٧ يقول : من المنكرين من عرف الحقيقة ، ولكنه يمحدها ولا ينتفع بها . الشبهات : الظنون .
٨ قصاراي : غايي وجهدي . وقوله : أموت بغصة ، أي اذا مات متشوقاً الى ظهور الامام . اللهوات : جمع اللهاة ، وهي اللحمة المشرفة على الحلق .

اغراض مختلفة

غزل

أينَ الشَّبابُ ، وأَيَّةَ سَلَكَا ؟ بل أينَ يُطَلَّبُ؟ ضَلَّ أمْ هَلَكَا ؟
لا تَعَجَّبي يا سَلَمَ من رَجُلٍ ، ضَحِكَ المَشِيبُ برَأْسِهِ ، فبَكَى
يا سَلَمَ ما بالشَّيبِ مَنَقَصَةٌ ، لا سُوْقَةٌ يُبْقِي ، ولا مَلِكَا^١
قَصَرَ الغَوَايَةَ عَن هَوَى قَمَرٍ ، أَجِدُ السَّبِيلَ إِلَيْهِ مُشْتَرَكَا^٢
يا لَيْتَ شِعْرِي ، كَيْفَ نَوْمُكُما ، يا صاحِبِي ، إِذَا دَمِي سَفِكَا؟^٣
لا نَأْخُذًا بِظُلَامَتِي أَحَدًا ، قَلْبِي وَطَرَفِي فِي دَمِي اشْتَرَكَا^٤

حنين

ألمْ يَأْنِ ، لِلسَّفَرِ الدِّينَ تَحَمَّلُوا ، إلى وَطَنٍ ، قَبْلَ المَمَاتِ ، رُجُوعُ؟^٥
فَقُلْتُ ، ولمْ أَمْلِكْ سِوَابِقَ عِبْرَةٍ ، نَطَقَنَ بِمَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ ضُلُوعُ :
تَبَيَّنَ ، فَكَمْ دَارٍ تَفَرَّقَ شَمْلُهَا ، وَشَمْلٍ شَتَّيتِ عَادَ وَهُوَ جَمِيعُ
كَذَلِكَ النَّيَالِي ، صَرْفُهُنَّ كَمَا تَرَى ، لِكُلِّ أَنَاسٍ جَدْبَةٌ وَرَيْعُ

- ١ المنقصة : النقص والغيب . السوقة : الرعية من الناس ، الواحد والجمع والمذكر والمؤنث . سموا بذلك لأن الملك يسوقهم ويصرفهم إلى ما شاء من أمره ومراذه .
- ٢ قصره عن الشيء : كفه عنه قسراً لا طوعاً . الغواية : الضلالة . يقول : إن وقار الشيب رده عن الحب كرهاً ، لأنه أبى عليه أن يتبدل في حب مليح يشاركه فيه كثير من العشاق .
- ٣ يقول : إن حب هذا المليح الذي أقصر عنه مكرهاً سيقتله ، ولذلك يسأل صاحبيه كيف يصبران عنه إذا سفك دمه .
- ٤ الظلام : ما تطلبه عند الظالم ، وهو ما يأخذه منك ظلماً .
- ٥ ألم يَأْنِ : ألم يحن ، ماضيه أنى . تحملوا : ترحلوا .

الشعر الخالد

نَعَوْنِي ، وَلَمَّا يَنْعَنِي غَيْرُ شَامِتٍ ،
يَقُولُونَ : «إِنْ ذَاقَ الرَّدَى مَاتَ شِعْرُهُ» ،
سَأَقْضِي بَيْتَ يَحْمَدُ النَّاسُ أَمْرَهُ ،
يَمُوتُ رَدَى الشَّعْرِ مِنْ قَبْلِ أَهْلِهِ ،
وغيرُ عَدُوٍّ قَدْ أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ^١
وهيهاتِ ، عُمُرُ الشَّعْرِ طَوَائِلُهُ^٢
وَيَكْثُرُ مِنْ أَهْلِ الرِّوَايَةِ حَامِلُهُ^٣
وَجَيِّدُهُ يَبْقَى ، وَإِنْ مَاتَ قَائِلُهُ^٤

فضيلة العطاء

لَشِنْ كُنْتُ لَا تُؤَلِّي يَدَا دُونَ لَامِرَةٍ ،
فَأَيُّ لِنَاءٍ لَمْ يَفِضْ عِنْدَ مَلِكِهِ ،
وَلَيْسَ الْفَتَى الْمُعْطَى عَلَى الْيُسْرِ وَحْدَهُ ،
فَلَسْتُ بِمُولٍ نَائِلًا آخِرَ الدَّهْرِ^٥
وَأَيُّ بَخِيلٍ لَمْ يُنَلِّ سَاعَةَ الْوَفْرِ ؟
وَلَكِنَّهُ الْمُعْطَى عَلَى الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ

لذة العيش

كتب دعبل الى نهشل ابي حميد الطوسي يقول :

إِنَّمَا الْعَيْشُ فِي مُسَادَمَةِ الْإِخْوَ
وَبَصْرِفٍ كَأَنَّهَا أَلْسُنُ الْبَرِّ
إِنْ تَكُونُوا تَرَكْتُمْ لَذَّةَ الْعَيْدِ
فَدَعُونِي ، وَمَا أَلَذُّ وَأَهْوَى ،
وَأَنْ لَا فِي الْجُلُوسِ عِنْدَ الْكَعَابِ
قِ ، إِذَا اسْتَعْرَضْتَ رَقِيقَ السَّحَابِ^١
شِ ، حِذَارَ الْعِقَابِ ، يَوْمَ الْعِقَابِ
وَادْفَعُوا بِي فِي صَدْرِ يَوْمِ الْحِسَابِ

١ لما : بمعنى لم الجازمة . المقاتل : جمع المقتل وهو العضو الذي لا يستطيع المقاومة إذا أصيب . وقوله : أصيبت مقاتله : أراد هنا الهجاء الذي أصاب الأماكن الضعيفة من عرضه وشرفه .

٢ الطوائل : جمع الطائلة ، وهي القدرة والسعة .

٣ سأقضي : سأموت . بيت : الباء سببية .

٤ اليد : العطاء والنعمة . الامرة : الولاية والملك . النائل : العطاء . آخر الدهر : أي مدى الدهر .

٥ استعرض : طلب العريض من الأشياء . شبه لألاء الخمرة بألسن البرق ، وحبيها برقيق السحاب . يقول : ان لألاها يلوح في الحب كما تلوح ألسن البرق في رقيق السحاب .

ابن المقفع

كليلة ودمنة

باب عرض الكتاب

وضعه عبد الله بن المقفع

الحض على تفهم الكتاب

هذا كتابُ كليلةٍ ودمنةٍ وهو مما وَضَعَهُ عُلَمَاءُ الْهِنْدِ مِنَ الْأَمْثَالِ
وَالْأَحَادِيثِ الَّتِي أُلْهِمُوا أَنْ يُدْخِلُوا فِيهَا أَبْلَغَ مَا وَجَدُوا مِنَ الْقَوْلِ فِي النَّحْوِ
الَّذِي أَرَادُوهُ . وَلَمْ تَزَلِ الْعُلَمَاءُ وَالْحُكَمَاءُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ وَلِسَانٍ يَلْتَمِسُونَ
أَنْ يُعْقَلَ عَنْهُمْ . وَيَسْتَحْتَالُونَ لِذَلِكَ بِصُنُوفِ الْحَيْلِ ، وَيَبْتَغُونَ إِخْرَاجَ مَا
عِنْدَهُمْ مِنْ الْعِلَلِ^٢ ، فِي إِظْهَارِ مَا لَدَيْهِمْ مِنْ الْعُلُومِ وَالْحِكَمِ ، حَتَّى كَانَ
مِنْ تِلْكَ الْعِلَلِ وَضَعُ هَذَا الْكِتَابِ عَلَى أَفْوَاهِ الْبَهَائِمِ وَالطَّيُورِ . فَاجْتَمَعَ لَهُ
بِذَلِكَ خِلَالٌ^٣ مِنْهَا : أَنْتَهُمْ وَجَدُوا مُنْصَرَفًا^٤ فِي الْقَوْلِ ، وَشِعَابًا^٥ يَأْخُذُونَ
مِنْهَا ، وَوُجُوهًا يَسْلُكُونَ فِيهَا . وَأَمَّا الْكِتَابُ فَجَمَعَ حِكْمَةً وَلَهْوًا ، فَاخْتَارَهُ
الْحُكَمَاءُ لِحِكْمَتِهِ ، وَالْأَغْرَارُ^٦ لِلتَّهْوَةِ . وَالْمُتَعَلِّمُ مِنَ الْأَحْدَاثِ نَاشِطٌ فِي

١ النحو : القصد .

٢ العلل : الأسباب .

٣ الخلال : الحصال ، مفردا الخلعة .

٤ منصرفًا : متسعًا للاستزادة من الكلام .

٥ شعابًا : طرقًا ، مفردا شعب .

٦ الأغرار ، جمع الغر : الشاب لا تجربة له ، يفتر بالأباطيل .

حِفْظُ مَا صَارَ لِأَتِيهِ مِنْ أَمْرٍ يُرَبِّطُ فِي صَدْرِهِ ، وَلَا يَدْرِي مَا هُوَ ، بَلْ عَرَفَ أَنَّهُ قَدْ ظَفِرَ مِنْ ذَلِكَ بِمَسْكُوتٍ مَرْقُومٍ^١ . وَكَانَ كَالرَّجُلِ الَّذِي لَمَّا اسْتَكْمَلَ الرَّجُولِيَّةَ وَجَدَ أَبَوَيْهِ قَدْ كَنَزَا لَهُ كُنُوزًا^٢ ، وَعَقَدَا لَهُ عُقْدًا^٣ اسْتَغْنَى بِهَا عَنْ الْكَدَحِ^٤ ، فِيمَا يَعْمَلُهُ مِنْ أَمْرِ مَعِيشَتِهِ ؛ فَأَغْنَاهُ مَا أَشْرَفَ عَلَيْهِ مِنْ الْحِكْمَةِ عَنْ الْحَاجَةِ إِلَى غَيْرِهَا مِنْ وُجُوهِ الْأَدَبِ .

فَأَوَّلُ مَا يَنْبَغِي لِمَنْ قَرَأَ هَذَا الْكِتَابَ أَنْ يَعْرِفَ الْوُجُوهَ الَّتِي وُضِعَتْ لَهُ ، وَالرَّمُوزَ الَّتِي رُمِيزَتْ فِيهِ ، وَإِلَى أَيِّ غَايَةٍ جَرَى مَوْلَفُهُ فِيهِ ، عِنْدَ مَا نَسَبَهُ إِلَى الْبَهَائِمِ وَأَضَافَهُ إِلَى غَيْرِ مُفْصِحٍ^٥ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الْأَوْضَاعِ الَّتِي جَعَلَهَا أَمْثَالًا^٦ . فَإِنْ قَارَيْتَهُ ، مَتَى لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ، لَمْ يَدْرِ مَا أُرِيدُ بِتِلْكَ الْمَعَانِي ، وَلَا أَيُّ ثَمَرَةٍ يَجْتَنِي مِنْهَا ، وَلَا أَيُّ نَتِيجَةٍ تَحْصُلُ لَهُ مِنْ مُقَدِّمَاتِ مَا تَضَمَّنَتْهُ هَذَا الْكِتَابُ . وَإِنَّهُ ، إِنْ كَانَتْ غَايَتُهُ مِنْهُ اسْتِثْمَامَ قِرَائَتِهِ ، وَالْبُلُوغَ إِلَى آخِرِهِ ، دُونَ تَفْقَهُمْ مَا يَقْرَأُ مِنْهُ ، لَمْ يَعُدْ عَلَيْهِ^٧ شَيْءٌ يَرْجِعُ إِلَيْهِ نَفْعُهُ . وَمَنْ اسْتَكْثَرَ مِنْ جَمْعِ الْكُتُبِ وَقِرَاءَةِ الْعُلُومِ ، مِنْ غَيْرِ إِعْمَالِ الرَّيَّةِ فِيمَا يَقْرَأُ^٨ ، كَانَ خَلِيقًا أَنْ لَا يُصِيبَهُ إِلَّا مَا أَصَابَ الرَّجُلَ الَّذِي زَعَمَتِ الْعُلَمَاءُ أَنَّهُ اجْتَازَ بِنَعْضِ الْمَغَاوِرِ^٩ ، فَظَهَرَ لَهُ مَوْضِعُ آثَارِ كَثَرٍ ، فَجَعَلَ يَحْفَرُ وَيَطْلُبُ ، فَوَقَعَ عَلَى شَيْءٍ كَثِيرٍ مِنْ عَيْنٍ^{١٠} وَوَرَقٍ^{١١} ، فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : إِنْ أَنَا أَخَذْتُ فِي نَقْلِ هَذَا الْمَالِ قَلِيلًا قَلِيلًا ، طَالَ عَلَيَّ ،

١ المرقوم : الكتاب المعجم المبين .

٢ العقد : جمع العقدة ، وهي ما يعقد من البيع . والعقار الذي اعتقده صاحبه ملكاً .

٣ الكدح : الجد والاجتهاد .

٤ المفصح : ضد الأعجم غير الناطق .

٥ وغير ذلك : أي وأن يعرف غير ذلك .

٦ لم يعد عليه : لم ينفعه ، والفاعل يعود إلى الكتاب .

٧ المغاور : جمع المغارة .

٨ العين : الذهب .

٩ الورق : الدراهم من الفضة .

وقطعتني الاشتغالُ بنقله عن اللذة بما أصبتُ منه . ولكن أستأجِرُ قوماً يحملونه إلى منزلي ، وأكونُ أنا آخرهم ، ولا يكونُ بقيَ ورائي شيءٌ يشغلُ فكري بنقله ، وأكونُ قد استظهرتُ^١ لنفسي ، في إراحة بدني عن الكدِّ ، بيسيرِ أجرَةٍ أُعطيها لآيائهم . ثم جاءَ بالحمالين فجعلَ يسلكنَّ إلى كلِّ واحدٍ منهنَّ ما يقدرُ على حمليه ويقولُ له : إذهبْ به إلى منزلي . فينطلقُ بهِ الحمالُ إلى منزله هو ، حتى إذا لم يبقَ في الكنزِ شيءٌ ، انطلقَ خلفهم إلى منزله ، فلمْ يجدْ فيه من المالِ شيئاً ، وإذا كلُّ واحدٍ من الحمالين قد فازَ بما حمَلتهُ لنفسه ، ولم يكنْ للرجلِ من ذلكَ إلاَّ العناءُ والتعبُ ، لأنه لم يفسكرْ في آخرِ أمره .

وكذلكَ مَنْ قرأَ هذا الكتابَ ولم يفهمْ ما فيه ولم يعلمْ غرضه ظاهراً وباطناً ، لم يستفيعْ بما يبدو له من خطئه ونقشه^٢ كما لو أن رجلاً قدَّم له جوزٌ صحيحٌ لم يستفيعْ بهِ إلاَّ أن يكسره ويستخرج ما فيه . وكان أيضاً كالرجلِ الذي طلبَ عِلْمَ الفصيحِ من كلامِ الناسِ ، فأتى صديقاً له من العلماءِ ، له عِلْمٌ بالفصاحةِ ، فأعلمته حاجته إلى عِلْمِ الفصيحِ ، فرسمَ له صديقه في صحيفةٍ صفراءَ فصيحِ الكلامِ وتصاريفه ووجوهه . فانصرفتَ بها إلى منزله ، فجعلَ يكثرُ قراءتها ، ولا يقفُ على معانيها ، ولا يعلمُ تأويل^٣ ما فيها ، حتى استظهرها كلها . فاعتقدَ أنه قد أحاطَ بعِلْمِ ما فيها . ثم إنَّه جلسَ ذاتَ يومٍ في محفلٍ من أهلِ العِلْمِ والأدبِ ، فأخذَ في محاورتهم ، فجرتَ له كلمةٌ أخطأ فيها ، فقالَ له بعضُ الجماعةِ : « إنَّكَ قد أخطأتَ ، والوجهُ غيرُ ما تكلمتَ » فقالَ : « كيفَ أخطيءُ وقد قرأتُ الصحيفةَ الصفراءَ ، وهي في منزلي ؟ » فكانتَ مقالتهُ هذه أوجبَ للحُجَّةِ عليه ، وزادَهُ ذلكَ قُرْباً من الجهلِ ، وبعُداً من الأدبِ . الخ .

١ استظهرت : استعنت .

٢ نقشه : تلوينه .

٣ التأويل : تدبير الكلام وتقديره وتفسيره .

أغراض الكتاب

وَيَنْبَغِي لِلنَّاطِرِ فِي هَذَا الْكِتَابِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ يُنْقَسِمُ إِلَى أَرْبَعَةِ أَغْراضٍ :
أَحَدُهَا مَا قُصِدَ فِيهِ إِلَى وَضْعِهِ عَلَى أَلْسِنَةِ الْبَهَائِمِ غَيْرِ النَّاطِقَةِ ، مِنْ
مُسَارَعَةِ أَهْلِ الْهَزْلِ مِنَ الشَّبَّانِ إِلَى قِرَاءَتِهِ ، فَتُسْتَمَالُ بِهِ قُلُوبُهُمْ ،
لأنَّ هَذَا هُوَ الْغَرَضُ بِالنَّوَادِرِ مِنْ حَيْلِ الْحَيَوَانَاتِ . وَالثَّانِي لِإِظْهَارِ خَيَالَاتِ
الْحَيَوَانَاتِ بِصُنُوفِ الْأَصْبَاغِ وَالْأَلْوَانِ ^١ ، لِيَكُونَ أَنْسَأَ لِقُلُوبِ الْمُلُوكِ ، وَيَكُونَ
حِرْصُهُمْ عَلَيْهِ أَشَدَّ ، لِلنَّزْهَةِ فِي تِلْكَ الصُّوَرِ . وَالثَّالِثُ أَنْ يَكُونَ عَلَى هَذِهِ
الصِّفَةِ ، فَيَتَّخِذَهُ الْمُلُوكُ وَالسُّوقَةُ ^٢ ، فَيَكْثُرَ بِذَلِكَ انْتِسَاخُهُ ، وَلَا يَبْطُلَ
فَيَخْلُقُ ^٣ عَلَى مُرُورِ الْأَيَّامِ ، وَلِيَسْتَنْفَعَ بِذَلِكَ الْمُصَوِّرُ وَالنَّاسِخُ أَبَدًا . وَالْغَرَضُ
الرَّابِعُ ، وَهُوَ الْأَقْصَى ، مَخْصُوصٌ بِالْفَيْلَسُوفِ خَاصَّةً .

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُقَفَّعِ : لَمَّا رَأَيْتُ أَهْلَ فَارِسَ قَدْ فَسَّرُوا هَذَا الْكِتَابَ
مِنْ الْهِنْدِيَّةِ إِلَى الْفَارْسِيَّةِ ، وَالْحَقُّوْا بِهِ بَابًا ، وَهُوَ بَابُ بَرَزَوِيَّةِ الطَّيِّبِ ،
وَلَمْ يَذْكُرُوا فِيهِ مَا ذَكَرْنَا فِي هَذَا الْبَابِ لِمَنْ أَرَادَ قِرَاءَتَهُ وَاقْتِنَاسَ عُلُومِهِ
وَفَوَائِدِهِ ، وَضَعْنَا لَهُ هَذَا الْبَابَ . فَتَأَمَّلْ ذَلِكَ تَرَشُّدًا ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

١ يتبين من ذلك أن الكتاب كان ذا صور وألوان في الأصل .

٢ السوق : الرعية وعامة الشعب .

٣ يخلق : يبلى .

٤ فسروا : المراد هنا أظهروا الكتاب بالترجمة ، وكشفوا عن مغطاه .

باب الاسد والثور

وهو أول الكتاب في الأصل الهندي

مملكة الأسد

قال دبشليم^١ الملك لبندبا^٢ الفيلسوف، وهو رأس البراهمة: لضرب لي مثلاً لمشحابين يقطع بينهما الكدوب^٣ المحتال، حتى يحمي^٤هما على العداوة والبغضاء.

قال لبندبا: إذا ابتلي المشحaban بأن يدخل بينهما الكدوب المحتال، لم يلبثا أن يتقاطعا ويتدابرا^١. ومن أمثال ذلك أنه كان بأرض دستاند^٢ رجل شيخ له ثلاثة بنين. فلما بلغوا أشدهم، أسرفوا في مال أبيهم، ولم يكونوا احترقوا حرفة يسكبون بها لأنفسهم خيراً. فلما هم أبوهم ووعظهم على سوء فعلهم. وكان من قوله لهم: يا بني، إن صاحب الدنيا يطلب ثلاثة أمور، لن يدركها إلا بأربعة أشياء. أما الثلاثة التي يطلب: فالسعة في الرزق، والمترلة في الناس، والزاد^٢ للآخرة. وأما الأربعة التي يحتاج إليها في درك هذه الثلاثة: فاكتساب المال من أحسن وجه يكون، ثم حسن القيام على ما اكتسب منه، ثم استثماره، ثم إنفاقه فيما يصلح المعيشة، ويرضي الأهل والإخوان، فيعود عليه نفعه في الآخرة. فمن ضيع شيئاً من هذه الأحوال، لم يدرك ما أراد من حاجته. لأنه، إن لم يكتسب، لم يسكن له مال يعيش به. وإن هو كان ذا مال واكتساب ثم لم يحسن القيام عليه، أو شك المال أن يتقى ويبقى^٣ معدماً^٤.

١ يتدابرا: أي يولي كل واحد ظهره للآخر متقاطعين.

٢ الزاد: أي التزود من الأعمال الصالحة.

٣ يبقى: الضمير يعود على صاحب المال.

٤ المعدم: الفقير.

وإنَّهُ هُوَ وَضَعَهُ وَلَمْ يَسْتَشْمِرْهُ ، لَمْ تَمْنَعَهُ قِلَّةُ الْإِنْفَاقِ مِنْ سُرْعَةِ الذَّهَابِ ،
كَالْكُحْلِ الَّذِي لَا يُؤْخَذُ مِنْهُ إِلَّا غُبَارُ الْمِيلِ ، ثُمَّ هُوَ مَعَ ذَلِكَ سَرِيعُ فِتْنَاوِهِ .
وإنَّهُ هُوَ اكْتَسَبَ وَأَصْلَحَ وَأَثَمَرَ ، ثُمَّ أَمْسَكَ عَنْ إِنْفَاقِهِ فِي وُجُوهِهِ وَمَنَافِعِهِ ،
صَارَ بِمَنْزِلَةِ الْفَقِيرِ الَّذِي لَا مَالَ لَهُ . ثُمَّ لَمْ يَمْنَعْ ذَلِكَ أَيْضاً مَالَهُ مِنَ التَّلَفِ
بِالْحَوَادِثِ وَالْعِلَلِ الَّتِي تَجْرِي عَلَيْهِ ، كَحَبْسِ الْمَاءِ الَّذِي لَا تَزَالُ الْمِيَاهُ
تَنْصَبُ فِيهِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَخْرَجٌ وَمَقَاضٍ وَمُتَنَفِّسٌ يَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ
بِقَدْرِ مَا يَنْبَغِي ، خَرِبَ وَسَالَ وَنَزَّ مِنْ نَوَاحٍ كَثِيرَةٍ . وَرُبَّمَا انْبَثَقَ
الْبَثْقُ الْعَظِيمُ ، فَذَهَبَ الْمَاءُ ضَيَاعاً .

ثُمَّ إِنَّ بَنِي الشَّيْخِ اتَّعَظُوا بِقَوْلِ أَبِيهِمْ ، وَأَخَذُوا بِهِ ، وَعَلِمُوا أَنَّ
فِيهِ الْخَيْرَ ، وَعَوَّلُوا عَلَيْهِ . فَانْطَلَقَ أَكْبَرُهُمْ فِي تِجَارَةٍ نَحْوَ أَرْضٍ يُقَالُ لَهَا
مَيَّوْنُ . فَأَتَى فِي طَرِيقِهِ عَلَى مَكَانٍ فِيهِ وَحْلٌ كَثِيرٌ ، وَكَانَ مَعَهُ عَجَلَةٌ
يَجْرُهَا ثَوْرَانِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا شَتْرَبَةٌ ، وَلِلْآخَرِ بِنْدَبَةٌ . فَوَحَلَ شَتْرَبَةٌ
فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ ، فَعَالَجَهُ الرَّجُلُ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى بَلَغَ مِنْهُمْ الْجُحْدُ فَلَمْ
يَقْدُرُوا عَلَى إِخْرَاجِهِ . فَذَهَبَ الرَّجُلُ ، وَخَلَّفَ عِنْدَهُ رَجُلًا يُشَارِفُهُ ،
لَعَلَّ الْوَحْلَ يَنْشَفُ ، فَيَتَّبِعَهُ بِهِ . فَلَمَّا بَاتَ الرَّجُلُ بِذَلِكَ الْمَكَانِ تَبَرَّمَ
بِهِ وَاسْتَوْحَشَ ، فَتَرَكَ الثَّورَ وَالتَّحْقَ بِصَاحِبِهِ ، فَأَخْبَرَهُ بِأَنَّ الثَّورَ قَدْ مَاتَ .
وَأَمَّا الثَّورُ فَإِنَّهُ خَلَصَ مِنْ مَكَانِهِ وَانْبَعَثَ ، فَلَمْ يَزَلْ حَتَّى انْتَهَى
إِلَى مَرَجٍ مُخَصَّبٍ كَثِيرِ الْمَاءِ وَالْكَلَالِ ، فَأَقَامَ فِيهِ . فَلَمَّا سَمِنَ وَأَمِنَ جَعَلَ
يَسْخُورُ وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ بِالْحُورِ . وَكَانَ قَرِيباً مِنْهُ أَجْمَةٌ فِيهَا أَسَدٌ عَظِيمٌ ،
وَهُوَ مَلِكُ تِلْكَ النَّاحِيَةِ ، وَمَعَهُ سِبَاعٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الذَّئَابِ وَالذَّبَبَةِ وَبَنَاتِ

١ انفاقه : الضمير يعود على المال المكتسب .

٢ انبثق : تكسرت جوانبه ، وانفجر الماء .

٣ يشارفه : يقوم عليه .

٤ تبرم : مل وضجر .

٥ الأجمة : الشجر الكثير الملتف .

آوَى والثعالِبِ وسائرِ السَّبَاعِ . وكانَ الأسدُ مَزْهُوًّا^١ مُنْفَرِدًا بِرَأْيِهِ ، ورأْيُهُ غيرُ كامِلٍ . فَلَمَّا سَمِعَ خَوَارَ الثَّوَرِ ، ولم يكنْ رأى ثَوْرًا قِطًّا ، ولا سَمَعَ خَوَارَهُ ، خَامَرَهُ^٢ مِنْهُ هَيْبَةً وَخَشْيَةً . وَكَرِهَ أَنْ يَفْطَنَ لِدَلِكْ جُنْدُهُ . فَأَقَامَ بِمَسْكَانِهِ لَا يَبْرَحُ وَلَا يَنْشَطُ ، بَلْ يُؤْتَى بِرِزْقِهِ كُلَّ يَوْمٍ عَلَى يَدِ جُنْدِهِ . وَكَانَ ، فَيَمَنُّ مَعَهُ مِنَ السَّبَاعِ ، ابْنَا آوَى يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا كَلِيلَةُ ، وللآخرِ دِمْنَةُ ، وَكِلَاهُمَا ذُو أَدَبٍ وَدَهَاءٍ . وَكَانَ دِمْنَةُ شَرَّهُمَا نَفْسًا ، وَأَشَدَّهُمَا تَطَلُّعًا إِلَى الْأَشْيَاءِ . وَلَمْ يَكُنِ الْأَسَدُ عَرَفَهُمَا .

فَقَالَ دِمْنَةُ يَوْمًا لِأَخِيهِ كَلِيلَةَ : يَا أَخِي ، مَا شَأْنُ الْأَسَدِ مُقِيمًا مَسْكَانَهُ لَا يَبْرَحُ وَلَا يَنْشَطُ خِلَافًا لِعَادَتِهِ ؟ قَالَ لَهُ كَلِيلَةُ : مَا شَأْنُكَ أَنْتَ وَالْمَسْأَلَةُ عَنْ هَذَا ؟ نَحْنُ عَلَى بَابِ مَمْلِكِنَا ، آخِذِينَ بِمَا أَحَبَّ ، وَتَارِكِينَ مَا يَكْرَهُ . وَلَسْنَا مِنْ أَهْلِ الْمَرْتَبَةِ الَّتِي يَتَنَاوَلُ أَهْلُهَا كَلَامَ الْمُلُوكِ ، وَالنَّظَرُ فِي أُمُورِهِمْ . فَأَمْسِكَ عَنْ هَذَا وَاعْلَمْ أَنَّهُ مَنْ تَكَلَّفَ مِنَ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ مَا لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ ، أَصَابَهُ مَا أَصَابَ الْقِرْدَ مِنَ النَّجَارِ . قَالَ دِمْنَةُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟ قَالَ كَلِيلَةُ : زَعَمُوا أَنَّ قِرْدًا رَأَى نَجَّارًا يَشُقُّ خَشَبَةً ، وَهُوَ رَاكِبٌ عَلَيْهَا . وَكُلَّمَا شَقَّ مِنْهَا ذِرَاعًا ، أَدْخَلَ فِيهَا وَتَدًّا . فَوَقَّفَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ ، وَقَدْ أَعْجَبَهُ ذَلِكَ . ثُمَّ إِنَّ النَّجَّارَ ذَهَبَ لِقَضَاءِ حَاجَتِهِ ، فَقَامَ الْقِرْدُ فَتَكَلَّفَ مَا لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ ، فَرَكِبَ الْخَشَبَةَ ، وَجَعَلَ وَجْهَهُ قِبَلَ الْوَتْدِ ، وَظَهْرَهُ قِبَلَ طَرَفِ الْخَشَبَةِ . فَتَدَلَّى ذَنْبُهُ فِي الشَّقِّ . وَنَزَعَ الْوَتْدَ ، فَلَزِمَ الشَّقَّ عَلَيْهِ ، فَكَادَ يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْأَلَمِ . ثُمَّ إِنَّ النَّجَّارَ وَافَاهُ ، فَأَصَابَهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ يَضْرِبُهُ . فَكَانَ مَا لَقِيَ مِنَ النَّجَّارِ مِنَ الضَّرْبِ أَشَدَّ مِمَّا أَصَابَهُ مِنَ الْخَشَبَةِ .

قَالَ دِمْنَةُ : قَدْ سَمِعْتُ مَثَلَكَ وَفَهِمْتُهُ . وَلَكِنْ أَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ

١ مزهواً : معجباً بنفسه .

٢ خامره : داخله .

كلُّ مَنْ دَنَا مِنَ الْمُلُوكِ إِنَّمَا يَدْنُو مِنْهُمْ لِبَطْنِهِ ، إِنَّمَا الْبَطْنُ قَدْ يُحْشَى بِكُلِّ مَكَانٍ . وَلَكِنَّهُ يَلْتَمِسُ الرِّفْعَةَ وَالْمَتَرَلَ الَّذِي يَسُرُّ الصَّدِيقَ وَيَسُوءُ الْعَدُوَّ . وَإِنَّ أَدْنَى النَّاسِ وَضِعَاءَهُمْ الْقَلِيلَةَ مَرُوءَتُهُمْ هُمْ الَّذِينَ يَرْضَوْنَ بِالْدُّونِ^١ ، وَيَفْرَحُونَ بِهِ ، كَالْكَلْبِ الَّذِي يُصِيبُ عَظْماً يَابِساً ، فَيَفْرَحُ بِهِ . فَأَمَّا أَهْلُ الْفَضْلِ وَالْمُرُوءَةِ فَلَا يُغْنِيهِمُ الْقَلِيلُ ، وَلَا يَرْضَوْنَ بِالْدُّونِ حَتَّى يَسْمُوا إِلَى مَا هُمْ لَهُ أَهْلٌ^٢ كَالْأَسَدِ الَّذِي يَقْتَرِسُ^٣ الْأَرْنَبَ ، فَإِذَا رَأَى الْأَتَانَ^٤ ، تَرَكَ الْأَرْنَبَ وَطَلَبَ الْأَتَانَ .

دمنة يحرش الثور على الأسد

قَالَ دِمْنَةُ^٥ : دَعُ عَنْكَ هَذَا الْكَلَامَ وَاحْتَلِ لِنَفْسِكَ . قَالَ شَتْرَبَةُ^١ : بِأَيِّ شَيْءٍ أَحْتَالُ لِنَفْسِي إِذَا أَرَادَ الْأَسَدُ أَكْلِي ، مَعَ مَا عَرَفْتَنِي مِنْ رَأْيِ الْأَسَدِ وَسُوءِ أَخْلَاقِهِ . وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يُرِدْ بِي إِلَّا خَيْرًا ، ثُمَّ أَرَادَ أَصْحَابُهُ بِمَكْرِهِمْ وَفُجُورِهِمْ هَلَاكِي ، لَقَدَرُوا عَلَى ذَلِكَ ، فَإِنَّهُ إِذَا اجْتَمَعَ الْمَسْكِرَةُ الظَّلَمَةُ عَلَى الْبَرِيِّ الصَّالِحِ كَانُوا خُلُقَاءَ^٢ أَنْ يُهْلِكُوهُ ، وَإِنْ كَانُوا ضِعْفَاءَ ، وَهُوَ قَوِيٌّ ، كَمَا أَهْلَكَ الذِّئْبُ وَالْغُرَابُ وَابْنُ آوَى الْجَمَلِ ، حِينَ اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ بِالْمَكْرِ وَالْخِلَابَةِ^٣ . قَالَ دِمْنَةُ^٤ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟ قَالَ شَتْرَبَةُ^٥ : زَعَمُوا أَنَّ أَسَدًا كَانَ فِي أَجْمَةٍ^٦ مُجَاوِرَةً لَطَرِيقٍ مِنْ طَرُوقِ النَّاسِ . وَكَانَ لَهُ أَصْحَابٌ ثَلَاثَةٌ : ذِئْبٌ وَغُرَابٌ وَابْنُ آوَى ؛ وَأَنَّ رُعَاةً مَرَّوْا بِذَلِكَ الطَّرِيقِ ، وَمَعَهُمْ جِمَالٌ ، فَتَخَلَّفَ عَنْهُمْ جَمَلٌ ، فَدَخَلَ تِلْكَ الْأَجْمَةَ ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْأَسَدِ . فَقَالَ لَهُ الْأَسَدُ : مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ ؟ قَالَ : مِنْ مَوْضِعٍ

١ الدون : الخسيس .

٢ الأتان : أنثى الحمار ، وهي هنا أنثى الحمار الوحشي .

٣ خلقاء ، جمع خليق : جدير .

٤ الخلابة : الخداع .

٥ الأجمة : الشجر الكثير الملتف .

كُتِلَا . قال : فَمَا حَاجَتُكَ ؟ قال : مَا يَأْمُرُنِي بِهِ الْمَلِكُ . قال : تُقِيمُ عِنْدَنَا فِي السَّعَةِ وَالْأَمَنِ . فَأَقَامَ الْجَمَلُ مَعَ الْأَسَدِ زَمَانًا طَوِيلًا . ثُمَّ إِنَّ الْأَسَدَ مَضَى فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ لَطَلَبِ الصَّيْدِ ، فَلَقِيَ فِيلًا عَظِيمًا ، فَقَاتَلَهُ قِتَالًا شَدِيدًا ، وَأَفْلَتَ مِنْهُ مُثْقَلًا^١ مُثَخَّنًا بِالْجِرَاحِ يَسِيلُ مِنْهُ الدَّمُ ، وَقَدْ خَدَشَهُ^٢ الْفِيلُ بِأَنْبَابِهِ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى مَكَانِهِ وَقَعَ لَا يَسْتَطِيعُ حَرَاكًا ، وَلَا يَقْدُرُ عَلَى طَلَبِ الصَّيْدِ . فَلَبِثَ الذِّئْبُ وَالْغُرَابُ وَابْنُ آوَى أَيَّامًا لَا يَجِدُونَ طَعَامًا ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَأْكُلُونَ مِنَ فَضْلَاتِ الْأَسَدِ وَطَعَامِهِ . فَأَصَابَهُمْ وَأَصَابَهُ جُوعٌ شَدِيدٌ وَهُزَالٌ . وَعَرَفَ الْأَسَدُ مِنْهُمْ ذَلِكَ ، فَقَالَ : لَقَدْ جَهَدْتُمْ^٣ وَاحْتَجْتُمْ إِلَى مَا تَأْكُلُونَ . فَقَالُوا : لَا تَهْمُنَا أَنْفُسُنَا ، لَكِنَّا نَرَى الْمَلِكَ عَلَى مَا نَرَاهُ ، فَلَيْتَنَا نَجِدُ مَا يَأْكُلُهُ وَيُصْلِحُهُ . قَالَ الْأَسَدُ : مَا أَشْكُ فِي مَوَدَّتِكُمْ وَصُحْبَتِكُمْ ، وَلَكِنْ إِنْ اسْتَطَعْتُمْ فَاثْتَشِرُوا لِعَلَّكُمْ تُصِيبُونَ صَيْدًا تَأْتُونِي بِهِ ، فَيُصِيبَنِي وَيُصِيبَكُمُ مِنْهُ رِزْقٌ . فَخَرَجَ الذِّئْبُ وَالْغُرَابُ وَابْنُ آوَى مِنَ عِنْدِ الْأَسَدِ ، فَتَنَحَّوْا نَاحِيَةً وَاثْتَمَرُوا فِيهَا بَيْنَهُمْ وَقَالُوا : مَا لَنَا وَلِهَذَا الْجَمَلُ الْآكِلُ الْعُشْبِ الَّذِي لَيْسَ شَأْنُهُ مِنْ شَأْنِنَا ، وَلَا رَأْيُهُ مِنْ رَأْيِنَا . أَلَا نُنْزِلُ لِلْأَسَدِ فَيَأْكُلُهُ ، وَيُطْعِمُنَا مِنْ لَحْمِهِ ؟ قَالَ ابْنُ آوَى : هَذَا مَا لَا نَسْتَطِيعُ ذِكْرَهُ لِلْأَسَدِ ، لِأَنَّهُ قَدْ أَمَّنَ الْجَمَلُ ، وَجَعَلَ لَهُ ذِمَّةً^٤ . قَالَ الْغُرَابُ : أَنَا أَكْفِيكُمْ أَمْرَ الْأَسَدِ . ثُمَّ انْطَلَقَ فَدَخَلَ عَلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ الْأَسَدُ : هَلْ حَصَلْتُمْ شَيْئًا ؟ قَالَ الْغُرَابُ : إِنَّمَا يَجِدُ مَنْ يَسْعَى وَيُبْصِرُ ، أَمَّا نَحْنُ فَلَا سَعْيَ لَنَا وَلَا بَصَرَ لِمَا بَيْنَا مِنَ الْجُوعِ . وَلَكِنْ قَدْ وَفَّقْنَا إِلَى أَمْرٍ وَاجْتَمَعْنَا عَلَيْهِ ، إِنْ وَافَقْنَا الْمَلِكُ ، فَتَحْنُ لَهُ مُجِيبُونَ . قَالَ الْأَسَدُ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ الْغُرَابُ : هَذَا الْجَمَلُ الْآكِلُ الْعُشْبِ الْمُتَمَرِّغُ بَيْنَنَا مِنْ

١ المثلث : من اشتد عليه المرض والالام .

٢ خدشه : مزق جلده .

٣ جهدتهم : أصابتكم الشدة .

٤ ذمة : حرمة وعهداً .

غَيْرِ مَنفَعَةٍ لَّنَا مِنْهُ ، وَلَا رَدَّ عَائِدَةٍ ^١ ، وَلَا عَمَلٍ يُعْقِبُ مَصْلَحَةً . فَلَمَّا سَمِعَ الْأَسَدُ ذَلِكَ غَضِبَ ، وَقَالَ : مَا أَخْطَأَ رَأْيُكَ ! وَمَا أَعْجَزَ مَقَالَتَكَ ، وَأَبْعَدَكَ عَنِ الْوَفَاءِ وَالرَّحْمَةِ ! وَمَا كُنْتَ حَقِيقًا ^٢ أَنْ تَجْتَرِءَ عَلَيَّ بِهَذِهِ الْمَقَالَةِ ، وَتَسْتَقْبِلَنِي بِهَذَا الْخِطَابِ ، مَعَ مَا عَلِمْتَ مِنِّي أَنِّي قَدْ أَمَنْتُ الْجَمَلَ وَجَعَلْتُ لَهُ مِنْ ذِمَّتِي . أَوْلَمْ يَبْلُغْكَ أَنَّهُ لَمْ يَتَصَدَّقْ مُتَصَدِّقٌ بِصَدَقَةٍ هِيَ أَعْظَمُ أَجْرًا مِمَّنْ أَمَّنَ نَفْسًا خَائِفَةً وَحَقَّقَنَ دَمًا مَهْدُورًا ؟ وَقَدْ أَمَنْتُهُ وَلَسْتُ بِغَادِرٍ بِهِ ، وَلَا خَافِرٍ ^٣ لَهُ ذِمَّةً . قَالَ الْغُرَابُ : إِنِّي لِأَعْرِفُ مَا يَقُولُ الْمَلِكُ . وَلَكِنَّ النَّفْسَ الْوَاحِدَةَ يُفْتَدَى بِهَا أَهْلُ الْبَيْتِ ، وَأَهْلُ الْبَيْتِ تُفْتَدَى بِهِمُ الْقَبِيلَةُ ، وَالْقَبِيلَةُ يُفْتَدَى بِهَا أَهْلُ الْمِصْرِ ، وَأَهْلُ الْمِصْرِ فِدَى الْمَلِكِ . وَقَدْ نَزَلْتُ بِالْمَلِكِ الْحَاجَّةُ ، وَأَنَا أَجْعَلُ لَهُ مِنْ ذِمَّتِهِ مَخْرَجًا ، عَلَى أَنْ لَا يَتَكَلَّفَ الْمَلِكُ ذَلِكَ ، وَلَا يَلِيَهُ ^٤ بِنَفْسِهِ ، وَلَا يَأْمُرُ بِهِ أَحَدًا . وَلَكِنَّا نَحْتَالُ بِخَيْلَةٍ لَّنَا وَلَهُ فِيهَا صَلاَحٌ وَظَفَرٌ . فَسَكَتَ الْأَسَدُ عَنْ جَوَابِ الْغُرَابِ عَنْ هَذَا الْخِطَابِ . فَلَمَّا عَرَفَ الْغُرَابُ إِقْرَارَ الْأَسَدِ ، أَتَى صَاحِبِيهِ فَقَالَ لهُمَا : قَدْ كَلَّمْتُ الْأَسَدَ فِي أَكْلِهِ الْجَمَلَ ، عَلَى أَنْ نَجْتَمِعَ نَحْنُ وَالْجَمَلُ عِنْدَ الْأَسَدِ ، فَنَذْكُرَ مَا أَصَابَهُ وَنَتَوَجَّعَ لَهُ ^٥ اِهْتِمَامًا مِنَّا بِأَمْرِهِ ، وَحِرْصًا عَلَى صَلاَحِهِ ؛ وَيَعْرِضَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا نَفْسَهُ عَلَيْهِ تَجْمُلًا ^٦ لِأَكْلِهِ ؛ فَيَرُدَّ الْآخِرَانِ عَلَيْهِ ، وَيُسَفِّهَا ^٧ رَأْيَهُ ، وَيُبَيِّنَا الضَّرَرَ فِي أَكْلِهِ . فَإِذَا جَاءَتْ نَوْبَةُ الْجَمَلِ صَوَّبْنَا رَأْيَهُ ، فَهَلَكَ وَسَلِمْنَا كُلُّنَا ، وَرَضِيَ الْأَسَدُ

١ العائدة : المنفعة .

٢ حقيقاً : جديراً .

٣ خافر : ناقض .

٤ المصّر : الكورة والمدينة المحددة .

٥ يليه : يتولاه .

٦ الإقرار : الإذعان والموافقة .

٧ تجملاً : مجاملة وإحساناً للعشرة .

٨ سفهه : نسبه إلى السفه ، أي خفة الحلم ، والجهل .

عَنَّا . ففَعَلُوا ذَلِكَ وَتَقَدَّمُوا إِلَى الْأَسَدِ . فَقَالَ الْغُرَابُ : قَدْ احْتَجَجْتَ ، أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِلَى مَا يَقُولُوكَ . وَنَحْنُ أَحَقُّ أَنْ نَهَبَ أَنْفُسَنَا لَكَ ، فَإِنَّا بَكَ نَعِيشُ . فَإِذَا هَلَكَتَ ، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَّا بَقَاءٌ بَعْدَكَ ، وَلَا لَنَا فِي الْحَيَاةِ خَيْرٌ . فَلْيَأْكُلْنِي الْمَلِكُ فَقَدْ طِبْتُ بِذَلِكَ نَفْسًا . فَأَجَابَهُ الذِّئْبُ وَابْنُ آوَى : أَنْ اسْكُتْ ، فَلَا خَيْرَ لِلْمَلِكِ فِي أَكْلِكَ ، وَلَيْسَ فِيكَ شَيْعٌ^١ . قَالَ ابْنُ آوَى : لَكِنْ أَنَا أَشْبِعُ الْمَلِكَ ، فَلْيَأْكُلْنِي ، فَقَدْ رَضِيتُ بِذَلِكَ وَطِبْتُ نَفْسًا . فَرَدَّ عَلَيْهِ الذِّئْبُ وَالْغُرَابُ بِقَوْلِهِمَا : إِنَّكَ لِمُسْتَنٌ قَدَرٌ . قَالَ الذِّئْبُ : إِنِّي لَسْتُ كَذَلِكَ ، فَلْيَأْكُلْنِي الْمَلِكُ ، فَقَدْ سَمَحْتُ بِذَلِكَ وَطَابَتُ بِهِ نَفْسِي . فَاعْتَرَضَهُ الْغُرَابُ وَابْنُ آوَى ، وَقَالَا : قَدْ قَالَتِ الْأَطِبَاءُ : مَنْ أَرَادَ قَتْلَ نَفْسِهِ ، فَلْيَأْكُلْ لَحْمَ ذئْبٍ ، فَإِنَّهُ يَأْخُذُهُ مِنْهُ الْخُنَاقُ^٢ . وَظَنَّ الْجَمَلُ أَنَّهُ ، إِذَا عَرَّضَ نَفْسَهُ عَلَى الْأَكْلِ ، التَّمَسَّوْا لَهُ عُذْرًا كَمَا التَّمَسَّ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ الْأَعْدَارَ ، فَيَسْلَمُ وَيَرْضَى الْأَسَدُ عَنْهُ بِذَلِكَ ، وَيَنْجُو مِنَ الْمَهَالِكِ . فَقَالَ : لَكِنْ ، أَنَا فِي الْمَلِكِ شَيْعٌ وَرِيٌّ^٣ ، وَلَحْمِي طَيِّبٌ وَمَرِيٌّ ، وَبَطْنِي نَظِيفٌ ، فَلْيَأْكُلْنِي الْمَلِكُ وَيُطْعِمُ أَصْحَابَهُ وَخِدَمَتَهُ ، فَقَدْ رَضِيتُ بِذَلِكَ وَطَابَتُ نَفْسِي بِهِ ، فَقَالَ الذِّئْبُ وَابْنُ آوَى وَالْغُرَابُ : لَقَدْ صَدَّقَ الْجَمَلُ ، وَكَرُمَ ، وَقَالَ مَا عَرَفَ . ثُمَّ إِنَّهُمْ وَثَبُوا عَلَيْهِ فَمَزَقُوهُ .

وإِنَّمَا ضَرَبْتُ هَذَا الْمَثَلَ لِتَعَلَّمَ أَنَّهُ إِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَسَدِ قَدْ اجْتَمَعُوا عَلَى هَلَاكِ فَإِنِّي لَسْتُ أَقْدِرُ أَنْ أُمْتَنِعَ مِنْهُمْ وَلَا أُحْتَرِسَ ، وَإِنْ كَانَ رَأْيُ الْأَسَدِ فِيَّ عَلَى غَيْرِ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الرَّأْيِ فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَنْفَعُنِي وَلَا يُغْنِي عَنِّي شَيْئًا . فَإِنَّهُ قَدْ قِيلَ إِنْ خَيْرَ السُّلْطَانِ مَنْ أَشْبَهَ النَّسْرَ وَحَوْلَهُ الْجَيْفُ ، لَا مَنْ أَشْبَهَ الْجَيْفَةَ وَحَوْلَهَا النَّسْرُ . وَلَوْ أَنَّ الْأَسَدَ لَمْ يَكُنْ فِي نَفْسِهِ لِي

١ الشَّيْعُ ، بِتَحْرِيكِ الْبَاءِ وَتَسْكِينِهَا : اسْمٌ لِمَا يَشْبَعُ .

٢ الْخُنَاقُ : دَاءٌ يَمْتَنِعُ مَعَهُ نَفُوزُ النَّفْسِ إِلَى الرَّثَةِ وَالْقَلْبِ (الدَّفْرِيَا) .

٣ الرِّيُّ : اسْمٌ لِمَا يَرُوي .

إلا الخَيْرُ والرحمةُ ، لغيرتهُ كثرةُ الأقاويلِ ، فإنها إذا كثرتُ ، لم تلبثُ
أنْ تذهبَ الرقةَ والرافةَ . ألا ترى أن الماءَ ليسَ كالقولِ ؟ وأن الحجرَ
أشدُّ من الإنسانِ ؟ والماءُ ، إذا طالَ تحدرُهُ على الحجرِ الصلدُ^١ ، لم يزلْ
به حتى يتقبسهُ ويؤثرَ فيه ؟ وكذلك القولُ في الإنسانِ يؤثرُ فيه . قال دمنةُ :
فماذا تريدُ أنْ تصنعَ ؟ قال شتربةُ : ما أرى إلا الاجتهادَ والمُجاهدةَ
بالقتالِ ، فإنه ، ليسَ للمُصَلِّي في صلاتِهِ ، ولا للمُتَصَدِّقِ في صدَقَتِهِ ،
ولا للورعِ في ورَعِهِ من الأجرِ ما للمُجاهِدِ عن نفسه ، إذا كانت مُجاهدتهُ
على الحقِّ . فإنه منْ جاهدَ عن نفسه ودافعَ عنها كان أجرُهُ في ذلكَ
عظيماً ، وذِكْرُهُ رفيعاً ، إن ظفِرَ أو ظفِرَ به .

قال دمنةُ : لا ينبغي لأحدٍ أنْ يُخطِرَ بنفسِهِ ، وهو يستطيعُ غيرَ
ذلكَ . ولكنْ ذا الرأيِ جاعِلُ القتالِ آخرَ الحيلِ . وبأدى قبلَ ذلكَ بما
استطاعَ من رَفَقٍ وتمَحُلٍ^٢ . وقد قيلَ : لا تحقِرَنَّ العدوَّ الضعيفَ المهينَ^٣ ؛
ولا سيما إذا كانَ ذا حيلةٍ ، ويقدرُ على الأعوانِ ، فكيفَ بالأسدِ على جِراءِهِ
وشِدَّتِهِ . فإن منْ حَقَرَ عدوَّهُ لضعفِهِ ، أصابه ما أصابَ وكيلَ البحرِ
من الطيطوى^٤ . قال شتربةُ : وكيفَ كانَ ذلكَ ؟

قال دمنةُ : زعموا أن طائراً من طيورِ البحرِ يُقالُ له الطيطوى ، كانَ
وطْنُهُ على ساحلِ البحرِ ، ومعه زوجةٌ له . فلما جاء أوانُ إفراخِهِما ،
قالت الأنثى للدَّكْرِ : لو التمسنا مكاناً حريزاً غيرَ هذا نُفْرَخُ فيه ؛ فإنني
أخافُ من البحرِ ، إذا مدَّ الماءُ ، أنْ يذهبَ بفِراخِنَا . فقبالَها : ما أراه

١ الصلد : الصلب الأملس .

٢ التمحل : الاحتيال .

٣ المهين : الحقير الدليل .

٤ وكيل البحر : المراد به إله البحر عند الهنود واسمه فارونا (Varuna) . والظاهر أن ابن المقفع لم
يشأ أن يصرح باسمه لما فيه من وثنية ؛ وهو يريد أن يجعل كتابه ملائماً لروح الإسلام .

٥ الطيطوى : ضرب من القطا أو غيره من طير البحر .

يَحْمِلُ عَلَيْنَا ؛ فَإِنْ وَكَيْلَ الْبَحْرِ يَخَافُنِي أَنْ أَنْتَقِمَ مِنْهُ . فَأَفْرِخِي فِي مَكَانِكَ ، فَإِنَّهُ مُوَافِقٌ لَنَا ، وَالْمَاءُ وَالزَّهْرُ مِنَّا قَرِيبٌ . قَالَتْ لَهُ : يَا غَافِلُ ، مَا أَشَدَّ عِنَادَكَ وَتَصَلِّبَكَ ، أَمَا تَذْكُرُ وَعِيدَهُ وَتَهْدَدَهُ إِيَّاكَ ، أَلَا تَعْرِفُ نَفْسَكَ وَقَدْرَكَ فِي وَعِيدِ مَنْ لَا طَاقَةَ لَكَ بِهِ ؟ فَأَبَى أَنْ يُطِيعَهَا . فَلَمَّا أَكْثَرَتْ عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَسْمَعْ قَوْلَهَا ، قَالَتْ لَهُ : إِنْ مَنْ لَمْ يَسْمَعْ قَوْلَ النَّاصِحِ يُصِيبُهُ مَا أَصَابَ السُّلْحَفَةَ حِينَ لَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ الْبَطَّتَيْنِ . قَالَ الذَّكْرُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَتِ الْأُنْثَى : زَعَمُوا أَنْ غَدِيرًا كَانَ عِنْدَهُ عُشْبٌ . وَكَانَ فِيهِ بَطَّتَانِ . وَكَانَ فِي الْغَدِيرِ سُلْحَفَةٌ ، بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ الْبَطَّتَيْنِ مَوَدَّةٌ وَصَدَاقَةٌ . فَاتَّفَقَا أَنْ غِيضًا^١ ذَلِكَ الْمَاءُ ، فَجَاءَتِ الْبَطَّتَانِ لَوْدَاعِ السُّلْحَفَةِ ، وَقَالَتَا : السَّلَامُ عَلَيْكَ ، فَإِنَّا ذَاهِبَتَانِ عَنْ هَذَا الْمَكَانِ لِأَجْلِ نُقْصَانِ الْمَاءِ عَنْهُ . فَقَالَتْ : إِنَّمَا يَبِينُ نُقْصَانُ الْمَاءِ عَلَى مِثْلِي الَّتِي كَأَنِّي السَّفِينَةُ ، لَا أَقْدَرُ عَلَى الْعَيْشِ إِلَّا بِالْمَاءِ ، فَأَمَّا أَنْتُمَا فَتَقْدُرَانِ عَلَى الْعَيْشِ حَيْثُ كُنْتُمَا ، فَادْهَبَا بِي مَعَكُمْ . قَالَتَا : نَعَمْ . قَالَتْ : كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى حَمَلِي ؟ قَالَتَا : نَأْخُذُ بِطَرْفِي عُودٍ ، وَتَقْبِضِينَ بِفِيكَ عَلَى وَسْطِهِ ، وَنَطِيرُ بِكَ فِي الْجَوْ . وَإِيَّاكَ ، إِذَا سَمِعَتِ النَّاسَ يَتَكَلَّمُونَ ، أَنْ تَنْطِقِي ! ثُمَّ أَخَذَتَاهَا فَطَارَتَا فِي الْجَوْ . فَقَالَ النَّاسُ : عَجَبٌ ! سُلْحَفَةٌ بَيْنَ بَطَّتَيْنِ حَمَلَتَاهَا ! فَلَمَّا سَمِعَتْ ذَلِكَ ، قَالَتْ : فَقَأَ اللَّهُ أَعْيُنَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ ! فَلَمَّا فَتَحَتْ فَاهَا بِالنُّطْقِ ، وَقَعَتْ عَلَى الْأَرْضِ فَمَاتَتْ .

قَالَ الذَّكْرُ : قَدْ سَمِعْتُ مَقَالَاتِكَ ، فَلَا تَخَافِي وَكَيْلَ الْبَحْرِ . فَلَمَّا مَدَّ الْمَاءُ دَنَا وَكَيْلُ الْبَحْرِ ، فَذَهَبَ بِفِرَاحِهِمَا . فَقَالَتِ الْأُنْثَى : قَدْ عَرَفْتُ فِي بَدءِ الْأَمْرِ أَنَّ هَذَا كَائِنٌ ، وَمَا أَصَابَنَا إِنَّمَا هُوَ بِتَفْرِيطِكَ . قَالَ الذَّكْرُ : قَدْ قُلْتُ مَا قُلْتُ ، وَأَنَا عَلَى قَوْلِي ، وَسَوْفَ تَرَيْنَ صُنْعِي بِهِ وَانْتِقَامِي مِنْهُ . ثُمَّ مَضَى إِلَى

١ غيظ : نقص ، بالبناء على المجهول ، كما يقال غاض الماء .

جَمَاعَةُ الطَّيْرِ ، فَقَالَ لَهُنَّ : إِنَّكُنَّ أَخَوَاتِي وَثِقَاتِي ، فَأَعِنِّي . قُلْنَ :
 مَاذَا تُرِيدُ أَنْ نَفْعَلَ ؟ قَالَ : تَجْتَمِعْنَ وَتَذْهَبْنَ مَعِيَ إِلَى سَائِرِ الطَّيْرِ ،
 فَنَشْكُو إِلَيْهِنَّ مَا لَقِيتُ مِنَ وَكِيلِ الْبَحْرِ . وَنَقُولُ لَهُنَّ : إِنَّكُنَّ طَيْرٌ
 مِثْلُنَا ، فَأَعِنَّا . فَقَالَتْ لَهُ جَمَاعَةُ الطَّيْرِ : إِنَّ الْعَنْقَاءَ^١ بِنْتَ الرِّيحِ^٢ هِيَ
 سَيِّدَتُنَا وَمَلِكَتُنَا ، فَاذْهَبْ بِنَا إِلَيْهَا ، حَتَّى نَصِيحَ بِهَا ، فَتَظْهَرَ لَنَا ، فَنَشْكُو
 إِلَيْهَا مَا نَالَكِ مِنَ وَكِيلِ الْبَحْرِ ، وَنَسْأَلُهَا أَنْ تَنْتَقِمَ لَنَا مِنْهُ بِقُوَّةِ مُلْكِهَا .
 ثُمَّ إِنَّهُنَّ ذَهَبْنَ إِلَيْهَا مَعَ الطَّيْطَوَى فَاسْتَغْشَيْنَهَا ، وَصَبَحْنَ بِهَا ، فَتَرَأَتْ لهنَّ ؛
 فَأَخْبَرَتْهُنَّ بِقِصَّتِهِنَّ ، وَسَأَلَتْهُنَّ أَنْ تَطِيرَ مَعَهُنَّ إِلَى مُحَارَبَةِ وَكِيلِ الْبَحْرِ .
 فَأَجَابَتْهُنَّ إِلَى ذَلِكَ . فَلَمَّا عَلِمَ وَكِيلُ الْبَحْرِ أَنَّ الْعَنْقَاءَ قَدْ قَصَدَتْهُ فِي جَمَاعَةِ
 الطَّيْرِ ، خَافَ مِنْ مُحَارَبَةِ مُلْكِهِ لَا طَاقَةَ لَهُ بِهِ ، فَردَّ فِرَاحَ الطَّيْطَوَى
 وَصَالِحَهُ . فَجَعَلَتِ الْعَنْقَاءُ عَنْهُ .

وإِنَّمَا حَدَّثْتُكَ بِذَلِكَ لِتَعْلَمَ أَنَّ الْقِتَالَ لَا أَرَاهُ لَكَ رَأْيًا . قَالَ شَرَبَةٌ :
 فَمَا أَنَا بِمُقَاتِلِ الْأَسَدِ ، وَلَا نَاصِبٍ لَهُ الْعَدَاوَةَ سِرًّا وَلَا عَلَانِيَةً ، وَلَا مُتَغَيِّرٍ
 لَهُ عَمَّا كُنْتُ عَلَيْهِ ؛ حَتَّى يَبْدُوَ لِي مِنْهُ مَا أَتَخَوَّفُ فَأُغَالِبُهُ .

١ العنقاء : طائر خرافي . جاء في القاموس : العنقاء طائر معروف الاسم مجهول الجسم ، أو طائر عظيم
 يبعد في طيرانه ؛ أو من الألفاظ الدالة على غير معنى . ويقال لها العنقاء المغرب . وعنقاء مغرب ومغرب ،
 وعنقاء مغرب مضافة .

٢ قوله : بنت الريح ، يدل على أنها في الأصل الهندي من الأرباب ، ولا يخفى ما بين الريح والبحر
 من العداء المستمر ، فهي تحاربه أبداً ، وتقلق راحته . ولذلك نرى إله البحر يخاف حينما يعلم أن
 العنقاء بنت عدوه الأبدي تريد محاربتَه ، فيرد إلى الطيْطوى فراخه ويصالحه . وكان الهنود يعتقدون
 أن إله الريح طائر عظيم يسمونه ماتاريسفان (Matarisvan) ويرغمون أن الريح مخلوقة من
 اصطفاق جناحيه .

باب الحمامة المطوقة

قال دبشليمُ الملكُ لبَيْدَبَا الفيلسوفِ : قد سمعتُ مثلاً المتحابين كيف قطعَ بينهما الكذبُ ، وإلى ماذا صارَ عاقبةُ أمرِهِ مِنْ بَعْدِ ذلك . فحدّثني ، إن رأيتَ ، عن إخوان الصفاء كيف يبتدئُ تواصلُهُمْ ، ويستمتعُ بعضهم ببعضٍ ؟ قال الفيلسوفُ : إن العاقلَ لا يعدلُ^١ بالإخوان شيئاً . فالإخوانُ همُ الأعوانُ على الخيرِ كُلِّهِ ، والمؤاسونَ عِنْدَما ينوبُ مِنَ المَكْرِهِ . وَمِنْ أمثالِ ذلكَ مثلاً الحمامةُ المطوقةُ^٢ والجُرَذُ والسُّلْحَفَةُ والطَّبْيُ والغُرَابُ . قال الملكُ : وكيف كان ذلكَ ؟

قال بَيْدَبَا : زعموا أَنَّهُ كانَ بأرضِ سَكَاوَنَدَجِينَ ، عِنْدَ مَدِينَةِ دَاهِرَ ، مَكَانٌ كثيرُ الصيدِ يَنْتَابُهُ الصَّيَّادُونَ . وكانَ في ذلكَ المَكَانِ شَجَرَةٌ كثيرةُ الأغصانِ مُلتَفَّةُ الورقِ ، فيها وَكْرُ غُرَابٍ . فبينما هو ذاتَ يومٍ ساقِطٌ في وَكْرِهِ ، إِذْ بَصُرَ بصيَّادٍ قَبِيحِ المنظرِ ، سيِّئِ الخلقِ ، وقُبِحَ منظرُهُ يَدُلُّ على سُوءِ مَخْبَرِهِ ؛ على عاتِقِهِ شَبَكَةٌ^٣ ، وفي يَدِهِ عَصاً ، مُقْبِلاً نحوَ الشَّجَرَةِ . فدُعِرَ مِنْهُ الغُرَابُ . وقالَ : لقد ساقَ هذا الرَّجُلُ إلى هذا المَكَانِ إِمَّا حِينِي ، وإِمَّا حِينَ غَيْرِي . فلا تُبْشِرَنَّ مَكَاني حَتَّى أنظرَ ماذا يصنعُ . ثمَّ إنَّ الصَّيَّادَ نَصَبَ شَبَكَتَهُ ، ونَشَرَ عليها الحَبَّ ، وكَمَنَ قَرِيباً مِنْهَا . فلمْ يَلْبَثْ إِلَّا قَلِيلاً حَتَّى مَرَّتْ بِهِ حَمَامَةٌ يُقالُ لها المَطْوَقَةُ^٤ ، وكانتْ سَيِّدَةَ الحَمَامِ ، ومَعَهَا حَمَامٌ كثيرٌ . فعميتُ هي وصاحباتُها عَنِ الشَّرِكِ ، فوقعنَ على الحَبِّ يَلْتَقِطنَهُ ، فعَلِقْنَ في الشَّبَكَةِ كُلُّهُنَّ .

١ لا يعدلُ : لا يساوي .

٢ المطوقة : التي لها في عنقها من التلوين ما يشبه الطوق .

٣ العاتق : ما بين المنكب والعنق .

٤ الحين : الهلاك والمحنة .

وأقبل الصياد فرحاً مسروراً. فجعلت كل حمامة تتلجلج^١ في حبائلها^٢، وتلتمس الخلاص لنفسها. قالت المطوقة^٣: لا تخاذلن^٤ في المعالجة، ولا تكن نفس إحداكن أهم^٥ إليها من نفس صاحبتها. ولكن نتعاون جميعاً ونطير كطائر واحد، فينجو بعضنا ببعض. فجمعن أنفسهن، ووثبن وثبة واحدة^٦، فقلعن الشبكة جميعهن بتعاونهن، وعلون بها في الجو. ولم يقطع الصياد رجاءه منهن، وظن أنهن لا يجاوزن إلا قريباً حتى يقعن. فقال الغراب: لا تبعهن وأنظر ما يكون منهن. فالتفت المطوقة، فرأت الصياد يتبعهن، فقالت للحمام: هذا الصياد جاد في طلبكن، فإن نحن أخذنا في الفضا لم يخف عليه أمرنا، وإن نحن توجهنا إلى العمران خفي عليه أمرنا وانصرف. ويمكن كذا جرذ^٧ هو لي أخ، فلو انتهينا إليه قطع عنا هذا الشرک. فقلعن ذلك. وأيس الصياد منهن وانصرف. وتبعهن الغراب لينظر إليهن، لعله يتعلم منهن حيلة تكون له عدة عند الحاجة. فلما انتهت الحمامة المطوقة إلى الجرذ، أمرت الحمام أن يقعن، فوقعن.

وكان للجرذ مائة جحر^٨ أعدّها للمخاوف. فنادته المطوقة باسمه، وكان اسمه زيرك^٩، فأجابها الجرذ من جحره: من أنت؟ قالت: أنا خليلتك المطوقة. فأقبل إليها الجرذ يسعى، فقال لها: ما أوقعك في هذه الورطة^{١٠}؟ قالت له: ألم تعلم أنه ليس من الخير والشر شيء إلا وهو مقدر على من تصيبه المقادير، وهي التي أوقعني في هذه الورطة

١ تتلجلج: أي تضطرب وتتردد، من تلجلج الكلام في الفم.

٢ الحبائل: الأشراك، مفردا حباله.

٣ تخاذلن: على حذف إحدى التائين، والتخاذل: ضد التعاون.

٤ أيس منه: قطع رجاءه.

٥ الجحر: محتبأ الجرذ وغيره، يحتفره لنفسه.

٦ الورطة: الهلكة وكل أمر تعسر النجاة منه.

فَقَدْ لَا يَمْتَنِعُ مِنَ الْقَدَرِ مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي وَأَعْظَمُ أَمْرًا . وَقَدْ تَنَكَّسَ الشَّمْسُ وَيَتَخَسَّفُ الْقَمَرُ ، إِذَا قُضِيَ ذَلِكَ عَلَيْهِمَا . ثُمَّ إِنَّ الْجُرَذَ أَخَذَ فِي قَرَضِ الْعُقْدِ الَّتِي كَانَتْ فِيهَا الْمُطَوَّقَةُ . فَقَالَتْ لَهُ الْمُطَوَّقَةُ : ابدأ بقطع عقدي سائر الحمام ، وبعد ذلك أقبل على عقدي . فأعادت عليه ذلك مراراً ، وهو لَا يَلْتَفِتُ إِلَى قَوْلِهَا . فَلَمَّا أَكْثَرَتْ عَلَيْهِ الْقَوْلَ وَكَرَّرَتْ ، قَالَ لَهَا : لَقَدْ كَرَّرْتَ الْقَوْلَ عَلَيَّ ، كَأَنَّكَ لَيْسَ لَكَ فِي نَفْسِكَ حَاجَةٌ ، وَلَا لَكَ عَلَيْهَا شَفَقَةٌ ، وَلَا تَرَعَيْنَ لَهَا حَقًّا . قَالَتْ الْمُطَوَّقَةُ : لَا تَكُنْ عَلَيَّ مَا أَمَرْتُكَ بِهِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَحْمِلْنِي عَلَى ذَلِكَ إِلَّا أَنْتِ تَكَلَّفْتِ لِحَمَاعَةِ هَذَا الْحَمَامِ الرَّئِيسَةِ ؛ فَلِذَلِكَ لَهَنَ عَلَيَّ حَقٌّ ، وَقَدْ أَدَّيْنُ إِلَيَّ حَقِّي فِي الطَّاعَةِ وَالنَّصِيحَةِ ؛ وَبَطَاعَتِهِنَّ وَمَعُونَتِهِنَّ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْ صَاحِبِ الشَّرْكِ . وَتَخَوَّفْتُ أَنْتِ أَنْتِ بَدَأْتَ بِقَطْعِ عُقْدِي ، أَنْ تَمَلَّ وَتَكْسَلَ عَنْ قَطْعِ مَا بَقِيَ ؛ وَعَرَفْتُ أَنَّكَ ، إِنْ بَدَأْتَ بِهِنَ قَبْلِي ، وَكُنْتُ أَنَا الْأَخِيرَةَ ، لَمْ تَرْضَ ، وَإِنْ أَدْرَكَكَ الْفُتُورُ ، أَنْ أَبْقَى فِي الشَّرْكِ . قَالَ الْجُرَذُ : هَذَا مِمَّا يَزِيدُ الرَّغْبَةَ فِيكَ وَالْمُودَةَ لَكَ . ثُمَّ إِنَّ الْجُرَذَ أَخَذَ فِي قَرَضِ الشَّبَكَةِ ، حَتَّى فَرَّغَ مِنْهَا . فَانْطَلَقَتِ الْمُطَوَّقَةُ وَحَمَامُهَا مَعَهَا . فَلَمَّا رَأَى الْغُرَابُ صَنِيعَ الْجُرَذِ وَتَخْلِيصَهُ الْحَمَامَ ، رَغِبَ فِي مُصَادَقَةِ الْجُرَذِ ، وَقَالَ : مَا أَنَا لِمِثْلِ مَا أَصَابَ الْحَمَامَ بِأَمِينٍ ، وَلَا أَنَا عَنْ الْجُرَذِ وَمُودَتِهِ بَغْنَى . . .

باب الناسك وابن عرس^١

قال دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِبَيْدَبَا الْفَيْلَسُوفِ : قَدْ سَمِعْتُ هَذَا الْمَثَلَ ،
فَاضْرِبْ لِي مَثَلَ الرَّجُلِ الْعَجَلَانِ فِي أَمْرِهِ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ وَلَا نَظَرٍ فِي
الْعَوَاقِبِ .

قال الْفَيْلَسُوفُ : إِنَّهُ مَنْ لَمْ يَكُنْ فِي أَمْرِهِ مُتَشَبِّهًا لَمْ يَزَلْ نَادِمًا ، وَيَصِيرُ
أَمْرُهُ إِلَى مَا صَارَ إِلَيْهِ النَّاسِكُ مِنْ قَتْلِ ابْنِ عِرْسٍ ، وَقَدْ كَانَ لَهُ وَدُودٌ .
قال الْمَلِكُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قال الْفَيْلَسُوفُ : زَعَمُوا أَنَّ نَاسِكًا مِنَ النَّسَاكِ كَانَ بِأَرْضِ جُرْجَانٍ .
وكَانَتْ لَهُ امْرَأَةٌ صَالِحَةٌ لَبِثَتْ عِنْدَهُ زَمَانًا لَا تَحْمِيلُ . ثُمَّ حَمَلَتْ بَعْدَ
الْإِيَّاسِ^٢ ، فَسُرَّتِ الْمَرْأَةُ وَسُرَّ النَّاسِكُ بِذَلِكَ وَحَمِدَ اللَّهُ تَعَالَى وَسَأَلَهُ
أَنْ يَكُونَ الْحَمْلُ^٣ ذَكَرًا . وقالَ لَزَوْجَتِهِ : أَبْشِرِي ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ
تَلِدِي غُلَامًا لَنَا فِيهِ مَتَاعٌ^٤ وَقُرَّةُ عَيْنٍ ؛ اخْتَارُ لَهُ أَحْسَنَ الْأَسْمَاءِ ، وَأَحْضِرُ
لَهُ جَمِيعَ الْمَوْدُودِينَ . فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ : مَا يَحْمِلُكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ عَلَى أَنْ تَتَكَلَّمَ
بِمَا لَا تَدْرِي : أَيْكُونُ أُمٌّ لَا ؟ وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ النَّاسِكُ
الَّذِي أَهْرَقَ^٥ عَلَى رَأْسِهِ السَّمْنَ وَالْعَسَلَ . قالَ لَهَا : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟

قَالَتِ الْمَرْأَةُ : زَعَمُوا أَنَّ نَاسِكًا كَانَ يُجْرَى^٦ عَلَيْهِ مِنْ بَيْتِ رَجُلٍ
تَاجِرٍ ، فِي كُلِّ يَوْمٍ ، رِزْقٌ مِنَ السَّمَنِ وَالْعَسَلِ . وَكَانَ يَأْكُلُ مِنْهُ قُوَّتَهُ

١ ابن عرس : دويبة أكبر من الفأرة وتشبهها ، الجمع بنات عرس .

٢ الإيَّاس : قطع الرجاء .

٣ الحمل : الولد في البطن .

٤ متاع : منفعة .

٥ أهرق : صب .

٦ يقال : أجرى عليه الرزق : واصله به دون انقطاع .

وحاجته ، ويرفعُ الباقيَ ويَجعلهُ في جرةٍ ، فيُعَلِّقُها في وتدٍ ، في ناحيةِ البيتِ ، حتى امتلأتْ . فبينما الناسكُ ، ذاتَ يومٍ ، مُستلقٍ على ظهرِهِ ، والعُكَّازَةُ^١ في يَدِهِ ، والجرةُ مُعلَّقةٌ فوقَ رأسِهِ ، تفكَّرَ في غلاءِ السَّمْنِ والعَسَلِ ، فقالَ : سأبيعُ ما في هذهِ الجرةِ بدينارٍ ، وأشتري بهِ عَشْرَ أعنزٍ^٢ ، فيحبلنَ ويلدنَ في كلِّ خمسةِ أشهرٍ مرَّةً ، ولا تلبثُ إلا قليلاً حتى تصيرَ معزاً كثيراً ، إذا ولدتُ أولادها . ثمَّ حرَّرتُ^٣ على هذا النحوِ بسنينَ ، فوجدتُ ذلكَ أكثرَ مِن أربعِ مائةِ عنزٍ . فقالَ : أنا أشتري بها مائةً مِن البقرِ : بكلِّ أربعِ أعنزٍ ثوراً أو بقرةً ، وأشتري أرضاً وبندراً ، وأستأجرُ أكرَّةً^٤ ، وأزرعُ على الثيرانِ ، وأنتفيعُ بالبانِ الإناثِ ونتائجِها^٥ . فلا تأتي عليَّ خمسُ سنينَ إلا وقد أصبتُ مِنَ الزرعِ مالاً كثيراً ، فأبني بيتاً فاخراً ، وأشتري إماءً^٦ وعبيداً ، وأتزوجُ امرأةً صالحةً جميلةً ، فتحمِلُ ثمَّ تأتي بغلامٍ سويٍّ^٧ نجيبٍ^٨ ، فأختارُ له أحسنَ الأسماءِ . فإذا ترعرعَ^٩ أدبتهُ وأحسنْتُ تَأديبَهُ . وأشدَّدُ عليه في ذلكَ ، فإنَّ قبيلَ منِّي ، وإلاَّ ضربتهُ بهذهِ العُكَّازَةِ . وأشارَ بيدهِ إلى الجرةِ فكسَّرها ، فسألَ ما فيها على وجهِهِ .

ولما ضربتُ لكَ هذا المثلَ لكَي لا تعجلَ بذِكْرِ ما لا ينبغي ذِكْرَهُ ، وما لا تدري : أيصيحُ أم لا يَصيحُ ؟ ولكن ادعُ رَبَّكَ وتوسَّلْ إِلَيْهِ وتوكلْ عليه . فاتعظَ الناسكُ بقولِها . ثمَّ إنَّ المرأةَ ولدتُ غلاماً سويّاً ، فسُرَّ بهِ أبوهُ . حتى إذا كانَ بعدَ أيامٍ قالتِ المرأةُ لزوجِها : اقعدْ عندَ ابنِكَ

١ العكازة : عصا طويلة ذات زج (حديدة) في أسفلها .

٢ الأعنز : جمع عنز وهي الأنثى من المعز .

٣ حرر : قوم وضبط .

٤ الأكرَّة : الحراثون ، مفردا أكار .

٥ نتائجها : أولادها .

٦ الإماء : الجواري ، مفردا أمة .

٧ السوي : التام الخلق الذي أحسنت تسويته .

٨ النجيب : الكريم الحبيب .

٩ ترعرع : نشأ .

حتى أذهب إلى الحمام فأغتسل وأعود . ثم لأنها انطلقت إلى الحمام ،
 وخلقت زوجها والغلام . فلم يلبث أن جاء رسول الملك يستدعيه .
 ولم يجد من يخلفه عند ابنه غير ابن عرس داجين عنده ، كان قد
 رباه صغيراً ، فهو عنده عدل^١ ولده . فتركه الناسك عند الصبي ،
 وأغلق عليهما الباب ، وذهب مع الرسول . فخرج من بعض أبحار البيت
 حية سوداء ، فدنت من الغلام ، فضربها ابن عرس ، فوثبت عليه ،
 فقتلها ثم قطعها ، وامتلاً فمهُ من دميها . ثم جاء الناسك وفتح الباب ،
 فتلقاه ابن عرس كالمبشّر له بما صنع من قتل الحية . فلما رآه ملوثاً
 بالدم وهو مذعور^٢ ، طار عقله وظن أنه قد خنق ولده . ولم يتشبث
 في أمره ولم يترو فيه ، حتى يعلم حقيقة الحال ، ويعمل بغير ما ظن من
 ذلك . ولكن عجل على ابن عرس وضربه بعسكازة كانت في يده على
 أم رأسه ، فوقع ميتاً . ودخل الناسك فرأى الغلام سليماً حيّاً ، وعنده
 أسود^٣ مقطّع . فلما عرف القصة وتبين له سوء فعله في العجالة ،
 لطم على رأسه وقال : ليتني لم أرزق هذا الولد ولم أغدُر هذا الغدر .
 ودخلت امرأته فوجدته على تلك الحال ، فقالت له : ما شأنك ؟ فأخبرها
 بالخبر من حسن فعل ابن عرس وسوء مكافأته له . فقالت : هذه
 ثمرة العجلة ، لأن الأمر ، إذا فرط^٤ ، مثل الكلام إذا خرج ، والسهم
 إذا مرق^٥ لا مبرّد له .

فهذا مثل من لا يتشبث في أمره ، بل يفعل أغراضه بالسرعة .

١ عدل : مثل .

٢ الأبحار : جمع البحر وهو ما تحتفره الحية وسواها لنفسها .

٣ مذعور : خائف .

٤ أم الرأس : الدماغ .

٥ الأسود : الحية العظيمة .

٦ فرط : سبق من غير روية .

٧ مرق السهم من الرمية : اخترقها ونفذ من الجانب الآخر .

الادب الصغير

تأديب النفس

وعلى العاقل أن يعرف أن الرأي والهوى متعاديان ، وأن من شأن الناس تسويق الرأي وإسعاف الهوى ؛ فيخالف^٢ ذلك ويلتمس أن لا يزال هواه مسوقاً ورأيه مسعفاً .

وعلى العاقل ، إذا اشتبه عليه أمران فلم يدر في أيهما الصواب ، أن ينظر أهواهما عنده فيحذره . من نصب نفسه للناس إماماً في الدين فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه وتقويمها في السيرة والطعمة^٣ والرأي واللفظ والأخدان ؛ فيكون تعليمه بسيرته أبلغ من تعليمه بلسانه . فإنه ، كما أن كلام الحكمة يوثق^٤ الأسماع ، فكذلك عمل الحكمة يروق^٥ العيون والقلوب . ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال والتفضيل من معلم الناس ومؤدبهم .

رجل الدولة

لا يستطاع السلطان^٦ إلا بالوزراء والأعوان ، ولا تنفع الوزراء إلا بالموادة والنصيحة ، ولا الموادة إلا مع الرأي والعفاف . وأعمال السلطان

١ تسويق : تأخير .

٢ فيخالف : معطوفة على أن يعرف .

٣ الطعمة : المأكل .

٤ الأخدان ، جمع خدان : الصاحب .

٥ يوثق : يوجب .

٦ السلطان : السلطة

كثيرة^١ ، وقتلما تُستَجْمَعُ الخِصَالُ المَحْمُودَةُ عندَ أَحَدٍ ، وإنَّما الوَجْهُ في ذلكَ والسَّبِيلُ إِلَيْهِ الَّذِي يَسْتَقِيمُ بِهِ الْعَمَلُ أَنْ يَكُونَ صَاحِبُ السَّلْطَانِ عَالِماً بِأُمُورِ مَنْ يُرِيدُ الاسْتِعَانَةَ بِهِ ، وما عندَ كُلِّ رَجُلٍ مِنَ الرَّأْيِ وَالْغَنَاءِ^٢ ، وما فيه مِنَ الْعُيُوبِ . فإذا اسْتَقَرَّ ذلكَ عِنْدَهُ عَنْ عِلْمِهِ وَعِلْمِ مَنْ يَأْتِمِنُ^٣ ، وَجَهَ لِكُلِّ عَمَلٍ مَنْ قَدْ عَرَفَ أَنَّ عِنْدَهُ مِنَ الرَّأْيِ وَالنَّجْدَةِ^٤ والأمانة ما يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِيهِ ، وأنَّ ما فِيهِ مِنَ الْعُيُوبِ لَا يُضِرُّ بِذلكَ . ويتَحَفَّظُ مِنْ أَنْ يُوَجَّهَ أَحَدًا وَجْهًا لَا يَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى مُرُوءَةٍ ، إنَّ كَانَتْ عِنْدَهُ ، ولا يَأْمَنُ عُيُوبَهُ وما يُكْرَهُ مِنْهُ .

ثمَّ على المُلُوكِ ، بَعْدَ ذلكَ ، تَعَهَّدُ عُمَاهِمُ وَتَفْقَدُ أُمُورِهِمْ ، حتى لَا يَخْفَى عَلَيْهِمْ إِحْسَانُ مُحْسِنٍ وَلَا إِسَاءَةُ مُسِيءٍ .
ثمَّ عَلَيْهِمْ ، بَعْدَ ذلكَ ، أَنْ لَا يَتْرُكُوا مُحْسِنًا بَغِيرَ جَزَاءٍ ، وَلَا يَقِرُّوا مُسِيئًا وَلَا عاجِزًا على الإِسَاءَةِ والعَجْزِ ؛ فَإِنَّهُمْ إِنْ تَرَكُوا ذلكَ تَهَاوَنَ الْمُحْسِنُ ، واجْتَرَأَ المُسِيءُ ، وَفَسَدَ الْأَمْرُ ، وضاعَ الْعَمَلُ .

الكذب

رَأْسُ الذُّتُوبِ الكَذِبُ ، هُوَ يُوَسِّسُهَا ، وَهُوَ يَتَفَقَّدُهَا ، وَيُثَبِّتُهَا . وَيَتَلَوَّنُ ثَلَاثَةَ أَلْوَانٍ : بِالْأَمْنِيَّةِ وَالْجُحُودِ^٣ وَالْجَدَلِ . يَبْدَأُ صَاحِبُهُ بِالْأَمْنِيَّةِ الكاذِبَةِ فِيمَا يُزَيِّنُ لَهُ مِنَ السَّوَأَتِ ، فَيُشَجِّعُهُ عَلَيْهَا بِأَنَّ ذلكَ سَيَخْفَى . فإذا ظَهَرَ عَلَيْهِ قَابِلُهُ بِالْجُحُودِ والمُكَابَرَةِ . فَإِنْ أَعْيَاهُ ذلكَ خَتَمَ بِالْجَدَلِ فِخْاصَ عَنِ الْبَاطِلِ ، وَوَضَعَ لَهُ الْحُجَجَ ، وَالتَّمَسَّسَ بِهِ التَّثَبُّتَ ، وَكَابَرَ الْحَقَّ حَتَّى يَكُونَ مُسَارِعًا لِلضَّلَالَةِ وَمُكَابِرًا بِالْفَوَاحِشِ .

١ الغناء : الكفاية .

٢ النجدة : الشجاعة ، والمضي في الأمور العسيرة .

٣ الجحود : النكران .

٤ بأن : الباء زائدة وحذفها أولى .

الجاهل

لا يُؤْمِنَنَّكَ شَرُّ الْجَاهِلِ قَرَابَةً وَلَا جِوَارٌ وَلَا لِفٌ . فَإِنْ أَخَوْفَ مَا يَكُونُ^١
لِحَرِيقِ النَّارِ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ مِنْهَا . وَكَذَلِكَ الْجَاهِلُ ، إِنْ جَاوَرَكَ أَنْصَبَكَ^٢ ،
وإِنْ نَاسَبَكَ^٣ جَنَى عَلَيْكَ ، وَإِنْ أَلِفَكَ حَمَلَ عَلَيْكَ مَا لَا تُطِيقُ ، وَإِنْ
عَاشَرَكَ آذَاكَ وَأَخَافَكَ . مَعَ أَنَّهُ عِنْدَ الْجُوعِ سَبْعُ ضَارٍ ، وَعِنْدَ الشَّبَعِ
مَلِكٌ فَظٌّ ، وَعِنْدَ الْمُوَافَقَةِ فِي الدِّينِ قَائِدٌ إِلَى جَهَنَّمَ . فَأَنْتَ بِالْهَرَبِ مِنْهُ
أَحَقُّ مِنْكَ بِالْهَرَبِ مِنْ سُمِّ الْأَسَاوِدِ^٤ ، وَالْحَرِيقِ الْمَخُوفِ ، وَالِدِّينِ الْفَاحِشِ ،
وَالدَّاءِ الْعِيَاءِ^٥ .

المال

مَا التَّبَعُ^٦ وَالْأَعْوَانُ وَالصَّدِيقُ وَالْحَشَمُ^٧ إِلَّا لِلْمَالِ . وَلَا يُظْهِرُ الْمُرُوءَةَ
إِلَّا الْمَالُ . وَلَا الرَّأْيُ وَالْقُوَّةُ إِلَّا بِالْمَالِ . وَمَنْ لَا إِخْوَانَ لَهُ فَلَا أَهْلَ لَهُ .
وَمَنْ لَا أَوْلَادَ لَهُ فَلَا ذِكْرَ لَهُ . وَمَنْ لَا عَقْلَ لَهُ فَلَا دُنْيَا لَهُ وَلَا آخِرَةَ .
وَمَنْ لَا مَالَ لَهُ فَلَا شَيْءَ لَهُ . وَالْفَقْرُ دَاعِيَةٌ إِلَى صَاحِبِهِ مَقْتٌ^٨ النَّاسِ ،
وهُوَ مَسْلَبَةٌ^٩ لِلْعَقْلِ ، وَمَذْهَبَةٌ^٩ لِلْعِلْمِ وَالْأَدَبِ ، وَمَعْدِنٌ^٩ لِلتَّهْمَةِ ، وَمَجْمَعَةٌ
لِلْبَلَايَا . وَمَنْ نَزَلَ بِهِ الْفَقْرُ وَالْفَاقَةُ^٩ لَمْ يَجِدْ بُدًّا مِنْ تَرْكِ الْحَيَاءِ . وَمَنْ

١ أنصبك : أعياك .

٢ ناسبك : تقرب إليك بصلة النسب .

٣ الأساود : جمع الأسود وهو الحية العظيمة .

٤ الداء العياء : أي الذي لا يبرأ منه .

٥ وردت هذه القطعة في باب الحمامة المطوقة من كتاب كليله ودمنة مع بعض تغيير .

٦ التبغ : التابع ، للواحد والجمع .

٧ الحشم : خاصة الرجل الذين يغضبون له من أهل وعبيد .

٨ المقت : الكره .

٩ الفاقة : الفقر والحاجة .

ذَهَبَ حَيَاوُهُ ذَهَبَ سُرُورُهُ ، وَمَنْ ذَهَبَ سُرُورُهُ مُقَتَّ ، وَمَنْ مُقَتَّ
 أُودِي ، وَمَنْ أُودِيَ حَزِنَ ، وَمَنْ حَزِنَ ذَهَبَ عَقْلُهُ وَاسْتُنْكَرَ حِفْظُهُ
 وَفَهَمُهُ ، وَمَنْ أُصِيبَ فِي عَقْلِهِ وَفَهَمِهِ وَحِفْظِهِ كَانَ أَكْثَرُ قَوْلِهِ وَعَمَلِهِ
 فِيمَا يَكُونُ عَلَيْهِ لَا لَهُ . فَإِذَا افْتَقَرَ الرَّجُلُ اتِّهَمَهُ مَنْ كَانَ لَهُ مُؤْتَمِنًا ،
 وَأَسَاءَ بِهِ الظَّنَّ مَنْ كَانَ يَنْظُنُّ بِهِ حَسَنًا . فَإِنْ أَذْنَبَ غَيْرُهُ أَظَنَّهُ ١ ، وَكَانَ
 لِلتَّهْمَةِ وَسُوءِ الظَّنِّ مَوْضِعًا . وَلَيْسَ خَلَّةٌ ٢ هِيَ لِلْغَنِيِّ مَدْحٌ إِلَّا هِيَ لِلْفَقِيرِ
 عَيْبٌ : فَإِنْ كَانَ شُجَاعًا سُمِّيَ أَهْوَجَ ، وَإِنْ كَانَ جَوَادًا سُمِّيَ مُفْسِدًا ،
 وَإِنْ كَانَ حَكِيمًا سُمِّيَ ضَعِيفًا ، وَإِنْ كَانَ وَقُورًا سُمِّيَ بَلِيدًا ، وَإِنْ كَانَ
 لَسِنًا سُمِّيَ مِهْذَارًا ٣ ، وَإِنْ كَانَ صَمَوْنَا سُمِّيَ عَيْيًّا .

١ أظنوه : اتهموه .

٢ الخلة : الخصلة .

٣ المهذار : كثير الرديء الساقط من الكلام .

الادب الكبير

أقسام الملك

إِعْلَمَ أَنَّ الْمُلْكَ ثَلَاثَةٌ : مُلْكُ دِينٍ وَمُلْكُ حَزْمٍ وَمُلْكُ هَوًى .
فَأَمَّا مُلْكُ الدِّينِ فَإِنَّهُ إِذَا أُقِيمَ لِأَهْلِهِ دِينُهُمْ ، وَكَانَ دِينُهُمْ هُوَ الَّذِي
يُعْطِيهِمْ مَا لَهُمْ ، وَيُلْحِقُ بِهِمُ الَّذِي عَلَيْهِمْ^١ ، أَرْضَاهُمْ ذَلِكَ ، وَنَزَلَ
السَّخِطُ مِنْهُمْ مَنَزِلَةَ الرَّاضِي فِي الْإِقْرَارِ وَالتَّسْلِيمِ . وَأَمَّا مُلْكُ الْحَزْمِ فَإِنَّهُ
يَقُومُ بِهِ الْأَمْرُ ، وَلَا يَسْلَمُ مِنَ الطَّعْنِ وَالتَّسَخُّطِ . وَلَنْ يَضُرَّ طَعْنُ الدَّلِيلِ
مَعَ حَزْمِ الْقَوِيِّ . وَأَمَّا مُلْكُ الْهَوًى فَلِعِبْ سَاعَةٍ وَدَمَارُ دَهْرٍ .

الدولة الجديدة

إِذَا كَانَ سُلْطَانُكَ^٢ عِنْدَ جِدَّةٍ^٣ دَوْلَةٍ ، فَرَأَيْتَ أَمْرًا اسْتَقَامَ بِغَيْرِ رَأْيٍ ،
وَأَعْوَانًا جَزَوْا^٤ بِغَيْرِ نَيْلٍ^٥ وَعَمَلًا^٦ أَنْجَحَ^٦ بِغَيْرِ حَزْمٍ ، فَلَا يَغُرَّتْكَ ذَلِكَ ،
فَلَا تَسْتَنِمَ^٧ إِلَيْهِ . فَإِنَّ الْأَمْرَ الْجَدِيدَ مِمَّا تَكُونُ لَهُ مُهَابَةٌ فِي أَنْفُسِ أَقْوَامٍ ،
وَحَلَاوَةٌ فِي أَنْفُسِ آخَرِينَ ، فَيُعِينُ قَوْمٌ بِأَنْفُسِهِمْ ، وَيُعِينُ قَوْمٌ بِمَا قَبِلَتْهُمْ^٨ .

١ الذي عليهم : أي ما عليهم أن يؤدوا من المال للملك .

٢ السلطان : السلطة والولاية .

٣ الجدة : حالة الشيء الجديد .

٤ جزوا : كافأوا .

٥ النيل : العطاء .

٦ أنجح : نجح .

٧ استنم : اطمان .

٨ قبلهم : أي عندهم .

وَيَسْتَتِيبُ بِذَلِكَ الْأَمْرُ غَيْرَ طَوِيلٍ . ثُمَّ تَصِيرُ الشُّؤُونُ إِلَى حَقَائِقِهَا وَأَصُولِهَا .
فَمَا كَانَ مِنَ الْأَمْرِ بُنْيَ عَلَى غَيْرِ أَرْكَانٍ وَثِيقَةٍ ، وَلَا عِمَادٍ مُحْكَمٍ ، أَوْشَكَ
أَنْ يَتَدَاعَى وَيَتَصَدَّعَ .

صحبة والي السوء

إِنْ ابْتُلِيتَ بِصُحْبَةِ وَالٍ لَا يُرِيدُ صَلَاحَ رَعِيَّةٍ ، فاعْلَمْ أَنَّكَ قَدْ خُيِّرْتَ
بَيْنَ خَلَّتَيْنِ^٢ لَيْسَ بَيْنَهُمَا خِيَارٌ^٣ : إِمَّا مَيْلُكَ مَعَ الْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّةِ ، وَهَذَا
هَلَاكُ الدِّينِ ؛ وَإِمَّا الْمَيْلُ مَعَ الرَّعِيَّةِ عَلَى الْوَالِي ، وَهَذَا هَلَاكُ الدُّنْيَا ؛ وَلَا حِيلَةَ
لَكَ إِلَّا بِالْمَوْتِ أَوْ الْهَرَبِ . وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لَكَ ، وَإِنْ كَانَ الْوَالِي غَيْرَ
مَرْضِيٍّ السَّيْرَةِ إِذَا عَلِقْتَ حِبَالُكَ بِحَبْلِهِ ، إِلَّا الْمُحَافَظَةَ عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ تَجِدَ
إِلَى الْفِرَاقِ الْجَمِيلَ سَبِيلًا .

مصانعة الملوك

لَا تَكُونَنَّ صُحْبَتُكَ لِلْمُلُوكِ إِلَّا بَعْدَ رِيَاضَةٍ مِنْكَ لِنَفْسِكَ عَلَى طَاعَتِهِمْ
فِي الْمَكْرُوهِ عِنْدَكَ ، وَمُؤَافَقَتِهِمْ فِي مَا خَالَفَكَ ، وَتَقْدِيرِ الْأُمُورِ عَلَى مَيْلِهِمْ
دُونَ مَيْلِكَ ؛ وَعَلَى أَنْ لَا تَكْتُمَهُمْ سِرَّكَ ، وَلَا تَسْتَطْلِعَ مَا كَتَمُوهُ ، وَتُخْفِي
مَا أَطْلَعُوكَ عَلَيْهِ مِنْ النَّاسِ كُلِّهِمْ ، حَتَّى تَحْمِيَ نَفْسَكَ الْحَدِيثَ بِهِ ؛
وَعَلَى الْجِتْهَادِ فِي رِضَاهُمْ ، وَالتَّلَطُّفِ لِحَاجَاتِهِمْ ، وَالتَّشْيِيتِ لِحُجَّتِهِمْ ،
وَالْتَّصَدِيقِ لِمَقَالَاتِهِمْ ، وَالتَّزْيِينِ لِرَأْيِهِمْ ؛ وَعَلَى قِلَّةِ الْاسْتِقْبَاحِ لِمَا فَعَلُوا ،
إِذَا أَسَاؤُوا ، وَتَرْكِ الْاسْتِحْسَانِ لِمَا فَعَلُوا ، إِذَا أَحْسَنُوا ، وَكَثْرَةِ النُّشْرِ

١ العِمَادُ : الْأَبْنِيَّةُ الرَّفِيعَةُ ، يَذْكُرُ وَيُؤْنِثُ ، مَفْرُودَةٌ عِمَادَةٌ .

٢ خَلَّتَيْنِ : خَصْلَتَيْنِ .

٣ لَيْسَ بَيْنَهُمَا خِيَارٌ : أَيُّ لَيْسَ بَيْنَهُمَا اخْتِيَارٌ لشيءٍ سِوَاهُمَا .

٤ التَّلَطُّفُ : التَّرَفُّقُ .

٥ وَتَرْكِ الْاسْتِحْسَانِ : أَيُّ وَعَلَى قِلَّةِ تَرْكِ الْاسْتِحْسَانِ .

لِمَحَاسِنِهِمْ ، وَحُسْنِ السَّيْرِ لِمَسَاوِيهِمْ ؛ وَالْمُقَارَبَةِ لِمَنْ قَارَبُوا ، وَإِنْ كَانَ
بَعِيداً ، وَالْمُبَاعَدَةِ لِمَنْ بَاعَدُوا ، وَإِنْ كَانُوا أَقْرَبَاءَ ؛ وَالْإِهْتِمَامِ بِأَمْرِهِمْ ،
وَإِنْ لَمْ يَهْتَمُّوا بِهِ ، وَالْحِفْظِ لَهُ ، وَإِنْ ضَيَّعُوهُ ، وَالذِّكْرِ لَهُ ، وَإِنْ نَسَوْهُ ؛
والتَّخْفِيفِ عَنْهُمْ لِمَوْثِقَتِكَ ، وَالْإِحْتِمَالِ لَهُمْ كُلِّ مَوْثِقَةٍ ؛ وَالرَّضَى عَنْهُمْ
بِالْعَفْوِ ، وَقِلَّةِ الرِّضَى مِنْ نَفْسِكَ لَهُمْ بِالْمَجْهُودِ ٢ . فَإِنْ وَجَدْتَ عَنْهُمْ وَعَنْ
صُحْبَتِهِمْ غِنًى ، فَأَغْنِ عَنْ ذَلِكَ نَفْسَكَ ، وَاعْتَزِلْهُ ٣ جُهِدَكَ . فَإِنْ مَنِ
يَأْخُذُ عَمَلَهُمْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ لَذَّةِ الدُّنْيَا ، وَعَمَلِ الْآخِرَةِ . وَمَنْ لَا يَأْخُذُ
بِحَقِّهِ ٤ يَحْتَمِلُ الْفَضِيحَةَ فِي الدُّنْيَا ، وَالْوِزْرَ فِي الْآخِرَةِ . إِنَّكَ لَا تَأْمَنُ
أَنْفَهُمْ ٥ ، إِنْ أَعْلَمْتَهُمْ ٦ ، وَلَا عَقُوبَتَهُمْ ٧ ، إِنْ كَتَمْتَهُمْ . وَلَا تَأْمَنُ غَضَبَهُمْ ،
إِنْ صَدَقْتَهُمْ . وَلَا تَأْمَنُ سَلَوَتَهُمْ ٨ ، إِنْ حَدَّثْتَهُمْ . إِنْ لَزِمْتَهُمْ ، لَمْ تَأْمَنُ
تَبَرُّمَهُمْ ٩ بَكَ . وَإِنْ زَايَلْتَهُمْ ١٠ لَمْ تَأْمَنُ عِقَابَهُمْ . إِنَّكَ إِنْ تَسْتَأْمُرَهُمْ ١١
حَمَلْتَ الْمَوْثِقَةَ عَلَيْهِمْ ؛ وَإِنْ قَطَعْتَ الْأَمْرَ دُونَهُمْ لَمْ تَأْمَنُ فِيهِ مُخَالَفَتَهُمْ .
لَهُمْ إِنْ سَخَطُوا عَلَيْكَ أَهْلَكَوكَ . وَإِنْ رَضُوا عَنْكَ تَكَلَّفْتَ مِنْ رِضَاهُمْ
مَا لَا تُطِيقُ . فَإِنْ كُنْتَ حَافِظاً إِنْ بَلَّوْكَ ١٢ ، جَلَداً ١٣ إِنْ قَرَّبُوكَ ، أَمِيناً إِنْ

- ١ المراد : أن تظهر رضاك لأن عفوهم يشملك .
- ٢ أي أن لا تظهر الرضى عن نفسك مهما تبذل في خدمتهم من المجهود .
- ٣ واعتزله : أي اعتزل ذلك .
- ٤ بحقه : أي بحق عملهم .
- ٥ الوزر : الإثم .
- ٦ أنفهم : استكبارهم واستنكافهم .
- ٧ إن أعلمتهم : أي أعلمتهم الحق في عملهم الذي تتولى أمره .
- ٨ سلوتهم : نسيانهم إياك وتسليمهم بسواك .
- ٩ تبرمهم : تفجرهم .
- ١٠ زايلتهم : فارقتهم .
- ١١ تستأمرهم : تشاورهم .
- ١٢ يلوك : جربوك .
- ١٣ جلدأ : قوياً شديداً .

اِثْمَنُوكَ ، تَشْكُرُهُمْ وَلَا تُكَلِّفُهُمُ الشُّكْرَ ، بَصِيرًا بِأَهْوَائِهِمْ مُؤَثِّرًا
لِمَنَافِعِهِمْ ، ذَلِيلًا إِنْ ظَلَمُوكَ ، رَاضِيًا إِنْ أَسَخَطُوكَ ؛ وَإِلَّا فَالْبُعْدَ مِنْهُمْ كُلِّ
الْبُعْدِ ، وَالْحَذَرَ كُلِّ الْحَذَرِ .

باب الصديق

معاملة الناس

أَبْذُلْ لَصَدِيقِكَ دَمَكَ وَمَالَكَ ، وَلِمَعْرِفَتِكَ^١ رِفْدَكَ^٢ وَمَحْضَرَكَ^٣ .
وَلِلْعَامَّةِ بِشْرَكَ وَتَحَنُّنَكَ . وَلِعَدْوِكَ عَدْلَكَ . وَاضْنِ^٤ بَدِينِكَ وَعِرْضِكَ
عَنْ كُلِّ أَحَدٍ .

انتحال الكلام

إِنْ سَمِعْتَ مِنْ صَاحِبِكَ كَلَامًا أَوْ رَأَى يُعْجِبُكَ ، فَلَا تَنْتَحِلْهُ تَزِينًا
بِهِ عِنْدَ النَّاسِ ؛ وَاکْتَفِ مِنَ التَّزِينِ بِأَنْ تَجْتَئِيَ الصَّوَابَ ، إِذَا سَمِعْتَهُ ،
وَتَنْسِبُهُ إِلَى صَاحِبِهِ . وَاعْلَمْ أَنَّ انْتِحَالَكَ ذَلِكَ سَخَطَةٌ لَصَاحِبِكَ ، وَأَنَّ
فِيهِ ، مَعَ ذَلِكَ ، عَارًا ؛ فَإِنْ بَلَغَ ذَلِكَ بِكَ أَنْ تُشِيرَ بِرَأْيِ الرَّجُلِ وَتَكَلِّمَ
بِكَلَامِهِ ، وَهُوَ يَسْمَعُ ، جَمَعْتَ ، مَعَ الظُّلْمِ ، قِلَّةَ الْحَيَاءِ ؛ وَهَذَا مِنْ سُوءِ
الْأَدَبِ الْفَاشِي بَيْنَ النَّاسِ . وَمِنْ تَمَامِ حُسْنِ الْخُلُقِ وَالْأَدَبِ أَنْ تَسْخُوَ

١ معرفتك : أي من تعرفه من الناس .

٢ رِفْدَكَ : عطائك .

٣ محضرك : حضورك .

٤ واضنن : واجئل .

نَقِسُكَ لِأَخِيكَ بِمَا انْتَحَلَ مِنْ كَلَامِكَ وَرَأْيِكَ ، وَتَنْسُبُ إِلَيْهِ رَأْيَهُ وَكَلَامَهُ ،
وَتُزَيِّنُهُ ، مَعَ ذَلِكَ ، مَا اسْتَطَعْتَ .

حسن الاستماع

تَعَلَّمْ حُسْنَ الاسْتِمَاعِ كَمَا تَتَعَلَّمُ حُسْنَ الْكَلَامِ . وَمِنْ حُسْنِ
الاسْتِمَاعِ إِمْهَالُ الْمُتَكَلِّمِ حَتَّى يَقْضِيَ حَدِيثَهُ ، وَقِلَّةُ التَّلَفُّتِ إِلَى الْجَوَابِ ،
وَالِإِقْبَالُ بِالْوَجْهِ وَالنَّظَرُ إِلَى الْمُتَكَلِّمِ ، وَالْوَعْيُ^١ لِمَا يَقُولُ .

من ادب المجالس

وَإِذَا كُنْتَ فِي جَمَاعَةٍ قَوْمٍ أَبَدًا ، فَلَا تَعْمَنْ جِيلًا مِنَ النَّاسِ أَوْ أُمَّةً
بِشْتَمٍ وَلَا ذَمٍّ ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي ، لَعَلَّكَ تَتَنَاوَلُ بَعْضَ أَعْرَاضِ جُلَسَائِكَ
وَلَا تَعْلَمُ^٢ . وَلَا تَذُمَّنَّ ، مَعَ ذَلِكَ ، اسْمًا مِنْ أَسْمَاءِ الرِّجَالِ أَوْ النِّسَاءِ بِأَنْ
تَقُولَ : إِنَّ هَذَا لَقَبِيحٌ مِنَ الْأَسْمَاءِ ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي ، لَعَلَّ ذَلِكَ مُوَافِقٌ
لِبَعْضِ جُلَسَائِكَ فِي بَعْضِ أَسْمَاءِ الْأَهْلِينَ وَالْحُرِّمِ^٣ . وَلَا تَسْتَصْغِرَنَّ مِنْ
هَذَا شَيْئًا ، فَكُلُّهُ يُجَرِّحُ فِي الْقَلْبِ ، وَجَرَّحُ اللِّسَانِ أَشَدُّ مِنْ جَرَّحِ الْيَدِ .

الاخلاق المحموده

إِنِّي مُخْبِرُكَ عَنْ صَاحِبٍ كَانَ أَعْظَمَ النَّاسِ فِي عَيْنِي . وَكَانَ رَأْسُ
مَا أَعْظَمَهُ عِنْدِي صِغَرُ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ . كَانَ خَارِجًا مِنْ سُلْطَانِ بَطْنِهِ ،
فَلَا يَسْتَهْيِي مَا لَا يَجِدُ ، وَلَا يُكْثِرُ إِذَا وَجَدَ . وَكَانَ خَارِجًا مِنْ سُلْطَانِ

١ الوعي : الحفظ .

٢ ولا تعلم : جملة حالية أي حال كونك غير عالم بذلك .

٣ الحرم : المحرم .

الجهالة ، فلا يُقدِّمُ إلا على ثقة أو مَنفعة . وكان أكثرَ دهرِه صامتاً ،
 فإذا قالَ بَدءُ القائلين . كانَ يُرى مُتَضَعِّفًا^٢ مُسْتَضْعَفًا^٣ ، فإذا جاءَ الجِدُّ ،
 فهو كاللَّيْثِ عاديًّا . وكانَ لا يَدْخُلُ في دَعْوَى ، ولا يَشْرِكُ^٦ في مِرَاءٍ^٧ ،
 ولا يُدلي بِحُجَّةٍ ، حتى يَجِدَ قاضياً عادلاً وشُهوداً عدولاً . وكانَ لا يَلُومُ
 أحداً على ما قد يَكُونُ العُدْرُ في مثله ، حتى يَعْلَمَ ما اعتذارُه . وكانَ لا يَشْكُو
 وجعاً إلا إلى مَنْ يَرْجُو عِنْدَهُ البرَّ ، ولا يَصْحَبُ إلا مَنْ يَرْجُو عِنْدَهُ
 النَّصِيحَةَ لهما^٨ جميعاً . وكانَ لا يَتَبَرَّمُ ، ولا يَتَسَخَّطُ ، ولا يَتَشَهَّى ،
 ولا يَتَشَكَّى ، ولا يَنْتَقِمُ منَ الوليِّ^٩ ، ولا يَغْفُلُ عَنِ العَدُوِّ ، ولا يَخُصَّ
 نَفْسَهُ ، دونَ إخوانِه ، بشيءٍ منِ اهْتِمَامِهِ بِحِيلَتِهِ^{١٠} وقُوَّتِهِ . فعَلَيْكَ بِهذهِ
 الأخلاقِ ، إنْ أَطَقْتَ ، ولنْ تُطِيقَ ؛ ولكنْ أَخَذَ القَلِيلَ خَيْرٌ مِنْ تَرْكِ
 الجَمِيعِ ، وباللهِ التَّوْفِيقُ .

١ يذ : غلب .

٢ المتضعف : من تضعفه الناس أي عدوه ضعيفاً وتجبروا عليه .

٣ المستضعف : المعلوم ضعيفاً .

٤ الجِد : ضد الهزل .

٥ عاديًّا : ساطياً .

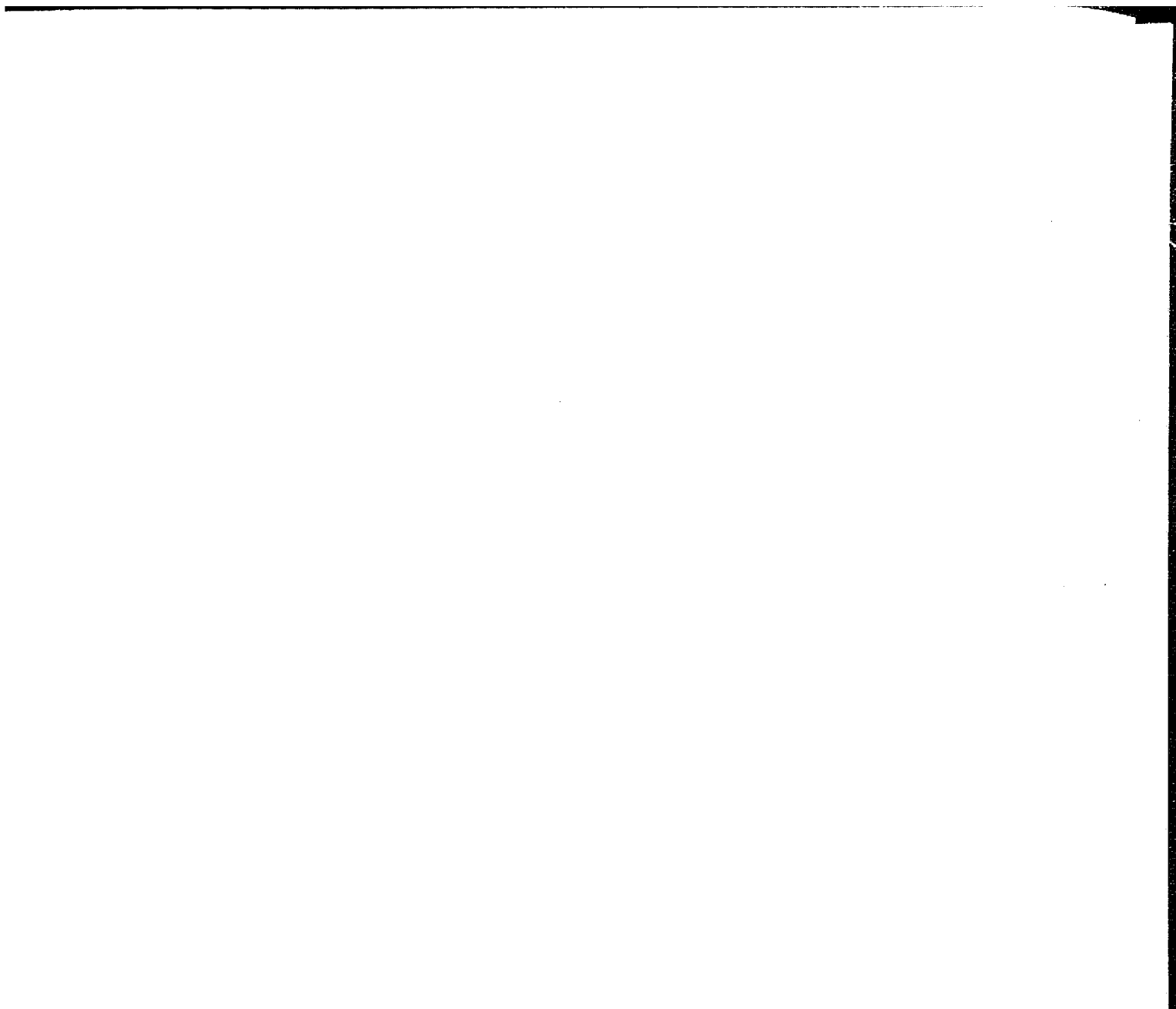
٦ يشرك : يشترك .

٧ مرأ : جدال .

٨ لهما : أي للوجع والبر .

٩ الولي : الصديق .

١٠ الحيلة : السياسة والتدبير .



العصر العباسي الثاني

البحري (٨٢٠ - ٨٩٧ م و ٢٠٥ - ٢٨٤ هـ)

ابن الرومي (٨٣٥ - ٨٩٦ م و ٢٢١ - ٢٨٣ هـ (؟))

الجاحظ (٧٧٥ (؟) - ٨٦٨ م و ١٥٩ (؟) - ٢٥٥ هـ)

البصري

المدح

وصف الموكب

قال يمدح المتوكل ، ويصف موكبه في عيد الفطر :

أخفي هوى لك في الضلوع ، وأظهر ،
وأراك خنت ، على النوى ، من لم يخن
وطلبت منك مودة لم أعطها ،
هل دين علوة يستطاع فيقتضى ،
بيضاء يعطيك القضيبي قوامها ،
تمشي فتحكم في القلوب بيدتها ،
وتميل من لين الصبي ، فيقيمها
لني ، وإن جانبت بعض بطالتي ،
والم في كمد عليك ، وأعدر
عهد الهوى ، وهجرت من لا يهجر
إن المعنى طالب لا يظفر
أو ظلم علوة يستفيق فيقصر^٢
ويريك عينيها الغزال الأحور^٣
وتميس ، في ظل الشباب ، وتخطر^٤
قد ، يؤثت تارة ، ويذكره^٥
وتوهم الواشون أنني مقصر^٦

١ المعنى : المهموم المتعب ، من عناء الأمر : أنصبه .

٢ علوة الحلبية : صاحبة الشاعر . يقصر ويقصر : ينتهي .

٣ الأحور : هو الذي يكون في عينه حور ، والحور اشتداد سواد العين وبياضها ، واستدارة حدقتها ورقة جفونها .

٤ تخطر : ترفع يديها في مشيتها وتضمهما .

٥ جعل أنوثة قدها في ميله وتثنيه وذكرته في استقامته .

٦ البطالة : الهزل في الحديث .

لَيْشَوْقُنِي سِحْرُ الْعُيُونِ الْمُجْتَلَى ،
 اللَّهُ مَكَّنَ لِلْخَلِيفَةِ جَعْفَرٍ
 نَعْمَى مِنْ اللَّهِ اصْطَفَاهُ بِفَضْلِهَا ،
 فَاسْلَمَ ، أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا تَزَلْ
 عَمَّتْ فَوَاضِلُكَ الْبَرِيَّةَ ، فَالْتَقَى
 بِالْبِرِّ صُمْتُ ، وَأَنْتَ أَفْضَلُ صَائِمٍ ،
 فَاثْبَتْ يَوْمَ الْفِطْرِ عَيْنًا ، إِنَّهُ
 أَظْهَرْتَ عِزَّ الْمُلْكِ ، فِيهِ ، بِجَحْفَلٍ
 خَلْنَا الْجِبَالَ تَسِيرُ فِيهِ ، وَقَدْ غَدَّتْ
 فَالْخَيْلُ تَصْهَلُ ، وَالْفَوَارِسُ تَدْعِي ،
 وَالْأَرْضُ خَاشِعَةٌ تَمِيدُ بِثِقَلِهَا ،
 وَالشَّمْسُ مَاتِعَةٌ ، تَوَقَّدُ بِالضَّحَى ،
 حَتَّى طَلَعَتْ بَضْوَاءَ وَجْهِكَ ، فَانْجَلَّتْ
 وَافْتَنَّنَ فِيكَ النَّاطِرُونَ ، فَلَا صَبْعُ

وَيَرَوْقُنِي وَرْدُ الْخُدُودِ الْأَحْمَرِ^١
 مُلْكًا ، يُحَسِّنُهُ الْخَلِيفَةُ جَعْفَرُ^٢
 وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَيَقْدُرُ^٣
 تُعْطَى الزِّيَادَةُ فِي الْبَقَاءِ وَتَشْكُرُ^٤
 فِيهَا الْمُقِيلُ ، عَلَى الْغِنَى ، وَالْمُكْثِرُ
 وَبِسُنَّةِ اللَّهِ الرِّضْيَةِ تُفْطِرُ^٥
 يَوْمٌ أَغْرُ ، مِنْ الزَّمَانِ ، مُشْهَرُ^٦
 لَسَجِبٍ ، يُحَاطُ الدِّينُ فِيهِ وَيُنْصَرُّ^٧
 عُدْدًا ، يَسِيرُ بِهَا الْعَدِيدُ الْأَكْثَرُ^٨
 وَالْبَيْضُ تَلْمَعُ ، وَالْأَسِنَّةُ تَزْهَرُ^٩
 وَالْجَوَّ مُعْتَكِرُ الْجَوَانِبِ أَغْبَرُ^{١٠}
 طَوْرًا ، وَيُطْفِئُهَا الْعَجَاجُ الْأَكْدَرُ^{١١}
 تِلْكَ الدَّجَى ، وَانْجَابَ ذَاكَ الْعِثِيرُ^{١٢}
 يَوْمًا إِلَيْكَ بِهَا ، وَعَيْنٌ تَنْظُرُ^{١٣}

- ١ المجتل : الذي ينظر إليه .
- ٢ جعفر : اسم المتوكل على الله .
- ٣ يقدر : يقسم ، أي يقسم الرزق .
- ٤ في عجز البيت تلميح إلى آية القرآن : لئن شكرتم لأزيدنكم .
- ٥ جحفل لب : جيش كثير ذو جلبة .
- ٦ تدعي : تذكر أنسابها زهواً وفخراً ، فيقول الفارس منهم : أنا فلان ابن فلان . تزهو : تتلأأ وتلمع .
- ٧ تميد : تتحرك مضطربة . بثقلها : بحملها الثقيل ، أي موكب الخليفة . والجو معتكز الجوانب أغبر : أي من الغبار المنعقد .
- ٨ مائة : مرتفعة . العجاج : الغبار .
- ٩ انجباب : انكشف . العثير : الغبار .
- ١٠ افتن : بمعنى تفنن . وفي رواية : ورنا إليك : أي أدام النظر إليك بسكون الطرف .

يَجِدُونَ رُؤْيَاكَ الَّتِي فَازُوا بِهَا
ذَكَرُوا بِطُلْعَتِكَ النَّبِيِّ ، فَهَتَلُوا
حَتَّى انْتَهَيْتَ إِلَى الْمُصَلَّى لِابْسَاءٍ
وَمَشَيْتَ مِشْيَةً خَاشِعَةٍ ، مُتَوَاضِعٍ
فَلَوْ أَنَّ مُشْتَاقًا تَكَلَّفَ غَيْرَ مَا
أُبْدَتْ مِنْ فَصْلِ الْخِطَابِ بِحِكْمَةٍ ،
وَوَقَفْتَ فِي بُرْدِ النَّبِيِّ مُذَكَّرًا
وَمَوَاعِظُ شَفَّتِ الصَّدُورَ مِنَ الَّذِي
حَتَّى لَقَدْ عَلِمَ الْجَهْلُولُ ، وَأَخْلَصَتْ
صَلُّوا وَرَاءَكَ ، آخِذِينَ بِعِصْمَةٍ ،
فَاسْلَمَ بِمَغْفِرَةِ الْإِلَهِ ، فَلَمْ يَزَلْ
اللَّهُ أُعْطَاكَ الْمَحَبَّةَ فِي الْوَرَى ،
وَلَأَنْتَ أَمْلَأُ لِلْعُيُونِ لَدَيْهِمْ ،

مِنْ أَنْعُمِ اللَّهِ الَّتِي لَا تُكْفَرُ
لَمَّا طَلَعْتَ مِنَ الصَّفُوفِ وَكَبَّرُوا
نُورَ الْهُدَى ، يَبْدُو عَلَيْكَ وَيَظْهَرُ
لِلَّهِ ، لَا يُزْهَى وَلَا يَتَكَبَّرُ
فِي وَسْعِهِ ، لَسَعَى إِلَيْكَ الْمَنِيرُ
تُنَبِّيَ عَنِ الْحَقِّ الْمُبِينِ وَتُخْبِرُ
بِاللَّهِ ، تُنْذِرُ تَارَةً ، وَتُبَشِّرُ
يَعْتَادُهَا ، وَشِفَاوُهَا مُتَعَذِّرُ
نَفْسُ الْمُرُوءِي ، وَاهْتَدَى الْمُتَحِيرُ
مِنْ رَبِّهِمْ ، وَبَذِمَةٌ لَا تُخْفَرُ
يَهَبُ الذَّنُوبَ ، لَمَنْ يَشَاءُ ، وَيَغْفِرُ
وَحَبَاكَ بِالْفَضْلِ الَّذِي لَا يُنْكَرُ
وَأَجَلَ قَدْرًا ، فِي الصَّدُورِ ، وَأَكْبَرُ

- ١ المصل : مكان الصلاة ، والمراد المسجد .
- ٢ الوسع : الجهد والطاقة ، يشير إلى آية القرآن : « لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا . »
- ٣ فصل الخطاب : أي الفصل بين الحق والباطل ، وعليه آية القرآن : « وَأَتَيْنَاهُ (أَي سُلَيْمَانَ) الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْخِطَابِ . »
- ٤ كَانَ الْخُلَفَاءُ يَلْبَسُونَ الْبُرْدَ النَّبَوِيَّ فِي الْعِيدِ الْكَبِيرِ .
- ٥ يَتَنَادَا : يَنْتَابَا ، أَي مَا يَنْتَابَا مِنَ الشُّكِّ وَالْخَيْرِ .
- ٦ الْمُرُوءِي : مَنْ يَفْكُرُ فِي نَفْسِهِ ، وَيُزَوِّرُ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ .
- ٧ لَا تُخْفَرُ : لَا يَنْقُضُ عَهْدَهَا .
- ٨ وَهَبَ لَهُ الذَّنْبُ : سَاحَهُ بِهِ .
- ٩ لَدَيْهِمْ : أَي لَدَى الْوَرَى . وَقَوْلُهُ : أَمْلَأُ وَأَجَلَ وَأَكْبَرُ : أَي مِنْ سِوَاكَ ، فَلَمَّا صَارَتْ فِي مَوْضِعِ الْخَبَرِ اسْتَفْنَى عَنْ مَنْ لِقُوَّةِ الْخَبَرِ ، وَخَرَجَتْ مَخْرَجَ اللَّهِ أَكْبَرَ لِلْمَبَالِغَةِ وَالتَّعْظِيمِ .

وصف البركة

قال يمدح المتوكل ، ويصف بركته :

مِيلُوا إِلَى الدَّارِ ، مِنْ لَيْلٍ ، نُحَيِّئُهَا ،
يَا دِمْنَةً ، جَاذَبَتْهَا الرِّيحُ بِهَجَّتِهَا ،
لَا زِلَتْ فِي حُلَلٍ ، لِلغَيْثِ ، ضَافِيَةً ،
تَرْوَحُ بِالْوَابِلِ الدَّانِي رَوَائِحُهَا ،
إِنَّ الْبَخِيلَةَ لَمْ تُنْعِمْ لِسَائِلِهَا ،
مَرَّتْ تَأَوَّدُ ، فِي قُرْبٍ ، وَفِي بُعْدٍ ،
نَعَمٌ ، وَنَسَأْتُهَا عَنْ بَعْضِ أَهْلِهَا^١
تَبَيَّتْ تَنْشُرُهَا ، طَوْرًا ، وَتَطْوِيهَا^٢
يُنِيرُهَا الْبَرْقُ ، أحيانًا ، وَيُسْدِيهَا^٣
عَلَى رُبُوعِكَ ، أَوْ تَغْدُو غَوَادِيهَا^٤
يَوْمَ الْكَثِيبِ ، وَلَمْ تَسْمَعْ لِدَاعِيهَا^٥
فَالْهَجْرُ يُبْعِدُهَا ، وَالْدَّارُ تُدْنِيهَا^٦

* * *

يَا مَنْ رَأَى الْبِرْكََةَ الْحَسَنَاءَ رُؤْيَتْهَا ،
بِحَسْبِهَا أَتَهَا ، فِي فَضْلِ رُبَّتِيهَا ،
مَا بِالْ دِجْلَةِ كَالْغَيْرَى تُنَافِسُهَا^٧
أَمَا رَأَتْ كَالِئِ الْإِسْلَامِ يَكْلُوْهَا^٨
وَالْأَنَسَاتِ ، إِذَا لَاحَتْ مَغَانِيهَا^٩
تُعَدُّ وَاحِدَةً ، وَالْبَحْرُ ثَانِيهَا^{١٠}
فِي الْحُسْنِ ، طَوْرًا ، وَأَطْوَارًا تُبَاهِيهَا^{١١}
مِنْ أَنْ تُعَابَ ، وَبَانِي الْمَجْدِ يَسْنِيهَا^{١٢}

١ من ليل : أي الخالية من ليل .

٢ الدمنة : ما اسود من آثار الدار بالبحر والرماد وغيرهما . يقول : إن الريح تهب عليها من جهات مختلفة ، فحينئذ تكشف التراب عن رسومها ، وحينئذ تغطيها .

٣ الحلل : الثياب لها بطانة ، مفردا حلة ، والمراد هنا بالثياب : الغيوم . ينيرها : يمد خيوطها عرضاً . يسديها : يمد خيوطها طولاً .

٤ الروائح : غيوم المساء . الفوادي : غيوم الصباح .

٥ البخيلة : حبيته . الكثيب : المرتفع من التل ، وقوله : يوم الكثيب : أي يوم رآها هناك .

٦ تأود : تتثنى .

٧ رؤيتها : فاعل الحسناء . المغاني : المنازل ، واحدها مغنى . والظاهر أنه كان حول البركة بيوت لاغتسال الجوّاري .

٨ الكالء : المانع والحارس . وكالء الإسلام : الخليفة .

كَأَنَّ جِنَّ سُلَيْمَانَ الَّذِينَ وَلُوا ۖ فَاذَقُوا فِي مَعَانِيهَا ۚ
فَلَوْ تَمَرَّرَ بِهَا بِلَقَيْسٍ عَنْ عُرْضٍ ۚ
تَنْصَبَ فِيهَا وَفُودُ الْمَاءِ مُعْجَلَةً ۚ
كَأَنَّمَا الْفَضَّةُ الْبَيْضَاءُ سَائِلَةً ۚ
إِذَا عَلَتْهَا الصَّبَا ۚ أَبَدَتْ لَهَا حُبُكًا ۚ
فَحَاجِبُ الشَّمْسِ ۚ أَحْيَانًا ۚ يُضَاحِكُهَا ۚ
إِذَا النُّجُومُ تَرَاءَتْ فِي جَوَانِبِهَا ۚ
لَا يَبْلُغُ السَّمَكُ الْمَحْضُورُ غَايَتَهَا ۚ
يَعْمُنَ فِيهَا بِأَوْسَاطٍ مُجَنَّنَحَةٍ ۚ
لَهَنَ صَحْنٌ رَحِيبٌ فِي أَسَافِلِهَا ۚ
صُورٌ إِلَى صُورَةٍ الدُّلْفَيْنِ ۚ يُؤْنِسُهَا

- ١ الذين : خبر كأن لا نعت الجن . ولوا : من ولي الأمر أي تولاه .
- ٢ بلقيس : ملكة سبأ وكانت معاصرة لسليمان الحكيم . وفدت عليه من اليمن لتسمع حكمته . وتقول الرواية العربية إن سليمان كان يسخر الجن فطليعه . فأمرهم أن يبنوا له صرحاً يستقبلها فيه . فبنوا صرحاً من قوارير أخضر ، وجعلوا له طوابيق (قطع الأجر الكبير) من قوارير كأنها الماء . وجعلوا في باطن الطوابيق صوراً من أجناس سمك البحر ودوابه . ثم أطبقوه . فلما دخلت بلقيس ، حسبته لجة وماء فرفعت ثيابها . فالشاعر يشبه بركة المتوكل في جمالها ودقة صنعها بصرح سليمان . عن عرض : من جانب .
- ٣ الحيك : تجعد الماء وتكسره ، واحدها حبيكة . الجواشن : الدروع ، مفردها جوشن .
- ٤ غايتها : نهايتها .
- ٥ الخوافي : الريش الصغار في جناح الطائر بعد القوادم ، مفردها خافية . شبه أجنحة السمك النابتة في أوساطها بخوافي الطير حين تنقض كاسرة أجنحتها للانحدار .
- ٦ الصحن : الساحة . البهو : البيت الواسع .
- ٧ صور : مائلة بوجهها وأعناقها . الدلفين : دابة بحرية ، كان يعتقد الأقدمون أنها صديقة للإنسان تنجيه من الفرق . الانزواء : الانحراف . يوازينا : يحاربها . يقول : إن السمك تمر مائلة بأنظارها إلى صورة الدلفين المنقوشة على جدار البركة خشية منه أن يسطو عليها . ولكنها تستأنس في مرورها ، لأن نظره منحرف عنها يرافقها في انحرافه ، فلا يقع عليها .

تَغْنِي بِسَاتِنُهَا الْقُصُوى بِرُؤْيَتِهَا ، عَنْ السَّحَابِ ، مُنَحَلًّا عَزَالِيهَا^١
 كَأَنَّهَا ، حِينَ لَجَجَتْ فِي تَدَفَّقِهَا ، يَدُ الْخَلِيفَةِ ، لَمَّا سَالَ وَادِيهَا^٢
 وَزَادَهَا رُبَّةً ، مِنْ بَعْدِ رُبَّتِهَا ، أَنْ اسْمَهُ ، يَوْمَ يُدْعَى ، مِنْ أَسَامِيهَا^٣
 مَحْفُوفَةٌ بِرِيَاضٍ ، لَا تَزَالُ تَرَى رِيشَ الطَّوَاوِيسِ ، تَحْكِيهِ ، وَيَحْكِيهَا
 وَدَكَّتَيْنِ كَمِثْلِ الشَّعْرَيْنِ ، غَدَتَ إِحْدَاهُمَا بِإِذَا الْآخَرَى ، تُسَامِيهَا^٤
 إِذَا مَسَاعِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بَدَتْ ، لِلْوَاصِفِينَ ، فَلَا وَصْفَ يُدَانِيهَا^٥
 إِنَّ الْخِلَافَةَ ، لَمَّا اهْتَزَّ مِنْبَرُهَا ، بِجَعْفَرٍ ، أُعْطِيَتْ أَقْصَى أَمَانِيهَا
 أَبْدَى التَّوَاضُّعَ ، لَمَّا نَالَهَا ، دَعَا إِذَا تَحَلَّتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحِلْيَتِهَا ، عَنْهَا ، وَنَالَتَهُ ، فَاخْتَالَتْ بِهِ تِيهَا^٦
 يَا ابْنَ الْأَبَاطِحِ ، مِنْ أَرْضٍ ، أَبَاطِحُهَا ، رَأَتْ مَحَاسِنَهَا الدُّنْيَا مَسَاوِيهَا^٧
 مَا ضَيَّعَ اللَّهُ ، فِي بَدْوٍ وَفِي حَضَرٍ ، فِي ذِرْوَةِ الْمَجْدِ ، أَعْلَى مِنْ رَوَائِيهَا^٨
 رَعِيَّةً ، أَنْتَ بِالْإِحْسَانِ رَاعِيهَا

- ١ الغزالي: جمع عزلاء وهي مصب الماء من القرية . يقال : أنزلت السماء عزاليها ، إشارة إلى شدة المطر على التشبيه بنزوله من أفواه القرب . وقوله : منحلا عزاليها ، أي منحلا عقدها فتدقق ماؤها .
- ٢ واديا : الغمير يعود إلى يد الخليفة . والوادي هنا كناية عن باطن الكف . وقوله : سَالَ ، أي سَالَ بِالْعَطَاءِ .
- ٣ اسم المتوكل جعفر ، ومعنى جعفر : النهر . فاسم البركة مشرف باسم الخليفة على اعتبار أنها نهر .
- ٤ الدكة : بناء يسطح أعلاه للجلوس عليه . الشريان : كوكبان متقابلان يقال لأحدهما الشعري العبور ، وللثاني الشعري الغميصاء . بإذَا الْآخَرَى ، أي بإزائها : بمقابلها . يقول : إن بجانب البركة دكتين للجلوس متقابلتين كالشعريين ، تتنافسان بالاتقان والجمال . وقوله : ودكتين : معطوفة على رياض .
- ٥ المساعي : المكارم والمالي في أنواع المجد ، مفردها مسعاة .
- ٦ دعة عنها : أي سعة وغنى .
- ٧ أي رأت الدنيا محاسنها مساوىء أمام محاسنه .
- ٨ الأباطح : جمع الأبطح ، ومؤنثه البطحاء ، وهو المسيل الواسع فيه دقاق الحصى ، أو الأرض السهلة مما جرت السيول من التراب . ومن ذلك قالوا : قریش البطاح ، وهم الذين ينزلون في أباطح مكة أو بطحائها ، وهم أشرف قریش ، والعباسيون منهم . ودونهم قریش الظواهر ، وهم الذين ينزلون بظهر مكة حيث تغلظ الأرض وترتفع . ولذلك قال الشاعر : أباطحها في ذروة المجد أعلى من روائها .

وأُمَّةٌ ، كَانَ قُبْحُ الْجَوْرِ يُسْخِطُهَا دَهْرًا ، فَأَصْبَحَ حُسْنُ الْعَدْلِ يُرْضِيهَا
بَثَّتْ فِيهَا عَطَاءً ، زَادَ فِي عَدَدِ الْعَلِيَا ، وَتَوَهَّتْ بِاسْمِ الْمَجْدِ تَنْوِيهَا
مَا زِلْتَ بَحْرًا لِعَافِينَا ، فَكَيْفَ وَقَدْ قَابَلْتَنَا ، وَلَكَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا^١
أَعْطَاكَهَا اللَّهُ عَنْ حَقٍّ ، رَأَى لَهُ أَهْلًا ، وَأَنْتَ بِحَقِّ اللَّهِ تُعْطِيهَا^٢

وصف الكامل

من قصيدة يمدح بها المعتز بن المتوكل ، ويصف قصره « الكامل » :

لَمَّا كَمَلْتَ رَوِيَّةً وَعَزِيْمَةً ، أَعْمَلْتَ رَأْيَكَ فِي ابْتِنَاءِ الْكَامِلِ
وَعَدَوْتَ ، مِنْ بَيْنِ الْمُلُوكِ ، مَوْفَقًا مِنْهُ لِأَيْمَنِ حِلَّةٍ وَمَنَازِلِ^٣
ذُعِرَ الْحَمَامُ ، وَقَدْ تَرَنَّمَ فَوْقَهُ ، مِنْ مَنَظَرٍ خَطِرِ الْمَرْزَلَةِ هَائِلِ
رُفِعَتْ لِمُخْتَرَقِ الرِّيَّاحِ سُمُوكُهُ ، وَزَهَتْ عَجَائِبُ حُسْنِهِ الْمُتَخَايِلِ^٤
وَكَانَ حَيْطَانُ الرَّجَاجِ ، بِجَوِّهِ ، لُجَجٌ يَمُجُّ عَلَى جُنُوبِ سَوَاحِلِ
وَكَانَ تَقْوِيفَ الرَّحَامِ ، إِذَا التَّقَى تَأَلَّفَهُ بِالْمَنَظَرِ الْمُتَقَابِلِ^٥
حُبُّكَ الْغَمَامِ ، رُصِفْنَ بَيْنَ مُنَمَّرٍ ، وَمُسَيَّرٍ ، وَمُقَارِبٍ ، وَمُشَاكِِلِ^٦
لَبَسْتَ ، مِنَ الذَّهَبِ الصَّقِيلِ ، سَقُوفَهُ نُورًا ، يُضِيءُ عَلَى الظَّلَامِ الْحَافِلِ^٧

١ العافي : طالب المعروف .

٢ قوله : وَأَنْتَ بِحَقِّ اللَّهِ تُعْطِيهَا ، أي أن عطاياها لا يبذلها في سبيل التبذير والإسراف ، بل هي في سبيل الله ، زكوات وصدقات يفيد منها ذور الحاجات .

٣ الحلة : هيئة الحلول ، وجماعة بيوت الناس ، والمجلس والمجتمع .

٤ سموكه : السقوف ، مفردا سملك . المتخايل : المتكبر .

٥ التفوييف : التوشية والزخرف ، أصله من الفوف وهو نقط بياض في أظفار الأحداث ، الواحدة فوفة .

٦ حبك الغمام : تجمعه ، واحده حبيكة ، والفاعل في رصفن يرجع إلى حبك . منمر : منقط . مسير : له خطوط . مقارب : أي بين المنمر والمسير . مشاكل : مشابهة مماثل .

٧ الحافل : المجتمع .

فترى العيونَ يجُلْنَ في ذي رَوْنَقٍ ، مُتَلَهِّبِ العَالِي ، أَتَيْقِ السَّافِلِ
وكأنَّما نُشِرَتْ على بُسْتَانِهِ سِيرَاءُ وَشِي اليُمْنَةِ الْمُتَوَاصِلِ^١
أَغْنَتْهُ دِجْلَةٌ ، إِذ تَلَّاحَقَ فَيْضُهَا ، عَنْ صَوْبِ مُنْجِمِ الرِّبَابِ الْهَاطِلِ^٢
وَتَنَفَّسَتْ فِيهِ الصَّبَا ، فَتَعَطَّفَتْ أَشْجَارُهُ ، مِنْ حَوْلِ وَحَوَامِلِ^٣
مَشْيِ الْعَذَارَى الْغَيْدِ ، رُحْنَ عَشِيَّةٍ مِنْ بَيْنِ حَالِيَةِ الْيَدَيْنِ وَعَاطِلِ^٤

وصف الأسد

من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان وزير المتوكل ، ويذكر مبارزته للأسد :

غَدَاةَ لَسَقِيَتِ اللَّيْثُ ، وَاللَّيْثُ مُخْدِرٌ ، يُحَدِّدُ نَابًا لِلْقَاءِ ، وَمِخْلَبًا^٥
يُحَصِّنُهُ ، مِنْ نَهْرٍ نَيْزَكٍ ، مَعْقِلٌ مَنِيْعٌ ، تَسَامَى رَوْضُهُ ، وَتَأَشَّبَا^٦
يَرُودُ مَغَارًا بِالظُّوَاهِرِ مُكْثِبًا ، وَيَحْتَلُّ رَوْضًا بِالْأَبَاطِيحِ مُعْشِبًا^٧
يُلَاعِبُ فِيهِ أَقْحُوَانًا مَفْضَضًا يَبِصُّ ، وَحَوَذَانًا ، عَلَى الْمَاءِ ، مُذْهَبًا^٨

١ السيراء : نوع من البرود فيه خطوط . اليمنة : البرد اليمني . المتواصل : نعت وشي . يشبه أزهار البستان بالبرود اليمنية الموشاة .

٢ أغنته : ضمير النصب يعود إلى البستان . الصوب : مجيء السماء بالمطر . المنسجم : القاطر السائل الرباب : السحاب ، واحده ربابة . الهاطل : المتتابع من المطر ، العظيم القدر .

٣ الحول : الشجر الذي لا يحمل ، واحدها : حائل .

٤ مشي : نائب عن المفعول المطلق من قوله : وتعطفت أشجاره . العاطل : ضد الحالية . شبه تعطف الأشجار بمشي العذارى الغيد ، والشجرة الحاملة بالغادة الحالية اليدين ، والشجرة الحائل بالغادة العاطل من الحل .

٥ المخدر بفتح الدال وكسرهما : الأسد الممتنع في عرينه . المخلب : ظفر كل سبع من الماشي والطار .

٦ تأشب : أي التف شجر الروض .

٧ يرود : يطلب . المغار : المغارة . الظواهر : الأراضي الغليظة المرتفعة . وقوله : مكثباً أي مكثباً صيده . يقال : أكثبك الصيد : دنا منك وأمكنك لترمي . والمراد أن هذا المكان متوفر فيه الصيد للأسد . الأباطح ، جمع الأبطح : المسيل الواسع فيه دفاق الحصى أو الأرض السهلة مما جرت السيول من التراب .

٨ الأقحوان : نبت أصفر الزهر في وسطه وحوايه ورق أبيض . يبص : يبرق ويلمع . الحوذان : نبت زهره أصفر . مذهب : أي بلون الذهب ، من أذهبه : طلاه بالذهب .

إذا شاءَ غادَى عانةً^١ ، أو غسدا على
يَجُرُّ إلى أشباله^٢ ، كلَّ شارقٍ ،
ومن يَبِغِ ظُلماً في حريمك^٣ ، يَنصَرِفُ
شَهِدْتُ ، لقد أنصفتُهُ يومَ تَنبَرِي^٤ ،
فلم أرَ ضِرغامينِ أصدَقَ مِنْكُما
هَزَبَرُ مَشَى يَبْغِي هَزَبَرًا ، وأغلبُ^٥ ،
أدلَّ بشَغَبٍ^٦ ، ثمَّ هالَتْهُ صَوْلَةٌ^٧ ،
فأحجمَ^٨ ، لما لم يَجِدْ فيكَ مَطْمَعًا ؛
فلم يَغْنِهْ أَنْ كَرَّ نَحْوَكَ مُقْبِلًا ؛
حَمَلَتْ عَلَيْهِ السَّيْفَ ، لا عِزُّكَ انْتَى^٩ ،
وكنْتَ ، متى تَجْمَعُ يَمِينُكَ ، تَهْتِ

عَقَائِلِ سِرْبٍ^١ ، إنْ تَقْنَصَ رَبْرَبًا^٢
عَيْيَطًا مُدْمَى^٣ ، أو رَمِيلاً مُخَضَّبًا^٤
إلى تَلَفٍ^٥ ، أو يُثْنِ خَزْيَانِ أُخْيَبًا^٦
لهُ ، مُصَلِّتًا عَضْبًا^٧ مِنَ الْبَيْضِ مِقْضَبًا^٨
عِراكَ^٩ ، إذا الْهَيَّابَةُ النُّكْسُ كَذَبًا^{١٠}
من الْقَوْمِ ، يَغْشَى بِاسِلَ الْوَجْهِ أَغْلَبًا^{١١}
رَأَكَ لَهَا أَمْضَى جَنَانًا وَأَشْغَبًا^{١٢}
وأَقْدَمَ لَمَّا لَمْ يَجِدْ عَنْكَ مَهْرَبًا^{١٣}
ولم يُنْجِهْ أَنْ حَادَ عَنْكَ مُنْكَبًا^{١٤}
ولا يَدُكَ ارْتَدَّتْ ، ولا حَدُّهُ نَبَا^{١٥}
لِكَ الضَّرْبَةِ ، أَوْ لَا تُبْقِ لِلسَّيْفِ مَضْرِبًا^{١٦}

- ١ غادى : باكر . العانة : القطيع من حمر الوحش . العقائل : جمع عقيلة : وهي الكريمة من كل شيء .
- ٢ السرب : القطيع . تقنص : تصيد . الربرب : القطيع من بقر الوحش .
- ٣ العييط : اللحم الطري بدمه . الرميل : المخضب بالدم ، والمراد وحش مخضب بالدم .
- ٤ الحريم : كل شيء تحميه وتدافع عنه . يريد أن هذه الوحوش التي افترسها الأسد كانت في حمى الفتح .
- ٥ انبرى له : اعترض . مصلتاً : مجرداً . العضب : السيف . البيض : السيوف ، واحدها أبيض .
- ٦ مقضب : السيف القطاع . وقوله : لقد أنصفتُهُ : يريد أن الأسد له سلاح من أنيابه وبرائه ، فمن الانصاف أن يبارزه خصمه بالسيف .
- ٧ ضرغامين : أسدين . النكس : الضعيف الدنيء المقصر عن غاية المجد والكرم . كذب : جبن فلم يقدم على القتال .
- ٨ الهزبر : الأسد ، ويريد به الممدوح . الأغلب : الأسد . يغشى : يأتي . الباسل : الكريه ، والمراد وجه الأسد .
- ٩ أدل : يقال أدل على أقرانه : جاءهم من عل . الشغب : تهيج الشر وكثرة الجلبة . الصولة : السطوة . الجنان : القلب .
- ١٠ منكباً : متنعياً .
- ١١ تجمع يمينك : أي تجمع أصابعها وتضمها على قبضة السيف . هتك : شق وفضح . الضريبة : الرجل المضروب بالسيف . المضرب : حد السيف .

الرثاء

رثاء المتوكل

من قصيدة يرثي بها المتوكل على الله ويذكر مصرعه سنة ٨٦١ م :

صَرِيحٌ تَقَاضَاهُ السَّيُوفُ حُشَاشَةً ، يَجُودُ بِهَا ، وَالْمَوْتُ حُمْرٌ أَظْفِرُهُ^١
أَدَافِيعُ عَنْهُ بِالْيَدَيْنِ ، وَلَمْ يَكُنْ^٢ لَيْسَنِي الْأَعَادِي أَعَزَلُ اللَّيْلِ حَاسِرُهُ^٣
وَلَوْ كَانَ سَيْفِي ، سَاعَةَ الْفَتَكِ ، فِي يَدِي ، دَرَى الْفَاتِكُ الْعَجَلَانُ كَيْفَ أُسَاوِرُهُ^٤
حَرَامٌ عَلَيَّ الرَّاحُ بَعْدَكَ ، أَوْ أَرَى دَمًا بَدَمٍ ، يَجْرِي عَلَى الْأَرْضِ مَائِرُهُ^٥
وَهَلْ أَرْتَجِي أَنْ يَطْلُبَ الدَّمَ وَاتِرٌ ، يَدَ الدَّهْرِ ، وَالْمَوْتُورُ بِالْدَمِ وَاتِرُهُ^٦
أَكَانَ وَلِيَّ الْعَهْدِ أَضْمَرَ غَدْرَةً ، فَمِنْ عَجَبٍ أَنْ وَلِيَّ الْعَهْدِ غَادِرُهُ^٧
فَلَا مُلِّيَ الْبَاقِي تَرَاثَ الَّذِي مَضَى ، وَلَا حَمَلَتْ ذَاكَ الدَّعَاءَ مَتَابِرُهُ^٨

١ الاعزل : من لا سلاح معه . حاسر : منكشف لا مغفر معه ولا درع ولا ترس .

٢ اساوره : اوائبه .

٣ دمًا بدم : الباء باء البدل أي دمًا يراق بدلًا من دم أريق . المائر : السائل من الدم .

٤ الواتر : من أوقع بغيره مكروهًا وأصابه بئار . وفي رواية يطلب الدم طالب . يد الدهر : في رواية مدى الدهر والمعنى واحد . الموتور : من قتل له حميم فلم يدرك بدمه . ويريد بالموتور الواتر المنتظر ولي العهد .

٥ ملي : متع به . الدعاء : أي الدعاء للخليفة على المنابر .

اغراض مختلفة

من قصيدة يفتخر بها ، ويصف ذئباً لقيه في البادية :

وليلٍ ، كأنَّ الصَّبحَ ، في أخريَّاتِهِ ، حُشاشةٌ نَصَلِ ، ضَمَّ إفرندَهُ غمدُ¹
تَسَرَّبَتْهُ ، والذَّئْبُ وَسنانُ هاجعٌ ، بعَيْنِ ابنِ ليلٍ ما لَهُ بالكَرْى عَهْدُ²
أثيرُ القَطَا الكُدْرِيَّ عَن جِثَمَاتِهِ ، وتألَّفَنِي فِيهِ الثَّعالبُ والرُّبْدُ³
وأطْلَسَ ملءُ العَيْنِ ، يَحْمِلُ زورَهُ ، وأضلاعةُ ، من جانِبَيْهِ ، شوى نَهْدُ⁴
لَهُ ذَنْبٌ مِثْلُ الرِّشاءِ يَجْرُهُ ، ومَتْنٌ كَمَتَنِ القَوْسِ أعوجُ مُنَادُ⁵
طَوَاهُ الطَّوى ، حَتَّى اسْتَمَرَّ مَرِيرُهُ ، فَمَا فِيهِ إِلَّا العَظْمُ والروحُ والجِلْدُ⁶

- ١ الأخريات : هنا بمعنى الأواخر . تقول : جاء في أخريات الناس أي في أواخرهم ، من غير نظر إلى معنى الصفة لأن أخريات في الأصل جمع أخرى . حشاشة نصل : أي بقيته . الإفرند : جواهر السيف ووشيه . يقول : إن أوائل خيط الصبح في بياضه ، يحيط به ظلام الليل ، يشبه بقية نصل سيف ضمه الغمد .
- ٢ تسربل الليل : لبس ظلامه سارياً فيه . ابن الليل : اللص . أي سرى ضارباً بعين لص ألفت الظلمة ، ولا تعرف النوم ليلاً في حين يكون الذئب نائماً .
- ٣ القطا : طير تسير جماعات . وهي أسرع الطيور وأهداها إلى الماء . الكدري : ضرب من القطا ، غير الألوان ، رقص الظهور ، صفر الخلق ، قصار الأرجل ، سود بواطن الأجنحة ، في ذنب كل منها ريشتان أطول من سائر ريشه . الجثمات : جمع الجثمة : الأكمة ، أي المكان الذي تجثم فيه القطا ، أي تلزمه ساكنة . وتألفني فيه : أي في الليل . الربد : الحيات الخبيثة ، واحدها الأربد .
- ٤ الأطلس : الذئب الأمعط ، في لونه غبرة ضاربة إلى السواد . الزور : وسط الصدر ، والمراد هنا الصدر على الإطلاق . الشوى : اليدان والرجلان . النهْد : المرتفع . أي أن هذا الذئب تحمل جسمه قوائم مرتفعة ، فيملأ عين من يراه .
- ٥ الرشاء : الحبل ، أو حبل الدلو . المتن : الظهر . مناد : منحن .
- ٦ الطوى : الجوع . وطواه الطوى : جعله الجوع هزيراً مطوي البطن . استمر مريره : استحسنت عزيمة وقويت شكيمته ، أي ازداد ضراوة لشدة الجوع .

يُقَضِّضُ عَصْلًا ، فِي أَسْرِتِهَا الرَّدَى ، كَقَضَضَةِ المَقْرورِ أَرَعَدَهُ البَرْدُ^١ ،
سَمَا لِي ، وَبِي مِنْ شِدَّةِ الجُوعِ مَا بِهِ ، بِيَدَاءَ لَمْ تُعْرِفْ بِهَا عَيْشَةُ رَعْدُ^٢
كِلَانَا بِهَا ذِئْبٌ ، يُحَدِّثُ نَفْسَهُ عَوَى ، ثُمَّ أَقْعَى ؛ فَارْتَجَزْتُ ، فَهَجْتُهُ ؛
فَأَوْجَرْتُهُ خَرَقَاءَ ، تَحَسَّبُ رِيَشَهَا فَأَتْبَعْتُهُ^٣ ،
فَمَا أَزْدَادَ إِلَّا جُرْأَةً وَصَرَامَةً ، عَلَى كَوْكَبٍ يَنْقُضُ ، وَاللَّيْلُ مُسَوَّدُ^٤
فَأَتْبَعْتُهُ أُخْرَى ، فَأَضَلَّتْ نَصْلَهَا بِحَيْثُ يَكُونُ اللَّبُّ وَالرَّعْبُ وَالْحِقْدُ^٥ ،
فَخَرَّ ، وَقَدْ أَوْرَدْتُهُ مِنْهَلَّ الرَّدَى ، عَلَى ظَمِيمٍ ، لَوْ أَنَّهُ عَذَبَ الْوَرْدُ^٦

١ يقضض : يكسر العظام ، فيخرج لها صوت . العصل : الأنياب العوج ، واحدها أعصل . والمراد هنا أنه يصك أنيابه بعضها على بعض لغيطه ، فيسمع لها صوت تكسر العظام . الأسرة : الخطوط ، واحدها سرار ؛ أي الموت كامن في خطوط أنيابه . المقرور : الذي أصابه البرد . والمراد : أنه يشبه مقروراً يرتعد من البرد فتصطلك أسنانه .

٢ الجد : الحظ . يقول : كلانا في هذه البيداء ذئب جائع يحدث نفسه بافتراس صاحبه ، ومن كان له الحظ أتمس حظ الآخر .

٣ أقعى : قعد على إليتيه ، فعل ذلك هنا مستعداً للوثوب . ارتجز : أنشد الرجز ليحمس نفسه على عادة البدو عند مباشرتهم الحرب . فاهتاج الذئب لسماع الصوت ، فأقبل على الشاعر بسرعة البرق ، وأخرج صوتاً كالرعد الذي يأتي بعد البرق .

٤ أوجره : طعمته ؛ أي أرسل إليه فبلة تطعنه . الخرقاء : الطائشة الهوجاء ؛ أي فبلة طائشة لم تصبه . الريش : هو ريش السهم يلزق على جانبيه لينطلق مستقيماً . يقول : كأن ريش هذه الفبلة المنقضة على الذئب لأمعة في الليل ، قد وضع على كوكب منقض في الظلام ، وبين السهم المريش والكوكب المتساقط وجهه للشبه تمثيلي لانطلاق السهم في أواخر الليل .

٥ الجد : ضد الهزل .

٦ اللب : العقل ؛ وكان العرب يمتقدون أن القلب مركز العقل . فالنبلة وقعت في قلب الذئب ، حيث يكون العقل والرعب والحقد .

٧ المنهل : المورد . وقوله : على ظمياً ؛ لأن الذئب كان به ظمياً لدم الشاعر ، فأورده منهل الموت ، فشفى ظمأه ، ولكن لم يكن مورده عذباً .

وَقُمْتُ فَجَمَعْتُ الْحَصَى ، فَاشْتَوَيْتُهُ^١ عَلَيْهِ ، وَلِلرَّمْضَاءِ مِنْ تَحْتِهِ وَقَدْ^٢
وَنِلْتُ خَسِيساً مِنْهُ ، ثُمَّ تَرَكْتُهُ ، وَأَقْلَعْتُ عَنْهُ ، وَهُوَ مُنْعَقِرٌ فَرْدٌ^٣

قال يصف إيوان كسرى في المدائن :

صُنْتُ نَفْسِي عَمَّا يُدْنِسُ نَفْسِي ، وَتَرَفَعْتُ عَنْ جِدَا كُلِّ جَبَسٍ^٤
وَتَمَاسَكْتُ حَيْثُ زَعَزَعَهُ فِي الدَّهْرِ التِّمَاسُ مِنْهُ لِنَعْسِي وَنُكْسِي^٥
بُلُغٌ مِنْ صُبَابَةِ الْعَيْشِ عِنْدِي ، طَفَفَتْهَا الْأَيَّامُ تَطْفِيفَ بَخْسٍ^٦
وَبَعِيدٌ مَا بَيْنَ وَارِدِ رِفْهِ ، عَكَلَ شُرْبُهُ ، وَوَارِدِ خِمْسٍ^٧
وَكَانَ الزَّمَانُ أَصْبَحَ مَحْمُومٍ لَا هَوَاهُ مَعَ الْأَخْسَاءِ الْأَخْسِ^٨
وَاشْتَرَايَ الْعِرَاقَ خِطَّةَ غَبْنٍ ، بَعْدَ بَيْعِي الشَّامَ بَيْعَةَ وَكْسٍ^٩
لَا تَرُزْنِي مُزَاوِلًا لاختياري ، عِنْدَ هَذَا الْبَلَوَى ، فَتُنْكَرُ مَسِي^{١٠}

- ١ الرَّمْضَاءُ : شدة حرارة الرمل ، ورمل البادية يخالطه حصى صغير إذا جمع وأضرمت عليه النار انتقد جمرًا ، وأمكن أن يشوى عليه .
- ٢ خَسِيسًا : أي قليلاً حقيراً ، لأن الذئب كان مهزولاً فلم يستطع الشاعر لحمة متعفر : أي متعفر بالتراب .
- ٣ الجِدَا : العطاء . الجَبَس : اللثيم والجبان .
- ٤ نُكْسِي : إذلال .
- ٥ البُلُغُ ، جمع البلغة : ما يكفي من العيش ، وليس فيه فضلة . الصُّبَابَةُ : البقية من الماء واللين ، والمراد بقية من المال يعيش بها . طَفَفَتْهَا : أنقصتها . الْبَخْسُ : الظلم وهضم الحقوق .
- ٦ وَارِدِ رِفْهِ : أي يرد الماء كل يوم متى يشاء . عَكَلَ شُرْبُهُ : أي يشرب تباعاً شربة بعد أخرى . وَارِدِ خِمْسٍ : أي يشرب في اليوم الرابع بعد ظمأ ثلاثة أيام .
- ٧ مَحْمُولًا هَوَاهُ : أي يميل إلى الأخساء فيصافيه دون الكرام .
- ٨ وَاشْتَرَايَ الْعِرَاقَ : معطوفة على بُلُغٍ . يتابع ذكر أحواله ، فيرى الخسارة في مجيئه إلى العراق بعد تركه الشام . الْخِطَّةُ : الأرض التي يختطها الإنسان لنفسه لينزل بها . الْوَكْسُ : الخسارة في المتاجرة .
- ٩ لَا تَرُزْنِي : يقال راز الشيء يروزه جربه وقدره وامتحنه لينظر ثقله . مُزَاوِلًا : محاولاً ، يريد أن أحداث الدهر غيرت حاله فأصبح ينكره من يحاول معرفته حين يراه .

وقديماً عهدتني ذا هنات^١ آيات^٢ ، على الدنثات^٣ ، شمس^٤
ولقد رابني نبؤ ابن عمي^٥ ، بعدَ لينٍ من جانبيه وأنس^٦
وإذا ما جُفيتُ ، كنتُ حريّاً أنْ أرى غيرَ مُصبحٍ حيثُ أمسي^٧
حضرتُ رحلي الهُمومُ^٨ ، فوجهُ ت إلى أبيض المدائن عني^٩
أتستلي عن الخطوطِ ، وآسى محلّ من آل ساسان درس^{١٠}
ذكرتنيهم الخطوبُ التوالي ، ولقد تذكّرُ الخطوبُ وتُني^{١١}
وهمُ خافضون في ظلّ عالٍ مشرفٍ ، يحسرُ العيون ويُخسي^{١٢}
مُغلّق بابهُ ، على جبَل القبّ ق ، إلى دارتي خِلاطٍ ومكس^{١٣}
حلّ ، لم تكنْ كأطلالِ سُدَى ، في قفارٍ من البساسيسِ ملّس^{١٤}
ومساعٍ ، لولا المُحابةُ مِنّي ، لم تُطيقها مَسعاةُ عَنَسٍ وعَبَس^{١٥}
نقلَ الدهرُ عهدَهنّ عن الجِ دة ، حتى غَدَوْنَ أنضاء لبّس^{١٦}

١ الهنات : الخصال ، وتستعمل في الشر والأذى ، واحدها هنت . وقيل واحدها هنة ، تأنيث هن وهو كناية عن كل اسم جنس . شمس : جمع شمس ، أي صعب المراس على من عانده .

٢ النبؤ : التجاني والخشونة .

٣ حضرت رحلي الهوموم : أي جعلته حاضراً وأعدته للرحيل . أبيض المدائن : أي القصر الأبيض لكسري ؛ والمدائن : عاصمة الأكاسرة قرب بغداد وفيها الإيوان . سميت بالجمع لأنها سبع مدن قائمة على ضفتي دجلة . عني : ناقتي .

٤ آل ساسان : أي ملوك الفرس من نسل اردشير حفيد ساسان ، مؤسس الدولة الساسانية . درس : بال .

٥ خافضون : عائشون برفاهة ودعة . يحسر : يعمي ويكل . يخسي : مسهل يخسي ، أي يكل ويحسر .

٦ دارتي خِلاطٍ ومكس : مكانان ؛ والدارة كل أرض واسعة بين جبال .

٧ حلّ : جمع حلة وهي المحلة . البساسيس : جمع البسيس وهو القفر الخالي . الملّس : جمع أملّس وملساء وهي الفلاة ليس بها نبات .

٨ المساعي : جمع مسعاة وهي المكreme والمعلاة . عنس : قبيلة قحطانية من اليمن . عبس : قبيلة عدنانية من نجد . يقول : لولا محاباتي للعرب لأنني عربي ، لقلت إن مساعي الفرس لم تستطع بلوغها قبائل العرب من قحطانية وعدنانية .

٩ الجلدة : حالة الشيء الجديد . الأنضاء : جمع نضو وهو المهزول . اللبس : الاختلاط والإشكال . يقول : غير الدهر حالة هذه الخلل والمساعي ، فأصبحت بعد جدتها هزيلة بالية يشكل أمرها على الناظر إليها ، وتلبس عليه حقيقتها ؛ فما يكاد يتبينها ويعرفها .

فكان الجيرماز ، من عَدَم الأُنْـ
لو تراه ، عَلِمْتَ أن اللّياي
وهو يُنبِـك عن عَجائب قوم ،
فإذا ما رأيت صورة أنطا
والمنايا مَوائيل ، وأنوشُر
في اخضرارٍ من اللّباس ، على أصـ
وعيراك الرّجال ، بَيْن يَدَيْهِ ،
مِنْ مُشِيح ، يُهوي بعامل رُمح ؛
تَصِفُ العَيْنُ أَنَّهُمْ جِدُّ أَحْيَا
يَغْتَلِي فِيهِمْ ارْتِيَابِي ، حتّى
قد سَقاني ، ولم يُصَرِّدْ ، أبو الغو

س وإخلاقه ، بَنِيَّةُ رَمْسٍ^١
جَعَلَتْ فِيهِ مَأْتَمًا ، بعدَ عُرْسٍ
لا يُشَابُ البَيَانُ فِيهِمْ بَلْبَسٍ^٢
كِتَّةَ ارْتَعَتَ بَيْنَ رُومٍ وفُرسٍ
وان يُزجي الصّفوفَ تحت الدّرفسِ^٣
فَرَّ يَخْتَالُ في صَبِيغَةٍ ورَسٍ^٤
في خُفوتٍ مِنْهُمْ وإغماضٍ جَرَسٍ^٥
ومُليح ، مِنْ السّنانِ ، بَتْرَسٍ^٦
، لهم ، بَيْنَهُمْ ، إشارَةُ خُرْسٍ^٧
تَتَقَرَّاهُمْ يَدَايَ بِلَمْسٍ^٨
ث ، على العَسْكَرِينَ ، شُرْبَةُ خَلْسٍ^٩

- ١ الجيرماز : أحد أهباء القصر . إخلاقه : بلاء ؛ ورويت لإخلاله .
- ٢ لا يشاب : لا يخطئ . اللبس : الاختلاط والإشكال ، وتضم لامه . يقول : إن ما بقي من آثار الجيرماز حقيق بأن يحدثك عن عجائبهم بكلام واضح البيان ليس فيه التباس .
- ٣ يزجي : يسوق . الدرفس : راية الفرس المقدسة ، رمز تحرير بلادهم على يد بطلمئ الأسطوري أفريدون ، أي راية الحداد كاوي « درفشى كاويغاني » وكانت محلاة بالجوهر الكريمة .
- ٤ يختال : يتبختر تكبراً . الورس : نبات كالسمسم أصفر يصبغ به ، وقيل صبغ أحمر . قد تكون هذه الألوان تمثل ثياب كسرى المصبغة . وقد يكون قوله : على أصفر ، أي على جواد أصفر .
- ٥ الخفوت : السكوت . الجرس : الصوت الخفي .
- ٦ المشيح : المقبل عليك والمانع لما وراء ظهره . عامل الرمح : صدره . مليح : محاذر خوفاً .
- ٧ يقول : تخدع العين بدقة الرسم فتنتبهم بالأحياء يتبادلون إشارة خرس .
- ٨ يغتلي : يعظم . تتقراهم : تتنبههم . يقول : يزيد ارتيابي فيهم ، فأتنبههم باللمس لأتحقق أصور مرسومة هم أم أشخاص أحياء يتحاربون ؛ يريد المبالغة في دقة الرسم وبراعته .
- ٩ لم يصرد : لم يقلل . أبو الفوث : ابن البحتري . على العسكرين : على منظر العسكرين . الخلس : الاختلاس . أي شربة مختلسة سريعاً .

مِنْ مُدَامٍ ، تَقُولُهَا هِيَ نَجْمٌ ١
 وَتَرَاهَا ، إِذَا أَجَدَّتْ سُرُوراً ٢
 أَفْرِغَتْ فِي الرَّجَاجِ ، مِنْ كُلِّ قَلْبٍ ،
 وَتَوَهَّمَتْ أَنْ كِسْرَى أَبْرُو ٤
 حُلُمٌ مُطْبِيقٌ عَلَى الشُّكِّ عَيْنِي ،
 وَكَأَنَّ الْإِيوَانَ مِنْ عَجَبِ الصَّنْ ٥
 يُتَظَنِّي ، مِنَ الْكَاتِبَةِ ، أَنْ يَبْ ٦
 مَزْعَجاً بِالْفِرَاقِ عَنْ أَنْسِ الْفِ ،
 عَكَسَتْ حَظَّهُ اللَّيَالِي ، وَبَاتَ ٧
 فَهُوَ يُبْدِي تَجَلُّداً ، وَعَلَيْهِ ٨
 أَمْ أَمَانٌ غَيْرِنَ ظَنِّي وَحَدْسِي ؟
 مَعَهُ جَوْبٌ ، فِي جَنْبِ أَرْعَنَ جَلِيسٍ ٩
 لِدَوِّ لَعِينِي مُصْبِحٍ أَوْ مُمَسِّ ١٠
 عَزَّ ، أَوْ مَرْهَقاً بِتَطْلِيقِ عِرْسٍ ١١
 مُشْتَرِي فِيهِ ، وَهُوَ كَوَكَبُ نَحْسٍ ١٢
 كَلْكَلٌ مِنْ كَلَاكِلِ الدَّهْرِ مَرْسٍ ١٣

- ١ تقولها : تظنها . مجاجة الشمس : ريقها أي شعاعها . يقال : مجت الشمس ريقها : رمت بشعاعها .
- ٢ و تراها : وتظنها . أجدت : جددت . المتحسي : المتجرع جرعة بعد أخرى .
- ٣ أفرغت : الجملة مفعول ثانٍ ل تراها .
- ٤ كسرى أبرويز : حفيد كسرى انوشروان ، ملك من سنة ٥٩٠ إلى سنة ٦٢٨ م . وقد سماه الشاعر قبلاً أنوشروان ، فالظاهر أنه يخلط بين الاسمين . و ترجع أن صورة أنطاكية تمثل أبرويز في المعركة التي انكسرت فيها جيوش هرقل سنة ٦١٤ م ففتحت للفرس الطريق إلى القدس ، فاستولوا على سوريا حتى سنة ٦٢٨ . معاطي : أي يعاطيه الشراب ، يعني يشاربه . البلهذ ويقال الفلهذ : من كبار المغنين عند الفرس . أنسي : أي يؤنسه بصوته .
- ٥ الجوب : الترس . أرعن : أحرق . جلس : غليظ أحرق . يشبه شكل الإيوان وهيئته بترس في جنب رجل غليظ أحرق ، أي أنه مستدير على شكل الترس ، قائم في جنب بناء عظيم ، أو في جنب جبل يشبه الرجل الجلس في غلاظته .
- ٦ يتظنى : يعمل الظن فيه ، أي يظن فيه .
- ٧ مرهقاً : مكلفاً . العرس : الزوجة . يقول : يظن من ينظر إليه عند الصباح والمساء أنه يبدو من كآبته ، عاشقاً مزعجاً أبعد الفراق صاحبه فعز عليه أن يصل إليه ؛ أو زوجاً كلفته الأيام تطليق زوجته فطلقها على كره منه .
- ٨ المشتري : نجم من السيارات ، ويقال له بالفارسية برجيس ، وطالع برجه سعد عند الأقدمين .
- ٩ الكلكل : الصدر . مرس : ثابت .

لم يعبئه أن^١ بزز من بسط الدية
 مشمخيراً ، تعلو له شرفات^٢ ،
 لايسات من البياض ، فما تب^٣
 ليس يدرى : أصنع إنس^٤ لجن^٥
 غير أنني أراه يشهد أن^٦ لم
 فكأنني أرى المراتب والقو^٧
 وكأن الوفود ضاحين حسرى ،
 وكأن القيان ، وسط المقاصي^٨
 وكأن اللقاء أول من أم^٩
 وكأن الذي يريد اتباعاً ،
 عمّرت للسرور دهرأ ، فصارت

باج^١ ، واستل من ستور الدّمقس^٢
 رفعت في رؤوس رضوى وقُدس^٣
 صير منها إلا فلائل برس^٤
 سكتوه ، أم صنع جن^٥ لإنس^٦ ؟
 بك بانيه ، في الملوك ، بنكس^٧
 م ، إذا ما بلغت آخر حسي^٨
 من وقوف خلف الزحام ، وخنس^٩
 ر ، يرجحن بين حو^{١٠} ولعس^{١١}
 س ، وشك الفراق أول أمس^{١٢}
 طامع في لحوقهم صبح خمس^{١٣}
 للتعزّي ، رباعهم ، والتأسي

- ١ بز : سلب . الديباج : الحرير . استل : أخرج وعري . الدّمقس : الحرير الأبيض .
 ٢ مشمخّر : طويل عال . شرفات : مثلثات تبنى متقاربة في أعلى القصر ، واحدها شرفة . رضوى :
 جبل بالمدينة . قدس : جبل وهو قدس الأسود وقدس الأبيض . يقول : إن هذه الشرفات عالية كأنها
 بنيت على رؤوس الجبال .
 ٣ فلائل : جمع فليلة وهي الشعر المجتمع . البرس : القطن أو شبيه به . يقول : إن هذه الشرفات
 يكسوها البياض ولكن العين لا تقيئها جيداً لعلوها فتحسبها فلائل من القطن مجتمعاً بعضها إلى بعض .
 ٤ النكس : المقصر عن غاية الكرم .
 ٥ إذا ما بلغت آخر حسي : أي إذا تهادى بي الحس والخيال .
 ٦ ضاحين : بارزين للشمس ، نصبت على الحال . حسرى : متلهفين معينين . خنس : متأخرين .
 ٧ يرجحن : يملن بالأرجوحة . حو : جمع حواء وهي السمراء الشفة . لعس : جمع لعساء وهي الجارية
 التي بها لعس ، وهو سواد مستحسن في الشفة .
 ٨ صبح خمس : أي خمس ليال . يريد أنه يستطيع اللحاق بهم بعد سفر خمس ليال لما خيل إليه من قرب
 عهدهم بالرحيل ؛ أو هي صبح خمس : أي يصل إليهم في اليوم الرابع ، مأخوذ من اظماء الإبل ،
 وهو أن ترى ثلاثة أيام وترد الرابع .

فلَهَا أَنْ أَعَيْنَهَا بِدُمُوعٍ مَوْقِفَاتٍ عَلَى الصَّبَابَةِ حُبْسٍ^١
 ذَاكَ عِنْدِي ، وَلَيْسَ الدَّارُ دَارِي ، بِاقْتِرَابٍ مِنْهَا ، وَلَا الْجِنْسُ جِنْسِي
 غَيْرَ نَعْمَى لِأَهْلِهَا عِنْدَ أَهْلِي ، غَرَسُوا مِنْ ذَكَائِهَا خَيْرَ غَرْسٍ
 أَيْدُوا مُلْكَنَا وَشَدُّوا قُوَاهُ بِكُمَاةٍ ، تَحْتَ السَّنَوْرِ ، حُمْسٍ^٢
 وَأَعَانُوا عَلَى كَتَائِبِ أَرِيَا طَاطَعِينَ عَلَى النَّحُورِ ، وَدَعَسٍ^٣
 وَأَرَانِي ، مِنْ بَعْدُ ، أَكْلَفُ بِالْأَشْ مَرَاكِ طُرّاً ، مِنْ كُلِّ سِنَخٍ وَلَسٍ^٤

وصف الربيع

من قصيدة يمدح بها المهيم الغنوي ، ويصف الربيع مزيئاً للممدوح عقد مجلس هو وشراب :

أَتَاكَ الرَّيْعُ الطَّلَقُ يَخْتَالُ ضَاكِكًا ، مِنَ الْحُسْنِ ، حَتَّى كَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ
 وَقَدْ نَبَّهَ النَّوْرُوزُ ، فِي غَلَسِ الدَّجَى ، أَوَائِلَ وَرْدٍ كُنَّ بِالْأَمْسِ نَوْمًا
 يُفْتَقُّهَا بَرْدُ النَّدَى فَكَأَنَّهُ يَنْثُ حَدِيثًا ، كَانَ ، قَبْلُ ، مُكْتَمًا^٥
 وَمِنْ شَجَرٍ ، رَدَّ الرَّيْعُ لِبَاسَهُ عَلَيْهِ ، كَمَا نَشَرَّتْ وَشْيًا مُنْمَمًا^٦

١ يقول : إنه يبكي على ربوع الأكاسرة مع أنه وقف دموعه وجنبها ، وما تعود أن يبكي إلا شوقاً إلى الأجابة المفارقين .

٢ الكمأة : جمع الكمي وهو الشجاع اللابس السلاح . السنور : نوع من الدروع . يشير إلى مساعدة الفرس لليمن في حروبها مع الحبشة ، وردهم الملك إلى عاهلها سيف بن ذي يزن .

٣ أرياط : قائد جيش الحبش . الدعس : الوطء الشديد والطعن بالرمح .

٤ السنخ : الأصل . الإس وتضم همزته : أصل كل شيء . يقول : إنه يشغف بالأشراف جميعاً من أي أصل كانوا ، من بعد مساعدة الفرس لليمن .

٥ النوروز ، ويقال له النيروز : عيد فارسي الأصل ، يقع في الشرق في أول آذار ، فيوافق ظهور نور الربيع ، ويقع في الأندلس في الأيام الأولى من كانون الثاني فيوافق رأس السنة والنفطاس . الغلس : ظلمة آخر الليل .

٦ ينث الحديث : يبوح به ويفشيه .

٧ منمماً : مزخرفاً منقوشاً .

أَحَلَّ ، فأبدى للعيونِ بِشاشةً ،
 وَرَقَ نَسِيمُ الرّوضِ ، حتّى حَسِبْتُهُ
 وَكَانَ قَدْ دَئى للعَيْنِ ، إذ كَانَ مُحَرِّمًا
 يَسْجِيءُ بِأَنْفَاسِ الْأَحْبَةِ نَعْمًا
 وَمَا يَمْنَعُ الْأَوْتَارَ أَنْ تَسْرَتَمَا ؟

غزل

قال يتنزل بلوة بنت زريقة الحلبية :

يَا عَمَلَوْ ، لَوْ شِئْتُ ، أَبَدَلْتُ الصَّدُودَ لَنَا
 هَلْ لِي سَبِيلٌ إِلَى الظُّهْرَانِ مِنْ حَلَبٍ ،
 وَصَلَاً ، وَلَانَ لَصَبٍ قَلْبُكَ الْقَاسِي
 وَنَشْوَةً بَيْنَ ذَاكَ الْوَرْدِ وَالْآسِ ٢
 إِذْ أَقْبَلَ الرّاحَ ، وَالْأَيَّامُ مُقْبِلَةٌ ،
 مِنْ أَهْيَفٍ خَنِثٍ الْعِطْفَيْنِ مَيَّاسٍ ٣
 أَمُدُّ كَفِّي لِأَخِذِ الْكَاسِ مِنْ رَشٍّ ،
 وَحَاجَتِي ، كُلُّهَا ، فِي حَامِلِ الْكَاسِ ٤
 بَيَّرِدِ أَنْفَاسِهِ أَشْفَى الْغَلِيلَ ، إِذَا
 دَنَا ، فَقَرَّبَهَا مِنْ حَرِّ أَنْفَاسِي ٥

- ١ أحل : خرج من إحرامه . المحرم : من دخل في الحرم ولبس المحرم وهو لباس الإحرام ، ذلك بأن المسلمين إذا جاؤوا مكة وأرادوا أن يدخلوا الحرم خلعوا ما عليهم من الثياب المصبغة والمخيطه : كالقمصان والبرانس والسر اويلات والعمائم ، وألقوا على أجسامهم ثياب الإحرام غير مخيطة ولا مصبغة . فالشاعر يقول : إن الشجر كان محرماً في الشتاء أي عارياً من ثيابه المصبغة ، فلما جاء الربيع خرج من حرمة ، ولبس أوراقه وأزهاره الملونة ، فأبدى بشاشة للعيون بعد أن كان قنئ لها .
- ٢ الظهران : اسم موضع .
- ٣ الأهيف : الرقيق الخصر . الخنث : مثني العطف لينه . العطفين : مثني العطف ، وهو أحد الجانبيين من الرأس إلى الوراء .
- ٤ الرشأ : ولد الظبية وهو هنا على سبيل الاستعارة .
- ٥ الغليل : حرارة الحب .

ابن الرومي

المدح

مدح القاسم

من قصيدة يمدح بها القاسم بن عبيد الله الوهبي وزير المعتضد . ويتخلل المدح عتاب وتهديد وفخر وشكوى وسؤال واستعطاف :

+ أيتها القاسمُ القسيمُ رُواءَ ، والذي ضمَّ وُدَّهُ الأهواءَ^١
- والذي سادَ ، غيرَ مُستنكرِ السَّوْءِ ، دَدَ ، في النَّاسِ ، واعتلى كيفَ شاءَ^٢
+ قَمَرٌ ، نَجْتَلِيهِ ، مِلْءَ عِيُونِ ، وصدورِ ، بِرَاعَةِ ضِيَاءِ^٣
+ لم يَزَلْ يَجْعَلُ الْمَسَاءَ صَبَاحًا ، كُلَّمَا بُدِّلَ الصَّبَاحُ مَسَاءً^٤
- قَتَلَ الْيَأْسَ ، وَهُوَ مُسْتَحْكِمُ الْأَمْرِ ، وَأَحْيَا الْمَطَامِعَ الْأَنْضَاءَ^٥
+ أَنَا مَوْلَاكَ ، أَنْتَ أَعْتَقْتَ رِقِّي ، بَعْدَمَا خِفْتُ حَالَةَ نَكَرَاءِ^٥
+ فَعَلَّامَ انْصِرَافِ وَجْهِكَ عَنِّي ، وَتَنَاسِيكَ حَاجَتِي الْغُفَاءِ^٦

١ القسيم : الجميل . الرواء : المنظر . الأهواء : أي أهواء الناس على اختلافها .

٢ نجتليه : ننظر إليه .

٣ يريد أنه يضيء ظلام النفوس اليائسة .

٤ الأنضاء : الهزيمة ، واحدها نضو ، أي قتل اليأس المستحكم ، وأحيا الآمال الهزيمة .

٥ رقي : عبودتي .

٦ الغاء : تخييباً .

كَانَ يَأْتِيَنِي الرَّسُولُ ، فِيُهِدِي
 فَقَطَّعْتَ الرَّسُولَ عَنِّي ، ضَنْناً
 إِنَّ أَكُنْ غَيْرَ مُحْسِنٍ كُلِّ مَا تَط
 فَمَتَّى مَا أَرَدْتَ صَاحِبَ فَحْصٍ ،
 وَمَتَّى مَا أَرَدْتَ قَارِضَ شِعْرِ ،
 وَمَتَّى مَا خَطَبْتَ مِنِّي خَطِيباً ،
 وَمَتَّى حَاوَلَ الرَّسَائِلَ رَسُلِي ،
 يَا لَقَوْمِي ! أَثْقَلَ الْأَرْضَ شَخْصِي ،
 أَنَا مَن خَفَّ وَاسْتَدَقَّ ، فَمَا يُشْ
 إِنَّ أَكُنْ عَاطِلاً ، لَدَيْكَ ، مِنْ آ
 فَلَا أَكُنْ عُوْذَةً لِمَجْلِسِكَ الْمُو
 أَنَا مَوْلَاكَ بِالْمَحَبَّةِ وَالْمِيَّةِ
 وَأَنَا الْمَرْءُ ، لَا يُحْمَلُ إِلَّا

لِي سُرُوراً ، وَيَكْبِتُ الْأَعْدَاءُ^١
 بِاتِّخَاذِهِ مَفْخَرًا وَبِهَاءً^٢
 لُبُّ ، إِنِّي لِمُحْسِنٌ أَجْزَاءَ
 كُنْتُ مَمَّنْ يُشَارِكُ الْحُكَمَاءَ^٣
 كُنْتُ مَمَّنْ يُسَاجِلُ الشُّعْرَاءَ
 جَلَّ خَطْبِي ، فَفَاقَ بِي الْخُطْبَاءُ^٤
 بَلَّغْتَنِي بَلَاغَتِي الْبُلْغَاءُ^٥
 أَمْ شَكَّتْ مِنْ جَفَاءِ خَلْقِي امْتِلَاءً^٦
 قِلُّ أَرْضاً ، وَلَا يَسُدُّ فِضَاءَ
 لَاتٍ ، حَاشَاكَ أَنْ تَجُورَ غِبَاءَ^٧
 نِقِرٍ ، أَرْدُدْ عَيْنَ الرَّدَى عَمِيَاءَ^٨
 لِي ، فَحَمَلْتُ عَوَاتِقِي الْأَعْبَاءَ^٩
 شُكْرَ آلائِكُمْ أَوْ الْآلَاءِ^{١٠}

- ١ يكبت : يذل .
- ٢ يقول : قطعت رسولك عني بخلافه فخرأ وبهاء ، اي ارفع رأسي به امام الناس .
- ٣ فحص : اي بحث وتنقيب في الامور .
- ٤ خطبت : اي دعوت . خطبتي : أمري .
- ٥ الرسل : سهولة الترسل في النشر .
- ٦ يقول : أم شككت الأرض امتلاء من غلاظة خلقي وضخامتها .
- ٧ الغباء : قلة الفطنة كالغباءة ، أصله الغبا مد لضرورة الشعر . يقول : إن أكن عاطلا من الوسائل التي تجعلني صالحاً لعمل من الاعمال ، وحاشاك ان تجور علي غباوة . جواب إن في البيت التالي .
- ٨ العوذة : الرقية . المونق : المعجب . يطلب الى الوزير ان يجعله رقية لمجلسه ، فيرد عنه الأذى والهلاك .
- ٩ العواتق : جمع عاتق وهو ما بين المنكب والعنق . الاعباء : الاحمال الثقيل ، واحدها عبء .
- ١٠ الآلاء : النعم .

أَدْنِ شَخْصِي ، إِذَا شَدَّتْ لَكَ بُسْتَانُ ١
فَاسْتَنَارَتْ مِنْ اللَّحُودِ الْمُغْتَيَّةِ ٢
يَا لِاحْضَارِهَا ، مَعَ ابْنِ سُرَيْجٍ ، ٣
وَتَلَّتْهَا عَجَائِبُ ، فَتَغَنَّتْ ٤
فَحَكَّتْ هَذِهِ وَتِلْكَ يَمِينِي ٥
وَأَهْوَ قُرْبِي ، إِذَا شَرَعْتَ عَلَى دِرْجٍ ٦
وَحَكَّتْ دِجْلَةً أَنِهِيَ لَكَ بِالنَّ ٧
وَأَعَارَتْ هَوَاءَ دَارِكَ ثَوْبًا ، ٨
فَحَكَّى مِنْكَ نِعْمَةَ الْخُلُقِ النَّ ٩
وَأَجَابَ الْمَلَّاحُ ، فِي بَطْنِهَا ، الْمَلَّاحُ ١٠

- ١ بستان : اسم مغنية كان الشاعر يهواها . غناء : من بها غنة ، وهي خروج الصوت من الخيشوم ، والنون أشد الحروف غنة .
- ٢ استنارت المغنين من اللحد : أي بعثهم من القبور أحياء بحسن صوتها . والمراد أنها جددت أصواتهم جميعاً .
- ٣ يا لإحضارها : اللام للتعجب بعد حرف النداء ، ابن سريج ومعبود والغريص : أشهر المغنين في العصر الأموي ، وكذلك كانت عزة الميلاء من أشهر المغنيات . يقول : إن بستان تحضر بصوتها هؤلاء المغنين الأموات لأنها تحسن تمثيلهم .
- ٤ عجائب : اسم مغنية أخرى كانت تغني للوزير . مشبهات اسمها : أي أغاني تشبه اسمها ، يعني عجائب الأغاني . الصياب : الخالص والصميم والخيار من كل شيء . ولاء : متابعة دون انقطاع .
- ٥ يمينيك : على تغليب اليمين على اليسار والمراد يداك . يقول : إن بستان وعجائب تتنافسان في الغناء كما تتنافس يداك في العطاء .
- ٦ شرعت : أي رفعت شراع السفينة لتبحر .
- ٧ النائل : العطاء . اللألاء : الضوء والفرح التام . يريد أنها ضاءت وابتهجت بالوزير .
- ٨ فحكى : الضمير يعود إلى الماء الهواء . النعمة : التمتع . إثناء : أي مدحاً لك ، من أثنى عليه .
- ٩ في بطنها : الضمير يعود إلى دجلة . احتث : ساق وحض على السرعة . السفين : السفن ، جمع سفينة . وقوله : يحتث بالسفين الحذاء : من القلب ، ووجه الكلام يحتث السفين بالحذاء . أو أراد أن هذه السفن الماخرة في دجلة كانت تستثير غناء الملاحين .

واذكرني ، إذا استشرت سحاباً ، ذات يوم : عشيّة أو ضحاء^١
فتعالت فوّارة ، تحسّد الخضمّ راء إغداق مائها الغبراء^٢
كلّما أخلفت سماء زماناً ، خلّفت فيه ديمة هطلاء^٣
سحّحت ماءها على كل أرض ، بعدما صافحت به الجوزاء^٤
فحكّت كفك التي تخلف المزّ ن ، علينا ، فترغم الأنواء^٥
قد بغى قبلك الدعي ، فلم أحدّ فل بأن كان باغياً بغاء^٦
بل تصبّرت ، وانتظرت من اللّ ه نآداً ، تُصيه ، دهياء^٧
فاعتبر بابل بلبل ، إن فيه عيرة لامرئ أعدّ وعاء^٨
والعلاء بن صاعد ، قبل هذا ، قد حمى دون رائدي الأحماء^٩
فارم بالطرف شخصه ، هل تراه؟ وادعه الدهر ، هل يُجيب دُعاء^{١٠}
ليس إلا لأنني كنت شمساً ، قابلت منه مُقلّة عشواء^{١١}

- ١ واذكرني : واذكرني . استشرت سحاباً : أي رفعته ونشرته ليمطر . وأراد بالسحاب المطر الفوّارة التي يرتفع ماؤها كالسحاب ثم ينهل على الأرض ، وسيأتي ذكرها . الضحاء : دنو انتصاف النهار .
- ٢ الغبراء : السماء . الغبراء : الأرض . وقوله : السماء تحسد الأرض ، لأنها نافستها في المطر .
- ٣ أخلفت السماء : لم تأت بالمطر . خلّفت : عوضت . الديمة : المطر الذي يذوم بلا برق ولا رعد . هطلاء : متتابعة المطر .
- ٤ سحّحت : صبت ماءها وأفاضته . الجوزاء : برج في السماء .
- ٥ ترغم : تذلل . الأنواء : تجمع نوء وهو سقوط نجم في المغرب وطلوع آخر في المشرق ، وكان العرب ينوطون نزول المطر بهذه الأنواء . والمعنى : أن يد المددوح تغني عن المطر . وأن الفوّارة تحكي كفه في أنهلها .
- ٦ الدعي : يريد به اسماعيل بن بلبل وزير المعتمد وكان ينتسب إلى شيبان ، وقيل إن في نسبه ريباً .
- ٧ النّآد : الداهية . الدهياء : الشديدة .
- ٨ الوعاء : هنا الصدر ؛ أي أعد صدره وعاء للعبر .
- ٩ أبو عيسى العلاء بن صاعد : كان من وزراء الدولة . الرائد : الذي يرسله القوم ليطلب لهم المرعى ، ويريد به شعره . الأحماء : جمع حمى .
- ١٠ العشواء : الضعيفة البصر . والمعنى : أن هذا الوزير لم يهلك إلا لأنه أنكر فضل الشاعر كما تنكر المقلّة العشواء نور الشمس .

فأرانيه ناصري وأباه^١ ، وله الحمد ! مثله^٢ شوهاء^٣
أنا عبدُ الإنصافِ ، قِرْنُ^٤ التَّعدّي ؛ فاسلكِ القصدَ بي ، وعدَّ العداءَ^٥
أنا ذو صفحتين : مَلَساءَ حَسنا ، وأخرى تَمَسُّها خَشْناءُ^٦
خاشعُ تارةً ، وَجَبَّارٌ أخرى ؛ فتراني أرضاً ، وطوراً سماءَ

مدح أحمد بن ثوابه

من قصيدة يمدح بها أحمد بن ثوابه ، ويعتذر من السفر إليه خوفاً من البر والبحر في الصيف والشتاء ، ويطلب إليه أن يجيزه دون أن يركبه هذا المركب الخشن :

ولمّا دعاني للمثوبة سيّد^١ ، يرى المدح عاراً قبلَ بَدَلِ^٢ المثاوبِ^٣
تَنَازَعَنِي رَغْبٌ ورَهْبٌ ، كلاهما قَوِيّ ، وأعياني اطلّاعُ^٤ المغايِبِ^٥
فقدّمتُ رجلاً ، رَغْبَةً في رَغْبَةٍ ، وأخّرتُ رجلاً ، رَهْبَةً للمعاطِبِ^٦
أخافُ على نفسي ، وأرجو مفازها ، وأستار غيبَ الله دونَ^٧ العواقِبِ^٨
ألا مَنْ يُريني غايَتي قبلَ مَذهَبي ؟ ومن أين ؟ والغاياتُ بعدَ^٩ المَذهَبي^{١٠}
ومِن نَكْبَةٍ لا قِيتُها ، بعدَ نَكْبَةٍ ، رَهَبْتُ اعتِسافَ الأرضِ ذاتِ^{١١} المناكبِ^{١٢}

١ ناصري : يريد به الله . المثلة : التنكيل ، ورجل مثله : منكل به ، وهو أن تقطع بعض أعضائه أو يسود وجهه . الشوهاء : القبيحة . يقول : أرانيه الله وأراني أباه مثله شوهاء .

٢ القصد : الاعتدال . عد : تجاوز . العداء : الظلم والعدوان .

٣ الصفحة : جانب الشيء .

٤ المثوبة : الثواب ، أي المكافأة ، وجمعها المثاوب ؛ استعمل هذه اللفظة قصداً لأن ثوابه نسب الممدوح مشتق منها . والشاعر يعني بمثل هذه الاشتقاقات .

٥ أعياني اطلاع المغايِب : أي أعجزه عرفان الغيب ليعلم ما هو مقدر له في هذا السفر .

٦ الرغبة : العطاء الكثير .

٧ المفاز : الفوز .

٨ غايَتي : أي نهاية سفري قبل ذهابي . من أين : أي من أين لي ذلك .

٩ الاعتساف : الذهاب في الأرض على غير هداية . المناكب : النواحي ، واحدها منكب .

وصبري على الإقتارِ أيسرُ مَحْمِلًا^١ عليّ من التَّغْرِيرِ بَعْدَ التَّجَارِبِ^١
لَقِيتُ منَ البَرِّ التَّباريحَ ، بَعْدَ مَا لَقِيتُ منَ البَحْرِ ابْيَاضَ الدَّوَابِّ^٢
سَقِيتُ على رِيٍّ بِهِ أَلْفَ مَطَرَةٍ ، شَغِفْتُ لِبُغْضِهَا بِحُبِّ المَجَادِبِ^٣
ولم أَسْقِهَا ، بل ساقَهَا لِمَكِيدَتِي ، تَحَامُقُ دَهْرٍ ، جَدَّتْ بِي كَالْمَلَاعِبِ^٤
إلى الله أَشْكُو سُخْفَ دَهْرِي ، فَإِنَّهُ يَغَابِثُنِي ، مُدَّ كُنْتُ ، غَيْرَ مُطَايِبِي
أَبَى أَنْ يُغِيثَ الأَرْضَ ، حَتَّى إِذَا ارْتَمْتُ بَرَحِي ، أَنَا هَا بِالْغِيُوثِ السَّوَائِبِ^٥
سَقَى الأَرْضَ ، من أَجْلِي ، فَأُضْحِتْ مَزَلَّةً ، تَمَائِلَ صَاحِبِهَا تَمَائِلَ شَارِبِ^٦
لِتَعْوِيقِ سَيَرِي أَوْ دُحُوضِ مَطْيِئَتِي ، وَإِخْصَابِ مُزُورٍ ، عَنِ المَجْدِ ، نَاكِبِ^٧
فَمِلْتُ إِلَى حَانَ مَرِثٍ بِنَسَاوُهُ ، مَمِيلَ غَرِيقِ الثَّوبِ ، لَهْفَانٍ ، لَأَغْبِ^٨
فَلَمْ أَلْقَ فِيهِ مُسْتَرَاحًا لِمُتَعَبٍ ، وَلَا نُزُلًا ، أَيَّانَ ذَاكَ ، لِسَاغِبِ^٩

- ١ الإقتار : ضيق العيش . التَّغْرِير : تعريض النفس للمخاطر .
٢ التَّباريح : شدة الأذى ، واحدها تَبَرِيح . الدَّوَابِّ : النواصي ، واحدها ذَوَابَّة .
٣ المَجَادِب : جمع المَجْدَاب وهي الأرض التي لا تكاد تَخْضَب . يقول : هطل علي مطر كثير وأنا مسافر في البر ، على غير حاجة بي إلى الري ؛ حتى أصبحت لبغضي هذه الأمطار أحب الأراضي المجدبة التي لا تمطرها السماء .
٤ يقول : لم تنزل هذه الأمطار لأرتوي منها ، بل ساقها الدهر الأحمق لمكيدتي ، فكان كأنه يلاعِبني بِجَدِّهِ .
٥ ارتمت برحلي : أي أخرجته إلى السفر .
٦ المَزَلَّة : موضع الزلل أي الزلق . صَاحِبِهَا : الضمير يعود إلى الأرض .
٧ الدُّحُوض : الزلق . المَزُور : المتحرف . النَاكِب : المتنجي . يقول : سقى الأرض لتعويق سيري ، وزلق مطيئي ، ولكي يَخْضَب القاعدين عن طلب المجد في الترحال .
٨ الحَانَ : محل نزول المسافرين . المَرِث : البالي . مَمِيل : ميل ، أي ملت ميل . غريق الثوب : أي غرق ثوبه في الماء لكثرة ما أصابه من المطر . اللَهْفَان : المظلوم المضطر يستغيث ويتحسر . اللَأْغَب : الذي أعياه السير وأتعبه تعباً شديداً .
٩ النَزَل : قرى الضيف . أَيَّانَ ذَاكَ : هنا بمعنى حين ذاك ؛ والمشهور أن أيان تأتي بمعنى أي حين للسؤال ، وبمعنى متى لتعميم الأزمنة ، وتضمن معنى الشرط فتجزم المضارع . والأرجح أنها مصحفة عن إبان أي حين . فقله : إبان ذاك أي حين ذاك . السَاغِب : الجائع .

فما زلتُ في خوفٍ وجوعٍ ووحشةٍ ، وفي سَهَرٍ ، يَسْتَغْرِقُ اللَّيْلَ ، واصْبِ
بُورْقُنِي سَقْفُ ، كَأَنِّي تَحْتَهُ ، منَ الوَكْفِ ، تحتَ المَدْجِنَاتِ المَواضِبِ
تَرَاهُ ، إذا ما الطِّينُ أَثْقَلَ مَتْنَهُ ، تَصِيرُ نَوَاحِيهِ صَرِيرَ الجَنَادِ
وكم خانَ سَفَرِ خانَ ، فأنقَضَ فوقَهُم ، كما انقَضَ صَقَرُ الدَّجَنِ فوقَ الأَرَانِبِ
ولم أنسَ ما لاقَيْتُ ، أَيَّامَ صَحْوِهِ ، منَ الصَّرِّ فيه ، والثَّلُوجِ الأشَاهِبِ
وما زالَ ضاحيَ البرِّ يَضْرِبُ أَهْلَهُ بِسَوَاطِي عَذَابٍ : جامدٍ بعدَ ذائِبِ
فإنَّ فَاتَهُ قَطْرٌ وَثَلَجٌ ، فَإِنَّهُ رَهينٌ بِسَافٍ ، تَارَةً ، أو بِحَاصِبِ
فَذلكَ بَلَاءُ البرِّ عِنْدِي شَاتِيًا ، وكم ليَ منَ صَيْفٍ ، بهِ ، ذي مَثَالِبِ
ألا رُبَّ نارٍ بِالْفَضَاءِ اصْطَلَّتْهَا منَ الضَّحِّ ، يودي لَفْحُهَا بِالْحَوَاجِبِ
إذا ظَلَّتِ البَيْدَاءُ تَطْفُو إِكَامُهَا ، وترسُبُ في غَمْرِ مِينَ الآلِ نَاضِبِ

١ واصب : دائم ثابت .

٢ الوكف : قطر الماء من سقف البيت . المدجنات : جمع المدجنة : السحابة الكثيرة المطر . المواضب : المواطر .

٣ متنه : ظهره . وقوله : أثقل متنه ، لأن اختلاط تراب السقف بماء المطر يجعله طيناً ثقيلاً .

٤ السفر : المسافرون . الدجن : الظلمة . وصقر الدجن : أي الذي يصيد في الظلام .

٥ صحوه : أي صحو البر في الشتاء . الصر : شدة البرد . الأشاهب : جمع أشهب ، يقال : يوم أشهب أي ذو ريح باردة وصقيع ، والأشهب الأبيض يتخلله سواد .

٦ ضاحي البر : ما كان منه منكشفاً بادياً لا ظل له . السوط الجامد : ما تحمله الريح من تراب وحصى . السوط الذائب : المطر والثلج . وسيشرح ذلك في البيت التالي .

٧ بساف : أي بهواء ساف ، وهو الذي يحمل التراب ويذرّه . الحاصب : ريح شديدة تحمل الحصباء ، أي صفار الحصى ، وتذرّها .

٨ المثالب : المعاييب ، واحدها مثلبة وتضم اللام .

٩ الضح : حرارة الشمس . يودي : يقال أودى به الموت : ذهب به . اللفح : الحر المحرق . والمعنى : خرها يحرق الحواجب .

١٠ تطفو : تعلو . الإكام : جمع أكمة ، وهي التل من الحجارة . ترسب : تنزل سفلاً . الغمر : الماء الكثير . الآل : ما يرى كالماء في أول النهار وآخره ، ويرتفع على الأرض حتى يصير كأنه بين الأرض والسماء . الناضب : السائل الجاري وهو صفة للآل في تحركه وجريانه .

فَدَعْ عَنْكَ ذِكْرَ الْبَرِّ ، لَأَنِّي رَأَيْتُهُ ، لِمَنْ خَافَ هَوْلَ الْبَحْرِ ، شَرَّ الْمَهَابِ^١ ،
 كَيْلَا نُزْلِيهِ : صَيْفُهُ وَشِتَاؤُهُ خِلَافٌ لِمَا أَهْوَاهُ ، غَيْرُ مُصَاقِبِ^٢
 لُهَاثٍ مُمَيَّتٍ ، تَحْتَ بَيْضَاءَ سَخْنَةٍ ، وَرِيٌّ مُفَيَّتٌ ، تَحْتَ أَسْحَمَ صَائِبِ^٣
 يَتَجِفُّ ، إِذَا مَا أَصْبَحَ الرِّيقُ عَاصِبًا ، وَيُعْدِقُ لِي ، وَالرِّيقُ لَيْسَ بِعَاصِبِ^٤
 فَيَمْنَعُ مَنِّي الْمَاءَ ، وَاللُّوحُ جَاهِدٌ ، وَيُغْرِقُنِي ، وَالرِّيُّ رَطْبُ الْمُحَالِبِ^٥
 وَمَا زَالَ يَبْغِينِي الْخُتُوفَ مُوَارِبًا ، يَحُومُ عَلَى قَتْلِي ، وَغَيْرَ مُوَارِبِ^٦
 فَطَوْرًا يُغَادِينِي بَلِصٍّ مُصَلَّتٍ ، وَطَوْرًا يُمَسِّسُنِي بَوْرَدِ الشَّوَارِبِ^٧
 إِلَى أَنْ وَقَانِي اللَّهُ مَحْذُورَ شَرِّهِ ، بِعِزَّتِهِ ، وَاللَّهُ أَغْلَبُ غَالِبِ
 فَأَفْلَتُ مِنْ ذُؤْبَانِهِ وَأَسُودِهِ ، وَحُرَابِهِ ، إِفْلَاتَ أَتُوبُ تَائِبِ^٨

- ١ المهاب : جمع مهوب وهو الشيء الذي يهابه الناس والمكان الذي يهاب فيه ، أخذ من قوطم : هوب الرجل ، بمعنى هيب : أي خيف جانبه . نقلوا من الياء إلى الواو والمراد أن البر أشد هولاً من البحر .
 ٢ النزل : الفضل والعطاء . المصاقب : المواجه والمداني .
 ٣ اللهاث : حر العطش في الجوف . البيضاء : الشديدة الحرارة ، أي شمس شديدة الحرارة محرقة . يقال بيضاء القيظ : أي صميم الحر . الري : ما يروي العطش . المفيت : اسم فاعل من أفاته الأمر : جعله يذهب عنه . الأسحم : السحاب . الصائب : المطر . يقول : إنه يعطش في البر وهو تحت سماء محرقة ، فلا يجد ما يبرد عطشه ؛ ويذهب عنه العطش ، وهو تحت سحاب ماطر . فريه في ذلك الوقت يفيتته الماء أي يجعله يذهب عنه دون أن يستفيد منه .
 ٤ يجف : الضمير يعود إلى السحاب الماطر . الريق العاصب : الذي جف في الفم .
 ٥ اللوح : العطش وتضم اللام . المحالب : جمع المحلب وهو الإناء الذي يحلب فيه . يقول : يغرقني ماء المطر والري وافر عندي . وقوله : رطب المحالب ، أي الأواني حافلة بالماء أو اللبن .
 ٦ الختوف : جمع الختف وهو الموت . موارباً : مخاتلاً ومخادعاً .
 ٧ المصلت : هنا بمعنى الصلت والمصلت ، ولم تذكره المعاجم التي بين أيدينا ؛ يقال : رجل صلت ومصلت ، أي شجاع ، والذي يصلت على الناس ، يعني يأتي عليهم في حوائجه ؛ ومنه : الصلت بكسر الصاد ، وهو اللص ، وقد يكون المصلت بكسر اللام وتشديدها بمعنى المصلت أي المجرد سيفه . الورد : الضارب لونه إلى الحمرة وهو من صفات الأسد ؛ يقال : أسد ورد . الشوارب : الشعر النابت فوق الفم ؛ فقوله ورد الشوارب : أراد به الأسد .
 ٨ الذؤبان : جمع ذئب . الحراب : جمع حارب وهو الذي يسلب أموال الناس في الطريق . أتوب تائب : أي أعظم تائب عن سفر البر .

وأما بلاءُ البحرِ عِندي ، فإنه^١
ولو ثابَ عقلي لم أدعْ ذِكرَ بعضِهِ ،
ولم لا ، ولو أَلقيتُ فيهِ وصخرةً^٢ ،
ولم أتعلَّم قطّ من ذي سِباحةٍ
فأيسرُ إشفاقٍ مِن الماءِ أنسني^٣
وأخشى الردى منه على كلِّ شارِبٍ ،
أظَلُّ ، إذا هزّته رِيحٌ ، ولأَلاتُ^٤
كأنني أرى فيهنّ فرسانَ بُهْمَةٍ ،
فإن قلتَ لي : « قد يُركَبُ اليمُّ طامياً ،
فلا عُذرَ فيها لامرئٍ هابٍ مثلها ،
فإن احتِجاجي عَنكَ ليسَ بنائِمٍ ؛
لدِجَلَةٍ خبٍّ ، ليسَ لليمِّ ، لأنها^٥

طَواني على رَوْعٍ معَ الرّوحِ ، واقِبِ^٦
ولكنّه ، مِن هَوْلِهِ ، غيرُ ثائِبٍ^٧
لَوافيتُ منه القعرَ أوّلَ راسِبٍ^٨
سوى الغوصِ ، والمضغوفِ غيرُ مُغالِبٍ^٩
أمرّ بهِ ، في الكوزِ ، مرّاً المُجانِبِ^{١٠}
فكَيْفَ بأمنيهِ على كلِّ راكِبٍ^{١١}
لهُ الشَّمسُ أمواجاً طِوالَ الغوارِبِ^{١٢}
يلُبحونَ ، نحوي ، بالسّيوفِ القواضبِ^{١٣}
ودِجَلَةٍ ، عندَ اليمِّ ، بعضُ المذانبِ^{١٤}
وفي اللّجّةِ الخضراءِ عُذرٌ لِهابٍ^{١٥}
وإنّ بياني ليسَ عَنّي بعازِبٍ^{١٦}
تُرائي بحِلْمٍ تحتَهُ جَهْلٌ واثِبٍ^{١٧}

- ١ الروح : الفزع . الواقب : الداخل . والمراد : فزع داخل فيه مع روحه .
- ٢ ثاب : رجع . يقول : إن عقله شرد عنه من فزع البحر ، ولذلك لا يستطيع أن يصف إلا بعض بلائه ، ولو رجع إليه عقله لما كان أهمل وصف بعضه الآخر ولكن عقله من هوله غير راجع .
- ٣ لم لا : سكنت الميم للشعر وهي في الأصل مفتوحة . والمعنى : لم لا أفزع من البحر ويذهب عقلي من هوله ، ولو ألقى فيه وألقى معي صخرة لسبقها إلى قعره .
- ٤ سوى الغوص : أي سوى الفرق . المضغوف : الضميف . غير مغالب : أي لا يغالب القوي .
- ٥ الإشفاق : الخوف . يقول : أقل خوفاً من الماء أنني إذا رأيته في الكوز مررت به متجنباً إياه .
- ٦ أمنيه : أي أمني إياه . أي كيف آمنه على كل راكب ، أي كل مسافر فيه .
- ٧ لألات : لاعبت . الغوارب : أعالي الموج .
- ٨ فيهن : أي في الأمواج . البهمة : الخيش . يلوحون : القواضب : القواطع .
- ٩ اليم : البحر . طامياً : زائحاً عالياً . المذانب : جمع مذنب وهو مسيل الماء والجداول .
- ١٠ اللجة الخضراء : عرض البحر ومعظم مائه .
- ١١ العازب : الغائب .
- ١٢ الحب : الخداع والخبث . ترائي : تري خلاف ما هي عليه .

تَطَامَنُ حَتَّى تَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا ، وَتَغْضَبُ مِنْ مَرَحِ الرِّيحِ اللِّوَاعِيْبِ^١ ،
وَأَجْرَافُهَا رَهْنٌ بِكُلِّ خِيَانَةٍ ، وَغَدِيرٌ ، فَفِيهَا كُلُّ عَيْبٍ لِعَائِبٍ^٢ ،
تَرَانَا ، إِذَا هَاجَتْ بِهَا الرِّيحُ هَيِجَةً^٣ ، نَزَلْزَلُ^٤ ، فِي حَوْمَاتِهَا ، بِالْقَوَارِبِ^٥ ،
نُؤَائِلُ مِنْ زِلْزَالِهَا نَحْوَ خَسْفِهَا ، فَتَلَا خَيْرَ فِي أَوْسَاطِهَا وَالْجَوَانِبِ^٦ ،
زَلَايِلُ مَوْجٍ فِي غِمَارٍ زَوَاحِرٍ ، وَهَدَاتُ خَسْفٍ فِي شُطُوطِ خَوَارِبِ^٧ ،
وَاللِّيمَ أَعْدَارُ بَعَرَضٍ مُتَّسُونِهِ^٨ ، وَمَا فِيهِ مِنْ آذِيَةِ الْمُتْرَاكِيبِ^٩ ،
وَلَسْتَ تَرَاهُ فِي الرِّيحِ مُزَلْزَلًا ، بِمَا فِيهِ ، إِلَّا فِي الشَّدَادِ الْغَوَالِبِ^{١٠} ،
وَأِنْ خِيفَ مَوْجٌ ، عَيْدَ مِنْهُ بِسَاحِلٍ ، خَلِيٍّ مِنْ الْأَجْرَافِ ذَاتِ الْكِبَاكِبِ^{١١} ،
وَيَلْفِظُ مَا فِيهِ ، فَلَيْسَ مُعَاجِلًا ، غَرِيقًا بَغْتًا ، يُزْهَقُ النَّفْسَ ، كَارِبًا^{١٢} ،
يُعَلِّلُ غَرَقَاهُ إِلَى أَنْ يُغِيثَهُمْ ، بِصُنْعٍ لَطِيفٍ مِنْهُ ، خَيْرِ مُصَاحِبٍ^{١٣} ،
فَتُثْفَى الدَّلَافِينَ الْكَرِيمُ طِبَاعُهَا ، هُنَاكَ ، رِعَالًا ، عِنْدَ نَكَبِ النَّوَكِبِ^{١٤} .

- ١ تطامن : تظهر السكون والاطمئنان .
- ٢ الأجراف : جمع الجرف وهو الجانب الذي أكله الماء من حاشية النهر .
- ٣ بها : الضمير يعود إلى دجلة . حوماتها : أي أواسطها التي يعظم الماء فيها ويشد خطرها .
- ٤ نوائل : نلجأ . خسفها : أي أجرافها التي تخسف ويأكلها الماء .
- ٥ الغمار : المياه الكثيرة . الهدات : الهدمات .
- ٦ المتون : جمع المتن وهو الظهر . الآذي : الموج . المتراكب : الذي يركب بعضه بعضاً . والمعنى أنه يعذر البحر إذا زلزلت فيه السفن لأنه عظيم واسع متكاثر الأمواج .
- ٧ بما فيه : أي مع ما فيه من سفن ومسافرين . الشداد الغوالب : أي العواصف الشديدة الغالبة التي لا تقاوم .
- ٨ عيذ : يلجئ . الكباكب : جمع الككب وهو الطين المتجمع كتلا . والمراد أن ساحل البحر ليس عرضة للانهدار كساحل النهر .
- ٩ يلفظه : يرمي به . الفت : الغط في الماء . كارب : محزن . والمراد : يلفظ البحر الغريق فلا يبتلعه بل يتركه طافياً ، ولا يعاجله بالإغراق كالنهر .
- ١٠ يقول : إن البحر يملأ غرقاه بالنجاة ، إذ يتركهم عائمين على وجهه إلى أن ينجدهم بعمل لطيف منه خير مصاحب للفرقى ؛ يشير بذلك إلى الدلافين في البيت التالي .
- ١١ الدلافين ، جمع دلفين : دابة بحرية كان يعتقد الإقدمون أنها صديقة للإنسان تنجيه من الفرق . الرعال : جمع رعييل وهو القطعة من الخيل أو البقر تأتي في المقدمة ، استعيرت هنا للدلافين ، ويكون عددها من العشرين إلى الخمسة والعشرين .

مَرَاقِبَ لِلْقَوْمِ الَّذِينَ كَتَبَ بِهِمْ^١ ، فَهُمْ وَسْطَهُ غَرَقَى ، وَهُمْ فِي مَرَاقِبِ^١
وَيَنْقُضُ^٢ أَلْوَحَ السَّفِينِ ، فَكُلَّهَا مُنَجَّجٌ^٢ ، لَدَى نَوْبٍ ، مِنَ الْكَسْرِ ، نَائِبِ^٢
وَمَا أَنَا بِالرَّاضِي عَنِ الْبَحْرِ مَرَكِبًا^٣ ، وَلَكِنِّي عَارَضْتُ شَغَبَ الْمُشَاغِبِ^٣

الهجاء

هجاء البحري

من قصيدة يهجو بها البحري :

قَدْ قُلْتُ ، إِذْ نَحَلَوْهُ الشَّعْرَ : حَاشَ لَهُ !
أَلْبُحْتُرِي ذَنْوَبَ الْوَجْهِ نَعْرِفُهُ ؛
أَنْتَى يَقُولُ مِنْ الْأَقْوَالِ أَنْقَبَهَا ،
لَتَهْنِي عَلَى أَلْفِ مُوسَى فِي طَوِيلَتِهِ ،
أَوْ قَالَ : « إِنِّي قَرِيعُ النَّاسِ كُلِّهِمْ^١ فِي الشَّعْرِ » وَهُوَ سَقِيمُ الشَّعْرِ وَالتَّسَبُّ^٢
إِنَّ الْبُرُوكَ بِهِ أَوَّلِي مِنَ الْخَبِيبِ^٤
وَمَا رَأَيْنَا ذَنْوَبَ الْوَجْهِ ذَا أَدَبٍ^٥
مَنْ رَاحَ يَحْمِلُ وَجْهًا سَابِغَ الذَّنْبِ^٦
إِذَا ادَّعَى أَنَّهُ مِنْ سَادَةِ الْعَرَبِ^٧

١ كبا بهم : أي انقلب البحر بهم .

٢ يقول : إن البحر يفكك ألواح السفينة إذا نزلت بها نائبة فكسرتها ، فتكون هذه الألواح منجية للفرقى .

٣ عارضت شغب المشاغب : أي عارضت من يشاغب ، أي يبيع الشر في زعمه أن السفر في دجلة أهون من السفر في البحر .

٤ البروك : للجمل كالجلوس للإنسان . الخبب : ضرب من العدو ، وهو خطو فسيح ، ينقل فيه الفرس أيامه جميعاً وأيامه جميعاً . والخبب عند أهل العروض بحر من بحور الشعر ، وهو فعِلْن ثماني مرات ، وهو المراد هنا بصورة التورية . شبه البحري بالجمل يصلح للبروك ، ولا يصلح لسير الخبب ، وإنما ذكر الخبب ليوري به عن الشعر مستعملاً الجزء للكل .

٥ ذنوب الوجه : أي له ذنب في وجهه ، ويريد لحيته .

٦ أنقبتها : أنفذها . سابغ : طويل .

٧ القرع : المقارع أي المغالب .

أَلْحَظْ أَعْمَى ، وَلَوْ لَا ذَاكَ لَمْ تَرَهُ
قُبْحاً لِأَشْيَاءَ يَأْتِي الْبُحْرِيُّ بِهَا !
كَأَنَّمَا ، حِينَ يُصْغِي السَّامِعُونَ لَهَا ،
رُقَى الْعَقَارِبِ ، أَوْ هَذَرُ الْبُنَاةِ ، إِذَا
وَقَدْ يَجِيءُ بِخِلَاطٍ ، فَالْتِّحَاسُ لَهُ ،
سَمِينٌ مَا نَحْلُوهُ ، مِنْ هُنَا وَهَنَا ،
يُسِيءُ عَقْفاً ، فَإِنْ أَكَدَتْ وَسَائِلُهُ ،
إِنَّ الْوَلِيدَ لَتَمِغْوَارٌ ، إِذَا نَكَكَلَتْ
عَبْدٌ ، يُغَيِّرُ عَلَى الْمَوْتَى ، فَيَسْلُبُهُمْ
مَا إِنْ تَزَالَ تَرَاهُ لَا بَيْساً حُلَّلاً ،

لِلْبُحْرِيِّ ، بَلَا عَقْلٍ وَلَا حَسَبٍ
مِنْ شِعْرِهِ الْغَثُّ ، بَعْدَ الْكَدِّ وَالتَّعَبِ
مِمَّنْ يُمَيِّزُ بَيْنَ النَّبْعِ وَالْغَرْبِ
أَضْحَوْا عَلَى شَعْفِ الْجِدْرَانِ فِي صَخْبٍ
وَلِلْأَوَائِلِ مَا فِيهِ مِنَ الذَّهَبِ
وَالْغَثُّ مِنْهُ صَرِيحٌ غَيْرُ مُجْتَلَبٍ
أَجَادَ لِيَصَّ شَدِيدَ الْبَاسِ وَالْكَلْبِ
نَفْسُ الْجَبَانِ ، بَعِيدُ الْهَمِّ وَالسَّرْبِ
حُرَّ الْكَلَامِ بِجَيْشٍ غَيْرِ ذِي لَجَبٍ
أَسْلَابَ قَوْمٍ مَضَوْا فِي سَالِفِ الْحُقُبِ

١ بلا عقل ولا حسب : المراد بذلك الحظ .

٢ الغث : الضعيف الهزيل .

٣ النبع : شجر صلب تصنع منه القسي . الغرب : شجر هش رخو . يكنى بهما عن السمين والغث من الأمور .

٤ رقى العقارب : ما يرقى به من تلدغه العقارب ؛ حيث يتكلم الراقي كلاماً غير مفهوم . الهذر : سقط الكلام . البناة : البنائون . شعف الجدران : أعاليها ، واحدها شعفة .

٥ بخلط : أي بخلط من نحاس وذهب ، والمراد يجيء بشعر مختلط فيه القبيح والحسن .

٦ نحلوه : نسبوا إليه من الشعر . من هنا وهنا : أي مجتلب من هنا وهنا . صريح : أي خالص له .

٧ يسيء عفاً : أي يأتي بالسيء من الشعر إذا عف عن السرقة . أكدت : عجزت وقصرت . الكلب : شدة الإلحاح والحرص على الشيء .

٨ نكلت : نكصت وجبت . الهم : العزم على عمل الشيء . وقوله : بعيد الهم ، أي عزوم على الأشياء البعيدة المرام . السرب : الذهاب في الأرض . وهذا الهجو تهكمي في معرض المدح ، يفسره البيت التالي .

٩ اللجب : الصوت والجلبة . يقول : إن البحري يغير على شعر الموتى من الشعراء فيسلبهم معانيهم الحميلة .

١٠ الحلل : الثياب . الحقب : الدهر والسنون .

قُلْ لِلْعَلَاءِ أَبِي عَيْسَى الَّذِي نَصَلْتُ
وَأَمَّنَ اللَّهُ لَيْلَ الْخَائِفِينَ بِهِ ،
أَيْسَرُ الْبُحْتَرِيِّ النَّاسَ شِعْرَهُمْ ،
وَنَارَةٌ يَتَرِزُ الْأَرْوَاحَ مَنْطِقُهُ ،
تَكَلُّهُ ، إِنْ أَنَسَا قَبْلَهُ رَكِبُوا ،
وَالْحُكْمُ فِيهِ مُبِينٌ غَيْرُ مُلْتَبِسٍ ،
إِذَا أَجَادَ ، فَأَوْجِبْ قَطْعَ مَقُولِهِ ،
وَلِنْ أَسَاءَ ، فَأَوْجِبْ قَتْلَهُ قَوْدًا^١
بِهِ الدَّوَاهِي ، نُصُولَ الْأَلِّ فِي رَجَبٍ^٢
بَلَّهَ النَّهَارَ ، وَضَمَّ الْأَمْرَ ذَا الشُّعْبِ^٣ :
جَهْرًا ، وَأَنْتَ نَكَالُ اللَّصِّ ذِي الرَّيْبِ^٤ ؟
فَالْخَلْقُ مَا بَيْنَ مَقْتُولٍ وَمُغْتَصَبٍ^٥
بِدُونِ مَا قَدْ أَتَاهُ ، بِاسِقِ الْخَشَبِ^٦
لَوْ رِيمَ فِيهِ خِلَافُ الْحَقِّ لَمْ يُصَبِّ^٧
فَقَدْ دَهَى شُعْرَاءَ النَّاسِ بِالْحَرْبِ^٨
بِمَنْ يُمِيتُ ، إِذَا أَبْقَى عَلَى الْبَسَلِ^٩

اللمحة الطويلة

إِنْ تَطُلْ لُحْيَةَ عَلِيكَ ، وَتَعْرُضْ ، فَاَلْمَخَالِي مَعْرُوفَةٌ^١ لِلْحَمِيرِ
عَلَّقَ اللَّهُ فِي عِذَارِيكَ مِخْلًا^٢ ، وَلَكِنَّهَا بَغِيرِ شَعِيرِ^٣

- ١ أبو عيسى العلّاء بن صاعد وزير الدولة . فصلت : خرجت أي ذهبت . الأل : السلاح . وكان العرب يمتنعون عن الحرب في رجب فكأنهم ينزعون سلاحهم فيه .
- ٢ بله : اسم فعل بمعنى دع . الأمر ذا الشعب : أي النواحي المتفرقة ، واحداها شعبة . يقول : إن الله آمن بالوزير ليل الخائف ، دع النهار فهذا من تحصيل الحاصل ، وجمع به (أي بالوزير) نواحي الأمر المتفرق .
- ٣ أيسر البحتري : يرجع إلى قوله قل للعلّاء . . . النكال : ما نكلت به غيرك ، أي أنزلت به من العقاب ما يحذر الآخريين . الريب : جمع الريبة وهي التهمة .
- ٤ يترز الأرواح : أي يزهاقها ؛ يقال : آرز الشيء : أيبسه فلا روح فيه .
- ٥ يقول : أنزل به القصاص ، فإن قبله أناساً صلبوا على الخشب العالي وكانت جرائمهم أقل من الجريمة التي اقترفها .
- ٦ مبين : واضح . ريم : أريد . لم يصب : أي لم يدرك خلاف الحق .
- ٧ المقول : اللسان . الحرب : سلب المال ، والمراد سلب الأثمان .
- ٨ القود : القصاص ، يقال : قتله قوداً بالقتيل . بمن : الباء للبدل . يقول : إن البحتري إذا لم يسلب الشعراء حر كلامهم يأتي بشعر رديء سيء يقتل الناس ، لذلك يجب قتله قوداً بمن يقتلهم .
- ٩ عذاريك : جانبي وجهك المحاذيين للأذن .

لو غدا حُكِمَها إليّ ، لَطَارَتْ في مَهَبِ الرِّيحِ كُلُّ مَطِيرٍ
 أَلْقِيها عَنْكَ ، يا طَوِيلَةَ ! أَوَلا ، فاحتبسها شَرَارَةً في السَّعِيرِ^١
 أَرْعِ فيها المَوْسَى ، فَإِنَّكَ مِنْها ، يَشْهَدُ اللهُ ، في إِثامِ كَبِيرٍ^٢
 أَيُّما كَوْسَجٍ يَرَاهَا ، فيَلْقَى رَبَّهُ ، بعدَها ، صَحيحَ الضَّمِيرِ^٣
 هوَ أَحْرَى بأنْ يَشْكُ ، وَيَغْرَى باتِّهامِ الحَكِيمِ في التَّقْبِيرِ^٤
 ما تَلَقَّاكَ كَوْسَجٌ قَطَّ ، إِلَّا جَوَرَ اللهُ أَيُّما تَجْوِيرِهِ
 لَحِيَّةٌ أَهْمِلْتُ ، فَسَالَتْ وَفَاضَتْ ، فَإِلَيْها يُشِيرُ كُلُّ مُشِيرٍ
 ما رَأَتْها عَيْنٌ أَمْرِي ، ما رَأَاهَا قَطَّ ، إِلَّا أَهْلٌ بِالتَّكْبِيرِ^٥
 رَوْعَةٌ تَسْتَخِفُّهُ ، لَمْ يَرَعْها مَنْ رَأَى وَجَهَ مُنْكَرٍ وَنُكْرٍ^٦
 فَاتَّقِ اللهُ ذَا الجَلالِ ، وَغَيَّرَ مُنْكَراً فَيْكَ ، مُمَكِّنَ التَّغْيِيرِ
 أَوْ فَقَصَّرَ مِنْها ، فَحَسْبُكَ مِنْها نِصْفُ شَيْبٍ عَلامَةِ التَّذْكِيرِ
 لو رَأَى مِثْلَها النَّبِيُّ ، لأَجْرَى في لِحَى النَّاسِ سُنَّةَ التَّقْصِيرِ

- ١ قوله يا طويلة : التفات إلى اللحية ، ولا يخلو من غرابة في الاستعمال . فاحتبسها : فاحبسها ، أي اجعلها وقفاً للنار ، يريد بذلك أنه في إثم منها . وهذا يفسره البيت التالي .
- ٢ أَرع : سرح ، أي سرح فيها موسى لتأكل منها ، كما تسرح الماشية في المرعى . الإثم : الإثم .
- ٣ الكوسج : الخفيف اللحية الذي لا ينبت الشعر على عارضيه ، وإنما على ذقنه .
- ٤ يغرى بالشيء : يولع به . الحَكِيم : من الأسماء الحسنى . التقدير : تقسيم الأرزاق .
- ٥ جوره : نسب إليه الجور . والمراد أن الكوسج يكفر ويقول بأن الله غير عادل في تقسيم الأرزاق ؛ فيكون صاحب اللحية الطويلة مسؤولاً لدى الله عن كفره .
- ٦ أهل : رفع صوته . التكبير : القول الله أكبر .
- ٧ الروعة : الفرعة . استخفه الفزع : حركه وأخرجه عن رباطة جأشه . منكر ونكير : هما ، عند المسلمين ، ملكان يقومان بفتنة الموتى في قبورهم ، أي بامتحانهم واختبارهم ، ويكون لهم في هذه الفتنة أشد الهول والعذاب . ومن الدعاء : أعوذ بك من عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات .

وَاسْتَحَبَّ الْإِحْفَاءَ فِيهِنَّ وَالْحَلَا قَ ، مَكَانَ الْإِعْفَاءِ وَالتَّوْفِيرِ^١

وجه عمرو

قال يهجو عمرأ النصراني ، ويستدل من أهاجيه له أنه كان حاجب الوزير ، وكان يمع ابن الرومي فلا يأذن له بالدخول :

وَجْهُكَ ، يَا عَمْرُو ، فِيهِ طُولُ^١ فِي وَجْوهِ الْكِلابِ طُولُ^٢
مَقَابِيحُ الْكَلْبِ فِيكَ طُرًّا ، يَزُولُ عَنْهَا ، وَلَا تَزُولُ^٣
وَفِيهِ أَشْيَاءُ صَالِحَاتُ^٤ ، حَمَاكَهَا اللَّهُ وَالرَّسُولُ^٥ :
فَالْكَلْبُ وَافٍ ، وَفِيكَ غَدْرٌ ، فَفِيكَ عَنْ قَدْرِهِ سَفُولُ^٦
وَقَدْ يُحَامِي عَنِ الْمَوَاشِي ، وَمَا تُحَامِي وَلَا تَصُولُ^٧
وَأَنْتَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ سَوْءٍ ، قِصَّتُهُمْ قِصَّةٌ تَطُولُ^٨
وُجُوهُهُمْ لِلْوَرَى عِظَاتُ^٩ ، لَكِنْ أَقْفَاءَهُمْ طَبُولُ^{١٠}
نَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ، قَدْ فَعَلْنَا مَا يَفْعَلُ الْمَائِقُ الْجَهْلُولُ^{١١}
مَا إِنْ سَأَلْنَاكَ مَا سَأَلْنَا ، إِلَّا كَمَا تُسَالُ الطُّلُولُ^{١٢}

١ الاحفاء : هو أن يبالغ في قص الشوارب والأخذ منها . فيهن : أي في اللحي . الاعفاء : ترك اللحي تطول فلا يؤخذ منها . وفي الحديث النبوي ، إنه أمران : تحفى الشوارب ، وتعفى اللحي . التوفير : أي توفير شعر اللحية ، وهو الاعفاء . والمراد أنه لو رأى النبي مثل هذه اللحية لجعل الاحفاء في اللحي سنة مكان الاعفاء .

٢ طرأ : جميعاً . يزول عنها ولا تزول : أي يترك الكلب هذه المقاييح وأنت لا تتركها .

٣ حماكها : منعك إياها .

٤ سوء : شر .

٥ الأقفاء ، جمع القفا : مؤخر العنق . يقول : إن وجوههم لقبها تعظ الناس فتدعوهم إلى الزهد في الدنيا وملذاتها . ولكن أقفاءهم تدعوهم إلى اللهو بصفعمها فكأنها طبول يضرب عليها . وصفع القفا : يدل على لزوم المصفوع وذله .

٦ المائيق : الأحمق .

٧ ما سألنا : أي ما سألنا من حاجة .

صَمَّتْ وَعَيَّتْ ، فلا خِطَابُ ، ولا كِتَابُ ، ولا رَسُولُ
 مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ فَعُولُ ، مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ فَعُولُ
 بَيَّتْ كَمَعْنَاكَ ، لَيْسَ فِيهِ مَعْنَى ، سِوَى أَنَّهُ فُضُولُ^١

المدح المردود

وقال يهجو شخصاً كان قد مدحه ، فرد إليه الشعر ، وقال له امدح به غيري :

رَدَدْتَ عَلَيَّ مَدْحِي بَعْدَ مَطْلٍ ، وقد دَنَسْتَ مَلْبَسَهُ الْجَدِيدَ^٢
 وقلت: « امدح به من شئت غيري » وَمَنْ ذَا يَقْبَلُ الْمَدْحَ الرَّدِيدَ ؟
 ولا سيما ، وقد أَعْبَقْتَ فِيهِ مَخَازِيكَ اللَّوَاثِي لَنْ تَبِيدَ^٣
 وما للحَيِّ ، في أَكْفَانٍ مَيِّتٍ ، لَبُوسٌ ، بَعْدَ مَا امْتَلَأَتْ صَدِيدُ^٤

الفضول : جمع فضل وهو الزيادة . ويستعمل الجمع استعمال المفرد في الزيادة التي لا خير فيها .
 كما استعمل هنا .

لا سيما : مخفف لا سيما . أعيق : هنا بمعنى عبق أي نشر الرائحة ، ولم نجد له ذكراً في المعاجم
 التي وقفنا عليها ؛ وهذه رواية الديوان . وفي معاهد التنصيص : أعلقت ، أي أنشبت أو علقنت .
 ٣ الصديد : ماء الجرح الرقيق إذا سال ، أو هو القيح المختلط بالدم . والمراد هنا ما يسيل من جثة الميت .
 والمعنى : أن المدح بعد أن عبقته فيه مخازي المدوح ، صار مثل كفن الميت سال عليه الصديد ،
 فأني حي يلبسه من بعده حتى يمدح به غيره ؟

الرثاء

رثاء ولده الأوسط

بُكَاءُكُمْما يَشْفِي، وإن كانَ لا يُجْدِي،
ألا قاتَلَ اللهُ المَنايا ورَمِيها ،
تَوَخَّى حِمامُ الموتِ أوسطَ صَبِيَّتِي ،
على حينَ شِمتُ الحَيرَ من لَمَحَاتِهِ ،
طَوَاهُ الرَّدَى عَنِّي ، فأُضحى مزارُهُ
لَقَد أنجَزَتْ فيه المَنايا وَعِيدَها ،
لَقَد قَلَّ بَينَ المَهدِ واللَّحْدِ لَبِثُهُ ،
أَلَحَّ عَلَيهِ النَّزْفُ ، حَتَّى أحوالُهُ
وظَلَّ على الأيدي تَساقُطُ نَفْسُهُ ،
فَيا لَكَ مِن نَفْسٍ ، تَساقُطُ أنفُسًا !
عَجِبْتُ لِقَلْبِي كَيفَ لم يَنفَطِرْ لَهُ ،
وما سَرَّني أنْ بَعَثَهُ بِشِوابِهِ ،
فَجُودا ، فَقَد أودَى نَظيرُكما عِندِي^١
من القَومِ ، حَبَّاتِ القُلُوبِ ، على عَمَدٍ^٢
فَلِلهِ ! كَيفَ اختارَ واسِطَةَ العِقدِ !^٣
وَأَنسَتْ مِن أفعالِهِ آيَةَ الرُّشدِ^٤
بَعِيداً على قُربٍ ، قَريباً على بُعدٍ
وأخَلَقْتَ الآمالُ ما كانَ مِن وَعْدٍ
فلم يَنسَ عَهدَ المَهدِ ، إذ ضَمَّ في اللّحْدِ
إلى صُفْرةِ الجادِيّ عن حُمرةِ الوَرْدِ^٥
ويَندوي كما يَندوي القَضيبُ من الرّندِ^٦
تَساقُطَ دُرٍّ مِن نِظامٍ بلا عَقْدٍ^٧
ولو أَنَّهُ أَقسى من الحَجَرِ الصَّلْدِ^٨
ولو أَنَّهُ التَّخْلِيدُ في جَنَّةِ الخُلْدِ^٩

١ بكاءؤكما : خطاب لعينيه .

٢ الحبات : جمع حبة ؛ وحية القلب : سويداؤه ، وهي هنة سوداء فيه .

٣ واسطة العقد : الجوهرة التي في وسطه .

٤ شمت : نظرت . آنست : نظرت وعلمت . الآية : العلامة .

٥ الجادي : الزعفران .

٦ يندوي : يذبل . الرند : شجر طيب الرائحة يشبه الآس .

٧ يقول : إن ولده تلاشى شيئاً فشيئاً ، فكأن نفسه تتساقط أنفساً مجزأة كما يتساقط الدر من سلك غير معقود .

٨ ينفطر : ينشق . الصلد : الصلب .

٩ بعته بشوابه : أي بدلا بما يلقاه من أجر أو جزاء .

ولا بعثته طوعاً ، ولكن غصبتُهُ ،
ولأتي ، وإن متعتُ بابنِي بعده ،
وأولادنا مثل الجوارح ، أيها
لكلِّ مكان لا يسُدُّ اختلاله
هل العين ، بعد السمع ، تكفي مكانه ؛
لعمري ! لقد حالت بي الحال بعده ،
شكيتُ سروري كله ، إذ شكيتُهُ ،
أريحانة العينين والأنف والحشا ،
سأسقيك ماء العين ، ما أسعدت به
أعينِي ، جودا لي ، فقد جدت للثري
كأني ما استمتعتُ منك بضمّة ،
ألامُ لما أبدي عليك من الأسى ،
مُحمَّد ! ما شيءٌ تؤهّم سلوة
أرى أخويك الباقيين كليهما

وليسَ على ظلمِ الحوادثِ من مُعدٍ^١
لذاكره ما حنتِ النيبُ في تجدي^٢
فقدناه ، كانَ الفاجعَ البينَ الفقدِ^٣
مَكَانُ أخيه مِن جزوعٍ ولا جلدِ^٤
أم السَّمعُ ، بعد العينِ ، يَهدي كما تَهدي؟^٥
فيا ليتَ شعري ، كيفَ حالتُ به بعدي؟^٦
وأصبحتُ في لذاتِ عيشي أخا زهدِ
ألا ليتَ شعري ، هل تغيّرتَ عن عهدي؟
وإن كانتِ السّقى من العينِ لا تُجدي^٧
بأنفسٍ مما تُسألان من الرّفْدِ^٨
ولا شمةٍ في ملعبٍ لك ، أو مَهْدِ
ولأتي لأخفي منك أضعافَ ما أبدي
لقلبي ، إلا زادَ قلبي من الوجدِ
يَكُونانِ للأحزانِ أوري من الزّندِ^٩

١ معد : معين ؛ من أعلَى فلاناً على الأمر أعانه ونصره .

٢ النيب : جمع الناب ، وهي الناقة المستة .

٣ الجوارح : أعضاء الإنسان التي تكتسب كالعين والأذن والأنف .

٤ الجزوع : الذي لا يصبر ، ضد الجلد . يقول : لكل من الجوارح مكان في جسم الإنسان ، فإذا اختل عضو منها ، لا يسد خلله العضو الآخر سواء كان في جسم شخص جزوع أو شخص جلد .

٥ مكانه : أي مكان السمع .

٦ حالت بي الحال : أي تغيرت .

٧ ما أسعدت به : أي ما أسعفت بالدمع .

٨ الرّفْد : الجود والعطاء . يقول لعينيه : جودا لي بالدمع واسعفاني به ، فإني جدت للتراب بشيء أنفس من الدمع الذي أسألكما أن تجودا به .

٩ أوري : أكثر اتقاداً . الزند : العود الأعلى الذي تقذف به النار .

إذا لعبنا في ملعبٍ لك ، لذعنا ،
فما فيهما لي سلوةٌ ، بل حرارةٌ ،
وأنت ، وإن أفردت في دارٍ وحشةً ،
عليك سلامٌ الله مني تحيةً ،
فؤادي بمثل النار ، عن غير ما قصد
يهيجانيها دوني ، وأشقتي بها وحدي^١
فإنني ، بذار الأُنس ، في وحشة الفرس
ومن كل غيثٍ صادق البرق والرعد

للغزل

وحيد المغنية

من قصيدة يتغزل فيها بالمغنية وحيد ، ويصف غناها :

يا خليلي ! تيممتني وحيدٌ فقؤادي بها معني عميد^٢
غادة^٣ ، زانها من الغصن قد ، ومن الطيبي مقلتان وجيد^٤
وزهاها ، من فرعها ومن الخدي ، ذلك السواد والتوريد^٥
فهني بردٌ بخدّها وسلامٌ ؛ وهي للعاشقين جهدٌ جهيد^٦

* * *

تتغنّي ، كأنّها لا تُغنّي ، من سكون الأوصال ، وهي تُجيد^٦

١ دوني : نحوي .

٢ تيممتني : استعبدتني بحبها . المعنى : المحزون ، المكلف ما يشق عليه . العميد : الشديد الحزن الذي هذه
العشق .

٣ الغادة : المرأة الناعمة اللينة الأعطاف .

٤ الفرع : الشعر التام .

٥ الجهد : التعب والمشقة ، وجهد جهيد : للمبالغة ، أي جهد جاهد .

٦ يقول : تغني ولا تتحرك أوصالها كثيرها من المغنين ، لتستعين بالحركة على الغناء ، ومع ذلك فهي تجيد .

لا تَرَاهَا ، هُنَاكَ ، تَجَحَّظُ عَيْنٌ
 من هُدُوءٍ ، وليسَ فِيهِ انْقِطَاعٌ ،
 مَدٌّ فِي شَأْوٍ صَوْتِهَا نَفَسٌ كَا
 وَأَرْقَ الدَّلَالُ والغِنَجُ مِنْهُ ،
 فتراهُ يَمُوتُ طَوْرًا ، وَيَحْيَا ،
 فِيهِ وَشْيٌ ، وفيهِ حَلِيٌّ مِنَ النَّعْ
 لكَ ، مِنْهَا ، ولا يَدِرُّ وَرِيدٌ^١
 وَسُجُورٌ ، وما بِهِ تَبْلِيدٌ^٢
 فِي ، كَأَنْفَاسٍ عاشِقِيهَا مَدِيدٌ^٣
 وَبَرَاهُ الشَّجَا ، فَكَادَ يَبِيدُ^٤
 مُسْتَلَدٌ بِسَيْطُهُ والنَّشِيدُ^٥
 مِ مَصْبُوعٌ ، يَخْتَالُ فِيهِ الْقَصِيدُ^٦

قمر يقبل عارض الشمس

وَمُهَفَّهٌ كَمُلْتَ مَحَاسِنُهُ ،
 تَصْبُو الكُؤُوسُ إِلَى مَرَاشِفِهِ ،
 أَبْصَرْتُهُ ، وَالكَأْسُ بَيْنَ فَمٍ ،
 فَكَأَنَّهَا ، وَكَأَنَّ شَارِبَهَا
 حَتَّى تَجَاوَزَ مُنِيَّةَ النَّفْسِ^٧
 وَتَضِجَ فِي يَدِهِ مِنَ الْحَبْسِ^٨
 مِنْهُ ، وَبَيْنَ أُنَامِيلٍ خَمْسِ
 قَمَرٌ يُقْبَلُ عَارِضَ الشَّمْسِ^٩

- ١ يقول : إذا غنت لا تجحظ عينها من التعب . يدر : يظهر ويتوتر ويتحرك . الوريد : عرق في العنق .
- ٢ السجو : مد الصوت بالحنين وهنا مده بالغناء . تبليد : تردد وتخير .
- ٣ الشأو : الغاية والمدى . كأنفاس عاشقها مديد : أي في حنينهم المتواصل إليها .
- ٤ براه : أضعفه . الشجا : يريد ما يعترض الصوت من الفصّة المستحبة في الغناء .
- ٥ البسيط : ما يمتد به الصوت ويرق . النشيد : رفع الصوت والترنيم .
- ٦ الوشي : نقش الثوب ، أو خلط لون بلون . يريد أنها تتفنن في غنائها فتمزج أصواتاً بأصوات . حلي : زينة . يختال : يتزين .
- ٧ المهفف : الضامر البطن ، الدقيق الخصر . حتى تجاوز منية النفس : أي تجاوز بحسنه ما تتمناه النفس .
- ٨ تصبو : تشفق . مراشفه : شفاهه ، واحداً مرشف . من الحبس : أي إذا حبسها في يده ضجعت لشوقها إلى مراشفه .
- ٩ فكأنها : أي كأس الخمر ، وخبرها مخدوف دل عليه ما بعده وهي الشمس . العارض : صفحة الخلد .

الوصف

حديقة الشعر

من قصيدة طويلة قالها في مدح اسماعيل بن بلبل وزير المعتمد ، وصدرها بوصف المرأة :

أَجْنَتَ لَكَ الْوَجْدَ أَغْصَانُ^١ وَكُثْبَانُ^٢ ، فِيهِنَّ نَوَّعَانِ : تَفْقَاحُ^٣ وَرُمَّانُ^٤
وَفَوْقَ ذَيْنِكَ^٥ أَعْنَابُ^٦ مُهْدَلَّةٌ^٧ ، سُودٌ^٨ ، لَهْنٌ^٩ ، مِنْ الظَّلْمَاءِ^{١٠} ، أَلْوَانُ^{١١}
وَتَحْتَ هَاتِيكَ^{١٢} عُنَابُ^{١٣} ، تَلْوُحُ^{١٤} بِهِ^{١٥} أَطْرَافُهُنَّ^{١٦} ، قُلُوبُ الْقَوْمِ قِنْوَانُ^{١٧}
غُصُونُ^{١٨} بَانٍ^{١٩} ، عَلَيْهَا ، الدَّهْرُ ، فَكَهَّةٌ^{٢٠} ؛ وَمَا الْفَوَاكِهُ^{٢١} مِمَّا يَحْمِلُ الْبَانُ^{٢٢}
وَنَرَجِسُ^{٢٣} بَاتَ سَارِي الْطَّلِ^{٢٤} يَضْرِبُهُ^{٢٥} ، وَأَقْحُوَانُ^{٢٦} مُنِيرُ النُّورِ^{٢٧} ، رِيَّانُ^{٢٨}

١ أجنت : أعطت جناها . الوجد : الحزن . أغصان : على سبيل الاستعارة ، والمراد القدود . كُثبان : جمع كثيب وهو تل الرمل ؛ والمراد هنا الردف الثقيل . تفاح : أي خدود . رمان : أي نهود .

٢ ذينك : مثنى ذا ، اسم إشارة ، والكاف حرف خطاب . والمراد : وفوق هذين النوعين ، أي التفاح والريمان . الأعناب : جمع عنب ، ويريد بها الشعر المقصوص المعقرب على الزي الغلامي ، فهو يشبه عناقيد العنب في تهدله . مهدة : مدلاة .

٣ هاتيك : أي هاتيك الأعناب . العناب : أي أطراف الأصابع المخضبة بالحناء . تلوح : تبدو . أطرافهن : أي أطراف الأصابع . القنوان : جمع قنو وهو العنق من النخل كالعنقود من العنب . يقول : إن قلوب الناس أشبه بالعناقيد لهذه الفواكه ، تحملها لشغفها وهيامها بها .

٤ يقول : هذه الغصون التي أجنت لك الوجد ، هي غصون من البان ، لحسن قاماتها ، وحسن اهتزازها ، ومن الغريب أن تكون عليها فاكهة طول الدهر ، مع أن البان لا يحمل الفواكه .

٥ نرجس : أي عيون . الساري : ما جاء ليلاً . الطل : الندى أو المطر الخفيف . يشبه عيون الحسان بالنرجس الريان الذي سقاه الطل فتفتح وغض . الأقحوان : نبت أصفر الزهر ، في وسطه وحواليه ورق أبيض ؛ يشبه به الأسنان . منير : مخرج نوره . النور : الزهر الأبيض . ريان : مرتو . يشبه الأسنان في بياضها ومائها بالأقحوان الريان .

أَلْفَنَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ طَيِّبٍ حَسَنٍ ؛ فَهْنٌ فَاكِهَةٌ شَتَّى ، وَرِيحَانٌ^١
 ثِمَارُ صِدْقٍ ، إِذَا عَايَنْتَ ظَاهِرَهَا ؛ لَكِنَّهَا ، حِينَ تَبْلُغُ الطَّعْمَ ، خُطْبَانٌ^٢
 بِلَ حُلْوَةٍ مُرَّةٌ ، طَوْرًا يُقَالُ لَهَا : شَهْدٌ ؛ وَطَوْرًا يَقُولُ النَّاسُ : ذَيْفَانٌ^٣

* * *

تَغْدُو الْفَتَاةُ ، لَهَا خِل ، وَإِنْ غَدَرَتْ ، رَاحَتْ يُنَافِسُ فِيهَا الْخِلَ خِلَانٌ^٤
 مَا لِلْحِسَانِ مُسَيِّثَاتٍ بِنَا ، وَلِنَا ؛ إِلَى الْمُسَيِّثَاتِ ، طَوْلَ الدَّهْرِ ، تَحْنَانٌ ؟
 يُصْبِحَنَّ وَالْغَدَرُ بِالْخُلَصَانِ فِي قَرْنٍ ، حَتَّى كَأَنَّ لَيْسَ غَيْرَ الْغَدْرِ خُلَصَانٌ^٥
 فَإِنْ تَبِعَنَّ بَعْدَهُ ، قُلْنَ : مَعْدِرَةٌ ، إِنَّا نَسِينَا ، وَفِي النَّسْوَانِ نِسْيَانٌ^٦
 يَسْكُفِي مُطَالِبِنَا بِالذِّكْرِ نَاهِيَةً أَنْ اسْمَنَا الْغَالِبَ الْمَشْهُورَ نِسْوَانٌ^٧
 لَا نُلْزَمُ الذِّكْرَ ، إِنَّا لَمْ نُسَمَّ بِهِ ، وَلَا مُنِحْنَاهُ ، بَلْ لِلذِّكْرِ ذُكْرَانٌ^٨

قوس السحاب

وَقَدْ نَشَرَتْ أَيْدِي الْجَنُوبِ مَطَارِفًا عَلَى الْجَوِّ دُكْنًا ، وَالْحَوَاشِي عَلَى الْأَرْضِ^٩

- ١ ألفن : الضمير يعود إلى الأغصان .
- ٢ تبلو : تختبر . خطبان : ضرب من الحنظل . يقول : إذا نظرت إلى الحسناء من حيث الظاهر ، خلتها حلوة الطعم كالثمار الصادقة في حسن ظاهرها وباطنها ، ولكن حين تختبر هذه الحسناء أو هذه الثمار التي تظنها صادقة ، تجدها مرة كالحنظل .
- ٣ شهد : غسل . الذيفان : السم القاتل .
- ٤ الخلصان : الخالص من الأصحاب ، يستوي فيه الواحد والجمع . القرن : الحبل الذي يجمع فيه البعيران . يقول : يصبحن مجموعات مع الغدر بالأصحاب في حبل واحد حتى كأن ليس لمن صاحب خالص الصحبة غير الغدر لطول اجتماعهن معه .
- ٥ تبعن بعهد : أي طولبن به .
- ٦ بالذكر : أي بذكر العهد . ناهية : أي ناهية تنهاه عن هذه المطالبة .
- ٧ الذكران : جمع ذكر ضد الأنثى . والمراد أن النسوان لا تطالب بالذكر لأن اسمهن مشتق من النسيان ، وإنما تطالب الذكور به لأن اسمهم مشتق منه .
- ٨ الجنوب : أي ريح الجنوب . المطارف : جمع مطرف : رداء من خز مربع ذو أعلام ، وهو مستعار للغيوم . الدكن : ما كان لونها يضرب إلى السواد ، واحدها أدكن ودكناء .

يُطَرِّزُهَا قَوْسُ السَّحَابِ بِأَخْضَرٍ ، على أَحْمَرَ ، في أَصْفَرٍ ، إثرَ مُبَيِّضٍ^١
كَأَذْيَالِ خَوْدٍ ، أَقْبَلْتُ فِي غَلَائِلِ مُصَبَّغَةٍ ، وَالبَعْضُ أَقْصَرُ مِنْ بَعْضٍ^٢

البنفسج^٣

بَنَفْسَجٌ ، جُمِعَتْ أَوْرَاقُهُ ، فَحَكَى كُحْلًا تَشْتَرِبُ دَمْعًا ، يَوْمَ تَشْتِيتُ^٤
وَلَا زَوْرَدِيَّةٍ تَزْهُو نَزْرُقَتِهَا ، وَسَطَ الرِّيَاضِ ، عَلَى حُمْرِ الْيَوَاقِيتِ^٥
كَأَنَّهَا ، وَضِعَافُ الْقُضْبِ تَحْمِلُهَا ، أَوَائِلُ النَّارِ فِي أَطْرَافِ كِبْرِيتٍ^٦

روضة الصباح

حَيَّتْكَ عَنَّا شَمَالٌ ، طَافَ طَائِفُهَا بِجَنَّةٍ ، نَفَحَتْ رَوْحًا وَرِيحَانًا^٧
هَبَّتْ سُحَيْرًا ، فَنَاجَى الْغُصْنُ صَاحِبَهُ مُوسُوسًا ، وَتَدَاعَى الطَّيْرُ إِعْلَانًا^٨
وَرُقٌ تَغْنِي عَلَى خَضِرٍ مُهْدَلَّةٍ ، تَسْمُو بِهَا ، وَتَمَسُّ الْأَرْضَ أَحْيَانًا^٩

- ١ يطرزها : الضمير يعود إلى المطارف أي النجوم .
- ٢ الخود : الشابة الناعمة . غلائل : جمع غلالة وهي شعار يلبس تحت الثوب . وقوله البعض أقصر من بعض : يريد بذلك إظهار ألوانها المختلفة فيتألف منها قوس السحاب .
- ٣ رويت هذه الأبيات في معاهد التنصيص ، وليست من رواية الديوان .
- ٤ يوم تشتيت : أي يوم فراق . المعنى أن فتاة مكحلة بكنت يوم الفراق ، فمازج الدمع كحل عينها ، فازرق لونه وصار بنفسجياً ، وتفشى فبدت عينها كمجموعي بنفسج .
- ٥ لازوردية : أي بنفسجة بلون حجر اللازورد وهو معدن يتولد بجهال أرمينية وفارس ، وأجوده الصافي الشفاف الأزرق الضارب إلى حمرة وخضرة ، يتخذ للحل ، وله منافع في الطب . حمر اليواقيت : أراد بها قضبان البنفسج ، وهي حمر بلون الياقوت .
- ٦ القضب : جمع قضيب . الكبريت : مادة بسيطة معدنية صفراء اللون يوقد بها ، فإذا أوقد عودها بدت أوائل ناره بلون أزرق لازوردي ويظل كذلك حتى يشتعل ما عليه من الكبريت .
- ٧ الروح : الراحة والرحمة والسرور .
- ٨ الموسوس : المتكلم بكلام خفي . تداعى : دعا بعضه بعضاً .
- ٩ الورق : جمع ورقاء وهي الحمامة التي يضرب لونها إلى خضرة الورق .

تَخَالُ طَائِرَهَا نَشْوَانَ مِنْ طَرَبٍ ، وَالْغُصْنَ ، مِنْ هَزَّةٍ عِطْفِيهِ ، نَشْوَانًا

روضة المساء

من قصيدة وصف بها الصيد ، وتطرق إلى ذكر غروب الشمس :

وقد رَنَقَتْ شمسُ الأصيلِ ، ونَفَضَتْ على الأفقِ الغربيِّ ورْساً مُزَعَزَعاً^١
وودَّعَتْ الدُّنْيَا ، لتَقْضِيَ نَحْبَهَا ، وشَوَّلَ باقِي عُمُرِهَا ، فتَشَعَّشَعَتْ^٢
ولاحَظَتْ النُّوَّارَ ، وهي مَرِيضَةٌ ؛ وقد وَضَعَتْ خَدّاً إلى الأرضِ أَضْرَعاً^٣
كما لاحَظَتْ عُوَادَهُ عَيْنٌ مُدْنَفٍ ، تَوَجَّعَ مِنْ أَوْصَابِهِ مَا تَوَجَّعَتْ^٤
وظَلَّتْ عِيونُ النُّورِ تَخْضَلُ بالندى ، كما اغرورَقتْ عَيْنُ الشَّجِيِّ لَتَدَمَعاً^٥
يُرَاعِيْنَهَا صُوراً إِلَيْهَا رَوَانِيَاً ، ويلَحَظْنَ الحَاظَاً مِنَ الشَّجْوِ خُشَعاً^٦
وبَيَّنَّ إِغْضَاءُ الْفِرَاقِ عَلَيْهِمَا ، كَأَنَّهُمَا خِلالَ صَفَاءٍ تَوَدَّعاً^٧
وقد ضَرَبَتْ فِي خُضْرَةِ الرُّوضِ صُفْرَةً^٨ ، مِنْ الشَّمْسِ ، فَاخْضَرَ اخْضِرَاراً مُشَعَّشَعاً

١ رنقت : ضعف بصرها وجسمها . الأصيل : العشي . الورس : نبات كالسهم أصفر ، يزرع باليمن ، ويصنع به . والمراد هنا الصفرة التي تنشرها الشمس عند الغروب . مززعزعا : مقلقلًا محركًا . وقد يكون محرفاً عن مدعزع ، بالذال ، أي مبدد مفرق .

٢ شول : ارتفع . باقِي عمرها : أي الشفق الذي تركه مرتفعاً فوقها وهي تنحدر إلى الغروب . تشعشع : بقي منه قليل ، من قولهم تشعشع الشهر .

٣ النوار : الزهر الأبيض . إلى الأرض : لأن الشمس تغيب على البر في بغداد . الأضرع : هنا أفعل للمبالغة لا للتفضيل ، أي الأذل الأخضع . ويقال : ضرعت الشمس : أشرفت على المغيب .

٤ العواد : زوار المريض . وقوله : عواده : أرجع الضمير إلى متأخر لفظاً ورتبة . المدنف : المريض المشرف على الموت . الأوصاب : الأمراض ، واحدها وصب .

٥ النور : الزهر أو الأبيض منه . تخضل : تبتل . الشجي : المهموم الحزين .

٦ يراعيها : أي عيون النور تراعي الشمس . صوراً : واحدها أصور وصوراء ، يقال رجل أصور إلى كذا : إذا مال عنقه ووجهه إليه . روانياً : مديمة إليها النظر بسكون الطرف . الشجو : الحزن . خشعاً : ضارعة ذليلة .

٧ الإغضاء : الإظلام ، يقال : أغضى الليل عليه ، أي ألبسه ظلامه ، استعاره للفراق .

٨ ضربت : مالت . مشعشعاً : ممزوجاً ، أي ممزوجاً بالصفرة .

وأذكى نسيمُ الروضِ ريعانَ ظِلِّه ؛ وغنتي مُغَنِّي الطيرِ فيه ، وسَجَعًا^١
وغرَّدَ ربعميُ الذبابِ خِلالَه ، كما حثَّحتَ النشوانُ صَنجاً مُشرَّعًا^٢
فكانتُ أرائينِ الذبابِ هُناكُمُ ، على شَدَوَاتِ الطيرِ ، ضَرْباً مُوقَّعًا^٣
وفاضتُ أحاديثُ الفُكاهاتِ بَيْننا ، كأحسَنَ ما فاضَ الحديثُ وأمتعًا

الزلاية

+ ومُستَقِرٌّ على كُرْسِيَه ، تَعِبِ ،
× رأيتُهُ سَحَرًا يَقلِي زَلايَـةً ،
× كأنما زَيْتُهُ المَقْلِي ، حينَ بَدَأَ ،
× يُلقي العَجينَ لُجِينًا مِن أنامِلِه ،
روحي الفِداءُ لَهُ من مُنْصَبٍ تَعِبِ^٤
في رِقَّةِ القَشْرِ والتَّجويفِ ، كالقَصَبِ^٥
كالكيميائِ التي قالوا ، ولم تُصْبِ^٦
فَيَسْتَحِيلُ شَبَابِيكاً منَ الذَّهَبِ^٧

خباز الرقاق

ما أنسَ ، لا أنسَ خَبَّازاً مَرَّرتُ بِهِ يَدْحو الرُّقَاقَةَ ، وَشكَّ اللَّمَحَ بالبَصْرِ^٧

- ١ أذكاه : جعل رائحته ذكية ساطعة . الريعان : أول الشيء وأفضله . ظلّه : أي ظل الاخضرار المشمش ؛ مزج الرائحة باللون . سجع : ردد صوته .
- ٢ الربعمي : نسبة إلى الربيع . حثَّحت : حرك . الصنج : شيء يتخذ من النحاس الأصفر ، ويكون زوجين يضرب أحدهما على الآخر ، وآلة بأوتار يضرب بها ، وهي المقصودة هنا . المشرع : المشدود الأوتار .
- ٣ الأرائين : الأصوات لما يرنة كرنه القوس . هناكم : أي هناك ألحق بها ميم الجماعة .
- ٤ المنصب : المعيني .
- ٥ الكيمياء : يريد بها البحث عن الحجر الفلسفي الذي يحول كل معدن ذهباً ، وكان في هذا العصر قد ظهر بطلان هذا الزعم ، فلذلك قال : ولم تصب .
- ٦ اللجين : الفضة . يقول : كأن زيت قالي الزلاية الكيمياء التي بحثوا عنها ليحولوا كل معدن ذهباً ، فإن القالي يلقي العجين الأبيض كالفضة في زيتة المغلي ، فإذا هذه الفضة تتحول ذهباً .
- ٧ يدحو : يبسط . الرقاقة : الواحدة من الخبز الرقيق . الوشك : السرعة .

ما بَيْنَ رُؤْيَتِهَا فِي كَفِّهِ كُرَّةٌ ، وَبَيْنَ رُؤْيَتِهَا قَوْرَاءٌ كَالْقَمَرِ^١
إِلَّا بِمِقْدَارٍ مَا تَنَدَّاحُ دَائِرَةُ^٢ فِي صَفْحَةِ الْمَاءِ ، يُرْمَى فِيهِ بِالْحَجَرِ^٣

العنب

١ ورازقي مُخْطَفِ الْخُصُورِ ، كَأَنَّهُ مَخَازِنُ الْبَلُورِ^٤
٢ لم يُبْقِ مِنْهُ وَهَجُ الْحُرُورِ^٥ إِلَّا ضِيَاءٌ فِي ظُرُوفِ نُورٍ^٦
لو أَنَّهُ يَبْقَى عَلَى الدَّهْورِ ، قَرَّطَ آذَانَ الْحِسانِ الْحُورِ^٧
لَهُ مَذَاقُ الْعَسَلِ الْمَشُورِ ، وَنَكْهَةُ الْمِسْكِ مَعَ الْكَافُورِ^٨
وَبَرْدُ مَسِّ الْخَصِيرِ الْمَقْرُورِ^٩

الأحذب

قَصُرَتْ أَحَادِ عُهُ ، وَغَارَ قَدَالُهُ ، فَكَأَنَّهُ مُتَرَبِّصٌ^١ أَنْ يُصَفَّعَا^٢
وَكَأَنَّمَا صُفِّعَتْ قَفَاهُ مَرَّةً ، وَأَحْسَنَ ثَانِيَةً لَهَا ، فَتَجَمَّعَا^٣

١ قوراء : واسعة مستديرة .

٢ تنداح : تنبسط متسعة .

٣ الرازقي ويقال له الملاحى : عنب أبيض طويل . مخطف الخصر : منطويه .

٤ الحرور : الحر وجمعه أو هي الحرور بالفتح أي حر الشمس أو الحر الدائم .

٥ قرط الأذن : زينها بالقرط ، وهي الخلية التي تعلق في شحمتها . الحور : جمع حوراء ، وهي التي في عينيها حور ، أي أن يشتد بياض العين وسواد سوادها ، وتستدير حدقتها ، وترق جفونها .

٦ المشور : المستخرج من خلاياه ، من شاره يشوره : اجتناه . الكافور : نبت طيب الرائحة ، نوره كنور الأقحوان ؛ والكافور أيضاً : طيب يكون من شجر بجمال بحر الهند والصين ، وخشبه أبيض هش خفيف جداً ويوجد في أجوافه الكافور .

٧ الخصر : البارد . المقرور : الذي أصابه القر أي برد الشتاء .

٨ الأخادع : جمع أخدع ، وهو عرق في صفحة العنق ، وهما أخدعان . القذال : جماع مؤخر الرأس . متربص : منتظر . وفي رواية : وطال قذاله ، وعليها اعتمد دارسو شعر ابن الرومي في عصرنا ، ولكننا لم نطمئن إليها ، بل فضلنا رواية معاهد التنصيص ، لأنها أصدق في تصوير الأحذب .

٩ القفا : مؤخر العنق .

اغراض مختلفة

ذكريات الشباب

قال من قصيدة يمدح بها عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

يُذَكِّرُنِي الشَّبَابَ هَوَانُ عَتَبِي ، وَصَدُّ الْغَانِيَاتِ لَدَى عِتَابِي^١
يُذَكِّرُنِي الشَّبَابَ سِهَامُ حَتَفٍ ، يُصِيبُنَ مَقَاتِلِي دُونَ الْإِهَابِ^٢
رَمَتْ قَلْبِي بَهْنٌ ، فَأَقْصَدَتْهُ طَلُوعُ النَّبْلِ مِنْ خَلَلِ النَّقَابِ^٣
فَرَاخَتْ ، وَهِيَ فِي بَالٍ رَخِيٍّ ؛ وَرُحْتُ بِلُوعَةٍ مِثْلَ الشَّهَابِ^٤
وَلَوْ شَهِدَ الشَّبَابُ ، إِذْنُ لِرَاخَتْ وَإِنْ بَهَا ، وَعَيْشِيكَ ، ضِعْفَ مَا بِي^٥
يُذَكِّرُنِي الشَّبَابَ جَنَّانُ عَدْنٍ ، عَلَى جَنَبَاتِ أَنْهَارٍ عِذَابِ^٦
تُفَيْيْءٌ ظِلُّهَا نَفَّاحَاتُ رِيحٍ ، تَهْزُؤُ مَتُونِ أَغْصَانِ رِطَابِ^٧
إِذَا مَاسَتْ ذَوَائِبُهَا ، تَدَاعَتْ بَوَاكِي الطَّيْرِ ، فِيهَا ، بِانْتِخَابِ^٨

- ١ يقول : يذكره الشباب قلة احتفاء الحسان به ، فقد هان عليهن عتابه ، وإذا عاتبهن ، أعرضن عنه .
- ٢ الحتف : الموت . الإهاب : الجلد . والمراد بسهام الحتف ما ترسله الحسناء من نظراتها ، فتصيب منه موضع القتل في قلبه ، دون أن تخترق جلد البدن .
- ٣ أقصده السهم : أصابه فقتله في مكانه . طلوع : كثيرة الطلوع ، وهو فاعل رمت . الخلل : المتفرج ما بين الشيتين . النقاب : القناع على طرف الأنف تستر به المرأة وجهها ، وتبدي عينيها . المعنى : أن نبال عينيها تطلع من خلل نقابها أي من فرجته بين الأنف وأعلى الرأس .
- ٤ البال الرخي : أي الحال الحسنة المتسعة السهلة . الشهاب : شعلة النار الساطعة .
- ٥ شهد : حضر .
- ٦ جنان عدن : أي جنان إقامة يعني حيث تطيب الإقامة ؛ يقال عدن بالمكان عدناً : أقام ؛ وجنة عدن في الأصل : هي الموضع الذي وضع الله فيه آدم ، ولا يعلم مكانها .
- ٧ تفئء ظلها : تحركه ، يقال فيأت الريح الزرع والشجر : حركتهما ؛ وقوله تفئء ظلها : لأن الريح تحرك الأغصان فيتحرك ظلها معها . المتون : الظهور .
- ٨ ذوائبها : أي أعالي الأغصان .

يُذَكِّرُنِي الشَّبَابَ رِيَاضُ حَزْنٍ ، تَرْتَمُّ ، بَيْنَهَا ، زُرْقُ الذَّبَابِ^١
 إِذَا شَمَسُ الْأَصَائِلِ عَارَضَتَهَا ، وَقَدْ كَرَبَتْ تَوَارَى بِالْحِجَابِ^٢
 وَأَلْقَتْ ، جُنْحَ مَغْرِبِهَا ، شُعَاعاً مَرِيضاً مِثْلَ الْحَاطِ الْكَعَابِ^٣
 يُذَكِّرُنِي الشَّبَابَ سَرَاةٌ نِيهِي نَمِيرِ الْمَاءِ ، مُطَرِّدِ الْحَبَابِ^٤
 قَرَّتُهُ مُزْنَةٌ بِكُرٍّ ، وَأُضْحَى تُرْقِيقُهُ الصَّبَا مِثْلَ السَّرَابِ^٥
 عَلَى حَصْبَاءَ ، فِي أَرْضِ هِجَانٍ ، كَأَنَّ تُرَابَهَا ذَفِيرُ الْمَلَابِ^٦
 لَهُ حُبُّكَ ، إِذَا اطَّرَدَتْ عَلَيْهِ ، قَرَأَتْ بِهَا سَطُوراً فِي كِتَابِ^٧
 تُذَكِّرُنِي الشَّبَابَ صَبَاً بَلِيلٌ ، رَسِيسُ الْمَسِّ ، لَاغِبَةُ الرِّكَابِ^٨

- ١ الحزن : ضد السهل من الأرض . زرق الذباب : هي ضرب من الذباب المغني ، أزرق اللون يألف الرياض والكلأ ويلحق بالقوافل فيغمس خراطيمه في لحم الإبل ، فيخرق الجلود الغلاظ حتى ينزف الدم نزفاً ؛ ويقال له الشعراء ؛ ومنه أحمر اللون . ومن أقوال أهل القوافل : بادروا قبل أن تتحرك ذبان الرياض والكلأ .
- ٢ الأصائل ، جمع الأصيل : العشي . عارضتها : قابلتها ، وضمير النصب يرجع إلى الرياض . كربت : كادت . الحجاب : الأفق ، أي كادت الشمس تختفي بالأفق . والمراد أن الرياض تذكره الشباب إذا شمس الأصائل عارضتها عند المغيب .
- ٣ جنح مغربها : أي أوله . الكعاب : الناهد . يقال لألحاظ الحسان مريضة وضعيفة لانكسار أجفانهن ، ورقة نظراتهن .
- ٤ السراة : أعلى الطريق ووسطه ، والمراد هنا : الطريق على الإطلاق . النهي : الغدير . النمير : الماء العذب الناجع . مطرد : متتابع . الحباب : نفاخات الماء التي تعلوه .
- ٥ قرته : جمعته ، يقال قرى الماء في الخوض : أي جمعه . المزنة : القطعة من السحاب فيها ماء . البكر : السحابة الغزيرة . ترقيقه : تحركه حتى ييجي ويذهب ويتألاً ويلمع . الصبا : الريح الشرقية . السراب : ما تراه في نصف النهار من اشتداد الحر كالماء يلصق بالأرض ؛ يقال : ترقيق السراب .
- ٦ الهيجان : الأرض الكريمة . الذفر : ذو الرائحة الطيبة . الملاب : ضرب من الطيب .
- ٧ له : أي للنهي . الحبك : تجعد الماء وتكسره ، واحدها حبيكة . اطردت : تتابعت ، والفاعل يعود إلى الصبا . بها : أي بهذه الحبك .
- ٨ الصبا : الريح الشرقية . البليل : التي ابتلت بالماء وبردت . رسيس المس : لينة المس . يقال ريح رسيس . لاغية : تعب . الركاب : الإبل ، واحدها راحلة . يقال من المجاز : الرياح اللواغب ، أي المتعبة لطول سيرها ، ولأن الريح تشبه بالإبل ، فيقال لها ركاب السحاب .

أَتَتْ مِنْ بَعْدِ مَا انْسَحَبَتْ مَلِيًّا ، عَلَى زَهْرِ الرَّبِّي ، كُلَّ انْسِحَابٍ^١
وقد عَبَقَتْ بِهَا رِيًّا الْخُزَامِي ، كَرِيًّا الْمِسْكِ ، ضَوْعَ بَانْتِهَابٍ^٢
يُدَكِّرُنِي الشَّبَابَ وَمِيضُ بَرْقٍ ، وَسَجْعُ حَمَامَةٍ ، وَحَنِينُ نَابٍ^٣
فِيَا أَسْفَا ، وَيَا جَزَعًا عَلَيْهِ ! وَيَا حَزَنًا إِلَى يَوْمِ الْحِسَابِ^٤
أَفْجَعُ بِالشَّبَابِ وَلَا أُعْزَى ؟ لَقَدْ غَفَلَ الْمُعْزَى عَنْ مُصَابِي

ذكر الموت

نَبْلُ الرَّدَى يَتَقَصِدُنَ قَصْدَكَ ° فَأَجِدُ قَبْلَ الْمَوْتِ جِدَكَ °
قَدْ عَدَّ قَبْلَكَ مَنْ رَأَى ° تَ وَلَسْتَ تَلِيثُ أَنْ يَتَعَدَّكَ °
فَدَعِ الْبَطَالََةَ وَالْغَوَا ° يَّةَ جَانِبًا ، وَعَلَيْكَ رُشْدَكَ °
فَكَأَنَّنِي بَكَ قَدْ نُعِيَتْ ° وَقَدْ بَكَى الْبَاكُونَ فَقَدَكَ °
وَتَرَكْتَ مَنَزِلَكَ الْمَشِي ° دَ مُعْطَلًا ، وَسَكَنْتَ لَحْدَكَ °
وَحَلَوْتَ فِي بَيْتِ الْبَلَى ° وَخَلَا بِكَ الْمَلَكُانِ وَحْدَكَ °
وَسَلَاكَ أَهْلُكَ كُلُّهُمْ ° وَنَسُوا عَلَى الْآيَامِ عَهْدَكَ °

١ ملياً : زمناً طويلاً .

٢ الريا : الرائحة الطيبة . الخزامى : نبت أو خيري البر ، زهره أطيب الأزهار ففحة . والخيري : المنشور الأصفر . ضوع : هيجت رائحته . والمراد : انتهت الأيدي هذا المسك فهيجت رائحته . يقال ضاعت الرائحة : سطعت وانتشرت .

٣ الناب : الناقة المستنة . والمراد : وميض البرق مبشراً بالمطر والخضرة وشباب الطبيعة ، وسجع الحمامة إلى ألفها ، وحنين الناقة إلى أولادها .

٤ يوم الحساب : يوم القيامة .

٥ عليك : اسم فعل للامر بمعنى الزم

٦ الملكان : أي منكر ونكير . وهما عند المسلمين ملكان يقومان بفتنة الموق أي بامتحانهم واختبارهم . ويكون لهم في ذلك اشد الهول والعذاب .

يَتَمَتَّعُونَ بِمَا جَمَعْتَ وَلَا يَرَوْنَ عَلَيْهِ حَمْدَكَ
يَتَمَهَّدُونَ وَأَنْتَ تَحْجُو مَتَّ الرَّمْسِ يَرعى الدَّودُ جُلْدَكَ
قَدْ سَلَمَوْكَ إِلَى الضَّرِيحِ وَوَسَّدُوا بِالتُّرْبِ خَدَّكَ
كَمْ قَدْ دَفَنْتَ أَحِبَّةً حَلَّوْا مَحَلَّ النَّفْسِ عِنْدَكَ
أَنْظِرْ إِلَى أَهْلِيهِمْ فَكَذَلِكَ الْبَاقُونَ بَعْدَكَ
فَانْظِرْ لِنَفْسِكَ مَكْمَلًا فِيمَا يُحِبُّ اللَّهُ ، جُهِدَكَ

تحليل الخمر

أَحَلَّ الْعِرَاقِيُّ النَّبِيذَ وَشُرْبَهُ ، وَقَالَ : « الْحَرَامَانِ الْمُدَامَةُ وَالسُّكْرُ »^١
وَقَالَ الْحِجَازِيُّ : « الشَّرَابَانِ وَاحِدٌ » فَحَلَّتْ لَنَا ، بَيْنَ اخْتِلَافِهِمَا ، الْخَمْرُ^٢
سَأَخُذُ مِنْ قَوْلَيْهِمَا طَرَفَيْهِمَا ، وَأَشْرَبُهَا ؛ لَا فَارَقَ الْوَاظِرَ الْوِزْرُ^٣ !

لا تكثر من الأصحاب

عَدُوُّكَ مِنْ صَدِيقِكَ مُسْتَفَادٌ ، فَلَا تَسْتَكَثِرَنَّ مِنَ الصُّحَابِ
فَإِنَّ الدَّاءَ أَكْثَرُ مَا تَرَاهُ يَحُولُ مِنَ الطَّعَامِ أَوْ الشَّرَابِ^٤

١ العراقي : أبو حنيفة .

٢ الحجازي : الشافعي .

٣ الوازر : مقترف الإثم . الوزر : الإثم . قوله سأخذ من قوليهما طرفيهما : أي أنه يأخذ تحليل النبيذ من قول أبي حنيفة ، ويترك تحريمه للخمر ؛ ثم يأخذ من الشافعي قوله : إن النبيذ والخمر واحد ، ويترك تحريمه لهما . ثم يشرب النبيذ على مذهب أبي حنيفة ، ويشرب الخمر أيضاً لأنها هي والنبيذ واحد في مذهب الشافعي ، فتكون قد حلت له كما حل له النبيذ على مذهب العراقي . ولا يعد نفسه مذنّباً في ذلك ما دام الإمامان مختلفين ، بل يدعو على المذنب أن لا يفارقه ذنبه .

٤ يحول : يأتي ، وفي رواية : يكون . يقول : إن عدوك يأتيك من صديقك ، فلا تكثر الأصحاب ، فهم أشبه بالطعام والشراب ، فإن الإنسان يجهم ويصادقهما ، فإذا أكثر معاشرتهما ، جاءه الداء منهما .

الجامع

كتاب الحيوان

باب الكلب والديك

وفاء الكلب

وأنشد أبو الحسن بن خالويه عن أبي عبيدة لبعض الشعراء :

يُعرِّدُ عَنْهُ جَارُهُ وَشَقِيقُهُ ، وَيَنْبِشُ عَنْهُ كَلْبُهُ وَهُوَ ضَارِبُهُ^١

قال أبو عبيدة : قيل ذلك لأن رجلاً خرج إلى الجبان^٢ ، ينتظر ركبته^٣ ، فاتبعه كلب كان له ، ف ضرب الكلب وطرده ، وكثره أن يتبعه ، ورماه بحجر . فأبى الكلب إلا أن يتبعه . فلما صار إلى الموضع الذي يريد فيه الانتظار ، ربح الكلب قريباً . فبينما هو كذلك ؛ إذ أتاه أعداء له يطلبونه بطائلة^٤ لهم عنده . وكان معه جار له وأخوه دنياه ،

١ يعرد : يحجم ويفر .

٢ الجبان : المقبرة والصحراء .

٣ الركاب : الإبل .

٤ الطائلة : العداوة والنار .

٥ دنيا : لاصق النسب ، داني القرابة . وأخوه هنا بمعنى قريبه ، لأنه يقال : هو ابن عم أو عمة ، أو ابن خال أو خالة ، أو ابن أخ أو أخت دنيا . وإذا ضمت دالها ، منعت من الصرف لأن الألف قد تعينت للتأنيث على الأصل ، وتكون منصوبة على الحال . وإذا كسرت دالها جاز فيها الصرف ، فإذا نونت صارت منصوبة على المصدرية .

فَأَسْلَمَاهُ وَهَرَبَا عَنْهُ . فَجُرِّحَ جَرَاحَاتٌ ، وَرُمِيَ بِهِ فِي بَيْثٍ غَيْرِ بَعِيدَةٍ الْقَمَرِ ؛
ثُمَّ حُثِيَ عَلَيْهِ التُّرَابُ ، ثُمَّ غُطِّيَ رَأْسُهُ ، ثُمَّ كُمَّتْ^٢ فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْهُ^٣ ؛
وَالْكَلْبُ فِي ذَلِكَ يَرْخَمُ^٤ وَيَهْرُ . فَلَمَّا انْصَرَفُوا أَتَى رَأْسَ الْبَيْثِ ؛ فَمَا زَالَ
يَعْوِي ، وَيَنْبُشُ عَنْهُ ، وَيَحْنُو التُّرَابَ بِيَدِهِ ، وَيَسْكَشِفُهُ عَنْ رَأْسِهِ ،
حَتَّى أَظْهَرَ رَأْسَهُ فَتَنَفَّسَ ، وَرُدَّتْ إِلَيْهِ الرُّوحُ ، وَقَدْ كَادَ يَمُوتُ ، وَلَمْ يَبْقَ
مِنْهُ إِلَّا حُشَاشَةٌ^٥ . فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ ، إِذْ مَرَّ نَاسٌ ، فَأَنْكَرُوا مَكَانَ الْكَلْبِ ،
وَرَأَوْهُ كَأَنَّهُ يَحْفَرُ عَنْ قَبْرِ . فَنَظَرُوا ، فَإِذَا هُمْ بِالرَّجُلِ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ ،
فَاسْتَشَالُوهُ^٦ ، فَأَخْرَجُوهُ حَيًّا ، وَحَمَلُوهُ ، حَتَّى أَدَّوهُ إِلَى أَهْلِهِ . فَرَعِمَ أَنْ
ذَلِكَ الْمَوْضِعَ يُدْعَى بَيْثُ الْكَلْبِ ، وَهُوَ مُتِيَامِنٌ^٧ عَنِ النَّجَفِ^٨ .
وَهَذَا الْعَمَلُ يُدَلُّ عَلَى وِفَاءٍ طَبِيعِيٍّ ، وَلِإِلْفٍ غَرِيزِيٍّ ، وَمُحَامَاةٍ شَدِيدَةٍ ،
وَعَلَى مَعْرِفَةٍ وَصَبْرٍ ، وَعَلَى كَرَمٍ وَشُكْرِ ، وَعَلَى غَنَاءٍ^٩ عَجِيبٍ ، وَمَنْفَعَةٍ
تَفُوقُ الْمَنَافِعَ . لِأَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ كَانَ مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ وَلَا تَصْنَعٍ .

أعمار الكلاب

وَذَكَورَةُ السَّلَاقِيَّةِ تَعِيشُ عَشْرَ سِنِينَ ، وَالْإِنَاثُ تَعِيشُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ
سَنَةً ، وَأَكْثَرُ أَجْنَاسِ الْكِلَابِ تَعِيشُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَبَعْضُ الْأَجْنَاسِ
تَبْقَى عَشْرِينَ سَنَةً .

١ حُثِيَ عَلَيْهِ : رُمِيَ التُّرَابُ عَلَيْهِ .

٢ كُمَّتْ : غَطِيَتْ ؛ وَلَعَلَّهَا كَوْمٌ .

٣ مِنْهُ : أَيُّ مِنَ التُّرَابِ .

٤ يَرْخَمُ : يَرِقُّ لَهُ وَيَشْفُقُ عَلَيْهِ .

٥ الْحُشَاشَةُ : بَقِيَّةُ الرُّوحِ .

٦ اسْتَشَالُوهُ : رَفَعُوهُ .

٧ مُتِيَامِنٌ : أَيُّ أَخَذَ ذَاتَ الْيَمِينِ .

٨ النَّجَفُ : مَوْضِعٌ بَظَهَرِ الْكَوْفَةِ فِيهِ نَخْلٌ كَثِيرٌ ، وَبِالْقُرْبِ مِنْهُ قَبْرُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ .

٩ الْغَنَاءُ : النِّفْعُ .

قال : وإناث الكلاب أطول أعماراً من الذكور ، وكذلك هي في الحُملة وليس يُلقي الكلب من أسنانه شيئاً ما خلا النابين ؛ وإنما يُلقيهما إذا كان ابن أربعة أشهر . قال : ومن أجل أن الكلاب لا تُلقي غير هذين النابين يشك بعض الناس أنها لا تُلقي شيئاً البتة

كلب يحسب لصاً

قال بشر بن سعيد : كان بالبصرة شيخ من بني نهشل^١ يقال له عروة بن مرثد ، نزل بيتي أخت له في سكة^٢ بني مازن^٣ وبنو خته من قريش . فخرج رجالهم إلى ضياعهم ، وذلك في شهر رمضان ، وبقيت النساء يُصلين في مسجدهم ، فلم يبق في الدار إلا كلب يعس^٤ ، فرأى بيتاً ، فدخل ، وانصق^٥ الباب ، فسمع الحركة بعض الإماء ، فظنوا أن لصاً دخل الدار ، فذهبت إحداهن إلى أبي الأعز^٦ ، وليس في الحي رجل غيره ، فأخبرته ، فقال أبو الأعز : ما يبتغي اللص منا ؟ ثم أخذ عصاه وجاء حتى وقف على باب البيت ، فقال : إيه^٨ يا ملامان^٩ ! أما والله إنك بي لعارف ، وإني بك أيضاً لعارف ، فهل أنت إلا من لصوص بني مازن ، شربت حامضاً خبيثاً^{١٠} ، حتى إذا دارت الأقداح في رأسك ، منتك نفسك

١ نهشل بن دارم : بطن من تميم .

٢ السكة : الموضع فيه دور ومنازل لقوم يسكنونها وفي خلالها طريق وسبيل لهم .

٣ بنو مازن بن عمرو : من بني تميم .

٤ يعس : يطوف ليلاً .

٥ انصق : انغلق .

٦ فظنوا : هكذا وردت ووجه الكلام فظنن .

٧ أبو الأعز ، وفي رواية : أبو الأغر .

٨ إيه بسكون الهاء : كلمة زجر بمعنى حسبك .

٩ يا ملامان بالنداء : أي يا لئيم .

١٠ حامضاً خبيثاً : أي الحامض من الخمر ، ويقال له المسطار .

الأمانى^١ ، وقلت : دور^٢ بني عمرو^٣ ، والرجال^٤ خلوف^٥ ، والنساء^٦ يوصلن^٧ في مسجدهن^٨ ، فأسرقهن^٩ . سوءة^{١٠} والله ! ما يفعل^{١١} هذا الأحرار ! لبئس^{١٢} ، والله ، ما منتك^{١٣} نفسك ! فاخرج^{١٤} ، وإلا^{١٥} دخلت^{١٦} عليك^{١٧} ، فصرمتك^{١٨} مني العقوبة^{١٩} ! لايم^{٢٠} الله^{٢١} ، لتخرجن^{٢٢} ، أو لأهتفن^{٢٣} هتفة^{٢٤} مشؤومة^{٢٥} عليك^{٢٦} ، يلتقي^{٢٧} فيها الحيان^{٢٨} عمرو^{٢٩} وحنظلة^{٣٠} ، ويصير^{٣١} أمرك^{٣٢} إلى^{٣٣} تباب^{٣٤} . ويسجي^{٣٥} سعد^{٣٦} بعدد^{٣٧} الحصى^{٣٨} ، ويسيل^{٣٩} عليك^{٤٠} الرجال^{٤١} من هاهنا^{٤٢} وهاهنا^{٤٣} ! ولئن^{٤٤} فعلت^{٤٥} ، لتكونن^{٤٦} أشأم^{٤٧} مولود^{٤٨} في بني تميم^{٤٩} !

فلما رأى أنه لا يجيبه^{٥٠} ، أخذ^{٥١} باللين^{٥٢} ، وقال^{٥٣} : اخرج^{٥٤} يا بُني^{٥٥} ، وأنت^{٥٦} مستور^{٥٧} ؛ إنني^{٥٨} ، والله^{٥٩} ، ما أراك^{٦٠} تعرفني^{٦١} ، ولو عرفتني^{٦٢} ، لقد قنعت^{٦٣} بقولي^{٦٤} ، واطمأنت^{٦٥} إلي^{٦٦} . أنا عروة^{٦٧} بن^{٦٨} مرثد^{٦٩} أبو الأعز^{٧٠} المرندي^{٧١} ، وأنا خال^{٧٢} القوم^{٧٣} ، وجلدة^{٧٤} ما بين^{٧٥} أعينهم^{٧٦} ^{١٢} لا يعصونني^{٧٧} في أمر^{٧٨} ؛ وأنا لك^{٧٩} بالذمة^{٨٠} كقيل^{٨١} خفير^{٨٢} ^{١٣} ، أصيرك^{٨٣} بين^{٨٤} شحمة^{٨٥} أذني^{٨٦} وعاتقي^{٨٧} ^{١٤} لا تضار^{٨٨} ^{١٥} . فاخرج^{٨٩} ، فأنت^{٩٠} في ذمتي^{٩١} ،

١ منتك : يقال مناه الأمانى وبالأمانى : أي جعلها له .

٢ دور : مفعول لفعل محذوف تقديره أقصد .

٣ بني عمرو : أي عمرو بن تميم .

٤ خلوف : ذاهبون عن الحي ، واحدها خلف .

٥ فأسرقهن : أي أسرق الدور .

٦ صرم : قطع ؛ وعقوبة صارمة : أي قاطعة .

٧ لايم الله : قسم ، أي ليمين الله .

٨ حنظلة : حي من بني تميم .

٩ التباب : الخسار والهلاك .

١٠ سعد : هم بنو سعد بن زيد مناة ، من تميم .

١١ لئن فعلت : أي لئن لم تخرج وأردت السرقة .

١٢ يقال هو جلدة ما بين العين والأنف : أي هو مثلها في العزة والقرب .

١٣ الخفير : المجير والمحامي والمحافظ .

١٤ العاتق : ما بين المنكب والعتق .

١٥ لا تضار : لا تصاب بضرر .

ولاً ، فإنّ عندي قَوْصَرَتَيْنِ^١ : إحداهما إلى ابنِ أُخْتِي الْبَارِ الْوَصُولِ^٢ ، فخذُ إحداهما ، فانتبِذْها^٣ حَلالاً^٤ منَ اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وكانَ الْكَلْبُ إِذَا سَمِعَ الْكَلَامَ ، أَطْرَقَ^٥ ، وَإِذَا سَكَتَ^٦ ، وَتَبَّ يَرْيَغُ^٧ الْمَخْرَجَ . فَتَهَانَفَ^٨ الْأَعْرَابِيُّ ، أَيُّ تَضَاحَكَ ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَلَمَ النَّاسِ وَأَوْضَعَهُمْ^٩ ، أَلَا يَأْنِي لَكَ^{١٠} أَنَا مُنْذُ اللَّيْلَةِ فِي وَادٍ ، وَأَنْتَ فِي آخِرِ ! إِذَا قُلْتَ لَكَ السُّودَاءَ وَالْبَيَاضَ^{١١} ، تَسَكُّتُ وَتُطْرِقُ^{١٢} ؛ فَإِذَا سَكَتَ عَنْكَ ، تُرْيِغُ الْمَخْرَجَ ! وَاللَّهِ ، لَتَخْرُجَنَّ بِالْعَفْوِ عَنْكَ ، أَوْ لَأُلْحَنَنَّ عَلَيْكَ الْبَيْتَ بِالْعُقُوبَةِ ! فَلَمَّا طَالَ وَقُوفُهُ ، جَاءَتْ جَارِيَةٌ مِنْ إِمَاءِ الْحَيِّ ، فَقَالَتْ : أَعْرَابِي مَجْنُونٌ ! وَاللَّهِ مَا أَرَى فِي الْبَيْتِ شَيْئاً ! وَدَفَعَتْ الْبَابَ ، فَخَرَجَ الْكَلْبُ شَدّاً^{١٣} ، وَحَادَ عَنْهُ أَبُو الْأَعَزِّ مُسْتَلْقِياً ، وَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَسَخَكَ كَلْباً ، وَكَفَانِي مِنْكَ حَرْباً ! ثُمَّ قَالَ : تَاللَّهِ ، مَا رَأَيْتُ كَاللَّيْلَةِ ، مَا أُرَاهُ إِلَّا كَلْباً ، أَمَا ، وَاللَّهِ ، لَوْ عَلِمْتُ بِحَالِهِ ، لَوَبَّحْتُ عَلَيْهِ .

صياح الديك

قالوا : قد أخطأ مَنْ زَعَمَ أَنَّ الدِّيَكَةَ إِنَّمَا تَتَجَاوَبُ ، بَلْ إِنَّمَا ذَلِكَ مِنْهَا شَيْءٌ يَتَوَافَقُ فِي وَقْتٍ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِتَجَاوُبٍ كَتَجَاوُبِ الْكِلَابِ ؛ لِأَنَّ

- ١ القوصرة : وعاء من قصب يجعل فيه التمر .
- ٢ الوصول : الكثير المواصلة ، أي لا يقطع صاحبه ، والكثير العطاء .
- ٣ انتبذها : أي اصنعها نبيذاً من التمر ؛ أي نبيذاً محلاً لا محرماً .
- ٤ أطرق : سكت .
- ٥ سكت : الضمير يعود إلى الأعرابي .
- ٦ يرغ : يطلب بشدة .
- ٧ تهانف : ضحك باستهزاء ؛ ذكرها الأساس على الإطلاق ، وخصها القاموس بالمرأة . وقد وردت في الأصل : تهافت ، وهو تحريف .
- ٨ يأنى لك : يحين لك . وظاهر الكلام يدل على أنه يريد أن يقول : ألا يأنى لك أن تعرف .
- ٩ السوداء والبيضاء : أي كلمة ما .
- ١٠ شداً : عدواً .

الكلب لا وقت له وإنما هو صامت ساكت ما لم يُحس بشيء يفزع منه ؛ فإذا أحس به ، نبّح ؛ وإذا سمع نباح كلب آخر ، أجاب ، ثم أجاب ذلك آخر ، ثم أجابهما الكلب الأول ، وتبين أنه المُجاوب لجميع الكلاب . والدّيك ليس من أجل أنه أنكر شيئاً ، إذا استجاب ؛ أو سمع صوتاً ، إذا صقّع^١ ؛ وإنما يصقّع^٢ لشيء في طبيعه ، إذا قابل ذلك الوقت من الليل ، هيّجته . فعَدَدُ أصواته ، في الوقت الذي يُظن أنه تتجاوب فيه الديكة^٣ ، كَعَدَدِ أصواته في القرية ، وليس في القرية ديك غيره ، وذلك هو في المواقيت . والعلة التي لها يصقّع في وقت بعينه ، شائعة^٤ فيها في ذلك الوقت ؛ وليس كذلك الكلاب . قد تنبّح الكلاب في الحُريرة^٥ ، وكلاب في بني سعد غير ناجحة ؛ وليس يجوز أن تكون ديكة المهالبة تصقّع ، وديكة المسامعة ساكتة^٥ .

أعرابي يقسم الدجاج

قال أبو الحسن : حدّثني أعرابي كان يتزل بالبصرة قال : قدِمَ أعرابي من البادية ، فأنزله ، وكان عندي دجاج كثير ، ولي امرأة وابنان وابنتان منها . فقلت لامرأتي : بادري واشوي لنا دجاجة ، وقدّمها إلينا نتغذّاها . فلمّا حضر الغداء جلسنا جميعاً أنا وامرأتي وابنائي وابنتاي والأعرابي . قال : فدفعنا إليه الدجاجة ، فقلنا له : اقسّمها بيننا — نريد أن نضحك منه — فقال : لا أحسن القسمة ؛ فإن رَضِيتُ بَقِسْمَتِي ، قَسَمْتُهَا بَيْنَكُمْ .

١ صقّع الديك : صاح .

٢ فيها : أي في الديوك .

٣ الحُريرة : موضع في البصرة يسمى البصرة الصغرى .

٤ بنو سعد : قبيلة . والظاهر أنهم من سكان البصرة .

٥ المسامعة : محلة بالبصرة تنسب إلى بني مسعم بن شهاب . والظاهر أن المهالبة محلة بالبصرة أيضاً تنسب إلى بني المهلب بن أبي صفرة .

قُلْنَا : إِنَّا نَرْضَى . فَأَخَذَ رَأْسَ الدَّجَاجَةِ فَقَطَعَهُ ، فَنَاولَتْنِيهِ ، وَقَالَ :
الرَّأْسُ لِلرَّأْسِ . وَقَطَعَ الْجَنَاحَيْنِ ، وَقَالَ : الْجَنَاحَانِ لِلابْنَيْنِ . ثُمَّ قَطَعَ
السَّاقَيْنِ ، فَقَالَ : السَّاقَانِ لِلابْنَتَيْنِ . ثُمَّ قَطَعَ الزَّمِكَيَّ^١ وَقَالَ : الْعَجُزُ^٢
لِلْعَجُزِ^٣ . وَقَالَ : الزَّوْرُ^٤ لِلزَّائِرِ . قَالَ : فَأَخَذَ الدَّجَاجَةَ بِأَسْرِهَا ، وَسَخِرَ بِنَا .
قَالَ : فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ ، قُلْتُ لَامْرَأَتِي : أَشَوِي لَنَا خَمْسَ دَجَاجَاتٍ .
فَلَمَّا حَضَرَ الْغَدَاءُ ، قُلْتُ : اقْسِمْ بَيْنَنَا . قَالَ : إِنِّي أَظُنُّ أَنَّكُمْ وَجَدْتُمْ^٥
فِي أَنْفُسِكُمْ . قُلْنَا : لَا ، لَمْ نَجِدْ فِي أَنْفُسِنَا ، فَاقْسِمْ . قَالَ : اقْسِمْ شَفْعًا^٦
أَوْ وِتْرًا^٧ ؟ قُلْنَا : اقْسِمْ وَتِرًا . قَالَ : أَنْتَ وَامْرَأَتُكَ وَدَجَاجَةٌ ثَلَاثَةٌ ، ثُمَّ
رَمَى إِلَيْنَا بِدَجَاجَةٍ . ثُمَّ قَالَ : وَابْنُكَ وَدَجَاجَةٌ ثَلَاثَةٌ ، ثُمَّ رَمَى إِلَيْهِمَا
بِدَجَاجَةٍ . ثُمَّ قَالَ : وَابْنَتُكَ وَدَجَاجَةٌ ثَلَاثَةٌ ، ثُمَّ رَمَى إِلَيْهِمَا بِدَجَاجَةٍ .
ثُمَّ قَالَ : أَنَا وَدَجَاجَتَانِ ثَلَاثَةٌ ، وَأَخَذَ دَجَاجَتَيْنِ وَسَخِرَ بِنَا . قَالَ :
فَرَأْنَا وَنَحْنُ نَنْظُرُ إِلَى دَجَاجَتَيْهِ ، فَقَالَ : مَا تَنْظُرُونَ ! لَعَلَّكُمْ كَرِهْتُمْ^٨
قِسْمَتِي ، الْوِتْرُ لَا يَجِيءُ إِلَّا هَكَذَا ؛ فَهَلْ لَكُمْ فِي قِسْمَةِ الشَّفْعِ ؟ قُلْنَا :
نَعَمْ . فَضَمْتُهُنَّ^٨ إِلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَنْتَ وَابْنُكَ وَدَجَاجَةٌ أَرْبَعَةٌ ، وَرَمَى
إِلَيْنَا بِدَجَاجَةٍ . ثُمَّ قَالَ : وَالْعَجُوزُ وَابْنَتَاهَا وَدَجَاجَةٌ أَرْبَعَةٌ ، وَرَمَى إِلَيْهِنَّ
بِدَجَاجَةٍ . ثُمَّ قَالَ : أَنَا وَثَلَاثُ دَجَاجَاتٍ أَرْبَعَةٌ ، وَضَمَّ إِلَيْهِ الثَّلَاثَ .
وَرَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ : االلَّهُمَّ ، لَكَ الْحَمْدُ ! أَنْتَ فَهَمْتَنِيهَا !

١ الزمكي : مؤخر الطائر أو أصل ذنبه .

٢ العجز : مؤخر الشيء .

٣ العجز : جمع عجوز ويريد بها امرأة الرجل . وفي رواية : للعجوز .

٤ الزور : الصدر .

٥ وجدتم : غضبتم .

٦ الشفع : الزوج .

٧ الوتر ، وتفتح الواو : الفرد .

٨ فضمنهن : أي ضم الدجاجات .

باب القول في أجناس الذبان

إلحاح الدباب وقاضي البصرة

كانَ لنا بالبصرة قاضٍ يُقالُ له عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَوَّارٍ ، لم يَرَ النَّاسُ حَاكِمًا قَطُّ ، ولا زِمِيًّا^١ ، ولا رَكِيًّا^٢ ، ولا وَقُورًا حَلِيمًا ضَبَطَ مِنْ نَفْسِهِ ، وَمَلَكَ مِنْ حَرَكَتِهِ مِثْلَ الَّذِي ضَبَطَ وَمَلَكَ . كانَ يُصَلِّي الغَدَاةَ فِي مَنْزِلِهِ ، وَهُوَ قَرِيبُ الدَّارِ مِنْ مَسْجِدِهِ ، فَيَأْتِي مَجْلِسَهُ^٣ فَيَحْتَبِي^٤ ولا يَتَكَيَّءُ . فلا يَزَالُ مُنْتَصِبًا لا يَتَحَرَّكُ لَهُ عَضْوٌ ، ولا يَلْتَفِتُ ، ولا يَحُلُّ حُبُوتَهُ ، ولا يُحَوِّلُ رِجْلًا عَنْ رِجْلٍ ، ولا يَعْتَمِدُ عَلَى أَحَدٍ شَقِيهِ^٥ ؛ حَتَّى كَأَنَّهُ بِنَاءٌ مَبْنِيٌّ أَوْ صَخْرَةٌ مَنْصُوبَةٌ . فلا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَقُومَ إِلَى صَلَاةِ الظُّهْرِ ؛ ثُمَّ يَعُودُ إِلَى مَجْلِسِهِ . فلا يَزَالُ كَذَلِكَ ، حَتَّى يَقُومَ إِلَى الْعَصْرِ ؛ ثُمَّ يَرْجِعُ لِمَجْلِسِهِ . فلا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَقُومَ لَصَلَاةِ الْمَغْرِبِ ؛ ثُمَّ رُبَّمَا عَادَ إِلَى مَحَلِّهِ ، بَلْ كَثِيرًا مَا كَانَ يَكُونُ ذَلِكَ مِنْهُ ، إِذَا بَقِيَ عَلَيْهِ مِنْ قِرَاءَةِ الْعُهُودِ وَالشَّرُوطِ وَالْوَثَائِقِ . ثُمَّ يُصَلِّي الْعِشَاءَ الْأَخِيرَةَ^٦ ، وَيَنْصَرِفُ . فَاَلْحَقَّ يُقَالُ : لم يَقُمْ فِي طُولِ تِلْكَ الْمُدَّةِ وَالْوِلَايَةِ مَرَّةً وَاحِدَةً إِلَى الْوُضُوءِ ، ولا احتاجَ إِلَيْهِ ، ولا شَرِبَ مَاءً ولا غَيْرَهُ مِنَ الشَّرَابِ . كَذَلِكَ كَانَ شَأْنُهُ فِي طَوَالِ الْأَيَّامِ وَفِي قِصَارِهَا ، وَفِي صَيْفِهَا وَفِي شِتَائِهَا . وَكَانَ ، مَعَ ذَلِكَ ،

١ الزميت : العظيم الوقار .

٢ الركين : الرزين .

٣ يحتبي : أي يجمع بين ظهره وساقيه إذا جلس ليصير كالمستند . وذلك أن يقيم ركبتيه في جلوسه فيضع عليهما سيفاً ، أو يدير بهما ثوباً ، أو يعتمد عليهما يديه ، ويستريح إليهما ؛ والاسم منه الحبوقة ، يقال حل حبوته : أي قام . وعقد حبوته : أي قعد ، وهو من باب الكناية .

٤ الشق : الجانب .

٥ العصر : أي صلاة العصر .

٦ يصلي العشاء : أي صلاة العشاء .

لَا يُحَرِّكُ يَدَهُ ، وَلَا يُشِيرُ بِرَأْسِهِ . وَلَيْسَ إِلَّا أَنْ يَتَكَلَّمَ ثُمَّ يُوجِزَ
وَيَبْلُغَ بِالْكَلَامِ الْيَسِيرِ الْمَعَانِي الْكَثِيرَةَ .

فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ ، ذَاتَ يَوْمٍ ، وَأَصْحَابُهُ حَوَالِيهِ ، فِي السَّمَاطِينَ^١ بَيْنَ
يَدَيْهِ ، إِذْ سَقَطَ عَلَى أَنْفِهِ ذُبَابٌ فَأُطَالَ الْمَسْكُثَ^٢ ، ثُمَّ تَحَوَّلَ إِلَى مُوقٍ^٣ عَيْنِهِ .
فَرَامَ الصَّبْرَ فِي سُقُوطِهِ عَلَى الْمُوقِ ، وَعَلَى عَضِّهِ وَنَقَازِ خُرْطُومِهِ ، كَمَا رَامَ
مِنَ الصَّبْرِ عَلَى سُقُوطِهِ عَلَى أَنْفِهِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُحَرِّكَ أَرْنَبَتَهُ^٤ ، أَوْ يُغَضِّنَ
وَجْهَهُ^٥ ، أَوْ يَذُبُّهُ بِإَصْبَعِهِ . فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ مِنَ الذَّبَابِ ، وَشَغَلَتْهُ
وَأَوْجَعَتْهُ وَأَحْرَقَتْهُ ، وَقَصَّدَ إِلَى مَسْكَانٍ لَا يَحْتَمِلُ التَّغَافُلَ ، أَطْبَقَ جَفْنَهُ
الْأَعْلَى عَلَى جَفْنِهِ الْأَسْفَلِ ، فَلَمْ يَنْهَضْ^٦ . فَدَعَاهُ ذَلِكَ إِلَى أَنْ وَالِي^٧ بَيْنَ
الْإِطْبَاقِ وَالْفَتْحِ ، فَتَنَحَّى رَيْثَمَا سَكَنَ جَفْنَهُ . ثُمَّ عَادَ إِلَى مُوقِهِ بِأَشَدِّ
مِنْ مَرَّتِهِ الْأُولَى ، فَغَمَسَ خُرْطُومَهُ فِي مَسْكَانٍ كَانَ قَدْ أَوْهَاهُ^٨ قَبْلَ ذَلِكَ .
فَكَانَ احْتِمَالُهُ لَهُ أَوْجَعُ ، وَعَجْزُهُ عَنِ الصَّبْرِ فِي الثَّانِيَةِ أَقْوَى ، فَحَرَّكَ
أَجْفَانَهُ وَزَادَ فِي شِدَّةِ الْحَرَكَةِ ، وَفِي فَتْحِ الْعَيْنِ ، وَفِي تَتَابُعِ الْفَتْحِ وَالْإِطْبَاقِ .
فَتَنَحَّى عَنْهُ بِقَدَرٍ مَا سَكَنَتْ حَرَكَتُهُ ثُمَّ عَادَ إِلَى مَوْضِعِهِ ، فَمَا زَالَ
يُلِحُّ عَلَيْهِ حَتَّى اسْتَفْرَغَ صَبْرَهُ وَبَلَغَ مَجْهُودَهُ^٩ . فَلَمْ يَجِدْ بُدْءًا مِنْ أَنْ
يَذُبُّ عَنْ عَيْنَيْهِ بِيَدِهِ ، فَفَعَلَ ، وَعُيُونُ الْقَوْمِ إِلَيْهِ^{١٠} تَرْمُقُهُ ، وَكَأَنَّهُمْ
لَا يَرَوْنَهُ . فَتَنَحَّى عَنْهُ بِقَدَرٍ مَا رَدَّ يَدَهُ ، وَسَكَنَتْ حَرَكَتُهُ . ثُمَّ عَادَ

١ السماط : الصف .

٢ الموق ، وتخفف الهمزة فيقال موق : طرف العين مما يلي الأنف ، وهو مجرى الدمع منها .

٣ الأرنية : طرف الأنف .

٤ غضن وجهه : جعل به غضوناً أي تثنيات ، من انقباض جلده .

٥ يذب : يدفع الذباب .

٦ لم ينهض : الضمير يعود إلى الذباب .

٧ والي : تابع .

٨ أواهه : أضعفه .

٩ بلغ مجهوده : أي أجهده .

١٠ إليه : أي ناظرة إليه ، أو ما أشبه .

إلى موضعيه . ثمَّ أُلْجَاهُ إلى أنْ ذَبَّ عَنْ وجهه بطرفِ كُتْمِهِ . ثمَّ أُلْجَاهُ إلى أنْ تابَعَ بينَ ذلكَ ، وعَلِمَ أنْ فَعَلَهُ كُتْلَهُ بَعَيْنِ مَنْ حَضَرَهُ منْ أُمَنَائِهِ وجُلُتْسَائِهِ . فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَيْهِ ، قالَ : أَشْهَدُ أنْ الذِّبَابَ أَلَجُّ منْ الخُنْفَسَاءِ^١ ، وَأَزْهَى منْ الغُرَابِ^٢ ! وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ فَمَا أَكْثَرَ مَنْ أَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ ، فَأَرَادَ اللهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، أنْ يُعَرِّفَهُ منْ ضَعْفِهِ ما كَانَ عَنْهُ مَسْتَوْرًا ! وقد عَلِمْتُ أنِّي عِنْدَ النَّاسِ منْ أَزَمَتِ النَّاسِ^٣ ، فَقَدْ غَلَبَنِي وَفَضَحَنِي أَضْعَفُ خَلْقِهِ ! ثمَّ تَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى : « وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذِّبَابُ شَيْئًا ، لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ، ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ » .

وكانَ بَيْنَ اللِّسَانِ ، قَلِيلَ فَضُولِ الكَلَامِ ؛ وكانَ مَهْيِيًّا في أَصْحَابِهِ ؛ وكانَ أَحَدَ مَنْ لَمْ يُطْعَنْ عَلَيْهِ في نَفْسِهِ ، ولا في تَعْرِيزِ أَصْحَابِهِ لِلْمَنَالَةِ^٥ .

حيلة الحية

حَدَّثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ الْمَكْفُوفُ^٦ التَّحَوِّيَّ الْعَنْبَرِيَّ ، وَأَخُوهُ رَوْحُ الْكَاتِبِ ، وَرِجَالٌ مِنْ بَنِي الْعَنْبَرِ : أنْ عِنْدَهُمْ ، في رِمَالٍ بِلْعَنْبَرٍ^٧ ، حَيَّةٌ تَصِيدُ الْعَصَافِيرَ وَصِغَارَ الطَّيْرِ بِأَعْجَبِ صَيْدٍ . زَعَمُوا أَنَّهَا إِذَا انْتَصَفَ النَّهَارُ وَاشْتَدَّ

١ الخنفساء : حشرة سوداء منتنة الرائحة . ومن أمثال العرب : أَلَجٌ من الخنفساء ؛ لأنها تقبل نحو الإنسان فيدفعها فتبعد بقدر تلك الدفعة ، ثم تعود أيضاً . ويتكرر منه ذلك وهي لا تتحول بل تلج في العودة كلما دفعت .

٢ أزهى : أفعال التفضيل من زهي : أي تكبر وتاه . يقال أزهى من الغراب ، لأنه إذا مشى اختال ونظر في عطفه . ويقال أزهى من ذباب ؛ لأنه يسقط على أنف الملك الجبار ، وعلى موق عينه ، فينمَسُ خرطومَه فيه فيؤذيه ؛ ويطرده فلا ينطرد .

٣ أزمت الناس : أشدهم وقاراً ورزاة .

٤ فضول الكلام : ما لا قيمة له ولا خير فيه .

٥ المنالة : السباب وتهشيم الأعراض .

٦ المكفوف : الأعمى .

٧ بلعنبر : أي بني العنبر .

الحرّ في رمالٍ بِلُغْتَيْهِ ، وامْتَنَعَتِ الأرضُ على الخافي والمُتَعَلِّجِ ، ورَمِضَ^١ الجُنْدُبُ ، غَمَسَتْ هذه الحَيَّةُ ذَنَبَهَا في الرَّمْلِ ، ثمَّ انتَصَبَتْ كأنَّها رُمَحٌ مَرَكُوزٌ أو عودٌ ثابتٌ . فَيَجِيءُ الطَّائِرُ الصَّغِيرُ أو الجَرَادَةُ ؛ فإذا رأى عوداً قائماً ، وكرِهَ الوقوعَ على الرَّمْلِ لشِدَّةِ حرِّهِ ، وقعَ على رأسِ الحَيَّةِ ، على أنَّها عودٌ ؛ فإذا وقعَ على رأسِها ، قبِضَتْ عليه . فإن كانَ جَرَادَةً أو جُعَلًا^٢ أو بَعْضَ ما لا يُشْبِعُها مِثْلُهُ ، ابتَلَعَتْهُ وبقِيَتْ على انتِصَابِها ؛ وإن كانَ الواقعُ على رأسِها طائِراً يُشْبِعُها مِثْلُهُ ، أَكَلَتْهُ وانصَرَفَتْ . وأنَّ^٣ ذلكَ دأْبُها ما مَنَعَ الرَّمْلُ جانِبَهُ في الصَّيْفِ والقَيْظِ ؛ في انتِصافِ النَّهارِ والهَاجِرَةِ^٤ . وذلكَ أنَّ الطَّائِرَ لَا يَشُكُّ أنَّ الحَيَّةَ عودٌ ، وأَنَّهُ سَيَقُومُ لَهُ مَقَامُ الجِذْلِ^٥ للحِرْبَاءِ ، إلى أنْ يَسْكُنَ الحرَّ وَوَهَجَ الرَّمْلِ .

وفي هذا الحديثِ مِنَ العَجَبِ أنْ تَكُونَ هذه الحَيَّةُ تَهْتَدِي لِمِثْلِ هذه الحِيلَةِ ؛ وفيهِ جَهْلُ الطَّائِرِ بفرْقِ ما بَيْنَ الحَيَّوانِ والعودِ ؛ وفيهِ قِلَّةُ اكْتِراثِ الحَيَّةِ للرَّمْلِ الذي عادَ^٦ كالْحَمَرِ ، وصَلَحَ أنْ يَكُونَ مَلَّةً^٧ ومَوْضِعاً للخُبْزَةِ^٨ ؛ ثمَّ أنَّ يَشْتَمِلَ ذلكَ الرَّمْلُ على ثُلُثِ الحَيَّةِ سَاعَاتٍ مِنَ النَّهارِ ، والرَّمْلُ على هذه الصِّفَةِ . فهذه أعجوبةٌ من أعاجيبِ ما في الحَيَّاتِ .

١ رمض : آله الرمض وأحرقه ؛ والرمض : شدة وقع الشمس على الرمل ونحوه .

٢ الجمل : دويبة سوداء ، له جناحان أسودان يطير بهما ؛ قيل إنه يموت من ريح الورد ، ويعيش إذا أعيد إلى الزبل ونحوه .

٣ وأن : بفتح همزة أن : معطوفة على قوله حدثنا أبو جعفر . . . أن .

٤ القَيْظُ : صميم الصيف حيث يشتد الحر .

٥ الهَاجِرَةُ : انتِصاف النهار وشدة الحر .

٦ الجِذْلُ : أصل الشجرة بعد ذهاب الفرع .

٧ عاد : صار .

٨ المَلَّةُ : الرماد الحار الذي أوقد فيه النار .

٩ الخُبْزَةُ : الطلعة ، وهي عجينة يوضع في الملة حتى ينضج .

الترياق والانقلاب الأفعى

وكنْتُ يَوْمًا عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي دُوَادٍ^١ ، وَكَانَ عِنْدَهُ سَلَمُويَه
وَابْنُ مَاسُويَه وَبَخْتِيشُوعُ بْنُ جَبْرِيلَ^٢ فَقَالَ^٣ : هَلْ يَنْفَعُ التَّرْيَاقُ مِنْ نَهْشَةِ
أَفْعَى ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ^٤ : إِذَا عَضَّتِ الْأَفْعَى فَأَدْرِكْتُ قَبْلَ أَنْ تَنْقَلِبَ ،
نَفَعَ التَّرْيَاقُ ، وَإِنْ لَمْ تُدْرِكْ لَمْ يَنْفَعْ ؛ لِأَنَّهُمْ إِنْ قَتَلُوا مِنَ التَّرْيَاقِ ،
قَتَلَهُ السَّمُّ ، وَإِنْ كَثُرُوا مِنْهُ ، قَتَلَهُ الْفَاضِلُ عَنْ مِقْدَارِ الْحَاجَةِ :

قُلْتُ : فَإِنَّ ابْنَ الْعَجُوزِ خَبَّرَنِي بِأَنَّهَا لَيْسَتْ تَنْقَلِبُ لِمَجِّ^٥ السَّمِّ وَإِفْرَاغِهِ ،
وَلَكِنَّ الْأَفْعَى فِي نَابِهَا عَصَلٌ^٦ ؛ وَإِذَا عَضَّتِ اسْتَفْرَغَتْ إِدْخَالَ النَّابِ كُلَّهُ ،
وَهُوَ أَحَجَنُ^٧ أَعْصَلُ^٨ ، فِيهِ مُشَابِهٌ مِنَ الشَّيْءِ^٩ ؛ فَإِذَا انْقَلَبَتْ ، كَانَ أَسْهَلَ
لِنَزْعِهِ وَسَلَّهُ^{١٠} . فَأَمَّا لِيَصَبَّ السَّمُّ وَإِفْرَاغِهِ فَلَا . قَالَ : وَاللَّهِ ، لَعَلَّهُ مَا قُلْتُ !
قُلْتُ : مَا أَسْرَعَ مَا شَكَكْتُ !

ثُمَّ قُلْتُ لَهُ : فَكَأَنَّمَا وَضَعُوا التَّرْيَاقَ ، وَاجْتَلَبُوا الْأَفَاعِي وَضَنُوا^{١١} ،
وَعَزَمُوا عَلَى أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ إِلَّا بِدَرَكِ^{١٢} الْأَفْعَى قَبْلَ أَنْ تَنْقَلِبَ ! وَكَيْفَ صَارَ
التَّرْيَاقُ بَعْدَ الانْقِلَابِ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي إِحْدَى مَنْرِلَتَيْنِ : إِمَّا أَنْ يَبْقَى

١ أحمد بن أبي دؤاد : كان متولياً القضاء ، اتصل به الجاحظ في زمن المتوكل .

٢ هؤلاء الثلاثة من السريان النساطرة ، وهم أشهر الأطباء في ذلك العصر .

٣ قال : الضمير يعود إلى أحمد بن أبي دؤاد .

٤ بعضهم : أي بعض هؤلاء الأطباء الثلاثة .

٥ قتله : أي قتل المعضوض .

٦ ابن العجوز : أحد الحوائين . وفي رواية : ابن أبي العجوز .

٧ المَج : رمي الرقيق من الفم .

٨ العَصَل : الأعوجاج .

٩ أَحَجَن : أعقف .

١٠ الشَّيْء : حديدة عقفاء يصاد بها السمك .

١١ السِّل : انتزاع الشيء واستخراجه في رفق .

١٢ وضنوا : أي وضنوا بها ، أي بالأفاعي .

١٣ الدرك : اللحاق ، أي إدراك الأفعى قبل أن تنقلب .

كثرتِه ، وإما ألا ينفع بقلته ! فكأن الترياق ليس نفعه إلا في المنزلة الوسطى التي لا تكون فاضلة^١ ولا ناقصة^٢ ! ولكنني أقول لك : كيف يكون نفعه ، إذا كان الترياق جيداً قوياً ، وعوجل فسقي^٣ المقدار الأوسط ، قبل أن يبلغ^٤ الصميم ، ويغوص في العمق^٥ . وعلى هذا وضع^٥ . وهم كانوا أحزم وأحذق من أن يتكلفوا شيئاً ، ومقداره من النفع لا يوصل إلى معرفته .

ويقول بعض الحذاق : إن سقي الترياق ، بعد النهش ساعة أو ساعتين ، موت المنهوش^٦ .

ثم قلت له : وما علمك ؟ وبأي سبب أيقنت أنها تمنج من جوف نابيها شيئاً ؟ ! ولعله ليس هنالك إلا مخالطة جواهر ذلك الناب لدم الإنسان . أولسنا قد نجد من الإنسان من يعرض صاحبه ، فيقتله ، ويكون معزوفاً بذلك ؟ وقد تقررون أن الهندية^٧ وال شعبان^٨ يقتلان : إما بمخالطة الريق الدم ، وإما بمخالطة السن الدم ، من غير أن تدعوا أن أسنانهما مسجوفة . وقد أجمع جميع أصحاب التجارب أن الحية تضرب بقصبة فتكون أشد عليها من العصا . وقد يضرب الرجل على جسده بقضبان اللوز وقضبان الرمان ؛ وقضبان اللوز أعلك^٩ وألدن^{١٠} ، ولكنها أسلم ؛ وقضبان الرمان

١ فاضلة : زائدة .

٢ وعوجل فسقي : نائب الفاعل يعود إلى المنهوش المعهود .

٣ يبلغ : فاعله السم المعهود .

٤ في العمق : أي في عمق البدن .

٥ وضع : أي وضع الترياق .

٦ يريد بذلك أن السم يكون قد بلغ العمق .

٧ الهندية : ضرب من الأفاعي القاتلة ، يوجد منها في البيوت والاصطبلات والحرايات .

٨ شعبان : الحية الضخمة الطويلة ، وهي من الأفاعي القاتلة .

٩ أعلك : أمتن وألين ، ينطوي ولا ينكسر .

١٠ ألدن : ألين وأكثر تشنئاً .

أَخَفُّ وَأَسْخَفُ^١ ، وَلَكِنَّهَا أَعْطَبُ .
 وَقَدْ يَطَأُ الْإِنْسَانُ عَلَى عَظَمِ حَيَّةٍ أَوْ لِبَرَةٍ عَقْرَبٍ ، وَهُمَا مَيِّتَتَانِ ،
 فَيَلْقَى الْحَهِدَ . وَقَدْ يُخْرِجُ السَّكَّيْنُ مِنَ الْكَبِيرِ^٢ ، وَهُوَ مُحْمًى ، فَيُخَمَسُ^٣
 فِي اللَّبَنِ ؛ فَمَتَى خَالَطَ الدَّمَ ، قَامَ مَقَامَ السَّمِّ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ مَسَّجٌ فِي الدَّمِ
 رُطُوبَةً غَلِيظَةً أَوْ رَقِيقَةً .
 وَبَعْضُ الْحِجَارَةِ يُكْوَى بِهَا ، وَهُوَ^٣ رِخْوٌ ، الْأُورَامُ حَتَّى يُفَرِّقَهَا^٤
 وَيَحْمُصَهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ نَفَقَدَ لِتِيهَا شَيْءٌ مِنْهُ ، وَلَيْسَ إِلَّا الْمُلَاقَاةُ^٥ .
 قُلْتُ : وَلَعَلَّ قَوَى قَدْ انْفَصَلَتْ مِنْ أَنْيَابِ الْأَفْعَى إِلَى دِمَائِ النَّاسِ . وَقَدْ
 رَوَوْا أَنَّهُ قِيلَ لِجَالِينُوسَ^٦ : إِنَّ هَاهُنَا رَجُلًا يَرْقِي الْعَقَارِبَ ، فَتَمُوتُ أَوْ تَنْحَلُّ^٧
 فَلَا تَعْمَلُ ؛ فَرَأَاهُ يَرْقِيهَا وَيَتَفَلُّ عَلَيْهَا ؛ فَدَعَا بِهِ بِحَضْرَةِ جَمَاعَةٍ ، وَهُوَ عَلَى
 الرِّيقِ ؛ وَدَعَا بِغَدَائِهِ فَتَغَدَّى مَعَهُ ؛ ثُمَّ دُعِيَ لَهُ بِالْعَقَارِبِ ، فَتَفَلَّ عَلَيْهَا ،
 فَلَمْ يَجِدْ لُعَابَهُ يَصْنَعُ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَسْكُونَ رِيقًا . وَهُوَ حَدِيثٌ يَدُورُ بَيْنَ
 أَهْلِ الطَّبِّ ، وَأَنْتَ طَبِيبٌ . فَلَمْ أَرَهُ فِي يَوْمِهِ ذَلِكَ قَالَ شَيْئًا إِلَّا مِنْ طَرِيقِ
 الْحَزْرِ^٨ وَالْحَدَسِ^٩ وَالْبَلَاغَاتِ^{١٠} .

١ أسخف : أضعف وأقل متانة .

٢ الكير : ما ينفخ فيه الحداد .

٣ وهو : راجع إلى بعض .

٤ وفي رواية : يفرقها .

٥ يحمصها : يسكن الأورام ويقللها ؛ يقال انحص الجرح : سكن ورمه وقل . وحمصه الدواء .

٦ إلا الملاقاة : أي ملاقاتها للحجر .

٧ جالينوس : طبيب يوناني قديم ترجمت كتبه إلى العربية في بني العباس .

٨ الحزر : التقدير .

٩ الحدس : الظن والتخمين .

١٠ البلاغات : التليغات ، أي ما وصل إليه من الحديث .

الحية ذات الرأسين

وقد زعمَ صاحبُ المنطِقِ^١ أنه قد ظَهَرَتْ حَيَّةٌ لها رأسان . فسألتُ أعرابياً عن ذلك ، فزعمَ أن ذلكَ حَقٌّ . فقلتُ له : فَمِنْ أَيِّ جِهَةِ الرَّأْسَيْنِ تَسْعَى ، ومن أَيَّهِمَا تَأْكُلُ وتَعَضُّ ؟ فقالَ : فأما السَّعْيُ فلا تَسْعَى ، ولكنها تَسْعَى إلى حاجَتِها بالتَّقَلُّبِ كما يَتَقَلَّبُ الصَّيَّانُ على الرَّمْلِ ؛ وأما الأكلُ فإنَّها تَتَعَشَّى بِفَمِها وتَتَغَدَّى بِفَمِها ؛ وأما أَلْعَضُّ فإنَّها تَعَضُّ بِرَأْسَيْهِمَا مَعاً . فإذا بهِ أَكْذَبُ البَرِيَّةِ ! وهذه الأحاديثُ كُلُّها ممَّا يَزِيدُ في الرَّعْبِ مِنْهَا وفي تَهْوِيلِ أَمْرِها .

الأفعى والناقة والفصيل

ومن عَجِيبِ سُمِّ الأفاعي ما أَخْبَرَنِي بَعْضُ مَنْ يُخْبِرُ بِشَأْنِ الأفاعي قالَ : « كُنْتُ بالبَادِيَةِ ، ورَأَيْتُ نَاقَةً ، وفَصَّلْتُهَا يَرْتَضِعُ مِنْ أَخْلَافِهَا^٢ ، إِذْ نَهَشَتْ النَّاقَةُ على مَشَافِرِها^٣ أَفْعَى ، فَبَقِيَتْ واقِفَةً سَادِرَةً^٤ ، والفَصِيلُ يَرْتَضِعُ . فَبَيْنَا هُوَ يَرْتَضِعُ ، إِذْ خَرَّ مَيِّتاً^٥ . فَكَانَ مَوْتُهُ ، قَبْلَ مَوْتِ أُمِّهِ ، من العَجِيبِ ! وَكَانَ مُرُورُ السَّمِّ في تِلْكَ السَّاعَةِ القَصِيرَةِ ، أَعْجَبَ ! وَكَانَ ما صَارَ مِنْ فَضُولِ سُمِّها في لَبَنِ الضَّرْعِ^٦ ، حَتَّى قَتَلَ الفَصِيلَ قَبْلَ أُمِّهِ ، عَجَباً آخِراً .

١ صاحب المنطق : يعنى أرسطو .

٢ منها : أي من الحية .

٣ الأخلاف : جمع خلف وهو الناقة كالضرع للشاة .

٤ المشافر : جمع مشفر وهو البعير كالشفة للإنسان .

٥ سادرة : متحيرة البصر لا تكاد تبصر .

٦ الفضول : البقايا ، جمع فضل .

كتاب البخلاء

أهل خراسان^١

نبدأ بأهل خراسان لإكثار الناس في أهل خراسان ؛ ونخص بذلك أهل مرو^٢ ، بقدر ما خصوا به .
قال أصحابنا : يقول المروزي^٣ للزائر ، إذا أتاه ، وللجليس ، إذا طال جلوسه : تغديت اليوم ؟ فإن قال : نعم ، قال : لولا أنك تغديت ، لتغديت بك بغداء طيب . وإن قال : لا ، قال : لو تغديت ، لسقيت بك خمسة أقداح . فلا يصير في يده ، على الوجهين ، قليل ولا كثير .

ديكة مرو

وقال ثمامة^٤ : لم أر الديك في بلدة قط إلا وهو لاقط ، يأخذ الحبة بمنقاره ، ثم يلفظها قدام الدجاجة ؛ إلا ديكة مرو ، فلاني رأيت ديكة مرو تسلب الدجاج ما في مناقيرها من الحب ! قال : فعلمت أن بخلهم شيء في طبع البلاد ، وفي جواهر الماء . فمن ثم عم جميع حيوانهم .

١ بدأ بذكر أهل خراسان بعد إيراده رسالة سهل بن هارون في تحسين البخل .

٢ مرو : بلد من خراسان .

٣ المروزي : نسبة إلى مرو في الأناسي على غير قياس ، ومروي في غير ذلك .

٤ هو ثمامة بن أشرس النميري من رؤساء المعتزلة .

٥ ثم : ظرف بمعنى هناك .

صبيان مرو

فحدّثت بهذا الحديث أحمد بن رشيد ، فقال : كنت عند شيخ من أهل مرو ، وصبي له صغير يلعب بين يديه ، فقلت له إماماً عابثاً وإماماً مُمتحناً : أطعمني من خبزكم ، قال : « لا تُريدُهُ ، هو مرّ . » فقلت : « فاسقني من مائِكُم » قال : « لا تُريدُهُ ، هو مالِحٌ ١ . » قلت : « هات من كذا وكذا » قال : « لا تُريدُهُ ، هو كذا وكذا . . . إلى أن عددت أصنافاً كثيرة ؛ كل ذلك يَمْنَعُنِيهِ وَيُبْغِضُهُ إِلَيَّ . فضحك أبوه وقال : « ما ذنبنا ؟ هذا من علمه ما تسمع . » يعني أن البخل طبع فيهم ، وفي أعراقهم ٢ وطينتهم ٣ .

السراج والعود

وقال خاقان بن صُبَيْح : دخلت على رجل من أهل خراسان ، ليلاً ، وإذا هو قد أتانا بمِسرَجَةٍ فيها فتيلة في غاية الدقة ، وإذا هو قد ألقى في دهن المِسرَجَةِ شيئاً من ملح ٣ ، وقد علّق على عمود المنارة ٤ ، عوداً بخيط ، وقد حنّ فيه ، حتى صار فيه مكان للرباط . فكان المِصباح إذا كاد ينطفئ ، أشخصه رأس الفتيلة بذلك . قال ، فقلت له : « ما بالُ العودِ مربوطاً ؟ » قال : « هذا عودٌ قد تشرب الدهن ، فإن ضاع ولم يُحفظ ، احتسجنا إلى واحدٍ عطشان . فإذا كان هذا دأبنا ودأبه ، ضاع من دهننا في الشهر بقدر كفاية ليلة . »

قال : فبينما أنا أتعجب في نفسي ، وأسأل الله ، جلّ ذكره ، العافية

١ مالِح : ينقل الجاحظ كلام الصبي ، وإنما يقال : ملح ، وأما مالِح فلغة رديئة .

٢ الأعراق ، جمع عرق : الأصل .

٣ الظاهر أنهم كانوا يعتقدون أن الملح يخفف من استهلاك الدهن .

٤ المنارة : موضع المِسرَجَة .

٥ أشخص : رفع .

والسُّرَّ ، إذ دخلَ شَيْخٌ من أهلِ مَرَوْ ، فنظَرَ إلى العودِ ، فقالَ : « يا أبا فلانِ ، فررتَ من شيءٍ ، ووقعتَ في شبيهٍ بهِ . أمّا تعلمُ أنَّ الرِّيحَ والشمسَ تأخذانِ منُ سائرِ الأشياءِ ؟ أوَليسَ قد كانَ البارحةَ عندَ إطفاءِ السَّراجِ أروى ، وهو ، عندَ إسراجِكَ اللَّيلةَ ، أعطشُ ؟ قد كنتُ جاهلاً مثلكَ ، حتى وقَّقَني اللهُ إلى ما هوَ أرشدُ . اربطُ ، عافاك اللهُ ، بدَلِ العودِ إبرَةً ، أو مِسْلَةً صَغِيرَةً . وعلى أنَّ العودَ والحِلالَ^٢ والقَصَبَةَ رُبَّما تَعَلَّقتُ بها الشَّعْرَةُ مِنْ قُطْنِ الْفَتِيلَةِ ، إذا سَوَّيناها بها ، فتشخصُ^٣ مَعَهَا . وربَّما كانَ ذلكَ سَبَباً لانطفاءِ السَّراجِ . والحديدُ أملَسُ ، وهو ، معَ ذلكَ ، غيرُ نَشَافٍ^٥ . »

قالَ خاقانُ : ففي تلكَ اللَّيلةِ عَرَفْتُ فضلَ أهلِ خُرَاسانَ على سائرِ النَّاسِ ، وفضلَ أهلِ مَرَوْ على سائرِ أهلِ خُرَاسانَ .

كذب بكذب

ومثلُ هذا الحديثِ ما حَدَّثَني بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ يَسِيرٍ^٦ عن والٍ كانَ بفارسَ ، إمّا أنْ يَكُونَ خالداً أخا مَهْرَوِيَه ، أو غيرَهُ . قالَ : بَيْنَا هُوَ يَوْمًا في مَجْلِسٍ ، وهو مَشْغولٌ بِحسابِهِ وأَمْرِهِ ، وقد احتَجَبَ جُهْدَهُ^٧ ، إذ نَجَّمَ^٨ شاعرٌ من بَيْنِ يَدَيْهِ ، فَأَنشَدَهُ شِعْرًا مَدَحَهُ فِيهِ وَقَرَّظَهُ وَمَجَّدَهُ . فَلَمَّا فَرَّغَ ، قالَ : « قد أَحْسَنْتَ » ثُمَّ أَقْبَلَ على كاتِبِهِ ، فَقَالَ : « أعطِهِ عَشْرَةَ

١ السائر : الباقي ، وربما استعمل بمعنى الجميع كما استعمل هنا .

٢ الحلال : عود دقيق تخلل به الاسنان .

٣ تشخص : تذهب ؛ الفاعل يرجع إلى الفتيلة .

٤ معها : أي مع هذه الأشياء ، أي العود والحلال والقصبية .

٥ نشاف : ممتص ، صيغة مبالغة .

٦ محمد بن يسير : شاعر بصري .

٧ احتجب جهده : أي احتجب عن الناس على قدر ما أمكنه .

٨ نجم : ظهر .

آلاف درهم . « فصرح الشاعر فرحاً قد يستطار له^١ . فلما رأى حاله ، قال : « ولاني لأرى هذا القول قد وقع منك هذا الموضع ! اجعلها عشرين ألف درهم . » وكاد الشاعر يخرج من جلده . فلما رأى فرجه قد تضاعف قال : « وإن فرحك ليتضاعف على قدر تضاعف القول ! أعطه يا فلان أربعين ألفاً . » فكاد الفرخ يقتله . فلما رجعت إليه نفسه ، قال له : « أنت ، جعلت فداك ، رجل كريم ؛ وأنا أعلم أنك كلما رأيتني قد ازددت فرحاً ، زدتني في الجائزة . وقبول هذا منك لا يكون إلا من قلة الشكر له^٢ . » ثم دعا له وخرج .

قال : فأقبل عليه كاتبه ، فقال : « سبحان الله ! هذا كان يرضى منك بأربعين درهماً ، تأمر له بأربعين ألف درهم ! » قال : « ويلك ! وتريد أن تعطيه شيئاً ؟ » قال : « ومن إنفاذ أمرك بده ؟ » قال : « يا أحمق ، إنما هذا رجل سراً بكلام ، وسررناه بكلام ! هو حين زعم أنني أحسن من القمر ، وأشد من الأسد ، وأن لساني أقطع من السيف ، وأن أمري أنفسد من السنن ، جعل في يدي من هذا شيئاً أرجع به إلى شيء ؟ ألسنا نعلم أنه قد كذب ؟ ولكنه قد سراً حين كذب لنا^٣ . فنحن أيضاً نسرّه بالقول ، ونأمر له بالجوائز ، وإن كان كذباً ، فيسكون كذب بكذب ، وقول بقول . فأمّا أن يكون كذب بصدق ، وقول بفعل ، فهذا هو الخسران الذي ما سمعت به ! »

١ يستطار له : أي يحمل على الطيران لأجله .

٢ قبول هذا : أي قبول هذا العمل ، أي مضاعفة الجائزة له ؛ والمراد أنه يؤثر أن يخرج من مجلسه لثلاث تستمر هذه الزيادات في الجائزة ، فيكون كمن وجد العطاء قليلاً ، فأقل من الشكر له لينال الزيادة فيه .

٣ لنا : أي لأجلنا .

قصة أسد بن جاني

فأما أسد بن جاني فكان يجعل سريره في الشتاء من قصبٍ مقشّرٍ ؛ لأنّ البراغيث تزلقُ عن ليط القصب ، لفرط لينه وملاسته . وكان ، إذا دخل الصيف وحرّ عليه بيته ، أثارة^٢ ، حتى يغرق المسحاة^٣ ثمّ يصبّ عليه جِراً كثيراً من ماء البئر ، ويتوطّؤه حتى يستوي . فلا يزال ذلك البيت بارداً ، ما دام نديّاً . فإذا امتدّ به الندي ، ودام برده بدوامه ، اكتفى بذلك التبريد صيفته . وإن جفّ قبل انقضاء الصيف ، وعاد عليه الحرّ عاد عليه بالاثارة والصّب . وكان يقول : « خيشتي^٥ أرض ، وماء خيشتي من بئري . وبيني أبرد^٦ ، ومؤنتي^٧ أخف . وأنا أفضلهم^٨ أيضاً بفضل الحكمة وجودة الآلة^٩ . وكان طيبياً ، فأكسد^٩ مرة ، فقال له قائل : « السنّة وبشة^{١٠} ، والأمراض فاشية^{١١} ، وأنت عالم ، ولك صبر وخدمة^{١٢} ، ولك بيان ومعرفة . فمن أين تؤتني^{١١} في هذا الكساد ؟ » قال : أمّا واحدة^{١٢} ، فإنني عندهم

١ الليط : جمع ليطه وهي قشرة القصب الملازمة لها ، أي ظاهرها اللامع الأملس .

٢ أثاره : نكشه ورفع ترابه .

٣ المسحاة : المجرفة . وقوله أغرق المسحاة : أي أنه حفر بعمق طولها .

٤ يتوطّؤه : يدوسه برجليه ، أي أنه يدوس البيت برجليه بعد أن يعيد عليه التراب .

٥ خيشتي ، في محيط المحيط : مروحة الخيش : نسج خشن من الكتان كشراع السفينة يعلقها أهل العراق في سقف البيت ويعملون لها حبلاً تجر به مبلولة بالماء . فإذا أراد الرجل أن ينام جذب حبلها فيهب منها نسيم بارد يذهب أذى الحر ، ويستطاب معه النوم .

٦ أبرد : أي أبرد من بيوت أصحاب المراوح .

٧ المؤنة : الكلفة .

٨ الآلة : أي آلة التبريد التي اخترعها بحكمته .

٩ أكسد الرجل : كسدت سوقه .

١٠ وبشة : كثيرة الأمراض .

١١ فمن أين تؤتني : أي من أي وجه يأتيك البلاء في هذا الكساد .

١٢ واحدة : أي أولاً .

مَسْلِمٌ ، وقد اعتَقَدَ القَوْمَ ، قَبْلَ ان اتطَبَّبَ لا بل قبل ان يَسِي
 أَنَّ الْمُسْلِمِينَ لَا يُفْلِحُونَ فِي الطَّبِّ . واسمي أَسَدٌ ، وكانَ يَتَبَغَّى أَنْ يَكُونَ
 اسمي صَليبًا ، ومُرَائِلٌ^٢ ، ويوحنا ، وبيرَا^٣ . وكُنِيَّتِي أَبُو الْحَارِثِ ، وكانَ
 يَتَبَغَّى أَنْ تَكُونَ أَبُو عيسى وأبو زكريَّا وأبو إبراهيم^٤ . وعَلَيَّ رِداءُ قُطْنٍ
 أَيْضُ ، وكانَ يَتَبَغَّى أَنْ يَكُونَ رِداءُ حَرِيرٍ أَسْوَدَ . وَلَقَظِي لَقَظٌ عَرَبِيٌّ ،
 وكانَ يَتَبَغَّى أَنْ تَكُونَ لُغَتِي لُغَةُ أَهْلِ جُنْدِيسَابُورٍ^٥ .

٢ كل الرؤوس

ثُمَّ رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى أَعَاجِيبِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ^٦ :
 وكانَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ يُعْجَبُ بِالرُّؤُوسِ ، وَيَحْمَدُهَا وَيَصِفُهَا . وكانَ
 لَا يَأْكُلُ اللَّحْمَ إِلَّا يَوْمَ أَضْحَى ، أَوْ مِنْ بَقِيَّةِ أَضْحِيَّتِهِ^٧ ، أَوْ يَكُونُ فِي
 عُرْسٍ ، أَوْ دَعْوَةٍ ، أَوْ سَفَرَةٍ^٨ . وكانَ سَمَّى الرَّأْسَ عُرْسًا ؛ لِمَا يَجْتَمِعُ
 فِيهِ مِنَ الْأَلْوَانِ الطَّيِّبَةِ ، وكانَ يُسَمِّيهِ مَرَّةً الْجَامِعَ ، وَمَرَّةً الْكَامِلَ .
 وكانَ يَقُولُ : الرَّأْسُ شَيْءٌ وَاحِدٌ ، وَهُوَ ذُو أَلْوَانٍ عَجِيبَةٍ ، وَطُعُومٍ
 مُخْتَلِفَةٍ . وَكُلٌّ قِدْرٌ^٩ ، وَكُلٌّ شِوَاءٌ فَإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ وَاحِدٌ . وَالرَّأْسُ فِيهِ

١ أتطبب : أي أتعاطى علم الطب وأعانيه .

٢ مرأيل أي مورائيل : من أسماء الملائكة .

٣ بيرَا : لعله مصحف عن بئرا : الصخرة أو بطرس .

٤ أبو : رفع أبو في الكنى الثلاث على الحكاية .

٥ جنديسابور : أراد بها مدرسة جنديسابور التي أنشأها كسرى أنوشروان وأنشأ بجانبها مستشفى يعرف
 بالبيمارستان ، فكان علماء النساطرة يدرسون فيها علوم اليونان باللغة السريانية ، ومنها تخرج أشهر
 الأطباء النصارى في بني العباس كأبناء بختيشوع .

٦ هو أبو عبد الرحمن الثوري .

٧ الأضحية : الشاة التي تذبح يوم الأضحى .

٨ السفرة : طعام السفر .

٩ قدر : أي ما طبخ في القدر .

الدِّمَاغُ ، فَطَعَمُ الدِّمَاغِ عَلَى حِدَةٍ ؛ وَفِيهِ الْعَيْنَانِ ، وَطَعَمُهُمَا عَلَى حِدَةٍ ؛
وَفِيهِ الشَّحْمَةُ الَّتِي بَيْنَ أَصْلِ الْأُذُنِ وَمُوْخِرِ الْعَيْنِ ، وَطَعَمُهَا عَلَى حِدَةٍ .
عَلَى أَنَّ هَذِهِ الشَّحْمَةَ ، خَاصَّةٌ ، أَطْيَبُ مِنَ الْمُخِّ ، وَأَنَعَمُ مِنَ الزُّبْدِ ،
وَأَدَسَمُ مِنَ السَّلَاءِ ٢ .

وَفِي الرَّأْسِ اللَّسَانُ ، وَطَعَمُهُ شَيْءٌ عَلَى حِدَةٍ ؛ وَفِيهِ الْخَيْشُومُ وَالْغُضْرُوفُ ٣
الَّذِي فِي الْخَيْشُومِ ، وَطَعَمُهُمَا عَلَى حِدَةٍ ؛ وَفِيهِ لَحْمُ الْخَدَّيْنِ ، وَطَعَمُهُ
شَيْءٌ عَلَى حِدَةٍ . حَتَّى يُقَسَّمِ اسْقَاطُهُ ٤ الْبَاقِيَّةَ . وَيَقُولُ : الرَّأْسُ سَيِّدُ
الْبَدَنِ ؛ وَفِيهِ الدِّمَاغُ ، وَهُوَ مَعْدِنُ الْعَقْلِ ، وَمِنْهُ يُتَفَرَّقُ الْعَصَبُ الَّذِي فِيهِ
الْحِسُّ ، وَبِهِ قِيَامُ الْبَدَنِ . وَإِنَّمَا الْقَلْبُ بَابُ الْعَقْلِ ، كَمَا أَنَّ النَّفْسَ
هِيَ الْمُدْرِكَةُ ، وَالْعَيْنُ هِيَ بَابُ الْأَلْوَانِ ، وَالنَّفْسُ هِيَ السَّامِعَةُ الذَّاثِقَةُ ؛
وَإِنَّمَا الْأَنْفُ وَالْأُذُنُ بَابَانِ . وَلَوْلَا أَنَّ الْعَقْلَ فِي الرَّأْسِ ، لَمَّا ذَهَبَ الْعَقْلُ
مِنَ الضَّرْبَةِ تُصِيبُهُ . وَفِي الرَّأْسِ الْخَوَاسِ الْخَمْسُ ؛ وَكَانَ يُنْشِدُ قَوْلَ
الشَّاعِرِ :

إِذَا ضَرَبُوا رَأْسِي ، وَفِي الرَّأْسِ أَكْثَرِي ؛ وَغُودِرَ ، عِنْدَ الْمُلتَقَى ، ثُمَّ ، سَائِرِي ٥

وَكَانَ يَقُولُ : النَّاسُ لَمْ يَقُولُوا : هَذَا رَأْسُ الْأَمْرِ ، وَفُلَانُ رَأْسُ الْكَتِيبَةِ ،
وَهُوَ رَأْسُ الْقَوْمِ ، وَهُمْ رُؤُوسُ النَّاسِ وَخَرَاطِيمُهُمْ ٦ وَأَنْفُهُمْ ٧ ؛ وَيَشْتَقُونَ ٨

١ المخ : الدماغ ، ونقي العظم ، وهو ما يمص ويخرج من داخل العظم .

٢ السلاء : السمن ذهب ما فيه من أثر اللبن .

٣ الغضروف : كل عظم رخص يؤكل .

٤ الأسقاط : جمع سقط أي الأشياء التافهة التي لا تستحق الذكر .

٥ هو الشنفرى .

٦ الملتقى : مكان التقاء المتحاربين . ثم : هناك . سائري : بقية جسمي .

٧ الخراطيم : الأنوف ، وخراطيم الناس ساداتهم ، سموا بذلك لشرف الأنف في الرأس ، ومنه اشتقوا الأنفة .

٨ ويشتقوا : معطوف على لم يقولوا .

مِنْ الرَّأْسِ الرَّئِيسَةَ ، والرَّئِيسَ ، وقد رَأَسَ الْقَوْمَ فُلَانٌ ، إِلَّا وَالرَّأْسُ هُوَ الْمَثَلُ ، وَهُوَ الْمُقَدَّمُ .

وكانَ إِذَا فَرَّغَ مِنْ أَكْلِ الرَّأْسِ ، عَمَدَ إِلَى الْقَحْفِ ، وَإِلَى الْحَبِيبِ ، فَوَضَعَهُ^٢ بِقُرْبِ يَسْوَتِ النَّمْلِ وَالذَّرِّ ؛ فَإِذَا اجْتَمَعَتْ فِيهِ ، أَخَذَهُ فَتَنَقَّضَهُ^٣ فِي طَسْتٍ فِيهَا مَاءٌ ؛ فَلَا يَزَالُ يُعِيدُ ذَلِكَ فِي تِلْكَ الْمَوَاضِعِ ، حَتَّى يَقْلَعَ أَصْلَ النَّمْلِ وَالذَّرِّ مِنْ دَارِهِ . فَإِذَا فَرَّغَ مِنْ ذَلِكَ ، أَلْقَاهُ فِي الْحَطَبِ ، لِيُوقَدَ بِهِ^٤ سَائِرَ الْحَطَبِ .

وكانَ ، إِذَا كَانَ يَوْمُ الرُّؤُوسِ ، أَقْعَدَ ابْنَهُ مَعَهُ عَلَى الْحِوَانِ^٥ ؛ إِلَّا أَنْ ذَلِكَ بَعْدَ تَشَرُّطِ طَوِيلٍ ، وَبَعْدَ أَنْ يَقِفَ بِهِ عَلَى مَا يُرِيدُ ؛ وَكَانَ فِيمَا يَقُولُ لَهُ^٦ : إِيَّاكَ وَنَهَمَ^٧ الصَّبِيانِ ، وَشَرَهُ^٨ الزَّرْعِ ، وَأَخْلَقَ^٩ النَّوَائِحِ . وَدَعَا عَنْكَ^{١٠} خَبِطَ^{١١} الْمَلَّاحِينَ^{١٢} ، وَنَهَشَ^{١٣} الْأَعْرَابِ^{١٤} ، وَالْمَهْنَةَ^{١٥} . وَكُلَّ مَا بَيْنَ يَدَيْكَ ؛ فَإِنَّمَا هُوَ حَقُّكَ الَّذِي وَقَعَ لَكَ وَصَارَ أَقْرَبَ إِلَيْكَ . وَاعْلَمْ أَنَّهُ ، إِذَا كَانَ فِي الطَّعَامِ شَيْءٌ طَرِيفٌ وَلُقْمَةٌ كَرِيمَةٌ وَمُضْغَةٌ شَهِيَّةٌ ،

١ القحف : العظم فوق الدماغ وما انفلق من الجمجمة فبان ، ولا يدعى قحفاً حتى يبين وينكسر منه شيء .

٢ فوضعه : ارجع ضمير المفعول المفرد إلى شيء مذكور ، وهذا كثير في كلامهم .

٣ الطست : مؤنثة وقد تذكر .

٤ ليوقد به : لأنه سريع الاشتعال .

٥ الحوان : ما يوضع عليه الطعام .

٦ النهم : إفراط الشهوة في الطعام .

٧ شره الزراع : يأكلون بجشع لأنهم أهل كد وتعبد .

٨ النوائح : أي المستأجرات للنوح والندب ، فإذا حضر الطعام أقبلن عليه بشره .

٩ الخبط : الضرب الشديد .

١٠ الملاحين ، جمع الملاح : سائق السفينة ، والمراد لا تحبط بيدك الطعام على غير روية فتأكل من هنا

وهناك كما يحبط الملاحون مجاذيفهم في الماء ، والفعلة معاولهم ومجارفهم ؛ يوصيه بالترفق والاكتفاء بما يجد قربه من الطعام .

١١ يوصف الأعراب بالجشع لكثرة ما يعانون من الحرمان والجوع ، فإذا وقع لهم اللحم ، نهشوه بوحشية غريبة .

١٢ المهنة ، جمع الماهن : العبد والخادم ، وهذا ينهش الطعام لجهله أدب المائدة .

فإنما ذلك للشيخ المعظم ، والصبي المدلل ؛ ولست واحداً منهما . فأنت قد تأتي الدعوات والولائم ، وتدخل منازل الإخوان ، وعهدك باللحم قريب ، وإخوانك أشدّ قرماً^١ إليه منك ؛ وإنما هو رأس واحد ، فلا عليك^٢ أن تتجافى^٣ عن بعض ، وتُصيب بعضاً . وأنا ، بعد ، أكره لك الموالاة^٤ بين اللحم ؛ فإن الله يبغض أهل البيت اللّحمين^٥ .

قصة أهل البصرة من المسجدين

قال أصحابنا من المسجدين : اجتمع ناس^٦ في المسجد ممن ينتحل^٧ الاقتصاد^٨ في النفقة ، والتنمية للمال ، من أصحاب الجمع والمنع^٩ . وقد كان هذا المذهب صاراً عندهم كالنسب الذي يجمع على التحاب ، وكالحلف^{١٠} الذي يجمع على التناصر . وكانوا إذا التقوا في حلقتهم^{١١} تذكروا هذا الباب ، وتطارحوه^{١٢} وتدارسوه .

قال شيخهم : ماء بيثنا ، كما علمتم ، ملح أجاج^{١٣} لا يقربه^{١٤} الحمار ، ولا تسيغه^{١٥} الإبل ، وتموت عليه النخل . والنهر منا بعيد .

١ القرم : شدة الشهوة إلى اللحم .

٢ لا عليك : أي لا بأس عليك .

٣ تتجافى : تبتعد .

٤ الموالاة : المتابعة .

٥ اللّحمين : الذين يكثرون أكل اللحم ويدمنونه . وقوله إن الله الخ . . . حديث نبوي .

٦ ينتحل الاقتصاد : يتخذه مذهباً .

٧ الجمع : جمع المال . المنع : منعه من الخروج .

٨ الحلف : العهد .

٩ الحلق : جمع حلقة أي حلقة مجلسهم .

١٠ تطارحوه : أي طرح كل واحد منهم آراءه على أصحابه .

١١ أجاج : ملح مر .

١٢ تسيغه : تقبله وتستقبل بلعه .

وفي تَكْلُفِ الْعَذْبِ^١ عَلَيْنَا مُؤْنَةٌ^٢ . فَكُنَّا نَمَزُجُ مِنْهُ^٣ لِلْحِمَارِ ، فَاعْتَلَّ عَنْهُ^٤ ، وَانْتَقَضَ عَلَيْنَا مِنْ أَجْلِهِ . فَصِرْنَا ، بَعْدَ ذَلِكَ ، نَسْقِيهِ الْعَذْبَ صِرْفًا . وَكُنْتُ أَنَا وَالتَّعْجَةُ كَثِيرًا مَا نَنْتَسِلُ بِالْعَذْبِ ، مَخَافَةَ أَنْ يَعْزِي جُلُودَنَا مِنْهُ^٥ مِثْلُ مَا اعْتَرَى جَوْفَ الْحِمَارِ ؛ فَكَانَ ذَلِكَ الْمَاءُ الْعَذْبُ الصَّافِي يَنْدَهَبُ بَاطِلًا .

ثُمَّ انْفَتَحَ لِي فِيهِ بَابٌ مِنَ الْإِصْلَاحِ ، فَعَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الْمُتَوَضِّعِ^٦ فَجَعَلْتُ فِي نَاحِيَةٍ مِنْهُ حُفْرَةً^٧ ، وَصَهَرَجْتُهَا^٨ وَمَلَسْتُهَا ، حَتَّى صَارَتْ كَأَنَّهَا صَخْرَةٌ مَنقُورَةٌ . وَصَوَّبْتُ^٩ إِلَيْهَا الْمَسِيلَ . فَتَحَنُّ ، الْآنَ ، إِذَا اغْتَسَلْنَا ، صَارَ الْمَاءُ^{١٠} إِلَيْهَا صَافِيًا لَمْ يُخَالِطْهُ شَيْءٌ . وَالْحِمَارُ أَيْضًا لَا تَقْرُزُ^{١١} لَهُ مِنْهُ . وَلَيْسَ عَلَيْنَا حَرَجٌ فِي سَقْيِهِ مِنْهُ ؛ وَمَا عَلِمْنَا أَنْ كِتَابًا حَرَّمَهُ ، وَلَا سُنَّةً نَهَتْ عَنْهُ . فَرَبِحْنَا هَذِهِ مِنْذُ أَيَّامٍ ، وَأَسْقَطْنَا مُؤْنَةً عَنِ النَّفْسِ وَالْمَالِ مَالِ الْقَوْمِ^{١٢} . وَهَذَا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ وَمَنِّهِ^{١٣} .

فَأَقْبَلَ عَلَيْهِمْ شَيْخٌ ، فَقَالَ : هَلْ شَعَرْتُمْ بِمَوْتِ مَرْيَمَ الصَّنَاعِ ؟ فَإِنَّهَا كَانَتْ مِنْ ذَوَاتِ الْاِقْتِصَادِ ، وَصَاحِبَةِ إِصْلَاحٍ . قَالُوا : فَحَدِّثْنَا عَنْهَا . قَالَ : نَوَادِرُهَا كَثِيرَةٌ ، وَحَدِيثُهَا طَوِيلٌ ، وَلَكِنِّي أَخْبَرُكُمْ عَنْ وَاحِدَةٍ

١ العذب : أي الماء العذب .

٢ مؤنة : مشقة وكلفة .

٣ منه : أي من الماء الأجاج .

٤ اعتل عنه : أضرب وأحجم .

٥ انتقض علينا : عصانا وخرج عن طاعتنا .

٦ منه : من الماء الأجاج .

٧ المتوضأ : مكان الوضوء .

٨ صهرجها : طلاها بالصاروج ، أي القطران .

٩ صوبه : أرسله ووجهه في الجري .

١٠ صار الماء : جرى واتجه إلى مصيره ، أي موضعه .

١١ التقرز : نفور النفس واشمئزازها من الدنس .

١٢ مال القوم : أي الميال .

١٣ منه : فضله وكرمه .

فيها كفاية^١. قالوا : وما هي ؟ قال : زَوَّجَتِ ابْنَتَهَا ، وهي بنتُ اثنتي عشرة^٢ ، فحلَّتْها الذَّهَبَ والْفِضَّةَ ، وكسَّتها المَرْوِيَّ^٣ والْوَشِيَّ والقَزَّ والخَزَّ^٤ ، وعلَّقَتِ المَعْصِفَ^٥ ، ودَقَّتِ الطَّيِّبَ ، وعظَّمتْ أَمْرَها في عَيْنِ الخَتَنِ^٦ ، ورفَعَتْ مِنْ قَدْرِها عندَ الأَحْمَاءِ^٧ .

فَقَالَ لَهَا زَوْجُهَا : أَنْتِ هَذَا يَا مَرْيَمُ ؟ قَالَتْ : هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ . قَالَ : دَعِي عَنْكَ الجُمْلَةَ ، وَهَاتِي التَّفْسِيرَ . وَاللَّهِ ، مَا كُنْتُ ذَاتَ مَالٍ قَدِيمًا ، وَلَا وَرِثَتِهِ حَدِيثًا ؛ وَمَا أَنْتِ بِخَائِنَةٍ فِي نَفْسِكَ وَلَا فِي مَالٍ بِعَلِيكَ ؛ إِلَّا أَنْ تَكُونِي قَدْ وَقَعْتَ عَلَى كَثَرٍ ! وَكَيْفَ دَارَ الْأَمْرِ ، فَقَدْ أَسْقَطْتَ عَنِّي مُؤَنَّةً^٨ ، وَكَفَّيْتَنِي هَذِهِ النَّائِبَةَ^٩ .

قَالَتْ : أَعَلِمَ أَنْتِ ، مُنْذُ يَوْمٍ وَلَدْتُهَا إِلَى أَنْ زَوَّجْتُهَا ، كُنْتُ أَرْفَعُ مِنْ دَقِيقٍ كُلِّ عَجَنَةٍ حَفَنَةً^{١٠} . وَكُنَّا ، كَمَا قَدْ عَلِمْتَ ، نَخْبِزُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّةً . فَإِذَا اجْتَمَعَ مِنْ ذَلِكَ مَسْكُوكٌ^{١١} ، بَعَثَهُ .

قَالَ زَوْجُهَا : ثَبَّتَ اللَّهُ رَأْيَكَ وَأَرْشَدَكَ ! وَلَقَدْ أَسْعَدَ اللَّهُ مَنْ كُنْتَ لَهُ سَكَنًا^{١٢} ، وَبَارَكَ لِمَنْ جُعِلَتْ لَهُ الْإِفْقُ ! وَلِهَذَا وَشِبْهِهِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنِ الدَّوْدُ إِلَى الدَّوْدِ إِبِلٌ^{١٣} . » وَإِنِّي لِأَرْجُو أَنْ يَخْرُجَ وَلَدُكَ^{١٤} عَلَى عِرْقِكَ الصَّالِحِ ، وَعَلَى مَذْهَبِكَ المَحْمُودِ . وَمَا

١ المروي : أي المروي من الثياب ، نسبة إلى مرو .

٢ الخز : الحرير أو ما نسج من الصوف والحرير .

٣ المعصفر : أي الثوب المصبوغ بالمعصفر ، وهو نبات يصنع بزهره صبغ أصفر . وقوله علقت

المعصفر : أي المعصفر من الستائر .

٤ الختن : الصهر ، زوج ابنة الرجل .

٥ الأحماء : جمع حم وهو أبو زوج المرأة وأبو امرأة الرجل ، ويطلق على من كان من قبله .

٦ أنى : اسم استفهام بمعنى من أين .

٧ المكوك : مكيال عند أهل العراق يسع من نصف رطل إلى ثمانين أواق .

٨ السكن : ما يسكن إليه ويستأنس به من أهل ومال .

٩ الدود : من النوق ما فوق الاثنين ودون العشر ؛ مؤنثة جمعها أذواد . والمعنى إذا جمعت

القليل من الدود إلى القليل منها صار إبلا كثيرة . والأرجح أن هذا مثل لا حديث .

١٠ الولد : يكون مفرداً وجمعاً .

فَرَحِي بِهَذَا مِنْكَ بِأَشَدِّ مِنْ فَرَحِي بِمَا يُشَبِّتُ اللَّهُ بِكَ فِي عَقَبِي^١ مِنْ هَذِهِ
الطَّرِيقَةِ الْمَرْضِيَّةِ .
فَنَهَضَ الْقَوْمُ إِلَى جَنَازَتِهَا ، وَصَلُّوا عَلَيْهَا . ثُمَّ انْكَفَوْا^٢ إِلَى
زَوْجِهَا ، فَعَزَّوهُ عَلَى مُصِيبَتِهِ ، وَشَارَكُوهُ فِي حُزْنِهِ .

ثُمَّ انْدَفَعَ شَيْخٌ مِنْهُمْ ، فَقَالَ : لَمْ أَرَ فِي وَضْعِ الْأُمُورِ مَوَاضِعَهَا ، وَفِي
تَوْفِيقِهَا غَايَةَ حُقُوقِهَا كَمُعَاذَةِ الْعَنْبَرِيَّةِ . قَالُوا : وَمَا شَأْنُ مُعَاذَةِ هَذِهِ ؟
قَالَ : أَهْدَى إِلَيْهَا ، الْعَامَ ، ابْنُ عَمٍّ لَهَا أَضْحِيَّةٌ^٣ ، فَرَأَيْتُهَا كَثِيبَةً حَزِينَةً ،
مُفَكَّرَةً مُطْرِقَةً . فَقُلْتُ لَهَا : « مَا لَكَ يَا مُعَاذَةُ ؟ » قَالَتْ : « أَنَا امْرَأَةٌ
أَرْمَلَةٌ ، وَلَيْسَ لِي قِيَمٌ^٤ ، وَلَا عَهْدٌ لِي بِتَدْيِيرِ لَحْمِ الْأَضَاحِيِّ . وَقَدْ ذَهَبَ
الَّذِينَ كَانُوا يُدَبِّرُونَهُ وَيَقُومُونَ بِحَقِّهِ . وَقَدْ خِفْتُ أَنْ يَتَضَيَّعَ بَعْضُ هَذِهِ
الشَّاةِ ، وَلَسْتُ أَعْرِفُ وَضْعَ جَمِيعِ أَجْزَائِهَا فِي أَمَاكِينِهَا . وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ
لَمْ يَخْلُقْ فِيهَا وَلَا فِي غَيْرِهَا شَيْئًا لَا مَنَفْعَةَ فِيهِ ؛ وَلَكِنَّ الْمَرْءَ يَعْجِزُ ، لَا مَحَالَةَ^٥ .
وَلَسْتُ أَخَافُ مِنْ تَضْيِيعِ الْقَلِيلِ ، إِلَّا أَنَّهُ يُجَرَّرُ تَضْيِيعَ الْكَثِيرِ . أَمَّا الْقَرْنُ
فَالْوَجْهُ فِيهِ مَعْرُوفٌ ، وَهُوَ أَنْ يُجْعَلَ كَالْخُطَافِ^٦ ، وَيُسَمَّرَ فِي جِذْعٍ^٧ مِنْ
جُذُوعِ السَّقْفِ ، فَيُعَلَّقَ عَلَيْهِ الزُّبُلُ^٨ وَالْكِرَانُ^٩ وَكُلُّ مَا خِيفَ عَلَيْهِ مِنْ

١ العقب : الولد وولد الولد .

٢ انكفوا : رجعوا .

٣ الأضحية : شاة يضحي بها ، جمعها الأضاحي . وعند المسلمين : الشاة التي تذبح يوم الأضحي .

٤ القيم : من يقوم بأمرها .

٥ ذهب : أي مات الذين كانوا يدبرونه من أهلها .

٦ هذا مثل ذكره الميداني وشرحه بقوله : أي لا تضيق الحيل ومخارج الأمور إلا على العاجز .

٧ الخطاف : حديدة ملوئية .

٨ الجذع : ساق النخلة والشجرة . وعلى الجذوع يبني سقف البيت .

٩ الزبل ، جمع الزبيل : القفة أو الجراب أو الوعاء .

١٠ الكيران ، جمع كور : الرجل وهو كل شيء يعد للرحيل من وعاء للأمتعة ؛ ومركب البعير . وفي

رواية : الكيزان ، جمع كوز .

الفأر والنمل والسنانير وبنات وردان^١ والحيات ، وغير ذلك . وأما المصران^٢ فإنه لأوتار المندقة^٣ ؛ وبنا إلى ذلك أعظم الحاجة . وأما قحف الرأس واللحيان^٤ وسائر العظام فسبيله أن يكسّر بعد أن يعرق^٥ ، ثم يطبخ ؛ فما ارتفع من الدسم^٦ كان للمصباح وللإدام^٧ وللعصيدة^٨ ، ولغير ذلك . ثم تؤخذ تلك العظام فيوقد بها ؛ فلم ير الناس وقوداً^٩ قط أصفى ولا أحسن لهباً منها . وإذا كانت كذلك ، فهي أسرع في القدر^{١٠} ، لقلّة ما يخالطها من الدخان . وأما الإهاب^{١١} فالجلد نفسه جراب . وللصوف وجوه لا تدفع . وأما الفرث^{١٢} والبعر فحطب ، إذا جفف ، عجيب . «
ثم قالت : « بقي علينا الانتفاع بالدم ؛ وقد علمت أن الله ، عز وجل ، لم يحرم من الدم المسفوح^{١٤} إلا أكله وشربه ؛ وأن له مواضع يجوز فيها ولا يمنع منها . وإن أنا لم أقع على علم ذلك حتى يوضع موضع الانتفاع به ، صار كية في قلبي ، وقدّى في عيني ، وهمّاً لا يزال يُعاودني . »
فلم ألبث أن رأيتها قد تطلّقت^{١٥} وتبسّمت ، فقلت : ينبغي أن يكون

- ١ بنات وردان : الصراصير .
- ٢ المصران : جمع المصير وهو الملى ، وجمع الجمع : مصارين وهو هنا مأخوذ بمعنى المفرد أو اسم الجمع .
- ٣ المندقة : آلة التدف .
- ٤ القحف : العظم فوق الدماغ .
- ٥ اللحيان ، مثنى لحي : عظم الفك الذي عليه الأسنان ، وموضع منبت اللحية من الرجل .
- ٦ يعرق : يجرد من اللحم .
- ٧ أي فما ارتفع من الدسم على وجه المرق في القدر .
- ٨ الإدام من الطعام : ما يؤتم به مع الخبز فيطبخه ، فيلتذ به الآكل ، وهو عام في المائع وغيره .
- ٩ العصيدة : طعام يتخذ من الدقيق والسمن والسكر .
- ١٠ الوقود : ما يوقد به كالفحم والحطب .
- ١١ أسرع في القدر : أي أسرع في إحماؤها وإنضاج ما فيها من الطعام .
- ١٢ الإهاب : الجلد .
- ١٣ الفرث : ما في الكرش من الزبل .
- ١٤ المسفوح : السائل ؛ والدم المسفوح محرم في القرآن .
- ١٥ تطلّقت : أشرق وجهها وانبسط ؛ ذكره الأساس .

قَدْ انْفَتَحَ لَكَ بَابُ الرَّأْيِ فِي الدَّمِّ . قَالَتْ : « أَجَلٌ ، ذَكَرْتُ أَنَّ عِنْدِي قُدُورًا شَامِيَّةً جَدُّدًا . وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَدْبَغَ ، وَلَا أَزِيدَ فِي قُوَّتِهَا ، مِنْ التَّلَطُّيخِ بِالدَّمِّ الْحَسَارَ الدَّسِيمِ . وَقَدْ اسْتَرَحْتُ الْآنَ ، إِذْ وَقَعَ كُلُّ شَيْءٍ مَوْقِعَهُ . »

قَالَ : ثُمَّ لَقِيْتُهَا بَعْدَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ ، فَقُلْتُ لَهَا : كَيْفَ كَانَ قَدِيدُ^١ تِلْكَ الشَّاةِ ؟ قَالَتْ : « بِأَبِي أَنْتَ^٢ ! لَمْ يَجِءْ وَقْتُ الْقَدِيدِ بَعْدُ . لَنَا فِي الشَّحْمِ وَالْأَلِيَّةِ^٣ وَالْجُنُوبِ^٤ وَالْعَظْمِ الْمَعْرُوقِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مَعَاشٌ^٥ ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ^٦ إِبَانٌ^٧ ! »

فَقَبَضَ صَاحِبُ الْحِمَارِ وَالْمَاءِ الْعَذْبِ قَبْضَةً مِنْ حَصَى ، ثُمَّ ضَرَبَ بِهَا الْأَرْضَ ، ثُمَّ قَالَ : لَا تَعْلَمْ أَنَّكَ مِنَ الْمُسْرِفِينَ ، حَتَّى تَسْمَعَ بِأَخْبَارِ الصَّالِحِينَ !

قصة زبيدة بن حميد

وَأَمَّا زُبَيْدَةُ^١ بِنْتُ حُمَيْدِ الصَّيْرَفِيِّ ، فَإِنَّهُ اسْتَلَفَ مِنْ بَقَالٍ ، كَانَ عَلَى بَابِ دَارِهِ ، دِرْهَمَيْنِ وَقِيرَاطًا . فَلَمَّا قَضَاهُ بَعْدَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ ، قَضَاهُ دِرْهَمَيْنِ وَثَلَاثَ حَبَّاتٍ شَعِيرٍ^٢ . فَاغْتَاطَ الْبَقَالُ ، فَقَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! أَنْتَ رَبُّ مِائَةِ أَلْفٍ دِينَارٍ ، وَأَنَا بَقَالٌ لَا أُمْلِكُ مِائَةَ فِلَسٍ ، وَإِنَّمَا أَعِيشُ بِكَدِّي ، وَبِاسْتِفْضَالِ^٣ الْحَبَّةِ^٤ وَالْحَبَّتَيْنِ . صَاحَ عَلَى بَابِكَ حَمَّالٌ ، وَالْمَالُ لَمْ يَحْضُرْكَ ، وَغَابَ وَكَيْلُكَ ؛ فَتَقَدَّتْ عَنْكَ دِرْهَمَيْنِ وَأَرْبَعَ شَعِيرَاتٍ ،

١ القديد : اللحم المملوح المجفف في الشمس .

٢ بأبي : الباء للتفدية .

٣ الجنوب : جمع جنب أي جنب الشاة .

٤ الإبان : الحين .

٥ ضرب بها الأرض لتأثره بعدما عرف أنه مبذر مسرف بالإضافة إلى معاذة .

٦ ثلاث حبات شعير : أي مقدار وزنها فضة .

٧ استفضال : استبقاء وادخار ؛ أي ادخار الحبة والحبتين من القيراط .

فَقَضَيْتَنِي ، بَعْدَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ ، دِرْهَمَيْنِ وَثَلَاثَ شَعِيرَاتٍ ! فَقَالَ زُبَيْدَةُ :
يَا مَجْنُونُ ! أَسَلَفْتَنِي فِي الصَّيْفِ ، فَقَضَيْتُكَ فِي الشِّتَاءِ . وَثَلَاثُ شَعِيرَاتٍ
شَتْوِيَّةٌ ١ نَدِيَّةٌ أَرْزَنُ مِنْ أَرْبَعِ شَعِيرَاتٍ يَابِسَةٍ صَيْفِيَّةٍ . وَمَا أَشْكُ أَنْ
مَعَكَ فَضْلاً ٢ .

البيان والتبيين

آراء في النقد الأدبي

عيوب الخطيب

ثمّ اعلم ، أبقاك الله ، أن صاحب التشديد والتقعيد والتقعيد^٣ من الخطباء
والبلغاء مع سماجة التكلف ، وشنعة التزيّد أعذر من عيبي يتكلف الخطابة ، ومن
حصّر يتعرّض لأهل الاعتياد والدّربة . ومدارُ اللائمة ومستقرّ المذمة حيث رأيت
بلاغةً يحالطها التكلف ، وبياناً يمازجه التزيّد ، إلّا أنّ تعاطي الحصر المنقوص
مقام الدّرب التام ، أقبح من تعاطي البليغ الخطيب ، ومن تشادق الأعرابي القسح
وانتحال المعروف ببعض الغزارة في المعاني والألفاظ ، وفي التعبير والارتجال ، أنّه

١ شتوية : نسبة إلى شتوة .

٢ فضلاً : زيادة .

٣ التشديد : تكلف البلاغة . والتقعيد : الكلام بأقصى قعر الفم . والتقعيد : أن يخرج الكلام وقد
جعل فمه كالقعب .

البحر الذي لا يُترج ، والغمر الذي لا يُسبر ، أيسر من انتحال الحَصير المنخوب^١ أنه في مِسلَاخ^٢ التام الموفر ، والجامع المحكك ، وإن كان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قد قال : « إِيَّايَ وَالتَّشَادُقَ » وقال : « أَبْغَضُكُمْ إِلَيَّ الثَّرَثَارُونَ الْمُتَفَيِّهُونَ^٣ » وقال « مَنْ بَدَأَ جَفَا » وعاب الفدادين^٤ والمتريدين في جهارة الصوت ، وانتحال سعة الأشداق ، ورُحْب الغلاصم ، وهَدَل الشفاه . وأعلمنا أن ذلك في أهل الوبر أكثر ، وفي أهل المدر أقل . فإذا عاب المدرّي بأكثر مما عاب به الوبري ، فما ظنك بالمولّد القروي والمتكلّف البلدي ، فالحصير المتكلّف والعيمي المتريد ، ألوم من البليغ المتكلّف لأكثر مما عنده ، وهو أعذر ، لأن الشبهة الداخلة عليه أقوى . فَمَنْ أسوأ حالاً ، أبقاك الله ، مِمَّن يكون ألوم من المتشدين ومن الثرثارين المتفهيّين ، ومِمَّن ذكره النبي ، صلى الله عليه وسلم ، نصّاً ، وجعل النهي عن مذهبه مفسّراً ، وذكر مقتله له وبغضه إِيَّاه ؟ !

ولما عليم واصل^٥ بن عطاء أنه ألغ فاحش اللّثغ ، وأن مخرج ذلك منه شنيع ، وأنه إذ كان داعية مقالة ، ورئيس نِحلة ، وأنه يريد الاحتجاج على أرباب النّحل ، وزعماء الملل ، وأنه لا بدّ من مقارعة الأبطال ، ومن الخطب الطّوال ، وأن البيان يحتاج إلى تمييز وسياسة ، وإلى ترتيب ورياضة ، وإلى تمام الآلة وإحكام الصنعة ، وإلى سهولة المخرج وجهارة المنطق ، وتكميل الحروف ، وإقامة الوزن ، وأن حاجة المنطق إلى الحلاوة والطلاوة كحاجته إلى الجلالة والفخامة ، وأن ذلك من أكثر ما تُستمال به القلوب ، وتُثنى به الأعناق ، وتزيّن به المعاني . وعلم واصل^٥ أنه ليس معه ما ينوب عن البيان التام ، واللسان المتمكّن ، والقوّة المتصرّفة ، كنعو ما أعطى الله ، تبارك وتعالى ، نبيّه موسى ، عليه السلام ، من التوفيق

١ المنخوب : الجبان الضعيف القلب .

٢ في مِسلَاخ : المسلّاخ الجلد . يعني أنه في هيئته ومقامه .

٣ المتفهيّون : الذين يفتحون أفواههم بالكلام ويتوسعون به .

٤ الفدادون : أصحاب الأصوات الجافية .

٥ واصل بن عطاء من شيوخ المعتزلة وصاحب الفرقة الواصلية .

والتسديد مع لباس التقوى وطابع النبوة ، ومع المحنة والاتساع في المعرفة ،
ومع هدي النبيين وسمت المرسلين وما يُغشّيهنَّ الله به من القبول والمهابة ، ولذلك
قال بعض شعراء النبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم :

لَوْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ آيَاتٌ مُّبَيِّنَةٌ كَانَتْ بَدَاهَتُهُ تُنْبِئُكَ بِالْخَبَرِ

ومع ما أعطى الله ، تبارك وتعالى ، موسى ، عليه السلام ، من الحجّة البالغة ،
ومن العلامات الظاهرة والبرهانات الواضحة ، إلى أن حلّ الله تلك العقدة ، واطلق
تلك الحُبسة ، وأسقط تلك المحنة .

ومن أجل الحاجة إلى حسن البيان ، وإعطاء الحروف حقوقها من
الفصاحة — رام أبو حذيفة إسقاط الراء من كلامه ، وإخراجها من حروف
منطقه ، فلم يزل يكابد ذلك ويغالبه ، ويناضله ويساجله ، ويتأتى لستره والراحة
من هُجْنَتِهِ ، حتى انتظم له ما حاول ، واتسق له ما أمّل ، ولولا استفاضة هذا
الخبر وظهور هذه الحال حتى صار لغرابته مثلاً ، ولظرافته معلماً ، لما استجزنا
الاقرار به والتأكيد له ، ولست أعني خطبه المحفوظة ، ورسائله المخلدة ، لأن ذلك
يحتمل الصنعة ، وإنما عنيت مُحاجّة الخصوم ، ومُناقلة الأكفء ، ومفاوضة
الإخوان .

واللغة في الراء تكون بالغين والذال والياء ، والغين أقلّها قبحاً ، وأوجدتها في
كبار الناس وبلغائهم وأشرفهم وعلمائهم .

لغة اهل الامصار

وأهل الأمصار إنّما يتكلّمون على لغة النازلة فيهم من العرب . ولذلك تجد
الاختلاف في ألفاظ من ألفاظ أهل الكوفة والبصرة والشام ومصر .
حدثني أبو سعيد عبد الكريم بن رَوْح قال : قال أهل مكّة لمحمّد بن

المُناذر الشاعر^١ : ليست لكم معاشر أهل البصرة لغة فصيحة ، إنما الفصاحة لنا أهل مكة . فقال ابن المناذر : أمّا ألفاظنا فأحكى الألفاظ للقرآن ، وأكثرها له موافقة ، فضعوا القرآن بعد هذا حيث شئتم : أنتم تسمّون القِدْرَ بُرْمَةً ، وتجمعون البرمة على بَرَام ، ونحن نقول : قِدْرٌ ونجمعها على قُدُور . وقال الله عزّ وجلّ « وَجِفَانِ كَالْخَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ » . وأنتم تسمّون البيت إذا كان فوق البيت عُلْبَةً ، وتجمعون هذا الاسم على عِلَالِيٍّ ونحن نسمّيه غُرْفَةً ، ونجمعها على غُرْفَاتٍ وَغُرَفٍ ، وقال الله تبارك وتعالى « غُرْفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرْفٌ مَّبْنِيَّةٌ » وقال : « وَهُمْ فِي الْغُرْفَاتِ آمِنُونَ » . وأنتم تسمّون الطَّلَع الكافور ، والإغريض ، ونحن نسمّيه الطَّلَع ، وقال الله تبارك وتعالى « ونخل طلعها هَضِيمٌ » . فعده عشر كلمات لم أحفظ أنا منها إلّا هذه .

ألا ترى أن أهل المدينة لما نزل فيهم ناس من الفرس في قديم الدهر علقوا بألفاظ من ألفاظهم؟ ولذلك يسمّون البِطْيَخ الحَزِيرِيز ، ويسمّون السَّمِيطَ^٢ الرِّزْدَقِ^٣ ، ويسمّون المَصُوصُ المَزُوز ، ويسمّون الشَّطْرَنْج الأَشْتَرَنْج ، إلى غير ذلك من الأسماء؟

وكذلك أهل الكوفة فإنّهم يسمّون المِسْحَاة^٤ بال ، وبال بالفارسيّة . ولو علق ذلك لغة أهل البصرة ، إذ نزلوا بأدنى بلاد فارس وأقصى بلاد العرب ، كان ذلك أشبه إذ كان أهل الكوفة قد نزلوا بأدنى بلاد النَبَطِ وأقصى بلاد العرب . ويسمّي أهل الكوفة الحوك^٥ الباذروج ، والباذروج بالفارسيّة ، والحوك كلمة عربيّة .

١ هو أبو جعفر محمد بن المناذر ، كان من الموالي ، وكان شاعراً فصيحاً مقدماً في العلم باللغة إماماً فيها ، وكان في أول أمره يتنسلك ثم عدل عن ذلك فهجا الناس وتهتك وخلع ، وكان معاصراً لأبي نواس .

٢ السميّط : الأجر القائم بعضه فوق بعض .

٣ الرزدق : السطر والصف من النخل وغيره .

٤ المصوص : طعام يتخذ من اللحم فيطبخ ثم ينقع في الخل .

٥ المسحاة : المجرفة التي يجرف بها الطين والأوحال .

٦ الحوك : البقلة الحمقاء (الرجل) .

وأهل البصرة إذا التقت أربع طرق يسمونها مُرْبَعَةً ، ويسمّيها أهل الكوفة الجِهارسوك ، والجِهارسوك بالفارسيّة . ويسمّون السوق والسويقة وازار ، والوازار بالفارسيّة . ويسمّون القِثاء خياراً ، والخيار بالفارسيّة . ويسمّون المجذوم ويذي بالفارسيّة .

وقد يستخفّ النَّاسُ ألفاظاً ويستعملونها وغيرها أحقّ بذلك منها ، ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلاّ في موضع العقاب ، أو في موضع الفقر المدقّع والعجز الظاهر ؟ والنّاس لا يذكرون السَّعْبَ ، ويذكرون الجوع في حال القدرة والسَّلامة ، وكذلك ذِكر المطر لأنّك لا تجد القرآن يلفظ به إلاّ في موضع الانتقام ، والعامّة وأكثر الخاصّة لا يفصلون بين ذكر المطر وذكر الغيث . ولفظ القرآن الذي عليه نزل أنّه إذا ذكر الأبصار لم يقل الأسماع ، وإذا ذكر سبع سموات لم يقل الأرضين ، ألا تراه لا يجمع الأرض أرضين ولا السمع أسماعاً ؟ والجاري على أفواه العامّة غير ذلك ، لا يتفقدون من الألفاظ ما هو أحقّ بالذكر وأولى بالاستعمال .

مخارج الالفاظ

وهذه القضية مقصورة على هذه الجملة من مخارج الالفاظ وصور الحركات والسكون . فأما حروف الكلام فإن حكمها إذا تمكّنت في الألسنة خلاف هذا الحكم . ألا ترى أنّ السنديّ إذا جلب كبيراً فإنّه لا يستطيع إلاّ أن يجعل الجيم زايّاً ولو أقام في عليا تميم وسُفلى قيس وبين عجز هوازن خمسين عاماً ؟ وكذلك النَّبْطِيّ القَحّ خلاف المغلاق الذي نشأ في بلاد النبط ، لأنّ النبطي القحّ يجعل الزاي سيناً ، فإذا أراد أن يقول : زورق ، قال : سوزق . ويجعل العين همزة ، فإذا أراد أن يقول : مُشْمَعِلٌ ، قال : مُشْمَل . والنخاس يمتحن لسان الجارية إذا ظنّ

١ هذه هي القبائل المشهورة بالفصاحة المعروفة بصحة الإعراب .

أنّها روميّة وأهلها يزعمون أنّها مولدة بأن تقول : ناعمة ، وتقول : شمس ،
ثلاث مرّات متواليات .

والذي يعتري اللسان ممّا يمنع من البيان أمور : منها اللثغة التي تعتري الصبيان
إلى أن ينشأوا ، وهو خلاف ما يعتري الشيخ الهرم المأج^١ المسترخي الحنك المرتفع
اللثة ، وخلاف ما يعتري أصحاب اللّكن من العجم ومن ينشأ من العرب مع العجم .
فمن اللّكن ، ممّن كان خطيباً أو شاعراً أو كاتباً داهياً : زياد^٢ بن سلمى
أبو أمّامة ، وهو زياد^٣ الأعجم ، قال أبو عبّيدّة : كان ينشد قوله :

فَتَيَّ زَادَهُ السَّلْطَانُ فِي الْوُدِّ رِفْعَةً^٤ إِذَا غَيَّرَ السَّلْطَانُ كُلَّ خَلِيلٍ^٥

قال : فكان يجعل السين شيئاً ، والطاء تاء ، فيقول :

فَتَيَّ زَادَهُ الشَّلْطَانُ فِي الْوُدِّ رِفْعَةً

ومنهم سُحَيْمٌ^٦ عبد بني الحسّاحس ، قال له عمر بن الخطّاب ، رضي
الله تعالى عنه ، وأنشده قصيدته التي أولّها :

عُمَيْرَةٌ وَدَّعْ لَنْ تَجْهَزْتَ غَادِيَا كَفَى الشَّيْبُ وَالْإِسْلَامُ لِلْمَرْءِ نَاهِيَا

لو قدمت الإسلام على الشيب لأجزتُك ، قال : ما سعرت ، يريد ما شعرت ،
فجعل الشين المعجمة سيناً غير معجمة .

ومنهم عبّيد^٧ الله بن زياد^٨ والي العراق ، قال ليهان^٩ بن قبيصة : أهروري

١ المأج : السائل اللعاب من الكبر والهرم .

٢ هو زياد بن سلمى ويقال سليمان ، وفي الأصل : ابن سلمى ، كان مولى عبد القيس ، وكان ينزل
إصطخر فغلّبت المعجمة على لسانه . وكان شاعراً جزل الشعر فصيح العبارة .

٣ في رواية في الخير رغبة ، بدل في الود رفعة .

٤ كان سحيم عبداً أسود شديد السواد وهو من الشعراء المخضرمين أدرك الجاهلية والإسلام

سائر اليوم ؟ يريد : أَحَرُّوْرِي^١ .

ومنهم صُهَيْبُ بْنُ سِنَانِ النَّمِرِيِّ صاحب رسول الله ، صَلَّى الله عليه وسلّم ، كان يقول : إِنَّكَ لَهَائِن ، يريد : إِنَّكَ لَهَائِن^٢ . وصهيب بن سنان يرتضخ لُكْنَةً رومية وعبيد الله بن زياد يرتضخ لُكْنَةً فارسية . وقد اجتمعا على جعل الحاء هاء . وَأَزْدًا نَقَاذَارَ لُكْنَتِهِ لُكْنَةً نبطية ، وكان مثلهما في جعل الحاء هاء . وبعضهم يروي أنه أملى على كاتب له فقال : اكتب ، الهاصل ألف كُرٌّ^٣ . فكتبها الكاتب بالهاء كما لفظ بها ، فأعاد عليه الكلام ، فأعاد الكاتب . فلما فطن لاجتماعهما على الخطأ قال : أنت لا تهسّن أن تكتب . وأنا لا أهسّن أن أملي ؛ فاكتب : الجاصل ألف كرٌّ . فكتبها بالحييم معجمة .

البلاغة

حدثني صديق لي قال : قلت للعتّابي : ما البلاغة ؟ قال : كلٌّ من أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حُبْسة ولا استعانة فهو بليغ . فإن أردت اللسان الذي يروق الألسنة^٤ ويفوق كلَّ خطيب فإظهار ما غمض من الحقّ وتصوير الباطل في صورة الحقّ . قال : فقلت له : قد عرفتُ الإعادة والحُبْسة فما الاستعانة ؟ قال : أما تراه إذا تحدّث قال عند مقاطع كلامه : يا هناهُ ، يا هذا ، يا هيه ، واسمع منّي ، واستمع إليّ ، وافهم عني ، أولست تفهم ؟ أولست تعقل ؟ فهذا كلّهُ وما أشبهه عيٌّ وفساد .

قال عبد الكريم بن رَوْح الغِفَارِيُّ : حدثني عمر الشّمَرِي قال : قيل

١ أحروري : أي أخارجي ، نسبة إلى حروراء .

٢ حائن : هالك . وكان سبب لُكْنَةِ صهيب أن الروم أسرته صغيراً ونشأ فيهم فعرته هذه اللُكْنَةُ فقليل له الرومي .

٣ الكر : كيل يكال به الطعام ، والكر ستون قفيزاً والقفيز ثمانية مكاكيل والمكوك صاع ونصف ، قال الأزهرى : فالكر على هذا الحساب اثنا عشر وسقاً .

٤ يروق الألسنة : أي يفضلها ، ويمدّى بعلّ .

لَعَمْرُو بْنِ عُبَيْدٍ^١ : ما البلاغة ؟ قال : ما بلغ بك الجنة وعدل بك عن النار ، وما بصرك مواقع رشدك وعواقب غيئك . قال السائل : ليس هذا أريد . قال : من لم يحسن أن يسكت لم يحسن أن يستمع ، ومن لم يحسن الاستماع لم يحسن القول . قال : ليس هذا أريد . قال : قال النبي ، صلى الله عليه وسلم : « إِنَّا مَعْشَرَ الْأَنْبِيَاءِ بِكُتَّاءٍ »^٢ قال السائل : ليس هذا أريد . قال : كانوا يخافون من فتنة القول ومن سقطات الكلام ما لا يخافون من فتنة السكوت ومن سقطات الصمت . قال السائل : ليس هذا أريد . قال عمرو : فكأنك إنما تريد تخير اللفظ في حسن الإفهام ؟ قال : نعم . قال : إنك إن أوتيت تقرير حجة الله في عقول المكلفين وتخفيف المؤونة على المستمعين وتزيين تلك المعاني في قلوب المريدين بالألفاظ المستحسنة في الآذان المقبولة عند الأذهان ، رغبة في سرعة استجابتهم ونفي الشواغل عن قلوبهم ، بالموعظة الحسنة على الكتاب والسنة ، كنت قد أوتيت فصل الخطاب واستحققت على الله جزيل الثواب .

طبقات الكلام

وكلام الناس في طبقات ، كما أن الناس أنفسهم في طبقات . فمن الكلام : الجزل^١ والسخيف والمليح والحسن^٢ والقبيح والسمج والخفيف والثقيل ، وكله عربي وبكل قد تكلموا وبكل قد تمارحوا وتعابوا . فإن زعم زاعم أنه لم يكن في كلامهم تفاضل ولا بينهم في ذلك تفاوت ، فلم ذكروا العيبي^٣ والبكبي^٤ والخصير^٥ والمفحم^٦ والخطيل^٣ والمسهب^٤ والمتشدق^٥ والمتفيهق والمهمار^٦ والثرثار والمكثار^٧ والهمار^٨ ؟

١ عمرو بن عبيد : من شيوخ المعتزلة .

٢ أي قليلو الكلام ، ومنه قيل رجل بكبي .

٣ الخطل : الفاسد الكلام .

٤ المسهب : الكثير الكلام .

٥ الهمار : الكثير الكلام .

٦ الهمار : الكثير الكلام .

ولم ذكروا الهُجْرَ والهُذْرَ والهُذيانَ والتخليطَ ؟ وقالوا : رجل تَلِقَاعَةٌ^١
وفلان يَتَلَهَيْعُ^٢ في خطبته . وقالوا : فلان يخطيء في جوابه ويحيل في كلامه
ويناقض في خبره . ولولا أن هذه الأمور قد كانت تكون في بعضهم دون بعض
لما سمي ذلك البعضُ والبعض الآخر بهذه الأسماء .

وأنا أقول : إنه ليس في الأرض كلام هو أمتع ولا أنفع ولا آتق ولا ألد في
الأسماع ولا أشد اتصالاً بالعقول السليمة ولا أفق للسان ولا أجود تقويماً للبيان ،
من طول استماع حديث الأعراب العقلاء الفُصحاء ، والعلماء البُلغاء . وقد أصاب
القوم في عامة ما وصفوا ، إلا أنني أزعم أن سخيْف الألفاظ مشاكل لسخيْف المعاني ،
وقد يُحتاج إلى السَّخيف في بعض المواضع وربّما أمتع بأكثر من إمتاع الجَزَل
الفخم من الألفاظ والشرِيف الكريم من المعاني ، كما أن النادرة الباردة جداً قد تكون
أطيب من النادرة الحارّة جداً ، وإنّما الكرب الذي يَخْتِمُ^٣ على القلوب ويأخذ
بالأنفاس النادرة الفاترة التي لا هي حارّة ولا هي باردة ، وكذلك الشعر الوسط
والغناء الوسط . وإنّما الشأن في الحارّ جداً والبارد جداً .

وكان محمد بن عباد بن كاسب يقول : والله لفلان أثقل من مُغْنٍ وسط ،
وأبغض من ظريف وسط .

ومتى سمعت ، حفظك الله ، بنادرة من كلام الأعراب فإيّاك وأن تحكيها إلا مع
إعرابها ومخارج ألفاظها ، فإنّك إن غيرتها بأن تلحن في إعرابها وأخرجتها مخارج
كلام المولدين والبلديين خرجت من تلك الحكاية وعليك فضلٌ كبيرٌ ، وكذلك إذا
سمعت بنادرة من نوادر العوامِّ وملحة من مُلح الحُشوة والطَّغام فإيّاك وأن تستعمل
فيها الإعراب أو أن تتخير لها لفظاً حسناً أو تجعل لها من فيك مخرجاً سريّاً فإن

١ تلقاعة : كثير الكلام .

٢ يتلهي : يفرط في الكلام .

٣ يختم على القلب : أي لا يفهم شيئاً .

٤ الفضل : البقية من الشيء .

٥ سريّاً : فحماً شريفاً .

ذلك يُفسد الإمتاع بها ويخرجها من صورتها ومن الذي أريدت له ويُذهب استطابتهم
ليأتها واستملاحهم لها .

ثمّ اعلم أن أقبح اللحن لحن أصحاب التعجير والتقيب والتشديق والتمطيط^١
والجّهورة والتفخيم ، وأقبح من ذلك لحن الأعراب النازلين على طرق السابلة وبقر
بجامع الأسواق .

ولأهل المدينة ألسنة ذليقة^٢ وألفاظ حسنة وعبرة جيّدة واللحن في عوامتهم
فاشٍ وعلى من لم ينظر في النحو منهم غالب .

واللحن من الجوّاري الظراف ومن الكواعب النواهد ومن الشوابّ الملاح
ومن ذوات الخدور الغرائر أيسر . وربّما استملح الرجل ذلك منهن ما لم تكن
الجارية صاحبة تكلف ، ولكن إذا كان اللحن على سجية سكان البلد . وكما
يستملحون اللثغاء إذا كانت حديثة السن^٣ ومقدودة مجدولة^٤ ، فإذا أسنّت واكتهلت
تغيّر ذلك الاستملاح ، وربّما كان اسم الجارية غليّسم^٥ أو صبيّة^٦ ، أو ما أشبه ذلك ،
فإذا صارت كهلة جزلة^٧ وعجوزاً شهلة^٨ وحملت اللحم وتراكم عليها الشحم ، وصار
بنوها رجالاً وبناتها نساء ، فما أقبح حينئذ أن يقال لها : يا غليّسم كيف أصبحت ؟
ويا صبيّة كيف أمسيت ؟ ولأمر ما كنت العرب البنات فقالوا : فعلت أم الفضل ،
وقالت أم عمرو ، وذهبت أم حكيم ، نعم حتى دعاهم ذلك إلى التقدّم في تلك
الكُنَى .

١ التمثيط : أي المط ، وهو مد الحروف في الكلام .

٢ مجدولة : لطيفة القصب محكمة القتل .

٣ جزلة : تامة الخلق .

٤ الشهلة : العجوز ، أي العجوز الماكلة .

المصر العباسي الثالث

- المتنبي (٩١٥ - ٩٦٥ م و ٣٠٣ - ٣٥٤ هـ)
أبو فراس (٩٣٢ - ٩٦٧ م و ٣٢٠ - ٣٥٧ هـ)
الشريف الرضي (٩٦٩ - ١٠١٥ م و ٣٥٩ - ٤٠٦ هـ)
أبو العلاء المعري (٩٧٩ - ١٠٥٨ م و ٣٦٣ - ٤٤٩ هـ)
بديع الزمان الهمداني (٩٦٧ (?) - ١٠٠٧ م و ٣٥٧ (?) - ٣٩٨ هـ)
أبو الفرج الاصبهاني (٨٩٧ - ٩٦٦ م و ٢٨٤ - ٣٥٦ هـ)

المتني

المدح

وصف الأسد

من قصيدة يمدح بها أبا الحسين بدر بن عمار الأسدي الطبرستاني وهو يومئذ يتولى حرب طبرية من قبل أبي بكر محمد بن رائق ، سنة ٩٣٩ م (٣٢٨ هـ) . وكان قد خرج إلى أسد ، فهاجه عن بقرة أفرسها ، بعد أن شبع وثقل ، فوثب إلى كفل فرسه ، فأعجله عن استلال سيفه ، فضر به بالسوط ، ودار به الجيش . ثم خرج بعده إلى أسد آخر ، فلما رآه الأسد هرب منه ، فقال أبو الطيب يمدح بدرأ ويذكر ذلك :

أَمْعَقَّرَ اللَّيْثَ الْهَزْبِرِ بِسَوَطِهِ ، لَمَنْ ادَّخَرَتِ الصَّارِمَ الْمَصْقُولَا ؟^١
وَقَعَتْ عَلَى الْأُرْدُنِّ مِنْهُ بَلِيَّةٌ ، نُضِدْتُ بِهَا هَامُ الرِّفَاقِ ثُلُولَا^٢
وَرَدُّ ، إِذَا وَرَدَ الْبُحَيْرَةَ شَارِبًا ، وَرَدَ الْفُرَاتَ زَيْبُهُ ، وَالنِّيْلَا^٣
مَتَخَضَّبٌ بِدَمِ الْفَوَارِسِ لَابَسٌ ، فِي غَيْلِهِ ، مِنْ لِبْدَتِيهِ ، غَيْلَا^٤
مَا قُوبِلَتْ عَيْنَاهُ ، إِلَّا ظُنُنْتَا ، تَحْتَ الدُّجَى ، نَارَ الْفَرِيقِ حُلُولَا^٥
فِي وَحْدَةِ الرَّهْبَانِ ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يَعْرِفُ التَّحْرِيمَ وَالتَّحْلِيلَا

- ١ عفره : مرغه في التراب . الهزبر : الشديد ، من صفات الأسد .
- ٢ نضدت : جمع بعضها فوق بعض . الهام : الرؤوس ، واحدها هامة . الرفاق ، جمع الرفقة : الجماعة في السفر .
- ٣ الورد : صفة للأسد الذي يضرب لونه إلى الحمرة . البحيرة : أي بحيرة طبرية .
- ٤ الغيل : غاب الأسد . اللبدة : الشعر المجتمع على كتف الأسد ، وفي الأمثال : أعز من لبدة الأسد .
- ٥ الفريق : الجماعة من الناس . حلولا : نازلين في موضع ، وهي حال من الفريق .

يَبْطَأُ الثَّرَى مُتَرَفِّقًا مِّنْ تِيهِهِ ، فَكَأَنَّهُ آسٍ يَجْسُ عَكِيلًا
وَيَرُدُّ عُفْرَتَهُ إِلَى يَأْفُوخِهِ ، حَتَّى تَصِيرَ لِرَأْسِهِ إِكْلِيلًا^١

مدح سيف الدولة

قال يمدحه ويهنئه بعيد الأضحى ، ويذكر معركة انتصر فيها سيف الدولة على البزنطيين وأسر قسطنطين ابن الدمستق (Domesticus) أي كبير قواد الروم أنشده إياها في ميدان حلب وهما على فرسيهما سنة ٩٥٣ م (٣٤٢ هـ) :

لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْ دَهْرِهِ مَا تَعَوَّدَا ، وَعَادَةُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الطَّعْنُ فِي الْعِدَى
وَمُسْتَكْبِرٍ ، لَمْ يَعْرِفِ اللَّهَ سَاعَةً ، رَأَى سَيْفَهُ فِي كَفِّهِ ، فَتَشَهَّدَا^٢
هُوَ الْبَحْرُ ، غُصٌّ فِيهِ ، إِذَا كَانَ سَاكِنًا ، عَلَى الدَّرِّ ؛ وَاحْذَرُهُ ، إِذَا كَانَ مُزِيدًا
فَإِنِّي رَأَيْتُ الْبَحَرَ يَعَثُرُ بِالْفَتَى ، وَهَذَا الَّذِي يَأْتِي الْفَتَى مُتَعَمِّدًا^٣
تَظَلُّ مُلُوكُ الْأَرْضِ خَاشِعَةً لَهُ ، تُفَارِقُهُ هَلْكَى ، وَتَلْقَاهُ سُجَّدًا^٤
وَصُولٌ إِلَى الْمُسْتَصْعَبَاتِ بِخَيْلِهِ ، فَلَوْ كَانَ قَرْنُ الشَّمْسِ مَاءً ، لِأُورِدَا^٥
لِلَّذِكِّ سَمَى ابْنُ الدُّمُسْتَقِ يَوْمَهُ مَمَاتًا ، وَسَمَاهُ الدُّمُسْتَقُ مَوْلِدًا^٦

١ الآسي : الطيب .

٢ العفرة : شعر مؤخر الرأس من الأسد . أي إذا غضب ، ردها إلى يافوخه ، فتصير كالإكليل .

٣ تشهد : قال أشهد أن لا إله إلا الله . يقول : رب متكبر عن الإيمان بالله رآه ، وسيفه في كفه ، يجاهد في سبيل الله ، ويؤتيه الله النصر ، فآمن خوفًا أو اعتداء .

٤ يعثر بالفتى : أي يهلك راكبه عن غير قصد . يأتي الفتى متعمدًا : أي يهلك عدوه عن قصد وتعمد .

٥ المراد : من فارقه وخالفه من الملوك هلك ، ومن أتاها مسالمًا خضع وسجد له .

٦ قرن الشمس : أول ما يبدو منها عند الطلوع . لأوردا : أي لأورد خيله من ذلك الماء .

٧ يقول : لكون سيف الدولة يصل بخيله إلى أصعب الغايات ، فإن أسر ابن الدمستق ، على مناعته ، كان سبباً ليأسه من الحياة فعد يومه مماتاً ، وعد الدمستق يومه مولداً جديداً لأنه تمكن من الفرار فنجاً بنفسه .

سَرَيْتَ إِلَى جَيْحَانَ ، مِنْ أَرْضِ آمِدٍ ،
فَوَلَّتِي ، وَأَعْطَاكَ ابْنَهُ وَجْيُوشَهُ
عَرَضْتَ لَهُ دُونَ الْحَيَاةِ وَطَرْفِهِ ،
وَمَا طَلَبْتَ زُرْقُ الْأَسِنَّةِ غَيْرَهُ ،
فَأَصْبَحَ يَجْتَابُ الْمُسُوحَ مَخَافَةً ،
وَيَسْمِي بِهِ الْعُكَازُ فِي الدَّيْرِ تَائِبًا ،
وَمَا تَابَ ، حَتَّى غَادَرَ الْكَرَّ وَجْهَهُ
فَلَوْ كَانَ يُنْجِي مِنْ عَلَيِّ تَرْهَبُ ،
وَكُلُّ أَمْرٍ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ ، بَعْدَهُ ،
هَنِيئًا لَكَ الْعِيدَ الَّذِي أَنْتَ عِيدُهُ ،
وَلَا زَالَتِ الْأَعْيَادُ لُبْسِكَ ، بَعْدَهُ ،

- ١ جيحان : نهر ببلاد الروم . آمد : أعظم مدن ديار بكر . ثلاثاً : أي ثلاث ليال . أبعد : أي أبعدك عن آمد . يصف سرعة الوصول إلى العدو مع بعد المسافة .
- ٢ فولى : فاعله المستق .
- ٣ يقول : اعترضت بينه وبين حياته ونظره ، فأيقن بدنو الأجل ، واستوليت على طرفه ، فلم ير أحداً سواك لعظمتك في نفسه ، وأبصر منك سيف الله مجزداً عليه .
- ٤ يجتاب : أي يلبس . المسوح ، جمع المسح : ثوب من الشعر ، والمراد ثوب الرهبان . مخافة : أي مخافة منك . الدلاص : الدرع اللينة البراقة . المسرد : المنسوج بعضه في بعض . وذكر الصفة على لغة من يذكر الدرع .
- ٥ العكاز : أي عكاز الراهب . الأشقر : صفة الجواد المحذوف . الأجرد : القصير الشعر ؛ والجواد الأشقر موصوف بالسرعة .
- ٦ النقع : غبار الخوافر ؛ والمراد غبار الحرب .
- ٧ الأملاك : الملوك ، جمع ملك .
- ٨ هنيئاً : حال من العيد وأصله : ثبت العيد لك هنيئاً ، فحذف الفعل ؛ وقامت الحال مقامه فرفعت العيد كما يرفعه الفعل . وعيد لمن سمى : أي للمسلمين الذين يذكرون اسم الله عند ذبح الضحايا . ضحى المسلم : ذبح أضحيته في العيد .
- ٩ اللبس : ما يلبس من الثياب ، بعده أي بعد هذا العيد . المخروق : الثوب البالي ، استعار الملبوس للأعياد ، فجعل ما يمضي منها بالياً ، وما يأتي جديداً .

رأيتك مَحْضَ الحِلْمِ ، في محضِ قُدْرَةٍ ،
 وما قَتَلَ الأحرارَ كالعفوِ عَنْهُمْ ؛
 إذا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الكَرِيمَ ، مَلَكَتَهُ ؛
 وَوَضَعَ النَّدَى ، في موضعِ السَّيْفِ ، بالعلَى
 أَزِلْ حَسَدَ الحُسَّادِ عَنِّي بِكِبْتِهِمْ ،
 إذا شَدَّ زَنْدِي حُسْنُ رَأْيِكَ فِيهِمْ ،
 وما أَنَا إِلَّا سَمَهْرِي حَمَلْتَهُ ،
 وما الدَّهْرُ إِلَّا مِن رُّوَاةٍ قَصَائِدِي ،
 فَسَارَ بِهِ مَنْ لَا يَسِيرُ ، مُشْتَمِّراً ؛
 أَجِزْنِي ، إذا أَنْشِدْتَ شِعْراً ، فَإِنَّمَا
 وَدَعَ كُلَّ صَوْتٍ غَيْرَ صَوْتِي ، فَإِنَّنِي
 تَرَكْتُ السُّرَى خَلْفِي لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ ؛

ولو شئتَ ، كَانَ الحِلْمُ ، مِنْكَ ، المُهَنَّدَا^١
 وَمَنْ لَكَ بِالْحُرِّ الَّذِي يَحْفَظُ الْيَدَا^٢
 وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّيْمَ ، تَمَرَّدَا^٣
 مُضَرٌّ ، كَوَضَعَ السَّيْفُ فِي مَوْضِعِ النَّدَى^٤
 فَأَنْتَ الَّذِي صَيَّرْتَهُمْ لِي حُسَدَاءُ^٥
 ضَرَبْتُ بِسَيْفٍ يَقْطَعُ الْهَامَ مُغَمَّدَا^٦
 فَزَيْنَ مَعْرُوضاً ، وَرَاعَ مُسَدَّدَا^٧
 إِذَا قُلْتُ شِعْراً ، أَصْبَحَ الدَّهْرُ مُنْشِدَا^٨
 وَغَنَنِي بِهِ مَنْ لَا يُغَنِّنِي ، مُغَرَّدَا^٩
 بِشِعْرِي أَنَاكَ الْمَادِحُونَ مُرَدَّدَا^{١٠}
 أَنَا الطَّائِرُ الْمُحْكِي ، وَالْآخِرُ الصَّدَى^{١١}
 وَأَنْعَلْتُ أَفْرَاسِي بِنُعْمَاكَ عَسَجَدَا^{١٢}

- ١ المحض : الخالص .
- ٢ كالعفو : الكاف بمعنى مثل وهي فاعل قتل . ومن لك بالحر : أي ومن يكفل لك به . اليد : النعمة .
- ٣ الندى : الجود .
- ٤ بكبتهم : بإذلالهم .
- ٥ حسن رأيك فيهم : أي في إذلالهم .
- ٦ السمهري : الرمح . معروضاً : محمولا بالعرض . راع : أخاف . مسدداً : موجهاً لطفن العدو .
- ٧ مشمراً : جاداً .
- ٨ الطائر المحكي : الذي يحكي صوته ، كصوت الصائح يحكيه الصدى ، وفي رواية : أنا الصائح المحكي .
- ٩ السرى : السير ليلاً . العسجد : الذهب .

موقعة الحدث

من قصيدة يمدح بها سيف الدولة ، ويذكر موقعة الحدث ، وهي ثغر بين ملطية وسميساط ، وكانت قد استسلمت للروم سنة ٩٤٨ م (٣٣٧ هـ) ، فجاءها سيف الدولة سنة ٩٥٤ م (٣٤٣ هـ) ليبيي قلعها ويجعلها حصناً منيعاً . وكان الدمستق فردس قد جمع جيشاً عظيماً من الروم والأرمن والروس والصقلب ، بعد الهزيمة التي لحقت في مرعش . وكان ابنه قسطنطين قد مات في حبس سيف الدولة ، فزول بجيشه على الحدث . فلما اشرف امير حلب على الأحيدب ، وهو جبل مطل عليها ، هال المسلمين ما رأوا من كثرة العدد وساءت ظنونهم ، وتسلسل بعضهم هارباً ، واحاط الجيش البزنطي بمسكر سيف الدولة ، فكانت موقعة حامية الوطيس ، انتهت بانتصار العرب على البزنطيين ، وهرب الدمستق ، وأسر صهره وابن بنته ، وقتل خلق كثير من جيشه . وقيل إن سيف الدولة بدأ يوم وصوله ببناء القلعة ، والحرب قائمة ، فوضع الأساس وحفر أوله بيده . فقال المتنبي في ذلك :

على قَدَرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ ، وتَأْتِي ، على قَدَرِ الْكِرَامِ ، الْمَسْكَارِمُ
وتَعْظُمُ ، في عَيْنِ الصَّغِيرِ ، صِغَارُهَا ؛ وتَصْغُرُ ، في عَيْنِ الْعَظِيمِ ، الْعِظَائِمُ
يُكَلِّفُ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الْجَيْشَ هَمَّهُ ، وقد عَجَزَتْ عَنْهُ الْجِيُوشُ الْخِضَارِمُ^١
هَلِ الْحَدَثُ الْحَمَاءُ تُعْرِفُ لَوْنَهَا ، وتَعْلَمُ ، أَيُّ السَّاقِيَيْنِ الْغَمَائِمُ^٢ ؟
سَقَتْهَا الْغَمَامُ الْغُرُّ ، قَبْلَ نَزْوِلِهِ ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهَا ، سَقَتْهَا الْجَمَاجِمُ^٣
بَنَاهَا ، فَأَعْلَى ، وَالْقَنَا يَنْقَرَعُ الْقَنَا ، وَمَوْجُ الْمَنَايَا ، حَوْلَهَا ، مُتَلَاطِمُ
وَكَانَ بِهَا مِثْلُ الْجُنُونِ ، فَأَصْبَحَتْ ، وَمِنْ جُثْثِ الْقَتْلِ ، عَلَيْهَا تَمَائِمُ^٤

١ همه : همته ، أي ما تطلب همته من الفزوات والغارات . الخضارم : العظم الكثير من كل شيء .

٢ الحمراء : أي لتلطخها بالدماء . لونها : أي لونها الأول . أي الساقيين الغمام : مبتدأ وخبر سدا مسد مفعولي تعلم . والمراد هل تعلم الحدث أي الساقيين لها هو الغمام ؟ أجماع الروم التي سقتها بالدم أم السحائب التي سقتها قبل ذلك بالمطر ؟

٣ الغمام : جمع الغمامة ، يؤنث لأنه جمع ، ويذكر لأنه ليس بينه وبين مفردة إلا التاء القصيرة . الفر : البيض .

٤ وكان بها مثل الجنون : أي لما كان يحدث فيها من الاضطرابات والفتن لوجود الروم فيها . فلما يطش سيف الدولة بالروم سكن جنونها . فكان جثث القتلى التي علقت على حيطانها تمايم شفتها من الجنون . التمايم : جمع التميمة وهي العوذة تعلق في العنق ليتوقى بها مس الجن .

رَكِيفَ تُرَجِّي الرُّومُ والرُّوسُ هَدَمَهَا ،
أَتَوْكَ يَجْرُونَ الحَدِيدَ ، كَأَنَّمَا
إِذَا بَرَقُوا ، لَمْ تُعْرِفِ البَيْضُ مِنْهُمْ ؛
خَمِيسٌ ، بِشَرْقِ الأَرْضِ والغَرْبِ زَحْفُهُ ،
تَجَمَّعَ فِيهِ كُلُّ لِسَنٍ وَأُمَّةٍ ،
وَقَفَّتْ ، وَمَا فِي المَوْتِ شَكٌّ لَوَاقِفٍ ،
تَمَرُّ بِكَ الأَبْطَالُ كُلُّهُمْ هَزِيمَةٌ ،
تَجَاوَزَتْ مِقْدَارَ الشَّجَاعَةِ والنَّهْيِ ،
ضَمَمْتَ جَنَاحِيهِمْ عَلَى القَلْبِ ضَمَّةً ،
وَذَا الطَّعْنُ آسَاسٌ لَهَا ، وَدَعَائِي
سَرَّوَا بِجِيَادِي ، مَا لَهْنٌ قَوَائِمٌ^٢
ثِيَابُهُمْ مِنْ مِثْلِهَا ، والعَمَائِمُ^٣
وَفِي أَذُنِ الجَوَازِ ، مِنْهُ ، زَمَازِمٌ^٤
فَمَا يُفْهِمُ الحُدُثَاتِ إِلَّا التَّرَاجِمُ^٥
كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى ، وَهُوَ نَائِمٌ^٦
وَوَجْهُكَ وَضَاحٌ ، وَتُغْرُكَ بِاسِمٌ^٧
إِلَى قَوْلِ قَوْمٍ : أَنْتَ بِالْغَيْبِ عَالِمٌ^٨
تَمُوتُ الخَوَافِي ، تَحْتَهَا ، والقَوَادِمُ^٩

١ هدمها : أي هدم قلعة الحدث .

٢ سَرَّوَا : ساروا ليلاً . قوائِم الخيل : أيديها وأرجلها . يقول : أتاكَ الأعداء يحرون الحديد لما عليهم من السلاح ، حتى احتجبت قوائِم الخيل بالدروع والتجافيف . التجافيف ، جمع تجفاف : آلة كالدرع يلبسها الفرسان ، ويلبسونها خيولهم وقاية لهم ولها في الحرب .

٣ البَيْضُ : السيوف . يقول : إِذَا بَرَقُوا تحت أشعة الشمس لم يعرف الفرق بينهم وبين سيوفهم في اللعان ، لأن ثيابهم وعمائمهم من جنس سيوفهم تبرز بريقها ؛ وأراد بذلك ما عليهم من الدروع والخوذ الحديدية .

٤ الخَمِيسُ : الجيش ، وهو خمس فرق : المقدمة ، والساقة أو المؤخرة ، والقلب ، والجناحان أو الميمنة والميسرة . الجَوَازُ : نجمان معترضان في جِوز السماء أي وسطها ، وهما من البروج . الزَمَازِمُ ، جمع زَمَزَمَة : صوت الرعد ؛ والمراد بها جلجلة الجيش .

٥ اللِّسَنُ : اللغة . الحُدُثَاتُ : المتحدثون ، جمع بلا واحد ؛ وقيل هو جمع حادث حملاً على نظيره سامر وسمار .

٦ الرَّدَى : الموت . وَهُوَ نَائِمٌ : أي نائم عنك لا يراك .

٧ كُلَّمَى : جرحى ، واحدها كلِم . هَزِيمَةٌ : التاء للجمع على مذهب البصريين .

٨ النَّهْيُ : العقل . وَقَوْلُهُ أَنْتَ بِالْغَيْبِ عَالِمٌ : أي تعلم عواقب الأمور قبل حلولها ؛ ولذلك كنت باسم الثغر في أشد ساعات الخطر ، مستبشراً بالظفر .

٩ الخَوَافِي : الريش الصغار التي في جناح الطائر بعد القوادِم ، مفردها الخَافِيَة . القَوَادِمُ : عشر ريشات في مقدم جناح الطائر ، وهي كبار الريش ؛ استعار القوادِم للقواد ، والخَوَافِي لسائر الفرسان ، لأن الخَمِيس يشبه الطائر في ترتيبه خمس فرق . والمعنى أن سيف الدولة هاجم الميمنة والميسرة وعصرهما فأوقع الضغط على القلب ، فأهلك جميع الفرسان والقواد .

بضرب، أتى الهامات، والنصر غائب،
 حقرت الردينيات، حتى طرحتها؛
 ومن طلب الفتح الجليل، فإنما
 نشرتهم فوق الأحيدب كله،
 تدوس بك الخيل الوكور، على الذرى،
 تظن فراخ الفتح أنك زرتها
 إذا زلقت، مشيتها ببطونها،
 وصار إلى اللبات، والنصر قادم^١
 وحتى كأن السيف للرمح شاتم^٢
 مفاتيحه البيض الحفاف الصوارم^٣
 كما نثرت، فوق العروس، الدراهم^٤
 وقد كثرت، حول الوكور، المطاعم^٥
 بأمتائها، وهي العتاق الصلادم^٦
 كما تتمشى، في الصعيد، الأراقم^٧

* * *

- ١ بضرب : الباء متعلقة بضممت . الهامات : الرؤوس ، واحدها هامة . والنصر غائب : أي لم يعرف بعد النصر لمن . اللبات : أعالي الصدور ، واحدها اللبة ؛ وقوله والنصر قادم : أي ما كادت السيوف تنزل من الهامات فتصل إلى اللبات حتى لاح النصر للأمير ؛ يبين سرعة الانتصار .
- ٢ الردينيات : الرماح ، واحدها الرديني ؛ وقوله حقرت الردينيات : أي أنك لم تستعملها في هذه المعركة احتقاراً لها ، بل استعملت السيوف ، لأن المعركة كانت التحاماً بين الجيشين فلا يصلح لها إلا السيف ، في حين أن الرمح هو سلاح المطاردة والكر والفر .
- ٣ البيض : السيوف . الصوارم : القواطع .
- ٤ الأحيدب : جبل الحدث . كله : وتروى نثرة .
- ٥ الوكور ، جمع الوكر : أي وكور جوارح الطير . الذرى : أعالي الجبال . المطاعم : أي ما أكل هذه الطيور من جثث القتلى .
- ٦ الفتح ، جمع الفتخاء : العقاب اللينة الجناح . الامات : جمع الأم لغير العاقل . العتاق : كرام الخيل . الصلادم ، جمع صلدم : الصلب والشديد الحافر . يقول : ظنت فراخ العقبان أنك زرتها مع أمتها حاملة إليها هذه المطاعم ، وما درت أن التي جاءت معك هي الخيول الكريمة الشديدة .
- ٧ الصعيد : وجه الأرض . الأراقم ، جمع الأرقم : الحية فيها سواد وبياض . وقوله إذا زلقت : أي زلقت خيلك في منحدرات ذلك الجبل ، مشيتها زحفاً على بطونها كالحيات .

مدح كافور

من قصيدة مدح بها كافوراً ، وهي أول قصيدة له فيه بعد أن ترك أمير حلب مغاضباً وقصد إلى مصر . وفيها يبدو الشاعر متشائماً على نفسه يتمنى الموت ويؤنب قلبه لأنه ما برح يحن إلى سيف الدولة . أنشده إياها سنة ٩٥٧ م (٣٤٦ هـ) :

كفَى بك داءٌ أنْ تَرَى المَوْتَ شافِياً ، وحَسْبُ المَنابِ أنْ يَسْكُنَ أمانِياً^(١)
تَمَنَيْتَهَا ، لَمَّا تَمَنَيْتَ أنْ تَرَى صديقاً ، فأعيا ، أو عدواً مُداجِياً^٢
إذا كنتَ تَرْضَى أنْ تَعِيشَ بذِلَّةٍ ، فلا تَسْتَعِدِّنَ الحُسامَ اليَمانيّاً^٣
ولا تَسْتَطِيلَنَّ الرِّمَاحَ لُغارَةً ، ولا تَسْتَجِدِّنَ العِتاقَ المَذاكِياً^٤
فما يَنْفَعُ الأُسْدَ الحَياءُ مِنَ الطَّوَى^٥ ، ولا تُتَقَى ، حَتَّى تَكُونَ ضَواريّاً^٦
حَبَبْتُكَ ، قلبي ، قَبْلَ حَبْكَ مَنْ نَأَى ، وقد كانَ غَدَّاراً ، فَكُنْ ، أنتَ ، وافيّاً^٧
وأَعْلَمُ أنَّ البَينَ يُشْكِيكَ ، بَعْدَهُ ، فَلَسْتَ فُؤادي ، إنْ رَأَيْتُكَ شاكِياً^٨
فإنَّ دُمُوعَ العَيْنِ غُدْرٌ بَرَبَّها ، إذا كُنَّ ، لِإِثَرِ الغادِرِينَ ، جَواريّاً^٩

- ١ كفى بك : يخاطب نفسه على سبيل التجريد . الباء زائدة ، ووجه الكلام : كفاك . داء : تمييز . أن ترى : فاعل كفى ، أي رؤيتك .
- ٢ تمنيتها : ضمير النصب يعود على المناب . فأعيا : أي فأعجزك أن تراه . المداجي : المساير للعداوة ، لا يجاهر بها .
- ٣ استعده : أخذه عدة له .
- ٤ استطال الرماح : أي اتخذ الطوال منها . استجاد العتاق : اتخذ الجيد منها . العتاق : الخيل الكريمة . المذاكي : الخيل التي تمت أسنانها .
- ٥ الطوى : الجوع .
- ٦ حببتك : لغة في أحببتك . قلبي : منادى . من نأى : أي سيف الدولة . وافيّاً : أي وافيّاً لي ؛ وفي رواية : فكن لي وافيّاً .
- ٧ البين : البعد . يشكيك : يزيدك أذى وشكاية .
- ٨ غدر : جمع غدور ، من غدر به ؛ وأصله بضم الدال ، وإسكانه لغة . برها : أي بصاحبها .

إذا الجود لم يُرزقْ خلاصاً من الأذى ، فلا الحمدُ مكسوباً ، ولا المالُ باقياً^١ ،
وللنفسِ أخلاقٌ تدُلُّ على الفقى ، أكانَ سخاءً ما أتى ، أمْ تساخياً^٢ ،
أقلُّ اشتياًقاً ، أيُّها القلبُ ، ربُّما خلِقتُ ألوفاً ، لو رجعتُ إلى الصَّبى ،
ولكنَّ بالفُسْطاطِ بحرّاً ، أزرتُه وجرّداً ، مدّنا ، بينَ آذانِها ، القنا ،
قواصِدَ كافورٍ ، توارِكَ غيره ، فجاءتْ بنا إنسانَ عَيْنِ زَمَانِهِ ،
أبا المسكِ ، ذا الوجهِ الذي كنتُ تائقاً إلَيْهِ ، وذا اليومُ الذي كنتُ راجياً^٣

- ١ يقول : إذا الجود لم يتخلص من الأذى ، فصاحبه يخسر ماله ، ولا يكسب عليه الحمد ، لأن الأذى يفسد العطاء ؛ يشير بذلك إلى عطايا سيف الدولة ؛ وما لحقه معها من الأذى في بلاطه ، وهذا من أمثاله السائرة مأخوذ من قول الحكيم اليوناني : إذا لم تتجرد الأفعال من الذم ، كان الإحسان إساءة .
- ٢ أتى : أي فعل . التساخي : تكلف السخاء عن غير طبع . وقوله أكان سخاء ، لضرورة الوزن ، ووجهه أسخاء كان ، لأن الاستفهام بالهمزة واقع على السخاء والتساخي ، لا على الكون وعدمه .
- ٣ أقل اشتياًقاً : أي كف عن الاشتياق .
- ٤ الفسْطاط : مدينة مصر قبل القاهرة . البحر : أي كافور . أزرتُه حياتي الخ . . : حملتها على زيارته .
- ٥ وجرّداً : أي وأزرتُه جرّداً ، وهي الخيل القصيرة الشعر . القنا : الرماح . العوالي : جمع العالية وهي صدر الرمح مما يلي السنان . يقول : مددنا رماحنا بين آذان الخيل ، فباتت تتبعها خفافاً ، أي أن هذه الخيل لكرمها وقوة إحساسها ، باتت تتبع في سيرها حركة الرماح بين آذانها فتشبي إلى الأمام أو تنعطف إلى اليمين أو إلى اليسار ، دون أن يحتاج أصحابها إلى دفعها بالأرجل والأعنة .
- ٦ قواصد : حال من الخيل .
- ٧ إنسان العين : سوادها . المآقي : جمع ماق وهو طرف العين عند ملتقى الجفنين . شبه كافوراً بإنسان العين وهو اشرف ما فيها وأنفع ، وكنى بذلك ايضاً عن سواده ، وشبه غيره من الملوك ببياض العين ومآقيها ، فأظهر انحطاط منزلتهم عن منزلة كافور . قال ابن الشجري : ما مدح أسود بأحسن من هذا .
- ٨ ابو المسك : كنية كافور ، لسواد لون المسك وطيبه . تائق : مشتاق . ذا اليوم : يوم لقي كافوراً .

إذا كَسَّبَ النَّاسُ الْمَعَالِيَّ بِالنَّدَى ، فَإِنَّكَ تُعْطِي فِي نَدَاكَ الْمَعَالِيَا^١
وغيرُ كثيرٍ أنْ يَزُورَكَ راجِلٌ ، فيرجِعَ مَلِكًا للعِراقَيْنِ ، وَالْيَا^٢

الرثاء

رثاء جدته

قيل ورد على أبي الطيب كتاب من جدته لأمه تشكو شوقها إليه وطول غيبته عنها ، فتوجه نحو العراق ، ولم يمكنه دخول الكوفة فانحدر إلى بغداد . وكانت جدته قد يئست منه ، فكتب إليها كتاباً يسألها المسير إليه ، فقبلت كتابه ، وحثت لوقتها سروراً به ، وغلب الفرح على قلبها فقتلها ، فقال يرثيها :

ألا ، لا أري الأحداثَ مَدْحًا ، ولا ذَمًّا ، فما بَطَشُهَا جَهْلًا ، ولا كَفَّهَا حِلْمًا^٣
إلى مثلٍ ما كانَ الفتي مرجِعُ الفتي ، يَعودُ كما أبدي ، ويُكرِي كما أرْمَى^٤
لكِ اللهُ مِنْ مَفْجُوعَةٍ بِحَبِيبِهَا ، قَتِيلَةٍ شَوْقٍ غَيْرِ مُلْحِقِهَا وَصَمًا^٥
أَحْنُ إلى الكأسِ التي شَرِبْتُ بها ، وأهْوَى لِمَشَاها التُّرابَ ، وما ضَمًّا^٦
بَكَيتُ عَلَيْهَا ، خِيفَةً ، في حَيَاتِهَا ، وذاقَ كِلَانَا ثُكْلَ صَاحِبِهَا ، قِدَمًا^٧

١ الندى : الجود .

٢ الراجل : الماشي على رجله ، والمراد : انه لا يملك مطية يركب عليها . الملك : الملك ، وهذا اللفظ يشمل في كلام العرب الخليفة والامراء والولاة . العراقان : اي العراق العربي والعراق العجمي .

٣ الأحداث : نوب الدهر . كفها : أي كفها عن البطش بنا .

٤ أبدي : خلق ، والأصل أبدى ، فخففت الهمزة ، والمراد : أنه يعود إلى التراب كما خلق من التراب ، فليس ذلك من عمل نوب الدهر ، لتستحق ذمًا أو مدحًا . يكري : ينقص . أرمى : زاد .

٥ الوصم : العيب . يقول : ماتت شوقاً إلى حبيبها ، ولكن لا يلحقها شوقها عيباً ، لأن حبيبها ابن بنتها .

٦ الكأس : أي كأس الموت . المشوى : المقام ، والمراد القبر . وما ضم : أي وما ضم من ميت دفن فيه .

٧ قديمًا : قديمًا . يقول : كنت أبكي عليها في حياتها خوفاً عليها من الموت ، ولكنني تغربت وطالت غربتي ، فشكل كل منا صاحبه قبل الموت .

ولو قتل الهجر المحبين كلهم ،
عرفت الليالي قبل ما صنعت بنا ،
منافعها ما ضر في نفع غيرها ،
أناها كتابي بعد يأس وترحة ،
حرام على قلبي السرور ، فلنني
هيني أخذت الثأر ، فيك ، من العدى ،
وما انسدت الدنيا علي لضيقها ،
فوا أسفا ! ألا أكب مقبلا
وألا ألاق روحك الطيب الذي ،
ولو لم تكوني بنت أكرم والد ،
لئن لدد يوم الشامتين بيومها ،

مضى بلد باقي ، أجدت له صرما^١
فلما دهنتي ، لم تردني ، بها ، علما
تغذى وتروى أن تجوع ، وأن تظما^٢
فماتت سرورا بي ، فمت بها غما^٣
أعد الذي ماتت به ، بعدها ، سماء
فكيف بأخذ الثأر ، فيك ، من الحمى ؟^٤
ولكن طرفا ، لا أراك به ، أعمى
لرأسك والصدر اللذي ملئنا حزما^٥
كأن ذكي المسك كان له جسمنا
لكان أبك الضخم كوني لي أما^٦
لقد ولدت ، مني ، لأنفسهم رغما^٧

١ أجدت : جدت . الصرم : البعد والقطيعة . يقول : لو قتل الهجر كل المحبين لمات البلد الذي فارقه لأنه كان يحبها .

٢ يقول : عرفت الليالي قبل أن تصيبي بجذتي فرأيت أن منافعها قائمة على مضرة منافع غيرها ، فغذاؤها ورثها في أن تجوع أيها المخاطب وأن تظما . أو غذاؤها ورثها في جوعها المستمر لافتراس البشر ، وعطشها لشرب الدماء . وقوله تغذى : أي تتغذى . ويروى : أن نجوع وأن نظما .

٣ الترحة : الاسم من الترح ، وهو الحزن والهم . فمت : حركت الميم بالكسر على لغة القرآن ، لأن أصل المضارع من هذا الفعل في لغة قريش : يمت كخاف يخاف فأبقيت الكسرة دلالة على الأصل المتروك ، ويمكن تحريكها بالضم باعتبار أن المضارع المصطلح عليه يموت .

٤ يقول : أعد بعدها السرور الذي ماتت به سما .

٥ هيني : احسبيني . بأخذ الثأر : متعلق بمحذوف تقديره أكفل . يقول : احسبيني بمنزلة من أخذ ثأرك من الأعداء لو أنهم قتلوك ، فكيف أخذ ثأرك من هذه العلة .

٦ اللذي : لغة في اللذين . وعليه قول الأخطل :

أبني كليب ، إن عمي اللذا قتلا الملوكة ، وفككا الأغلالا

٧ الضخم : العظيم . يقول : لو لم يكن أبوك أكرم والد ، لكانت ولادتك إياي بمنزلة أب عظيم تنسب إليه ، إذا قيل لك أنت أم أبي الطيب .

٨ لذ : طاب . مني : تجريد .

تَغْرَبَ لَا مُسْتَعْظِمًا غَيْرَ نَفْسِهِ ؛ وَلَا قَابِلًا ، إِلَّا لِحَالِقِهِ ، حُكْمًا
 وَلَا سَالِكًا إِلَّا فَوَادَ عَجَاجَةٍ ؛ وَلَا وَاجِدًا ، إِلَّا لِمَكْرُمَةٍ ، طَعْمًا
 يَقُولُونَ لِي : مَا أَنْتَ فِي كُلِّ بِلَدَةٍ ؟ وَمَا تَبْتَغِي ؟ : مَا أَبْتَغِي ؟ ! جَلَّ أَنْ يُسَمَّى !
 وَمَا الْجَمْعُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالنَّارِ ، فِي يَدَيَّ ، بِأَصْعَبَ مِنْ أَنْ أَجْمَعَ الْجَدَّ ، وَالْفَهْمَا
 وَإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ ، كَأَنَّ نَفُوسَهُمْ ، بِهَا أَنْفٌ أَنْ تَسْكُنَ اللَّحْمَ وَالْعَظْمَا
 كَذَا أَنَا ، يَا دُنْيَا ! إِذَا شِئْتَ ، فَادْهَبِي ! وَيَا نَفْسِ ، زِيْدِي ، فِي كِرَائِهِهَا ، قُدَمَا
 فَلَا عَبَّرَتْ بِي سَاعَةٌ لَا تُعِزُّنِي ! وَلَا صَحْبَتِي مُهْجَةً تَقْبَلُ الظُّلْمَا !^١

رثاء اخت سيف الدولة

من قصيدة يرثي بها خولة اخت سيف الدولة الكبرى ؛ توفيت بميفارقين ، وورد خبرها إلى الكوفة ،
 وأبو الطيب فيها بعد خروجه من مصر ، فنظم مرثاته هذه ، وأرسل بها إلى أخيها سنة ٩٦٣ م (٣٥٢ هـ) :

طَوَى الْجَزِيرَةَ ، حَتَّى جَاءَنِي خَبَرٌ ، فَزِعْتُ فِيهِ بِأَمَالِي إِلَى الْكَذِبِ^٢
 حَتَّى إِذَا لَمْ يَدْعُ لِي صِدْقُهُ أَمَلًا ، شَرِقتُ بِالدَّمْعِ ، حَتَّى كَادَ يَشْرِقُ بِي^٣
 تَعَثَّرْتُ بِهِ فِي الْأَفْوَاهِ أَلْسُنُهَا ، وَالْبُرْدُ فِي الطَّرْقِ ، وَالْأَقْلَامُ فِي الْكُتُبِ^٤

١ المجاجة : الغبرة ، والمراد غبرة الحرب .

٢ يقول : كَانَ نفوسهم تأنف أن تسكن المادة كبقية النفوس ، فهي لذلك تقتحم المخاطر لتتخلص من ماديتها .

٣ كرائيها : نوازها المكروهة ، والضمير للدنيا . القدم : التقدم .

٤ تعزني : تجعلني عزيزاً . المهجة : الروح .

٥ الجزيرة : ما بين دجلة والفرات ، وهي الطريق من حلب إلى الكوفة . خبر : فاعل جاءني أو طوى على التنازع . فزعت : لحأت . إلى الكذب : أي أملت أن يكون كاذباً .

٦ شرقت : غصصت . كاد يشرق بي : أي أحاطني الدمع حتى غمرني فكاد يغص بي لأنني صرت ضمنه .

٧ به : اختلس حركة الهاء من به ، وهذا من عيوب الوزن . البرد وسكنت الراء على لغة تميمية : جمع البريد وهو الرسول . يقول : تلجلجت بذكره الألسنة في الأفواه ذعراً ، وتعثرت الرسل الحاملة له في الطرق ، ورجفت أيدي الكتاب في كتابته .

كَأَنَّ فَعْلَةَ لَمْ تَمَلَأْ مَوَاقِبُهَا دِيَارَ بَكْرٍ ، وَلَمْ تَخْلَعْ وَلَمْ تَهَبِ^١
وَلَمْ تَرُدَّ حَيَاةً ، بَعْدَ تَوَلِيَّةٍ ، وَلَمْ تُغِثْ دَاعِيًا بِالْوَيْلِ وَالْحَرْبِ^٢
أَرَى الْعِرَاقَ طَوِيلَ اللَّيْلِ ، مُذْنُعِيَتْ ، فَكَيْفَ لَيْلُ فِتْيَانٍ فِي حَلَبٍ ؟
يَظُنُّ أَنَّ فُؤَادِي غَيْرُ مُلْتَهَبٍ ، وَأَنَّ دَمْعَ جُفُونِي غَيْرُ مُنْسَكِبٍ^٣
بَلَى ، وَحُرْمَةً مَنْ كَانَتْ مُرَاعِيَّةً لِحُرْمَةِ الْمَجْدِ ، وَالْقُصَادِ ، وَالْأَدَبِ
وَمَنْ مَضَتْ غَيْرَ مَوْرُوثٍ خَلَاثِقُهَا ، وَإِنْ مَضَتْ يَدُهَا مَوْرُوثَةُ النَّشَبِ^٤
وَهَمُّهَا فِي الْعُلَى وَالْمَجْدِ نَاشِئَةٌ ، وَهَمُّ أَتْرَابِهَا فِي اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ^٥
وَلَنْ تَكُنْ خُلِقْتُ أَنْتِ ، لَقَدْ خُلِقْتُ كَرِيمَةً غَيْرَ أَنْتِ الْعَقْلِ وَالْحَسَبِ^٦
وَلَنْ تَكُنْ تَغْلِبُ الْغَلْبَاءُ عُنْصُرَهَا ، فَإِنَّ فِي الْخَمْرِ مَعْنَى ، لَيْسَ فِي الْعِنَبِ^٧

* * *

تَخَالَفَ النَّاسُ ، حَتَّى لَا اتَّفَاقَ لَهُمْ ، إِلَّا عَلَى شَجَبٍ ، وَالْخُلْفُ فِي الشَّجَبِ^٨

- ١ فعلة : كناية عن اسم المراثية وهو خولة ، ولم يذكر اسمها لإجلالها .
- ٢ التولية : مصدر ولى ، أي ذهب وأدبر . الحزب : ذهاب المال . المعنى : كانت ترد حياة الخائف والمحروب بالإغاثة والبدل .
- ٣ يظن : على حذف حرف الاستفهام أي أظن .
- ٤ النشب : المال .
- ٥ ناشئة : أي صبية ، وهي حال من الضمير في همها . الأتراب : الأمثال في العمر ، واحداها ترب للمذكر والمؤنث .
- ٦ الحسب : ما ينشئه الإنسان لنفسه من الشرف والمآثر .
- ٧ تغلب : قبيلة الحمدانيين . الغلباء : العزيزة الممتعة . فإن : الفاء هي الفصيحة الدالة على جواب الشرط المحذوف أي فلا عجب . يقول : إن يكن عنصرها من تغلب الغلباء ، وفاقت قبيلتها في الفضل ، فلا عجب فإن الخمر من العنب ، ولكن فيها من فضل القوة ، وطيب الطعم والريح ما ليس في العنب .
- ٨ حتى : ابتدائية . الشجب : الهلاك . الخلف : الاختلاف . يقول : تخالف الناس في كل شيء ، فلم يتفقوا إلا على أن الموت لا مهرب منه لكل حي ، ثم اختلفوا في حقيقة الموت ومصير النفس بعده .

فَقِيلَ : تَخْلُصُ نَفْسُ الْمَرْءِ سَالِمَةً ، وَقِيلَ : تَشْرِكُ جِسْمَ الْمَرْءِ فِي الْعَطَبِ
وَمَنْ تَفَسَّرَ فِي الدُّنْيَا وَمُهِجَّتِهِ ، أَقَامَهُ الْفِكْرُ بَيْنَ الْعَجْزِ وَالتَّعَبِ

الهجاء

هجاء ابن كيغلغ

من قصيدة يهجو بها اسحق بن ابراهيم الأعور ابن كيغلغ محافظ طريق طرابلس . وكان جاهلاً ، وبينه وبين أبي الطيب عداوة قديمة ، فاتفق ان مرّ به المتنبّي سنة ٩٤٧ م (٣٣٦ هـ) يريد أنطاكية ، فسأله أن يمدحه ، فأبى الشاعر مترفعاً ، فاعتاقه المحافظ مدة عن سفره ، فلما ابتعد عن طرابلس ، قال يهجو :

لِهَوَى النَّفُوسِ سَرِيرَةٌ لَا تُعْلَمُ ، عَرَضًا نَظَرْتُ ، وَخِلْتُ أَنِّي أَسْلَمُ^٢
يَا أُخْتَ مُعْتَنِقِ الْفَوَارِسِ فِي الْوَعْيِ ، لَأَخُوكِ ، ثُمَّ ، أَرْقُ مِنْكَ وَأَرْحَمُ^٣

* * *

ذُو الْعَقْلِ يَشْقَى ، فِي النَّعِيمِ ، بِعَقْلِهِ ، وَأَخُو الْجَهْلَةِ ، فِي الشَّقَاوَةِ ، يَنْعَمُ^٤
وَالنَّاسُ قَدْ نَبَذُوا الْحِفَاطَ ، فَمُطْلَقٌ^٥ يَنْسَى الَّذِي يُؤْلِي ، وَعَافٍ يَنْدَمُ^٥

١ المهجة : الروح .

٢ السريرة : السر . عرضاً : فجأة ، واعتراضاً عن غير قصد ؛ وهو منصوب على الحال . يقول :
سر الحب مجهول لا يدرى كيف يدخل القلوب ؛ فقد نظرت عرضاً إلى فتاة ، وخلت أنني أسلم من
حبها ، فلم أسلم .

٣ يقول : أخوك شجاع يعتنق الفرسان في الحرب ، أي يتلاحم وإياهم . ثم : هناك ، أي في الحرب .
أرق منك وأرحم : أي يرحم الفوارس أكثر مما ترحمين العشاق .

٤ يقول : العاقل يشقى ، وإن كان في نعمة ، لتفكيره في تقلب الأحوال ؛ والجاهل ينعم بشقائه لغفلة ،
وقلة تفكيره في العواقب .

٥ نبذوا : طرحوا . الحفاظ : المحافظة على العهود وغيرها . مطلق : مبتدأ محذوف الخبر أي فمنهم
فمطلق . يؤلي : يحسن . العافي : من يعفو عن الإساءة . يقول : المطلق من الأسر ينسى لإنعام من أحسن
إليه بالعفو ؛ والعافي يندم لأنه أحسن إلى من لا يحفظ جميله .

لا يَخْدَعَنَّكَ مِنْ عَدُوٍّ دَمْعُهُ ، وارحَمْ شَبَابَكَ مِنْ عَدُوٍّ تَرْحَمُ^١ ،
لا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى ، حتى يُرَاقَ على جَوَانِبِهِ الدَّمُ^٢ ،
يُؤْذِي الْقَلِيلُ مِنَ اللَّثَامِ ، بِطَبْعِهِ ، مَنْ لَا يَقِيلُ ، كَمَا يَقِيلُ وَيَلْوَمُ^٣ ،
وَالظَّلَمُ مِنْ شَيْمِ النَّفُوسِ ، فَإِنْ تَجَدَّ ذَا عِفَّةٍ ، فَلَعِلَّةٍ لَا يَظْلِمُ^٤ .

* * *

وَمِنْ الْبَلِيَّةِ عَدْلُ مَنْ لَا يَرَعُو عَن غِيَّةٍ ، وَخِطَابُ مَنْ لَا يَفْهَمُ^٥ .

* * *

يَقْلِي مُفَارَقَةَ الْأَكْفِ قَذَالُهُ ، حتى يَكَادَ على يَدٍ يَتَعَمَّسُ^٦ ،
وَجُفُونُهُ لَا تَسْتَقِرُّ ، كَأَنَّهَا مَطْرُوفَةٌ ، أَوْ فُتَّ فِيهَا حِصْرُ^٧ ،
وَإِذَا أَسَارَ مُحَدَّثًا ، فَكَأَنَّهُ قِرْدٌ يُقَهِّقُهُ ، أَوْ عَجُوزٌ تَلْطِمُ^٨ ،
وَتَرَاهُ ، أَصْغَرُ مَا تَرَاهُ ، نَاطِقًا وَيَكُونُ ، أَكْذَبُ مَا يَكُونُ ، وَيُقْسِمُ^٩ .

١ من عدو ترحم : أي من عدو ترحمه ، لأنه إذا ظفر بك لا يرحمك .

٢ القليل : الحسيس الحقيق . يقول : من طبع الحسيس اللئيم أن يؤذي الكريم الذي لا يشاكله في الحقارة واللوم .

٣ ذا عفة : أي يعف عن الظلم .

٤ العدل : اللوم . يرعوي : يكف ويقطع . غيه : ضلاله ، ويروى : جهله .

٥ يقلى ويقلي : ينفض . القذال : مؤخر الرأس . يقول : هولائم ذنيء تعود أن يصفع ، فلذلك يكره قذاله أن تفارقه الأكف ويكاد هذا الصفعان يتعم على يد صافعة لحبه لها .

٦ يقول : يستعين بإشارات اليدين ، إذا حدث ، لمي لسانه . ويتشنج وجهه في أثناء الحديث لعجزه عن الإفصاح ، فيجتمع له التشنج والقبج والكلام غير المفهوم والإشارات ، فيصبح أشبه شيء بقرد يقهقه أو عجوز تولول ؛ ودل على الولولة بلفظة تلطم ، لأن لطم النساء لوجوههن لا بد أن يصحبه صوت هو ولولة في الغالب .

٧ حرك العكبري أصغر وأكذب بالفتح مستنداً إلى هبة الله الشجري في أماليه إذ قال إن فعل الرؤية من العين يعدى إلى مفعول واحد ، وأصغر وأكذب منصوبان على المصدر أي في موضع المفعول المطلق لأنها أضيفا إلى ما المصدرية . ويكون : تامة لا خبر لها . ناطقاً ويقسم : أي وهو يقسم ، في محل نصب على الحال ، والتقدير وتراه ناطقاً أصغر رؤيتك إياه ، ويوجد ، وهو يقسم ، وجوداً أكذب وجوده . على أن الشيخ إبراهيم اليازجي يرى في ذلك تعسفاً ويرجح رفع أصغر وأكذب على أنها في محل الابتداء ، وأن الحال في ناطقاً ويقسم سدت مسد الخبر ، والجملة في محل نصب بالناسخ ، أي أولاً على أنها مفعول ثان لترى ، وثانياً على أنها خبر يكون . وروى آخرون أصغر وأكذب بالنصب على أنها معمولان للفعلين قبلهما . والمعنى : هو أحقر ما يكون إذا نطق لمي لسانه ، وأكذب ما يكون إذا حلف ، لأنه يأتي بالحلف تأييداً لا كاذبياً .

وداع كافور

قال يهجوّه في يوم عرفة ، أي في أمس عيد الأضحى ؛ قبل مسيره من مصر بيوم واحد في أواخر سنة ٩٦١ م (٣٥٠ هـ) :

عيدٌ ! بأية حالٍ عُدتَ ، يا عيدٌ ؟ بما مَضَى ؟ أم لأمرٍ فيكَ تَجديدٌ ؟
أما الأحبةُ ، فالبيداءُ دونَهُمُ ، فليتَ دونَكَ بيداً ، دونها بيدٌ !

* * *

يا ساقيتي ، أحمَرُ في كُووسِكُما ، أم في كُووسِكُما همٌ وتَسهيدٌ ؟
أصخرةٌ أنا ؟ ما لي لا تُحرَكُني إذا أردتُ كُميتَ اللونِ صافيةً ، هذي المدامُ ، ولا هذي الأغاريدُ ؟
ماذا لقيتُ من الدنيا ؟ وأعجبهُ أني ، وجدْتُها ، وحيبُ القلبِ مَققودٌ ،
أُمسيتُ أروحَ مثيرٍ ، خازناً ويداً ، أنا الغنيُّ ، وأموالي المَواعيدُ
إنني نزلتُ بكَدِّابينَ ، ضيفُهُمُ ؛ عنِ القرى وعنِ التَّرحالِ ، مَحْدودٌ
جودُ الرِّجالِ من الأيدي ، وجودُهُم من اللسانِ ؛ فلا كانوا ! ولا الجودُ !
ما يقبِضُ الموتُ نفساً من نفوسِهِم ، إلا ، وفي يدِهِ ، مِن نَتْنِها ، عودٌ
أكلَما اغتالَ عبدٌ السَّوءِ سيِّدَهُ ، أو خانَهُ ، فلهُ ، في مِصرَ ، تَمهيدٌ ؟

- ١ عيد : أي هذا عيد . بما مضى : أي أجماعاً مضى ، حذف همزة الاستفهام .
- ٢ البيداء : الفلاة لأنها تبيد سالكها ، جمعها بيد . يقول للعيد : إن أحبتي على بعد مني ، تفصل البيداء بيني وبينهم ، فليت البيد بعد البيد تفصل بيني وبينك ، لأنني لا أسر بقدمك وهم بعيدون .
- ٣ التسهيد : الحمل على السهر .
- ٤ الكميت : الأحمر فيه سواد ، يوصف به المذكر والمؤنث ، والمراد هنا : خمر كميت اللون .
- ٥ أروح : من الراحة . يقول : إنه قد صار غنياً ، ولكن خازنه ويده مستريحان من حمل المال ، لأن أمواله مواعيد كافور لا تقبض ، ولا تخزن .
- ٦ القرى : الضيافة . محدود : ممنوع .
- ٧ تمهيد : أي تمهيد للملك . يتهم كافوراً باغتيال سيده أنوجور الاخشيدي ، ليستولي على الملك .

صارَ الحَصِيُّ إِمَامَ الْآبِقِينَ بِهَا ، فَالْحُرُّ مُسْتَعْبِدٌ ، وَالْعَبْدُ مَعْبُودٌ^١
 نَامَتْ نَوَاطِيرُ مِصْرٍ عَن ثَعَالِبِهَا ، فَقَدْ بَشِمْنَ ، وَمَا تَفْنَى الْعَنَاقِيدُ^٢
 الْعَبْدُ لَيْسَ لِحُرٍّ صَالِحٍ بِأَخٍ ، لَوْ أَنَّهُ ، فِي ثِيَابِ الْحُرِّ ، مَوْلُودٌ^٣
 لَا تَشْتَرِ الْعَبْدَ ، إِلَّا وَالْعَصَا مَعَهُ ، إِنَّ الْعَبِيدَ لِأَنْجَاسٍ مَتَاكِدُ^٤
 مَا كُنْتُ أَحْسَبُنِي أَحْيَا إِلَى زَمَنٍ ، يُسِيءُ بِي ، فِيهِ ، عَبْدٌ ، وَهُوَ مُحَمَّدٌ^٥
 وَلَا تَوَهَّمْتُ أَنَّ النَّاسَ قَدْ فَقِدُوا ، وَأَنْ مِثْلَ أَبِي الْبَيْضَاءِ مَوْجُودٌ^٦
 وَأَنَّ ذَا الْأَسْوَدَ الْمَثْقُوبَ مِشْفَرُهُ ، تُطِيعُهُ ذِي الْعَضَارِيطِ الرَّعَادِيدُ^٧
 جَوَّعَانُ ، يَأْكُلُ مِنْ زَادِي ، وَيُمْسِكُنِي ، لَكِنِّي يُقَالُ : عَظِيمُ الْقَدْرِ ، مَقْصُودٌ^٨
 وَيَلْمُهَا خُطَّةً ! وَيَلْمُ قَابِلَهَا ! لِمِثْلِهَا خَلِقَ الْمَهْرِيَّةُ الْقُودُ^٩

- ١ الآبقين : العبيد الهاربين من ساداتهم . بها : أي بمصر .
- ٢ النواطير : سادات مصر . ثعالبها : عبيد مصر . بشم أخذتهن تحمة ، والضمير للثعالب . العناقيد : أموال مصر . يقول : نامت سادات مصر عن أموالها ، فاستولى عليها العبيد ، وأكلوا منها فوق الشبع حتى اتخموا ؛ ولكن هذه الأموال لا تفي لكثرتها .
- ٣ لو : أي ولو ، حذف الواو والجملة حالية . في ثياب الحر : أي في ملك الحر .
- ٤ المناكيد : جمع منكود وهو القليل الخير .
- ٥ يسيء بي : يقال أساء به وإليه ؛ قال كثير : أسيتي بنا أو أحسني ، لا ملومة . عبد : ويروى كلب .
- ٦ كناه بأبي البيضاء سخراً به لأنه خصي أسود .
- ٧ المشفر : شفة البعير ، استعاره لكافور إظهاراً لضخامة شفتيه . وكان كافور مثقوب الشفة السفلى ، شأن العبيد الذين يعلقون الخلق في شفاههم ؛ فشبهه بالبعير الذي يثقب مشفره للزمام . العضاريط ، جمع عضروط ، وهو الذي يخدم بطعامه . الرعاديد : الجبناء ، واحدها رعديد .
- ٨ من زادي : أي من شعري . يمسكني : يمنعني من الرحيل . والمراد : أن كافوراً يريد أن يشبع جوعه من مدح الشاعر ، وهو لا يعطي الشاعر ما يشبعه ، ويمنعه من الرحيل لكي يقول الناس إنه كريم يقصده الشعراء والنفاة .
- ٩ ويلمها : كلمة تقال عند التعجب من الشيء ؛ قيل إن أصلها ويل لأمرها ، فركبوها وجعلوها كالشيء الواحد ؛ وقيل : بل هي مركبة من وي لأمرها ، فوي : كلمة مفردة تقال عند التفجع والتعجب ، وحذفت الهزة عن أمرها تخفيفاً ، وألقيت حركتها على اللام المكسورة ، فصارت مضمومة ؛ وينصب ما بعدها على التمييز . الخططة : الأمر والشأن . المهريّة : الإبل . القود : الطوال الظهور ، واحدها أقود وقوداء . والمراد أنه لمثل هذا الأمر الذي لا يحتمل خلقت الإبل للرحيل .

وعندَها ، لَدَتْ طَعَمَ المَوْتِ شاربُهُ ، إنَّ المَنِيَّةَ ، عندَ الذُّلِّ ، قَنَدِيدُ^١
 مَن عَلَّمَ الأَسودَ المَخْصِيَّ مَكْرُمَةً ؟ أَقَوْمُهُ البِيضُ ، أمَّ آباؤُهُ الصَّيْدُ^٢
 أمَّ أذُنُهُ ، في يَدِ النِّخَاسِ ، دَامِيَّةٌ ؟ أمَّ قَدْرُهُ ، وهو بالفَلَسِّينِ مَرْدودُ^٣
 أَوَّلِ اللِّثَامِ كَوَيْفِيرٍ بِمَعْدِرَةٍ في كُلِّ لُؤْمٍ ، وَبَعْضُ العُذْرِ تَفْنِيدُ^٤
 وَذاكَ أَنَّ الفُحولَ البِيضَ عاجِزَةٌ عنِ الجَمِيلِ ، فَكَيْفَ الحِصِيَّةُ السُّودُ !^٥

الفخر

شكوى وطموح

من شعر صباه يشكو ضيق رزقه طموحاً ، معتداً بنفسه :

ما مُقَامِي ، بأَرْضِ نَحْلَةٍ ، إلَّا كَمُقَامِ المَسِيحِ ، بَيْنَ اليَهُودِ^١
 مَفْرَشي صَهْوَةِ الحِصَانِ ، وَلَكِ نَقَمِيصِي مَسْرُودَةٌ مِنْ حَدِيدِ^٢
 لَأَمَةٍ فَاضَةٍ ، أَضَاءَ ، دِلَاصٌ ، أَحْكَمَتْ نَسَجَهَا يَدَا داوُدَ^٣

- ١ عندها : الفسِير للخطئة . لدَ طعم الشيء : وجده لذيقاً . القنديد : عسل قصب السكر ، والخمر .
- ٢ الصيد : جمع أصيد ، وهو الملك العظيم .
- ٣ النخاس : بائع العبيد . دامية : إشارة إلى أن النخاس كان يقوده بأذنه ويعرضه للبيع منادياً عليه ، فتدعى أذنه من الشد . قدره : ثمنه .
- ٤ التفنيد : اللوم والتقريع . يقول : هو أحق اللثام بأن يعذر على كل لؤم يبدو منه ، نخسة أصله وعجزه عن المكارم ، وإن يكن هذا العذر تقريباً له ؛ وفي البيت التالي يصرح بعذره .
- ٥ الفحول البيض : الملوك والسادة الأحرار . عن الجميل : أي عن صنع الجميل . الحصية : جمع خصي .
- ٦ نحلة : قرية لبني كلب بالقرب من بعلبك .
- ٧ المفرش : مكان الفراش . الصهوة : مقعد الفارس من ظهر الفرس . مسرودة : منسوجة من الحديد وهي الدرع . واستدراكه ولكن : من باب المدح في معرض الذم .
- ٨ اللأمة : الدرع ، بدل من مسرودة . فاضة : واسعة . الأضياء : الغدير من الماء ؛ وصف الدرع بها ، لما فيها من البريق والصفاء . الدلاص : الدرع اللينة الملساء . داود : أي داود النبي ، يقال إنه أول من نسج الدروع ؛ ولذلك تنسب إليه الدروع المحكمة النسيج .

أينَ فَضلي ؟ إذا قَنِعْتُ منَ الدَّهْرِ
 صاقَ صَدْرِي ، وطالَ في طلبِ الرِّزِّ
 أبداً أَقْطَعُ البِلادَ ، ونَجْمي
 ولَعَلَّتي مُؤمِّلٌ بَعْضَ ما أبْـ
 لَسَريِّ ، لِباسُهُ خَشِنُ القُطْـ
 عِشْ عَزِيزاً ، أوْمتْ وأنتَ كَرِيمٌ ،
 فَرُؤوسُ الرِّماحِ أَذْهَبُ للغِيـ
 لا كما قد حَيَّيتَ ، غيرَ حَمِيدٍ ،
 فاطْلُبِ العِزَّ في لَظي ، ودَعِ الذَّـ
 يُقْتَلُ العاجِزُ الجَبانُ ، وقد يَـ
 ويُوَقَّى الفَتى المِخْشُ ، وقد خَوَّـ
 لا بِقَومِي شَرُفْتُ ، بلْ شَرُفُوا بي ،
 وبَنَفْسِي فَخَرْتُ ، لا بِمُجْدودي !

- ١ يقول : ما أزال أقطع البلاد طلباً للرِّزق ، والنحس يرافق حظي ، ومع هذا فإن همتي عالية لا تنحط للخيبة . فلعل الذي يشدد عزيمتي هو أن ما أرجوه الآن ليس إلا بعض ما سيبلغني الله إياه بلطفه .
- ٢ لسري : لشريف ، وحرف الجر متعلق بأبلغ ؛ وأراد بالسري نفسه . لباسه خشن القطن : هذا من باب الفخر لأن العرب تتمدح بخشونة الملابس ، وتعيب الترف والنعمة . المروي : ضرب من رفاق الثياب ينسج في مرو ، وهي بلد في خراسان يقال في النسبة إليها : ثوب مروي ، بسكون الراء وفتحها ، ورجل مروزي على غير قياس .
- ٣ البنود : الأعلام الكبيرة ، واحدها بند .
- ٤ الغل : الحقد .
- ٥ لا كما قد حييت : خطاب لنفسه ، أي لا تعش كما عشت إلى هذا الوقت حامل الذكر غير محمود الفضائل فيما بين الناس .
- ٦ لظي : من أسماء جهنم .
- ٧ البخنق : خرقه يقنع بها رأس الطفل وتشد تحت الحنك ، وتلبسه المرأة أيضاً عند ادهان رأسها .
- ٨ المخش : الجريء على الليل . الماء : هنا بمعنى الدم . اللبة : أعلى الصدر . الصنديد : السيد الشجاع .

وبهم فخر كل من نطق الضا
 د ، وعوذ الجاني ، وغوث الطريد^١
 إن أكن معجباً ، فعجب عجب ،
 لم يجد فوق نفسه من مزيد^٢
 أنا ترب الندى ، ورب القوافي ،
 وسمام العدى ، وغيط الحسود^٣
 أنا في أمة ، تداركها الله ،
 ه ، غريب كصالح في ثمود^٤

طريق المجد

قال يفتخر من قصيدة مدح بها علي بن عامر الأنطاكي ، قبل اتصاله بسيف الدولة :

أطاعين خيلاً ، من فوارسها الدهر ،
 وحيداً ، وما قولي كذا؟ ومعني الصبر^٥ ؟
 وأشجع مني ، كل يوم ، سلامتي ،
 وما ثبتت ، إلا وفي نفسها أمر^٦
 تمرست بالآفات ، حتى تركتها
 تقول : ألمات الموت ، أم ذعر الذعر^٧ ؟
 وأقدمت لإقدام الآتي ، كأن لي
 سوى مهجتي ، أو كان لي ، عندها ، وتر^٨
 ذر النفس ، تأخذ وسعها ، قبل بينها ،
 فمفترق جاران ، دارهما العمر^٩

- ١ العوذ : الالتجاء . الغوث : العون . الطريد : الذي يطرد وينفخ .
- ٢ المعجب : الذي يعتد بنفسه ويباهي . العجب : المباهاة بالنفس . عجب : أي مخلوق عجب في ذاته .
- ٣ ترب الإنسان : من ولد معه . الندى : الجود . السمام : جمع السم .
- ٤ صالح : نبي ذكره القرآن . ثمود : قبيلة بائدة ، جاء في القرآن أن الله أبادها بعد أن فسدت وكذبت بصالح ، وعقر رجل منها ناقين فالمتنبي هنا يخشى على أمته أن يصيبها مثل ما أصاب ثمود ، لأنها أنكرته وكذبت به ، فعاش فيها غريباً كصالح في قبيله ، ولذلك هو يسأل الله أن يتداركها بلطفه ، فيصلح ما فيها من فساد . قال ابن جني : بهذا البيت لقب بالمتنبي .
- ٥ خيلاً : أي خيل الأعداء في الحرب . من فوارسها الدهر : أي من جملة خيل الأعداء ، خيل الدهر ، أي حوادثه . كذا : مفعول قولي .
- ٦ تمرس به : تحكك . الآفات : ما يصيب الإنسان من ويلات وحروب وأمراض . واحدها آفة . والمعنى أن الآفات صارت تقول : ما بال هذا الرجل لا يموت ولا يخاف ؟ ألمات الموت أم ذعر الذعر ؟
- ٧ الآتي : أي السيل الذي لا يرد ، يأتي من موضع بعيد . المهجة : الروح . الوتر : الثأر .
- ٨ ذر : دع . وسعها : طاقتها ، أي ما تقدر عليه . بينها : أي فراقها للجسد . جاران : النفس والجسد ، وهو فاعل سد مسد الخبر ؛ ومفترق : مبتدأ نكرة على مذهب من لا يلتزم اعتماد الوصف على نفي أو استفهام ، وهو مذهب الأخفش والكوفيين .

ولا تحسبن المجد زقاً ، وقينة ، فما المجد إلا السيف ، والفتكة البكر^١
وتضرب أعناق الملوك ، وأن ترى لك الهبوات السود ، والعسكر المجر^٢
وتركك في الدنيا دويماً ، كأنما تداول سمع المرء أنمله العشر^٣

واحر قلباه !

قال يفتخر ويمتاب سيف الدولة ، بعد أن كثرت السعيات بين الأمير والشاعر ، وبدا الجفاء من صاحب حلب ، فانقطع أبو الطيب مدة عن قول الشعر ، ثم دخل عليه فأنشده هذه القصيدة في مجلس حافل بالأمراء والشعراء والأدباء :

واحر قلباه ميم قلبه شيم^٤ ، ومن بجسمي وحالي ، عنده ، سقم^٥
ما لي أكتم حباً قد برى جسدي ، وتدعي حب سيف الدولة الأمام^٦
إن كان يجمعنا حب لغرتي ، فليت أنا ، بقدر الحب ، نفتسم^٧
قد زرتي ، وسيوف الهند مغمدة ، وقد نظرت إليهِ ، والسيوف دم

١ الفتكة البكر : أي التي لم يسبق إليها أحد ، وهي المرة من الفتك .

٢ الهبوات ، جمع هبة : الغبار . المجر : الكثير .

٣ تداول : أي تتداول ، على حذف إحدى التائين ؛ يقال تداول الشيء : تعاقبه ، أي أخذه مرة بعد مرة . يقول : والمجد أن ترك في الدنيا دويماً يضج في الآذان ، حتى كأن كل إنسان فيها يدخل أصابعه العشر مداولة في أذنيه ؛ وذلك أن الذي يعاقب لإدخال أصابعه في أذنيه يحدث فيهما دويماً .

٤ واحر قلباه : للندي ؛ أراد واحر قلبي ، فأبدل من الياء ألفاً طلباً للخفة ، والعرب تفعل ذلك في النداء ، وألحق بعد الألف هاء السكت ، والعرب تفعل ذلك ، وحرك الهاء لسكونها وسكون الألف ، وللعرب في ذلك أمران : فمنهم من يحرك بالضم تشبيهاً بهاء الضمير ، ومنهم من يحرك بالكسر على ما يوجد كثيراً في الكلام عند التقاء الساكنين . الشيم : البارد . والمعنى : قلبي حار من حبه ، وقلبي بارد من حبي ، وأنا عنده مختل الحال ، معتل الجسم .

٥ براه : أنحله .

٦ غرتي : طلعتي . ليت : اسمها وخبرها مخذوفان ، سدت أن وصلتها مسدهما . يقول : إن كان حبه يجمع بيني وبين غيري من الناس ، فليتنا نفتسم المنزلة عنده بمقدار ذلك الحب ، حتى ينال كل منا ما يستحقه .

فكان أحسنَ خَلْقِ اللهِ كُلِّهِمْ ؛ وكان أحسنَ ما في الأحسنِ ، الشَّيْمُ^١
يا أعدلَ النَّاسِ ، إلّا في مُعَامَلَتِي ، فيكَ الخِصَامُ ، وأنتَ الخِصَمُ والحكَمُ^٢
أُعِيدُهَا نَظَرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةً ، أنَ تَحَسِبَ الشَّحْمَ فيمن شحمه ورم^٣
وما انتِفَاعُ أَخِي الدُّنْيَا بِنَظِيرِهِ ، إذا اسْتَوَتْ ، عندَهُ ، الأنوارُ والظُّلُمُ^٤
سَيَعْلَمُ الْجَمْعُ ، مِمَّنْ ضَمَّ مَجْلِسُنَا ، بأنِّي خَيْرُ مَنْ تَسَعَى بِهِ قَدَمُ^٥
أنا الذي نَظَرَ الأعمى إلى أدبي ، وأسمعتَ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمَمُ^٦
أَنَامُ مِلءَ جُفُونِي عن شَوَارِدِهَا ، وَيَسْهَرُ الخَلْقُ جَرَّأَهَا ، وَيَخْتَصِمُ^٧
وجاهلٍ مَدَّةً ، في جَهْلِهِ ، ضَحِكِي ، حتّى أُنْتَهُ يَدُ فَرَّاسَةٍ ، وفَمُ^٨
إذا رَأَيْتَ نُيُوبَ اللَّيْثِ بَارِزَةً ، فلا تَظُنُّنَّ أَنَّ اللَّيْثَ يَبْتَسِمُ^٩

١ الشيم : الأخلاق . يقول : زرتة في السلم ، وصحبته في الحرب ، فكان أحسن الناس على الحاليين ، وكانت شيمه أحسن ما في هذا الأحسن .

٢ يقول : أنا وغيري من الشعراء نختم فيك ، وأنت خصمي لأنك لا تعاملني كما تعاملهم ، وأنت الملك الحاكم . وملخص المعنى : أنت موضوع الخصام ، وأنت الخصم ، وأنت الحاكم ، فكيف أرجو الإنصاف .

٣ أعيدها : دعاء لها بالحفظ ، كأنه يقول : أعيدها بالله ، أي أجعلها في ملجأ الله وملأه . تقول عاذ به عوداً وعياداً ومعاذاً : التَّجَاً واعتصم . نظرات : بدل من ضمير النصب في أعيدها ، وهي تفسير له . الشحم : ما دل على الصحة . الورم : ما دل على المرض . يقول : أعيد نظراتك الصادقة أن تشبه عليها الحقيقة ، فلا تفرق بين الشاعر والمتشاعر ؛ ويخدعها ظاهر الشعر أي وزنه وقافيته ، كما يخدع ظاهر الانتفاخ فيمن شحمه صحة ، وفيمن شحمه ورم .

٤ أخي الدنيا : أي الإنسان . الناظر : العين .

٥ شوارد القوافي : أي الأشعار التي تروى وتسير في البلاد . جراها : من أجلها والأصل من جراها ، فحذف الجار ونصب المجرور مفعولاً له . يقول : أنام ملء جفوني عن شوارد الشعر لأنني أدركها متى شئت على سهولة ويسر ، وغيري من الشعراء يسهرون من أجلها إذا أرادوا النظم ، ويخاصم بعضهم بعضاً فيما يظفرون من المعاني لتواطئهم عليها ، أو يسهر الناس من أجل حفظها وروايتها ، ويخاصم بعضهم بعضاً في شرحها وتفهمها .

٦ مده : أمهله وطول له ؛ والمراد خدعه وأطمعه . فراسة : مفترسة .

٧ النيوب : جمع ناب .

ومُهَجَّةٌ ، مُهَجَّتِي مِنْ هَمٍّ صَاحِبِهَا ،
 رِجْلَاهُ فِي الرِّكْضِ رِجْلٌ ، وَالْيَدَانِ يَدٌ ،
 وَمُرْهَفٌ سَرْتُ بَيْنَ الْجَحْفَلَيْنِ بِهِ ،
 الْخَلِيلُ وَاللَّيْلُ وَالْبَيْدَاءُ تَعْرِفُنِي ،
 صَحَبْتُ فِي الْفَلَواتِ الْوَحْشَ مُنْفَرِدًا ،
 يَا مَنْ يَعْزُّ عَلَيْنَا أَنْ نَفَارِقَهُمْ ،
 مَا كَانَ أَخْلَقْنَا مِنْكُمْ بِتَكْرِمَةٍ ،
 إِنْ كَانَ سَرَّكُمْ مَا قَالَ حَاسِدُنَا ،
 وَبَيْنَنَا ، لَوْ رَعَيْتُمْ ذَاكَ ، مَعْرِفَةً ،
 كَمْ تَطْلُبُونَ لَنَا عَيْبًا ، فَيُعْجِزُكُمْ ،
 مَا أَبْعَدَ الْعَيْبَ وَالنَّقْصَانَ مِنْ شَرَفِي ،
 لَيْتَ الْغَمَامَ ، الَّذِي عِنْدِي صَوَاعِقُهُ ،

- ١ المهجة : الروح . يقول : ورب مهجة ، من هم صاحبها إتلاف مهجتي ، أدركتها بجواد كأن ظهره حرم لا ينتهك ، أي من ركه أمن اللحاق .
- ٢ يصف استواء وقع قوائمه وصحة جريه ، فكأن رجليه رجل واحدة ، لأنه يرفعهما معاً ، ويضعهما معاً ، وكذلك اليدان ، وهذا الجري يسمى المناقلة ؛ وفعله ما تريد الكف بالسوط ، والرجل بالركل فهو يغنيك عنهما .
- ٣ المرهف : السيف الرقيق الحد . الجحفلين : الجيشين العظيمين .
- ٤ القور : جمع قارة وهي الأرض ذات الحجارة السوداء ، ويروى الغور : وهو المظمن من الأرض . الأكم ، جمع أكمة : الجبل الصغير .
- ٥ أخلقنا : أولانا وأجدرنا . أمم : قريب . يقول : ما كان أولانا بتكرمة منكم ، لو أن عقيدتكم فينا قريبة من عقيدتنا فيكم ، أي لو بادلتونا الحب الذي نحفظه لكم .
- ٦ النهى : العقول . الذمم : العهود .
- ٧ ذان : مثنى ذا ، اسم إشارة للعيب والنقصان . يقول : العيب والنقصان بعيدان عن شرفي بعد الشيب والهرم عن الثريا .
- ٨ الغمام : السحاب . الديم : الأمطار التي تدوم أياماً ؛ أراد بالغمام سيف الدولة ، وبالصواعق غضبه وأذاه ، وبالديم عطاياه . يقول : ليت سيف الدولة يزيل أذيته عني ويحيلها إلى الذين ينتفعون من عطاياه .

أَرَى النُّوَى يَقْتَضِيْنَ كُلَّ مَرَحَلَةٍ ، لا تَسْتَقِيلُ بِهَا الْوَحَادَةُ الرَّسْمُ^١
لَثْنٌ تَرَكْنَ ضُمَيْرًا عَنْ مِيَامِنِنَا ، لِيَحْدُثَنَّ ، لِمَنْ وَدَعْتُهُمْ ، نَدَمٌ^٢
إِذَا تَرَحَّلْتَ عَنْ قَوْمٍ ، وَقَدْ قَدَّرُوا شَرُّ الْبِلَادِ مَكَانٌ لا صَدِيقَ بِهِ ،
وَشَرُّ مَا قَنَصْتَهُ رَاحَتِي قَنَصٌ ، وَشَرُّ مَا يَكْسِبُ الْإِنْسَانُ مَا يَصِمُ^٣
بَأْيٍ لَفْظٍ تَقُولُ الشَّعْرَ زِعْنِفَةً ، شُهْبُ الْبُزَاةِ سَوَاءٌ فِيهِ وَالرَّخِمُ^٤
هَذَا عِتَابُكَ ، إِلَّا أَنَّهُ مِقَّةٌ ، تَجُوزُ عِنْدَكَ ، لا عُرْبٌ وَلَا عَجَمٌ^٥
قَدْ ضُمِّنَ الدَّرُّ ، إِلَّا أَنَّهُ كَلِمٌ^٦

١ النوى : البعد . يقتضي : يطالبني ، وعداء إلى اثنين على تضييحه معنى يكلفني . الوحادة : الإبل السريعة السير . الرسم : جمع رسوم وهي الناقة التي تؤثر في الأرض بأخفافها . يقول : أرى البعد عنكم يكلفني أن أقطع كل مرحلة شاسعة ، لا تقوم بقطعها الإبل السريعة الشديدة .

٢ تركن : الضمير للوحادة للرسم . ضمير : جبل عن يمين الراحل من سورية إلى مصر ، أو قرية قريية من دمشق . والمعنى : لئن رحلت إلى مصر ليندمن سيف الدولة .

٣ يصم : يعيب .

٤ الشهب : جمع أشهب وهو ما فيه بياض يصدعه سواد . الرخم : طائر ضعيف أبقع يشبه النسر في الحلقة ، يختار لبيضه أطراف الجبال الشاهقة ، وشقوق الصخور ، ليعسر الوصول إليه ، وأراد بالرخم : ضعاف الشعراء الذين صاروا مساوين له عند سيف الدولة ، وشبه نفسه بالباز الأشهب بالنسبة إليهم ، وأراد بالقنص عطايا سيف الدولة .

٥ الزعنفة : الجماعة من الأوباش .

٦ المقة : المحبة . أنه كلم : ضمير أنه راجع إلى الدر ، والمراد : عتاب محبة ضمن درر الكلام .

الشكوى

وصف الحمى

من قصيدة يصف بها الحمى التي أصابته في مصر ويعرض بالرحيل عن مصر سنة ٩٥٩ م (٣٤٨ هـ) :

وزائرتي كأنّ بها حياءً فليس تزورُ إلاّ في الظلام^١
 بذلتُ لها المطارفَ والحشايا فعافتها وباتت في عظامي^٢
 يضيقُ الجِلْدُ عَن نَفْسِي وعنّها فتوسّعهُ بأنواعِ السّقامِ^٣
 كأنّ الصّبحَ يطرُدُها فتجري مدامِعُها بأربعةِ سِجّامٍ^٤
 أراقبُ وقتها مِن غيرِ شوقٍ مُراقِبَةً المشوقِ المُستَهامِ^٥
 ويصدّقُ وعدّها والصدّقُ شرٌّ إذا ألقاك في الكُربِ العِظامِ^٦
 أبنت الدهرَ عندي كلُّ بنتٍ فكيف وصلتِ أنتِ من الزّحامِ^٧
 جرّحتِ مُجرّحاً لم يبقَ فيه مكانٌ للسيّوفِ ولا السّهامِ^٨
 ألا يا ليتَ شعري يدي أتمسي تنصّرفُ في عِنانٍ أو زِمَامٍ^٩
 وهل أرمي هَوَايَ براقصاتٍ مُحلّاةٍ المقاوِدِ باللّغامِ^{١٠}

١ وزائرتي : الواو واو رب ، أي وزائرة لي . وأراد بالزائرة الحمى لأنها كانت تأتيه ليلاً وتفارقه في الصباح .

٢ المطارف ، جمع مطرف : رداء من خز . الحشايا ، جمع حشية : الفراش المحشو . عافتها : أبتها .

٣ سِجّام : منسكبة بأربعة : أي بأربعة أدمع ، يعني تبكي من طرفي كل عين لكثرة دمعها .

٤ المراد يفكر فيها منتظراً مجيئها لخوفه منها ، كما يفكر العاشق في محبوبته منتظراً قدومها .

٥ بنت الدهر : الشدة

٦ ليت شعري يدي : أي ليت شعري . العنان : سير اللجام . الزمام : المقود . يتمنى السفر على الخيل أو على الإبل .

٧ الراقصات : الإبل التي تخب في سيرها . اللغام : الزبد على فم البعير . يقول : هل أطلب ما أهواه من الأمور براقصات تحلت مقاودها بالزبد الذي على أفواهها .

فَرُبَّمَا شَفَيْتُ غَلِيلَ صَدْرِي بِسَيْرٍ أَوْ قَنَاقَةٍ أَوْ حُسَامٍ^١
 وَضَاقَتْ خُطَّةٌ فَخَلَصْتُ مِنْهَا خَلَاصَ الْخَمْرِ مِنْ نَسِجِ الْفِدَامِ^٢
 وَفَارَقْتُ الْحَيِّبَ بِلَا وَدَاعٍ ، وَوَدَّعْتُ الْبِلَادَ بِلَا سَلَامٍ^٣
 يَقُولُ لِي الطَّبِيبُ أَكَلْتَ شَيْئًا ، وَدَاوُكَ فِي شَرَابِكَ وَالطَّعَامِ
 وَمَا فِي طِبِّهِ أَتَيْ جَوَادٌ ، أَضَرَّ بِجِسْمِهِ طُولُ الْجَمَامِ^٤
 تَعَوَّدَ أَنْ يُغَبَّرَ فِي السَّرَايَا ، وَيَدْخُلَ مِنْ قَتَامٍ فِي قَتَامٍ^٥
 فَأَمْسِكَ لَا يُطَالُ لَهُ فِيرَعَى ، وَلَا هُوَ فِي الْعَلِيقِ وَلَا اللَّجَامِ^٦
 فَإِنْ أَمْرَضُ فَمَا مَرِضُ اصْطَبَارِي ، وَإِنْ أَحْمَمُ فَمَا حُمٌّ اعْتِزَامِي^٧
 وَإِنْ أَسْلَمُ فَمَا أَبْقَى ، وَلَكِنْ سَلِمْتُ مِنَ الْحِمَامِ إِلَى الْحِمَامِ^٨
 تَمَتَّعَ مِنْ سُهَادٍ أَوْ رُقَادٍ^٩ وَلَا تَأْمُلُ كَرَى تَحْتَ الرَّجَامِ^{١٠}
 فَإِنَّ ثَلَاثَ الْحَالِينَ مَعْنَى سَوَى مَعْنَى انْتِبَاهِكَ وَالْمَنَامِ^{١١}

- ١ رُبَّمَا مثل ربما دخلت عليها التاء .
 ٢ الخطة : الأمر . القدم : ما يجعل على فم الإبريق ، لتصفية الخمر .
 ٣ بلا وداع : أي بعجلة . بلا سلام : لأنه لم يرجع إليها .
 ٤ الجمام : الراحة .
 ٥ السرايا : جمع سرية ، وهي القطعة من الجيش . القتام : الغبار .
 ٦ لا يطال : لا يرخى له الحبل ، وهو الحبل الذي تشد به قائمة الدابة ، ويكون طويلًا لترعى . في العليق : أي لا يقرب له العليق . في اللجام : أي لا يوضع له اللجام للسفر .
 ٧ أحمم : أصاب بالحمى .
 ٨ سلمت من الحمام إلى الحمام : أي لا بد من الموت .
 ٩ السهاد : السهر . الكرى : النعاس ، وقد يراد به النوم . الرجام : حجارة توضع فوق القبور واحداً رجمة .
 ١٠ ثالث الحالين : الموت ، وحاله غير حال السهر وحال النوم .

ابو فراس

الروميات

طلب الفداء

ذكر ابن خالويه أن ابن أخت ملك الروم خرج في ألف فارس إلى نواحي منبج ، فصادف الأمير أبا فراس يتصيد ومعه سبعون فارساً ، فأمره أصحابه على الهزيمة ، فأبى وثبت ، حتى أثنى بالجرأح وأسر . وكان أخو القائد البزنطي في أسر سيف الدولة ، منذ واقعة الحدث ، فطلب هذا من أبي فراس أن يدفع فداءه ، أو أن يسعى في إخراج أخيه . فكتب بهذه القصيدة إلى سيف الدولة ، أول ما أسر ، يسأله المفاداة . واختلف المؤرخون في سنة أسره ، فقبل إنها سنة ٣٤٨ هـ (٩٥٩ م) وقيل سنة ٣٥١ هـ (٩٦٢ م) :

دَعَوْتُكَ لِلجَفْنِ القَرِيحِ المُسَهَّدِ لَدَيَّ ، وللنومِ القليلِ المُشَرَّدِ^١
وما ذاكَ بُخلاً بالحياةِ ؛ وإنهـا لأَوَّلُ مَبْدُولٍ لأَوَّلِ مُجْتَدٍ^٢
وما الأسرُ مِمَّا ضِيقَتْ ذَرَعاً بِحَمَلِهِ ؛ وما الخطبُ مِمَّا أنْ أقولَ لهُ : قَدِ^٣
وما زَلَّ عَنِّي أنْ شَخْصاً مُعَرَّضاً لِنَبْلِ العِدى ؛ إن لم يُصَبَّ ، فكأنْ قَدِ^٤

١ للجفن : لام السبب ، أي من أجل الجفن . المسهد : الذي حمل على السهر .

٢ لأول مبدول : أي أول شيء أبذله . مجتد : طالب .

٣ ضقت ذرعاً : أي ضقت صدرأ . وذرعاً تميز . قد : تكون اسماً بمعنى حسب ، وترفع على الابتداء ، تقول : قد زيد درهم . وتكون اسم فعل بمعنى يكفي أو كفى ، ويقع الاسم بعدها منصوباً على المفعولية نحو : قد زيداً درهم ، أي يكفيه ، وتدخل عليها عندئذ نون الوقاية ، فتقول : قدني درهم ، أي يكفيني . فقول الشاعر هنا قد ، أي قدك : حسبك أو كفاك ، فحذف كاف الخطاب ، وحرك الدال بالكسر للقفية .

٤ ما زل عني : أي ما غاب عني أو ما ذهب عني . فكأن : مخفف كان . وقوله فكأن قد : أي فكأنه قد أصيب ، فحذف على الاكتفاء بمبدول الفعل السابق .

ولستُ أبالي أنْ ظفِرتُ بِمَظَنَّبٍ
ولكنني أختارُ مَوْتَ بَنِي أَبِي ،
وتأبى ، وآبَى أنْ أموتَ مُوسِداً ،
نَضَوْتُ على الأيتامِ ثَوْبَ جِلَادَتِي ؛
وما أنا إلاّ بَيْنَ أمرٍ ، وضِيسَةٍ
فَمِنْ حُسْنِ صَبْرٍ ، بِالسَّلَامَةِ واعدي ؛
أَقْلَبُ طَرْفِي بَيْنَ خِلٍّ مُكَبَّلٍ ،
دَعَوْتُكَ ، والأبوابُ تُرْتَجُّ دوننا ؛
فَمِثْلُكَ مَنْ يُدْعَى لِكُلِّ عَظِيمَةٍ ؛
يَكُونُ رَخِيصاً ؛ أَوْ بَوَسْمٍ مُزَوِّدٍ^١
على صَهَوَاتِ الخَيْلِ ، غَيْرَ مُوسِدٍ^٢
بأيدي النَّصَارَى ، مَوْتَ أَكْمَدٍ أَكْبَدٍ^٣
ولكنني لم أنصُ ثَوْبَ التَّجْلِيدِ^٤
يُجَدِّدُ لي ، في كلِّ يَوْمٍ ، مُجَدِّدٍ^٥
ومن رَيْبٍ دَهِرٍ ، بِالرَّدى مُتَوَعِّدٍ^٦
وبَيْنَ صَفِيٍّ ، بِالْحَدِيدِ مُصَفِّدٍ^٧
فَكُنْ خَيْرَ مَدْعَوْ ، وَأَكْرَمَ مُنْجِدٍ^٨
ومِثْلِي مَنْ يُفْدَى بِكُلِّ مُسَوِّدٍ^٩

* * *

- ١ أن ظفرت : أي أني ظفرت . يكون رخيصاً : الجملة نعت مطلب . الوسم : العلامة ؛ وأراد به وسم الجرح الذي بوجهه من طعنة رمح أصابته . يقال من المجاز : زوده طعنة ، وزوده وسماً فاضحاً بين عينيه أي علامة أو أثر كي .
- ٢ بني أبي : أي بني عمي . صهوات : جمع صهوة وهي مقعد الفارس من ظهر الفرس . ورويت سروات : جمع سروة وهي الظهر . غير موسد : أي غير نائم على السرير ، والمراد أنه لا يريد أن يموت حتف أنفه .
- ٣ وتأبى : الخطاب لسيف الدولة . الأكمد : المتغير اللون . الأكبد : المريض المصاب بكبده . والمراد أنه لا يريد أن يموت موسداً موت المريض المتغير اللون المقروح الكبدي .
- ٤ نضوت : خلعت . الجلادة : الشدة والقوة . التجلد : التصبر . والمعنى أنه أعطى الدهر قوته لكثرة ما بذل منها في مواقف القتال ، فاشتد الدهر عليه ، وحاربه بها ، ولكنه لم يبذل ما عنده من الصبر على الشدائد .
- ٥ مجدد : نمت أمر متأخر . ووجه الكلام : بين أمر مجدد ، وضده يحدد لي .
- ٦ ريب الدهر : أحداثه وصروفه . متوعدي : مهددي .
- ٧ مكبل : محبوس مقيد . الصفي : الصديق المحبوب المصافي . المصفد : الموثق بالحديد وغيره .
- ٨ ترتج : تغلق .
- ٩ المسود : من جعلت له السيادة .

متى تُخْلِفُ الأَيَّامُ مِثْلِي ، لَكُمْ ، فَتَى
 متى تَلِيدُ الأَيَّامُ مِثْلِي ، لَكُمْ ، فَتَى
 فإنْ تَفْتَدُونِي ، تَفْتَدُوا شَرَفَ العُلَى ،
 وإنْ تَفْتَدُونِي ، تَفْتَدُوا ، لَعْلَاكُمْ ،
 يُدَافِعُ ، عن أَعْرَاضِكُمْ ، بِلِسَانِهِ ؛
 وما كُلَّ وَقَافٍ لَهُ مِثْلُ مَوْقِفِي ؛
 فَمَا كُلَّ مَنْ شَاءَ المَعَالِي يَنَالُهَا ؛
 أَقْلِنِي ! أَقْلِنِي عَثْرَةَ الدَّهْرِ ، إِنَّهُ
 وَلَوْ لَمْ تَسَلْ نَفْسِي وَلَاءَكَ ، لَمْ أَكُنْ
 وَلَا كُنْتُ أَلْقَى الأَلْفَ ، زُرْقًا عَيُونُهَا ،
 فَلَآ ، وَأَبِي ، مَا سَاعِدَانِ كَسَاعِدٍ !

طَوِيلَ نِجَادِ السَّيْفِ ، رَحَبَ الْمُقْلَدِ ١
 شَدِيدًا عَلَى البَاسَاءِ ، غَيْرَ مُلْتَهَدٍ ٢
 وَأَسْرَعَ عَوَادٍ إِلَيْهَا مُعَوَّدٍ ٣
 فَتَى غَيْرَ مَرْدُودِ اللِّسَانِ وَلَا اليَدِ
 وَيَضْرِبُ ، عَنْكُمْ ، بِالْحُسَامِ الْمُهَنْدِ
 وَلَا كُلَّ وَرَادٍ لَهُ مِثْلُ مَوْرِدِي ٤
 وَلَا كُلَّ سَيَّارٍ إِلَى المَجْدِ ، يَهْتَدِي
 رَمَانِي بِسَهْمٍ صَائِبِ النَّصْلِ مُقْصِدٍ ٥
 لِأُورِدَهَا ، فِي نَصْرِهِ ، كُلَّ مَوْرِدٍ ٦
 بِسَبْعِينَ ، فِيهِمْ كُلَّ أَشَامٍ أَنْكَدٍ ٧
 وَلَا ، وَأَبِي ، مَا سَيِّدَانِ كَسَيِّدٍ ! ٨

- ١ النجاد : حمائل السيف . وطويل النجاد : كناية عن طول القامة . المقلد : موضع نجاد السيف على المنكبين . ورحب المقلد : كناية عن سعة ما بين المنكبين .
- ٢ البأساء : الداهية والشدة . الملهد : الذليل الضعيف ، يقال : لده ، بتخفيف الهاء وتشديدها : ضربه ليدله .
- ٣ عواد : عائد للمبالغة وهو الزائر ، والذي يأتي الشيء مرة بعد مرة . إليها : الضمير للعلی . معود : نعمت عواد .
- ٤ الوقاف : المحجم عن القتال ، أو المتأني له مثل موقفي : يريد أنه يتأني إذا رأى التأني حزمًا ، ولا يحجم عن القتال جبنًا كغيره . ثم يقول : ولا كل من ورد الحرب يبلي فيها بلائي .
- ٥ أقلني : أمر من أقال عثرته ، أي رفعه من سقوطه . مقصد : اسم فاعل من أقصد السهم ، أصاب المقتل .
- ٦ الولاء : المحبة والنصرة . في نصره : التفات من المخاطب إلى الغائب ، وهي لغة واردة على قلة ، أو أرجع الضمير إلى الولاء . أوردها كل مورد : أي كل مهلك .
- ٧ عيونها : فاعل زرقًا . وقوله : زرقًا عيونها : أي أن أصحابها من الروم ، والعرب يتطيرون من العيون الزرق ، ويعيرون العربي بها . أشام : أفعل ، أي كثير الشؤم . الأنكد : أي الأشأم القليل الخير . وقد نعمت أصحابه السبعين بذلك لأنهم أرادوه على الهزيمة .
- ٨ وأبي : الواو للقسمة . الساعدان والسيدان : هو وسيف الدولة ، يريد بذلك أن وجوده في حلب معه أنفع لدولته من أن يكون بعيداً عنه .

ولا ، وأبي ، ما يفتقُ الدهرُ جانباً ، فيرتقه ، إلا بأمرٍ مُسدِّدٍ^١
 وإنكَ للمولى الذي بكَ أقتدي ؛ وإنكَ للنجمُ الذي بكَ أهتدي^٢
 وأنتَ الذي عرفتني طرُقَ العلى ؛ وأنتَ الذي أهديتني كُلَّ مقصدٍ^٣
 وأنتَ الذي بلغتني كُلَّ رتبةٍ ، مشيتُ إليها ، فوقَ أعناقِ حُسدٍ^٤
 فإني مُلبِسي النعمى التي جلَّ قدرُها ، لقد أخلقتُ تلكَ الثيابُ ، فجددَ

أسير خرسنة

قال يذكر غزواته بخرسنة ، وقد حمل إليها أسيراً جريحاً :

+ إنْ زُرْتُ خَرَسَنَةَ أسيراً ؛ فلقدَ حَلَلْتُ بها مُغِيرًا^٥
 + ولقدَ رأيتُ النَّارَ تَنَّتْ هِبُ الْمَنَازِلِ وَالْقُصُورِ^٦
 ولقدَ رأيتُ السَّيِّ يُجَلِّ بٌ ، نَحُونَا ، حُورًا وَحُورًا^٧
 + إنْ طَالَ لَيْلِي فِي ذَرَا لِكِ ، لَقَدْ نَعِمْتُ بِهِ قَصِيرًا^٨
 + وَلَيْسِنُ لَقِيتُ الْحُزْنَ فِي لِكِ ، لَقَدْ لَقِيتُ بِكَ السَّرُورَا^٩

١ يرتقه : ضد يفتقه . يقول : لا يصلح الدهر شيئاً أفسده إلا بأمر موفق للصواب أي بأمر من الله . فسيف الدولة إذا افتداه وأصلح ما أفسد الدهر فيه ، فإنما هو يفعل بأمر من الله .

٢ أهديني : يقال أهدى له وإليه : أتخفه بالهدية ، ولا يتعدى بنفسه ؛ ولا يأتي بمعنى أرشده وإنما يقال : هداه الطريق وهداه إليها : أي أرشده إليها . وهي في هذا البيت مستعملة خطأ بمعنى الإرشاد . وتروى : عرفتني كل مقصد .

٣ خرسنة : قلعة ببلاد الروم ، يجري الفرات من تحتها . حللت بها ؛ في رواية : أحطت بها .

٤ يقول : إنه أحرق هذه القلعة في بعض غاراته عليها .

٥ الحو : جمع حواء وهي التي في شفتيها سمرة . الحور : جمع حوراء وهي التي في عينيها حور وهو شدة بياض العين في شدة سوادها مع استدارة الحدقة ورقة الجفون .

٦ ذراك بفتح الذال : جانبك . يقول : إن طال علي الليل في جانبك وأنا أسير محزون ، فلقد مر بي قصيراً ، عندما حللت بك منتصراً مسروراً .

وَلَتَّيْنِ رُمِيتُ بِحَادِثٍ ، فَلَأُفْسَيْنَ لَهُ صَبُورًا^١
 صَبْرًا لَعَلَّ اللَّهَ يَفْتَحُ ، بَعْدَهُ ، فَتَحًا يَسِيرًا^٢
 مَنْ كَانَ مِثْلِي ، لَمْ يَبَيْتْ إِلَّا أَسِيرًا أَوْ أَمِيرًا
 لَيْسَتْ تَحُلْ سَرَاتُنَا إِلَّا الصَّدُورَ أَوْ الْقُبُورَ^٣

الأسير الجريح

من قصيدة كتب بها إلى والدته ، وقد ثقلت عليه الجراح ، وهو أسير :

مُصَابِي جَلِيلٌ ، وَالْعَزَاءُ جَمِيلٌ ، وَظَنِّي بَأَنَّ اللَّهَ سَوْفَ يُدِيلُ^٤
 جِرَاحٌ ، وَأَسْرٌ ، وَاشْتِيَاقٌ ، وَغُرْبَةٌ أَحْمَلُ ؟ إِنِّي ، بَعْدَهَا ، لِحَمُولٍ^٥
 وَإِنِّي ، فِي هَذَا الصَّبَاحِ ، لَصَالِحٌ ، وَلَكِنْ خَطْبِي ، فِي الظَّلَامِ ، جَلِيلٌ
 وَمَا نَالَ مِنِّي الْأَسْرُ مَا تَرَيَانِهِ ، وَلَكِنِّي دَامِي الْجِرَاحِ ، عَلِيلٌ^٦
 جِرَاحٌ ، تَحَامَاهَا الْأُسَاةُ^٧ ، مَخُوفَةٌ ، وَسُقْمَانٌ : بَادٍ ، مِنْهُمَا ، وَدَخِيلٌ^٨
 وَأَسْرٌ أَقْصَاهُ ، وَلَيْلٌ نَجُومُهُ أَرَى كُلَّ شَيْءٍ ، غَيْرَهُنَّ ، يَزُولُ
 تَطُولُ بِي السَّاعَاتُ ، وَهِيَ قَصِيرَةٌ ، وَفِي كُلِّ دَهْرٍ ، لَا يَسْرُكُ ، طُولُ^٩

١ لألفين : لأوجدن .

٢ بعده : الضمير للحادث ، وتروى : « هذه » والإشارة إلى خرسنة .

٣ سراتنا : أشرافنا . الصدور : أي صدور المجالس .

٤ يدِيلُ : أي يدل هذه الحال : يغيرها ويجعلها متداولة بين الناس .

٥ جراح : أي أجراح على حذف حرف الاستفهام . حمول : أي صبور شديد الاحتمال .

٦ تريانه : خطاب للصاحبين على طريقة العرب . يقول : ليس ضعفه وألمه من تأثير الأسر فيه ، ولكن من المرض والجراح الدامية .

٧ تحاماه : تجنبها . مخوفة : نعت جراح ، أي يخاف منها ؛ وتروى مخافة : مفعول لأجله ، أي تجنبها الأطباء لمخافتها . باد ودخيل : يريد بهما سقي الجسد والنفس .

٨ طول : مبتدأ مؤخر .

تَنَاسَانِي الْأَصْحَابُ ، إِلَّا عِصَابَةً ، سَتَلَحَقُ بِالْآخِرَى ، غَدًا ، وَتَحُولُ^١
وَمَنْ ذَا الَّذِي يَبْقَى عَلَى الْعَهْدِ ؟ إِنَّهُمْ ، وَإِنْ كَثُرَتْ دَعَوَاهُمْ ، لَقَلِيلٌ^٢
أَقْلَبُ طَرْفِي لَا أَرَى غَيْرَ صَاحِبٍ يَمِيلُ مَعَ النِّعْمَاءِ ، حَيْثُ تَمِيلُ^٣
وَصِرْنَا نَرَى أَنَّ الْمُتَارِكَ مُحْسِنٌ ؛ وَأَنَّ صَدِيقًا ، لَا يَضُرُّ ، خَلِيلٌ^٤

فَيَا حَسْرَتِي ! مَنْ لِي بِخَلٍّ مُوَافِقٍ ؟ أَقُولُ بِشَجْوِي ، مَرَّةً ، وَيَقُولُ^٥
وَلَنْ وَرَاءَ السِّتْرِ أُمًّا ، بُكَاءُهَا عَلَيَّ ، وَإِنْ طَالَ الزَّمَانُ ، طَوِيلٌ^٦
فَيَا أُمَّتًا ، لَا تَعْدَمِي الصَّبْرَ ، إِنَّهُ ، إِلَى الْخَيْرِ وَالنَّجْحِ الْقَرِيبِ ، رَسُولٌ !
وَيَا أُمَّتًا ، لَا تُخْطِئِي الْأَجَرَ ، إِنَّهُ ، عَلَى قَدَرِ الصَّبْرِ الْجَمِيلِ ، جَزِيلٌ !^٧
وَيَا أُمَّتًا ، صَبْرًا ، فَكُلُّ مُلِمَّةٍ تَجَلَّتْ ، عَلَى عِلَاتِهَا ، وَتَزُولُ^٨

لولا العجوز

كتب هذه الأبيات إلى والدته في منبج ، وهو مأسور ، يوصيها بالصبر :

لَوَلَا الْعَجُوزُ بِمَنْبِجٍ ، مَا خِفْتُ أَسْبَابَ الْمَنِيَّةِ^٨

- ١ تحول : تتغير .
- ٢ لهم : الضمير للأصحاب . قليل : خبر إن . يقول : إن كثر ادعاء الأصحاب أنهم يحافظون على العهد ، فعدد الأوفياء منهم قليل .
- ٣ النعماء : النعمة . والمراد : تكون صداقته حيث تكون النعمة .
- ٤ المتارك : أي الذي يترك صنع القبيح ، ولا يسيء إلى غيره . قال الثعالبي تعليقاً على هذا البيت كأنه مأخوذ من قول المتنبي :
- ٥ إنا لفي زمن ، ترك القبيح به ، من أكثر الناس ، إنعام وإفضال من لي بخل : أي من يكفل لي بخل . شجوي : حزني . ويقول : أي ويقول هو بشجوي ، والمعنى يشاركني في حزني .
- ٦ لا تخطئي الأجر : أي لا تدعيه يفوتك . على قدر : على مقدار . جزيل : كثير .
- ٧ الملمة : النازلة من فوازل الدهر . تجل : تتجل ، على حذف إحدى التائين . على علاقتها : أي على كل حال منها .
- ٨ منبج : بلدة بين حلب والفرات .

وَلَكَانَ لِي ، عَمَّا سَأَلْتُ تُمْنَ الْفِدَا ، نَفْسُ أَبِيهِ^١
 لَكِنْ أَرَدْتُ مُرَادَهَا ، وَلَوْ انْجَذَبْتُ إِلَى الدَّيَّةِ^٢
 وَأَرَى مُحَامَاتِي عَلَيْكَ هَا ، أَنْ تُضَامَ ، مِنْ الْحَمِيَّةِ^٣
 أَمَسْتُ بِمَنْبِجِ حُرَّةٍ بِالْحَزَنِ ، مِنْ بَعْدِي ، حَرِيَّةٍ^٤
 لَوْ كَانَ يُدْفَعُ حَادِثٌ ، أَوْ طَارِقٌ ، بِجَمِيلِ نِيَّةٍ^٥
 لَمْ تَطْرُقْ نُوبُ الْحَوَا دَثِ أَرْضِ هَاتِيكَ التَّقِيَّةِ^٦
 لَكِنْ قَضَاءُ اللَّهِ وَالِ أَحْكَامُ تَنْفُذِ فِي الْبَرِيَّةِ^٧
 وَالصَّبْرُ يَأْتِي كُلَّ ذِي رُزْءٍ عَلَى قَدَرِ الرِّزِيَّةِ^٨
 لَا زَالَ يَطْرُقُ مَنْبِجًا ، فِي كُلِّ غَادِيَّةٍ ، تَحِيَّةٍ^٩
 فِيهَا التَّقَى وَالِدَيْنُ مَجْجُ مَوْعَانِ فِي نَفْسِ زَكِيَّةٍ^{١٠}
 يَا أُمَّتَا ، لَا تَحْزَنِي ، وَثِقِي بِفَضْلِ اللَّهِ فِيَّ^{١١}
 يَا أُمَّتَا ، لَا تَيْأَسِي ، اللَّهُ الْطَافُ خَفِيَّةٌ^{١٢}
 كَمْ حَادِثٍ عَنَّا جَلَا هُ ، وَكَمْ كَفَانَا مِنْ بَلِيَّةٍ^{١٣}
 أَوْصِيكَ بِالصَّبْرِ الْجَمِيِّ لَ ، فَإِنَّهُ خَيْرُ الْوَصِيَّةِ^{١٤}

- ١ يقول : إنه إذا انجذب إلى الدنية وطلب الفداء ، فلكي يدفع الضيم عن والدته ، وهو يرى في دفع هذا الضيم حمية منه أي أنفة .
- ٢ حرية : جديرة .
- ٣ تطرق : أخذه بمعنى تطرق . يقول : لو كانت الحوادث تدفع بحسن النية ، لما طرقت أرض هذه المرأة التقية الحسنة النية .
- ٤ الرزء : المصائب . الرزية : المصيبة . يقول : إن الصبر يكون على قدر المصيبة .
- ٥ الغادية : السحابة في الغدو . تحية : أي تحية من المطر .
- ٦ فيها : الضمير لمنبج . الزكية : الطاهرة المباركة .
- ٧ فيه : الهاء الاستراحة .
- ٨ الألفاظ : جمع اللطف وهو من الله التوفيق والعصمة .
- ٩ جلالة : كشفه .

يا حسرة !

قال الثعالبي : بلغ أبا فراس أن والدته قصدت حضرة سيف الدولة من منبج تكلمه في المفادة ، وتنصرع إليه ؛ فلم يكن عنده ما رجت من حسن الإيجاب . وقال ابن خالويه : ووافق ذلك أن البطارقة قيّدوا بحلب ، فقيّد أبو فراس بخرشنة . ورات الأمر قد عظم ، فاعتلت من الحسرة ، فبلغ ذلك أبا فراس ، فكتب إلى سيف الدولة بهذا :

يا حَسْرَةً ، ما أَكادُ أَحْمِلُها ! آخِرُها مُزْعِجٌ ، وأَوَّلُها !
عَلِيلَةٌ بالشَّامِ مُفْرَدَةٌ ، بات ، بأيدي العِدَى ، مُعَلِّلُها^١
تُمْسِكُ أَحْشَاءَها على حُرْقٍ ، تُطْفِئُها ، والهَمُومُ تُشْعِلُها^٢
إذا اطمَأْنَنْتَ ، وأين؟ أو هَدَأْتُ ، عَنَّتْ لها ذُكْرَةٌ تُقَلِّقُها^٣
تَسْأَلُ عَنَّا الرُّكبانَ ، جَاهِدَةً بأدْمَعٍ ما تَكَادُ تُمِيلُها ؛^٤
« يا مَنْ رأى لي ، بِحِصْنٍ خَرَشَنَةً ، أَسَدَ شَرَى ، في القِيودِ أَرَجَلُها ؟ »^٥
« يا مَنْ رأى لي الدَّرُوبَ شامِخَةً ، دونَ لِقائِ الحَبِيبِ أَطوَلُها ؟ »^٦
« يا مَنْ رأى لي القِيودَ مُوثِقَةً ، على حَبِيبِ الفُؤادِ أَثْقَلُها ؟ »^٧
- : يا أَيُّها الرَّاكبانِ ، هلْ لَكُما في حَمَلٍ نَجوى ، يَخَفُ مَحْمَلُها ؟^٨
قُولَا لها ، إنْ وَعَتْ مَقالَكُما ؛ وإنْ ذِكْرِي لها لِيُذْهِلُها ؛^٩

١ عليلة : المراد بها أمه . معللها : أي مسللها .

٢ الحرق : جمع حرق بالفتح والضم . تطفئها : أي تحاول إطفاءها بالصبر والطمأنينة .

٣ وأين : أي وأين اطمئنانها . عنت : ظهرت أمامها . الذكرة : الذكر ؛ ورويت فكرة .

٤ الركبان : المسافرون . جاهدة : ملحة عليهم في السؤال . بأدمع : الجار متعلق بجاهدة .

٥ الشرى : مأسدة يضرب بها المثل ؛ وقوله أسد شرى : أي أبو فراس ومن معه في الأسر .

٦ الدروب : مداخل بلاد الروم من جبال طورس .

٧ موثقة : محكمة .

٨ هل لكما : أي هل لكما رغبة .

٩ وعت : حفظت . يذهلها : ينسيها . والمعنى : إذا ذكر أبو فراس لها أصابها ذهول ، وأصبحت لا تعي ما يقال لها .

« يا أُمَّتَا ، هَذِهِ مَنَازِلُنَا ، نَتْرُكُهَا تَارَةً ، وَنَنْزِلُهَا ! »
« يا أُمَّتَا ، هَذِهِ مَوَارِدُنَا ، نَعْلُكُهَا تَارَةً ، وَنُنْهَلُهَا ^١ »
« أَسْلَمْنَا قَوْمُنَا إِلَى نُوْبٍ ، أَيْسَرُهَا فِي الْقُلُوبِ أَقْتَلُهَا »
« وَاسْتَبَدَّلُوا بَعْدَنَا ، رِجَالَ وَغَيٍّ ، يَوَدُّ أَدْنَى عُلَايَ أَمْثَلُهَا ^٢ »
« يَا سَيِّدَا ، مَا تُعَدُّ مَكْرُمَةً ، إِلَّا فِي رَاحَتِهِ أَكْمَلُهَا ^٣ »
« لَيْسَتْ تَنَالُ الْقِيُودُ مِنْ قَدَمِي ، فِي اتِّبَاعِي رِضَاكَ ، أَحْمِلُهَا »
« لَا تَتَيَمَّمْ ، وَالْمَاءُ تُبْدِرُكُهُ ، غَيْرُكَ يَرْضَى الصَّغْرَى وَيَقْبِلُهَا »
« إِنْ بَنَى الْعِمَّ لَسْتَ تَخْلُقُهُمْ ، إِنْ عَادَتِ الْأُسْدُ ، عَادَ أَشْبَلُهَا »
« أَنْتَ سَمَاءٌ ، وَنَحْنُ أَنْجُمُهَا ؛ أَنْتَ بِلَادٌ ، وَنَحْنُ أَجْبَلُهَا »

نعلها : نسقاها مرة بعد مرة ؛ تقول : عله وأعله : سقاها عللا ؛ ويقال عل من الماء : شرب مرة بعد مرة ، ولا يتعدى بنفسه . نهلها : نسقاها السقية الأولى ؛ تقول : أنهل : سقاها نهلا ؛ ويقال نهل من الماء : شرب أول الشرب ، ولا يتعدى بنفسه ؛ ومن ذلك قولهم : سقاها عللا بعد نهل . والمراد بهذا البيت والبيت السابق تقلب أحوال الدنيا بين شدة ورخاء ؛ وكأنه نظر إلى قول البحري :

وبعيد ما بين وارد رفه ، علل شربه ؛ ووارد خمس

٢ أمثلها : أفضلها . فاعل يود . يقول : إن هؤلاء الرجال الذين استبدلوهم بعدنا للحرب ، يتمنى أفضلهم أن يكون له أدنى عللي .

٣ راحته : باطن كفيه .

٤ يقال نال منه : أصابه بأذى أو مضرة .

٥ تيمم المسلم : مسح وجهه ويديه بالتراب ليصلي إذا لم يجد ماء يتوضأ به ، أما إذا كان الماء موجوداً فيبطل التيمم ؛ والمعنى هنا على المجاز . يقول : لا تستبدل بعدنا رجالاً للحرب كهؤلاء ، فهم كالتيمم عند امتناع الماء ، وأنت بوسعك أن تجد الماء ، أي أن تفتدينا ، فنغنيك عن هؤلاء الضعاف ، وإن غيرك يرضى الخطة الصغرى ويقبلها .

٦ تخلفهم : تكون خلفاً لهم أو تبقى بعدهم . على أن المعنى يقضي بأن تكون تخلفهم هنا بمعنى تجعل لهم خلفاً أي بدلا . الأسد : أي الأسرى في بلاد الروم . أشبلها : أي أشجعها ، وأراد بذلك نفسه . ولعلها : إن عدت الأسد عد أشبلها . وقد وردت عدت في بعض الروايات ؛ فيكون المعنى : لا تستطيع أن تخلف بني عمك أي أن تبقى وحدك بعدهم ؛ فإنك وإن كنت أسداً فهم أشبالك ، ولا تعد الأسود إلا عدت معها أشبالها ؛ وأشبلى : جمع شبل .

أَنْتَ سَحَابٌ ، وَنَحْنُ وَابِلُهُ ؛ أَنْتَ يَمِينٌ ، وَنَحْنُ أَنْمَلُهَا^١
بِأَيِّ عُنْدٍ رَدَدْتَ وَالْهَيْمَةَ ، عَلَيْكَ ، دُونَ الْوَرَى ، مُعَوَّلُهَا^٢
جَاءَتْكَ تَمَتَّاحُ رَدٍّ وَاحِدِهَا ؛ يَسْتَنْظِرُ النَّاسُ كَيْفَ تُقْفِلُهَا^٣
سَمَحْتُ مِنِّي بِمُهْجَةٍ كَرُمْتُ ، أَنْتَ ، عَلَى يَاسِيهَا ، مُؤَمَّلُهَا^٤
إِنْ كُنْتُ لَمْ تَبْدُلِ الْفِدَاءَ لَهَا ، فَلَمْ أَزَلْ ، فِي رِضَاكَ ، أَبْدُلُهَا^٥
تِلْكَ الْمَوَدَّاتُ ، كَيْفَ تُهْمِلُهَا ؟ تِلْكَ الْعُقُودُ الَّتِي عَقَدْتَ لَنَا ، كَيْفَ ، وَقَدْ أَحْكِمْتَ ، تُحَلِّلُهَا^٦
أَرْحَامُنَا مِنْكَ ، لِمَ تُقْطَعُهَا ؟ وَلَمْ تَزَلْ ، دَائِبًا ، تُوَصِّلُهَا^٧
أَيْنَ الْمُعَالِي الَّتِي عُرِفَتْ بِهَا ، تَقُولُهَا ، دَائِمًا ، وَتَفْعَلُهَا ؟
يَا وَاسِعَ الدَّارِ ؛ كَيْفَ تُوسِعُهَا ؟ وَنَحْنُ فِي صَخْرَةٍ نَزَلْزِلُهَا^٨
يَا نَاعِمَ الثَّوْبِ ؛ كَيْفَ تُبْدِلُهُ ؟ ثِيَابُنَا الصَّوْفُ مَا نُبْدِلُهَا^٩
يَا رَاكِبَ الْخَيْلِ ؛ لَوْ بَصُرْتَ بَنَا ، نَحْمِلُ أَقْيَادَنَا ، وَنَنْقُلُهَا^{١٠}

١ الوابل : المطر . الأنمل : الأصابع .

٢ الواهة : الشديدة الحزن ، ويريد بها والدته . المولى : الاتكال .

٣ تمتاح : أي تسأل : تقفلها : ترجمها .

٤ يقول : سمحت بنفسى الكريمة ، فبدلتها للاعداء في سبيلك ، وأنت موضع أملها مع ما هي عليه من اليأس .

٥ في رضاك : أي لأجل رضاك .

٦ العقود : جمع العقد وهو العهد المعقود ، والضمان . عقدت : أي عقدتها . أحكمت : أي أتقن عقدتها . تحللها يقال حل العقد : نقضه ، ولا يقال حله . ويظهر أنه أخذ العقد هنا بمعنى اليمين المعقودة . يقال حلل يمينه : أي تحلل منها ؛ وذلك كما لو حلف الإنسان على الشيء أن يفعله ، فيفعل منه اليسير يحلل به يمينه .

٧ لم : لم ، سكنت للشعر ضرورة . دائبًا : حال ، أي عاملاً جاداً .

٨ في صخرة : أي مع صخرة . والمعنى أنهم يشغلون بقلع الحجارة ؛ أو أن في بمعنى إلى ؛ فيكون المراد أنهم مشدودون بالحبال إلى صخرة ، فلا يطيقون مشياً إلا إذا زلزلوا هذه الصخرة ، وجروها وراهم ،

٩ الأقياد : جمع القيد كالقيود .

رأيت، في الضرر، أوجهها كرممت،
 قد أثر الدهر في محاسنها ،
 فلا تكلنا ، فيها ، إلى أحد ،
 لا يفتح الناس باب مكرمة ،
 أينبري ، دونك ، الأنام لها ؟
 وأنت ، إن عن حادث جلك ،
 منك تردى بالفضل أفضلها ،
 فإن سألنا سيواك عارفة ،
 إذا رأينا أولى الكرام بها ،
 لم يبق ، في الأرض ، أمة عرفت ،
 نحن أحق الوري برأفته ،
 فارق ، فيك ، الجمال أجمالها^١
 تعرفها ، تارة ، وتجهلها^٢
 معلها ، محسناً ، يعللها^٣
 صاحبها المستغاث يقللها^٤
 وأنت قمقامها ، ومعقلها^٥ !
 قلبها المرتجى وحولها^٦ !
 منك أفاد النوال أنولها^٧
 فبعد قطع الرجاء ، نسألها^٨
 يضيعها ، جاهداً ، ويهملها^٩ !
 إلا وفضل الأمير يشمكها^{١٠}
 فأين عنا ، وأين معدلها^{١١} ؟

- ١ رأيت : جواب لو بصرت بنا . فيك : أي لأجلك .
- ٢ فلا تكلنا : أي فلا تسلمنا ؛ يقال وكل إليه الأمر : سلمه إياه وتركه . فيها : أي معها ، والضمير يعود إلى أوجه الأسرى . معلها : مرضها ، والمراد به سيف الدولة ؛ يقال أعله : أمرضه . محسناً : حال . يعللها : أي يسليها ويطمعها في النجاة ، في حال إحسانه إليها بالفداء . ورويت : محسن على الخيرية ، فيكون المعنى : أن سيف الدولة الذي أمرضها رجل محسن ، ولكنه يعللها بالمواعيد ، ولا يحسن إليها بالفداء .
- ٣ يقللها : أعاد الضمير إلى المكرمة لا إلى الباب . والمراد بصاحبها المستغاث : سيف الدولة .
- ٤ أينبري له : يعترض له . القمقام : السيد . المعقل : الملجأ . يقول : كيف يعرض الأنام دونك لفتح مكرمة ، وأنت سيد الأنام وملجأها .
- ٥ عن : ظهر . جلل : عظيم . قلبها وحولها : الضمير فيهما للأنام ؛ يقال رجل قلب حول ، أو حول قلب : أي بصير بتقليب الأمور حكيم في تصرفها .
- ٦ تردى : لبس . أفضلها : الضمير للأنام . أفاد : استفاد . النوال : العطاء . أنولها : أكثرها عطاء .
- ٧ العارفة : المعروف . قطع الرجاء : أي قطع الرجاء منك . نسألها : الضمير للعارفة .
- ٨ أولى الكرام : أي سيف الدولة . بها : الضمير للعارفة . جاهداً : جاداً مجتهداً .
- ٩ الوري : الخلق . فأين عنا : أي فأين ذهبت عنا . معدلها : مصرفها ومحيدها .

يا مُسْفِقَ المَالِ ، لا يُريدُ بهِ إِلَّا المَعَالِي الَّتِي يُؤْثِلُهَا^١
أَصْبَحْتَ تَشْرِي مَكَارِمًا فَضْلًا ، فِدَاؤُنَا ، قَدْ عَلِمْتَ ، أَفْضَلُهَا^٢
لا يَقْبَلُ اللهُ ، قَبْلَ فَرَضِكَ ذَا ، نَافِلَةٌ عِنْدَهُ تُنْفَلُهَا^٣

فخر الفارس الأسير

وقال يفتخر ، وقد بلغه أن الروم قالت : ما أسرنا أحداً له نسلب ثيابه وسلاحه غير أبي فراس :

أراك عَصِيَّ الدَّمْعِ ، شِيَمَتُكَ الصَّبْرُ ، أَمَا لِلْهَوَى نَهْيٌ عَلَيْكَ وَلَا أَمْرٌ ؟
بَلَى ، أَنَا مُشْتَاقٌ ، وَعِنْدِي لَوَعَةٌ ، وَلَكِنْ مِثْلِي لَا يُذَاعُ لَهُ سِرٌّ !
إِذَا اللَّيْلُ أَضْوَانِي بَسَّطَتْ يَدَ الْهَوَى ، وَأَذَلَّتْ دَمْعًا ، مِنْ خَلَاثِقِهِ الْكِبَرُ^٤
تَكَادُ تُضِيءُ النَّارُ ، بَيْنَ جَوَانِحِي ، إِذَا هِيَ أَذَكَّتْهَا الصَّبَابَةُ وَالْفِكْرُ^٥
مُعَلَّلَتِي بِالْوَصْلِ ، وَالْمَوْتُ دُونَهُ ، إِذَا مِتُّ ظَمَأْنَا ، فَلَا نَزَلَ الْقَطَرُ^٦
بَدَوْتُ ، وَأَهْلِي حَاضِرُونَ ، لِأَنِّي أَرَى أَنَّ دَارًا ، لَسْتُ مِنْ أَهْلِهَا ، قَفَرُ^٧
وَحَارَبْتُ قَوْمِي ، فِي هَوَاكِ ، وَإِنَّهُمْ وَلِيَّايَ ، لَوْلَا حُبُّكَ ، الْمَاءُ وَالْخَمْرُ^٨

١ يؤثِلها : يؤصلها ويعظمها .

٢ فضلاً : زيادة ، بضم الضاد وسكونها ؛ قال بعضهم : والسكون أكثر وأصوب . وهي مصدر بمعنى الفضلة والزيادة .

٣ فرضك ذا : أي الفداء ، جعله فرضاً على سيف الدولة . النافلة : ما زاد عن الفرض ؛ وهي في العبادات والمكارم ما يستحسن عمله ، ولكنه ليس بفرض واجب . تنفلها : تزيدها .

٤ أضواني : أضعفني .

٥ الجوانح : أوائل الضلوع تحت الترائب . أذكتها : أشعلتها . الصبابة : الشوق .

٦ معلقي : منادى محذوف الأداة ، من علله بالشيء : أطبعه فيه وشاغله مسلياً له ومعزياً ؛ واصل التعليل : السقي مرة بعد مرة ، فاستعير للمشغلة والإطباع . القطر : المطر .

٧ بدوت : أتيت البادية ، حيث هي الحبيبة . حاضرون : مقيمون في الحضر .

٨ في هواك : أي لأجل هواك . يقول : لولا حبك ، لامتزجت بقومي كما يمتزج الماء والخمر .

فإن كان ما قال الوشاة^١ ، ولم يكن^٢ ،
وفيت^٣ ، وفي بعض الوفاء^٤ مدلّة^٥ ،
وقور^٦ ، وريعان^٧ الصبا يستغفرها ؛
تسألني : من أنت ؟ وهي عليمة^٨ ؛
فقلت^٩ ، كما شاءت وشاء لها الهوى :
فقلت لها : لو شئت^{١٠} ، لم تتعنّتي^{١١} ،
فقالت^{١٢} : لقد أزرى بك الدهر بعدنا !
فأيقنت أن لا عز^{١٣} ، بعدي ، لعاشق^{١٤} ،
وقلّبت أمري ، لا أرى لي راحة^{١٥} ،
فعدت إلى حكم الزمان وحكمها ؛
كأنني أنادي ، دون ميثاء^{١٦} ، ظبيّة^{١٧} ،
على شرف^{١٨} ، ظمياء^{١٩} ، جلكها الذعر^{٢٠} .

١ ما قال الوشاة : أي أني وفيت لأنسة شيمتها الغدر . ولم يكن : الواو بمعنى أو . عجز البيت مثل .
يعني : أن الحب الصادق يهدم ما بناء قول الوشاة .

٢ وقور : أي هي وقور . الريعان : من كل شيء أوله . يستغفرها : يستغفها . فتأرن : تمرح ،
يقال مهر أرن : أي نشيط مرح .

٣ على حاله : أي على حاله من الشهرة والذكر ، أو من اللوعة والوجد . النكر : الجهل بالشيء ،
وعدم معرفة الشخص .

٤ لم تتعنّتي : أي لم تتعنّتي ؛ يقال تعنته : سأله عن شيء أراد به التلبس عليه والمشقة . الخبر : بالكسر
والضم العلم بالشيء .

٥ أزرى بك : حقرك ، وأدخل عليك عيباً . معاذ الله : مفعول مطلق ، أي أعوذ بالله معاذاً ؛ يقال
عاذ بالله : التجأ إلى رحمته .

٦ لا عز بعدي لعاشق : يعني أن الحب أزرى به عندها على عزته ورفعة قدره ، لذلك لا عز لعاشق لها
بعده ؛ وأي عاشق له عزة أبي فراس ؟ مما علقت به : أي مما تعلقت به من الآمال أو المواعيد .
صفر : خالية .

٧ إلى حكم الزمان وحكمها : ينظر إلى قوله : بل أنت والدهر .

٨ الميثاء : التلعة تعظم حتى تكون مثل نصف الوادي أو ثلثيه . والتلعة : ما اتسع من فوهة الوادي .
الشرف : المكان العالي . ظمياء : رقيقة الجفون . جلقها : غطاها ، على المجاز أي شملها .

تَسْجَفُلُ حِينًا ، ثُمَّ تَرْنُو ، كَأَنَّهَا
فَلَا تُنْكِرُنِي ، يَا ابْنَةَ الْعَمِّ ، إِنَّهُ
وَلَا تُنْكِرُنِي ، لِأَنِّي غَيْرُ مُنْكَرٍ ،
وَلَأَنِّي لَنَزَالُ بِكُلِّ مَخَوْفَةٍ
وَلَأَنِّي لَجَرَّارٌ لِّكُلِّ كَتِيبَةٍ
فَأُظْمَأُ ، حَتَّى تَرْتَوِي الْبَيْضَ وَالْقَنَا ؛
وَلَا أَصْبَحُ الْحَيَّ الْخُلُوفَ بَغَارَةً ،
وَيَا رَبَّ دَارٍ ، لَمْ تُخَفِّنِي ، مَسِيعَةً ،
تُنَادِي طَلَاً ، بِالْوَادِ ، أَعْجَزَهُ الْحُضْرُ^١
لِيَعْرِفُ مَنْ أَنْكَرَتْهُ الْبَدْوُ وَالْحَضْرُ^٢
إِذَا زَلَّتِ الْأَقْدَامُ ، وَاسْتُنْزِلَ النَّصْرُ^٣
كَثِيرٌ إِلَى نَزَالِهَا النَّظَرُ الشَّرُّ^٤
مُعَوَّدَةٌ أَنْ لَا يُخِيلَ بِهَا النَّصْرُ^٥
وَأُسْغَبُ ، حَتَّى يَشْبَعَ الذُّثْبُ وَالنَّسْرُ^٦
وَلَا الْجَيْشَ ، مَا لَمْ تَأْتِهِ ، قَبْلِي ، النَّذْرُ^٧
طَلَعْتُ عَلَيْهَا بِالرَّدَى ، أَنَا وَالْفَجْرُ^٨

- ١ تجفل : أي تتجفل . ترنو : تديم النظر بسكون طرف . الطلا : ولد الظبية ساعة يولد . بالواد : على حذف الياء والاكتفاء بالكسرة ؛ وقد ورد هذا في كلام العرب . الحضر : الركض . يقول : أناذي هذه الحبيبة لتندو إلي ، وتترك هجري ، فتجفل مبتعدة عني ، ثم ترنو إلي كأنها تدعوني ؛ فهي تشبه ظبية رقيقة الأجفان واقفة على مكان عال أمام واد ، وقد شملها الذعر من الصيادين ، فحينئذ تجفل مبتعدة ، وحينئذ ترنو إلى الوادي كأنها تنادي ولدأ لها صغيراً ، عاجزاً عن اللحاق بها .
- ٢ الحضر : أي الحضر بفتح الضاد ، سكنها للشعر .
- ٣ زلت الأقدام : أي زلت وتعثرت أقدام الفرسان في الحرب لهولها وصعوبة الإقدام فيها . استنزله : أنزله وطلب نزوله . والمعنى أنه معروف غير منكر ، تعرفه الفرسان في الشدة ، حين يطلب النصر ، وقد استمعى ، فينزله عليهم .
- ٤ مخوفة : أي أرض يخاف فيها . كثير : نعمت سببي لمخوفة . النظر : فاعل كثير . والنظر الشرز : أي نظر فيه إعراض كنظر الغضببان المبالغض . والمعنى : أن هذه الأرض المخوفة كثيرة الأعداء .
- ٥ يخل بها : يتركها ويغيب عنها .
- ٦ أسغب : أجوع . والمعنى : أنه لا يفكر في شراب ولا طعام حتى يحوز النصر ، فترتوي السيوف والرماح من الدماء ، ويشبع الذئب والنسر من لحوم القتلى .
- ٧ أصبح الحي : آتبه صباحاً ، من صبح . الخلوف : جمع خَلَفَ ؛ يقال : حي خلوف ، على معنى الجمع في الحي : أي رجالهم غائبون ، لم يبق منهم إلا العاجزون ومن يستقي الماء ، والنساء . النذر : جمع النذير ، أي المنذر ، سكنت الذال للشعر . والمعنى : أنه لا يغزو جيشاً قبل أن ينذره .
- ٨ بالردي : أي مع الردي .

وَحَيٍّ رَدَدْتُ الْخَيْلَ ، حَتَّى مَلَكَتُهُ
 وَسَاحِبَةِ الْأَذْيَالِ نَحْوِي ، لَقِيْتُهَا ؛
 وَهَبْتُ لَهَا مَا حَازَهُ الْجَيْشُ ، كُلَّهُ ،
 وَلَا رَاحَ يُطْغِنِي بِأَثْوَابِهِ الْغِنَى ،
 وَمَا حَاجَتِي بِالْمَالِ أَبْغِي وَفُورَهُ ؟
 أُسْرْتُ ، وَمَا صَحْبِي بَعُزْلٍ ، لَدَى الْوَغَى ،
 وَلَكِنْ ، إِذَا حُمَّ الْقَضَاءُ عَلَى امْرِئٍ ،
 وَقَالَ أَصِيحَابِي : الْفِرَارُ أَوْ الرَّدَى !
 وَلَكِنِّي أَمْضِي لِمَا لَا يَعْيُنِي ،
 يَقُولُونَ لِي : بَيْعَتَ السَّلَامَةِ بِالرَّدَى ؛
 وَهَلْ يَتَجَافَى عَنِّي الْمَوْتُ سَاعَةً ؟
 إِذَا مَا تَجَافَى عَنِّي الْأَسْرُ وَالضَّرَّ ١١

- ١ وحي : عطف على دار . رددت الخيل : أي رددت خيل فرسانه . الخمر : جمع الخمار ، سكنت الميم للشعر وهو التصيف تنطوي به المرأة رأسها ؛ فقوله ردتني البراقع والخمر : أي رجع عن الحي بعد أن استولى عليه ولم يسب النساء ، ولا هتك خدورهن .
- ٢ الوعر : ضد السهل . يقول : رب فتاة لقيتها بعد النصر آتية إلي تسحب أذيالها تبخراً لما هي عليه من النعمة ، فأحسنلت لقاءها ولم أكن جافياً وعراً .
- ٣ المعنى : أن هذه الفتاة جاءتته متكلة على شهامته ، تسأله أن يرد أموال الحي التي غنمها ، فوهبها كل ما حازه الجيش ، وفارقها وهي مكرمة مصوفة .
- ٤ يطغني : يجعلني طاغياً أي ظالماً مسرفاً في المعاصي .
- ٥ لم أفر عرضي : أي لم أصنه . الوفر : المال .
- ٦ العزل : جمع الأعزل ، من لا سلاح معه . ولا فرسي مهر : أي أن فرسه مجرب في الحروب ، لا مهر حديث العهد بخوض المعامع . ربه : صاحبه . الغمر بالفتح والضم : من لم يجرب الأمور .
- ٧ حم القضاء : قضي أمره .
- ٨ الفرار أو الردى : أي الفرار أماناً أو الموت .
- ٩ لما لا يعينني : أي للردى لا للفرار . من أمرين : أي الردى والأسر .
- ١٠ بالردى : أي بدلا منه ، فالماخوذ الردى ، والمتروك السلامة . الخسر بالضم والفتح : الخسارة
- ١١ تجافى عني : تنحى . الضر : المرض والهزال .

هُوَ الْمَوْتُ؛ فَاخْتَرَهُ مَا عَلَا لَكَ ذِكْرُهُ^١؛
يَمْتَنُونَ أَنْ خَلَّتْوا ثِيَابِي ، وَإِنَّمَا
وَقَائِمَ سَيْفٍ ، فِيهِمْ ائْتَقَ نَصْلُهُ^٢ ،
سَيِّدَ كُرْنِي قَوْمِي ، إِذَا جَدَّ جِدُّهُمْ ؛
فَإِنْ عِشْتُ ، فَالْطَّعَنُ الَّذِي يَعْرِفُونَهُ^٣ ،
وَلِنْ مِتُّ ، فَالْإِنْسَانُ ، لَا بُدَّ ، مَيِّتٌ
وَلَوْ سَدَّ غَيْرِي مَا سَدَدْتُ ، اِكْتَفَوْا بِهِ ؛
وَنَحْنُ أَنْاسٌ^٤ ، لَا تَوَسَّطَ بَيْنَنَا ؛
تَهُونُ عَلَيْنَا ، فِي الْمَعَالِي ، نَفُوسُنَا ؛
أَعَزُّ بَنِي الدُّنْيَا ، وَأَعْلَى ذَوِي الْعُلَى ،
فَلَمْ يَمُتِ الْإِنْسَانُ مَا حَيَّيَ الذِّكْرُ^٥
عَلَى ثِيَابٍ ، مِنْ دِمَائِهِمْ^٦ ، حُمْرُ
وَأَعْقَابَ رُمَحٍ ، فِيهِمْ حُطَمَ الصَّدْرِ^٧
وَفِي اللَّيْلَةِ الظُّلُمَاءِ يُفْتَقَدُ الْبَدْرُ^٨
وَتِلْكَ الْقَنَاءُ ، وَالْبَيْضُ ، وَالضُّمَرُ الشُّقْرُ
وَلِنْ طَالَتِ الْأَيَّامُ ، وَانْفَسَحَ الْعُمْرُ
وَمَا كَانَ يَغْلُو التَّبَرُّ ، لَوْ نَفَقَ الصُّفْرُ^٩
لَنَا الصَّدْرُ ، دُونَ الْعَالَمِينَ ، أَوْ الْقَبْرِ
وَمَنْ خَطَبَ الْحَسَنَاءَ ، لَمْ يَغْلُهَا الْمَهْرُ^{١٠}
وَأَكْرَمُ مَنْ فَوْقَ الثَّرَابِ ، وَلَا فَمَحْرُ^{١١}

- ١ ما حيي الذكر : أي مدة حياة الذكر . فما : ظرفية زمانية .
- ٢ يمتنون : الضمير يعود إلى الروم . يقول : يمين الروم علي إبقاء ثيابي ، وإنهم لم ينزعوها عني ؛ يذكرون ذلك ويعمدونه فضلاً وحسنة منهم . وإنما تركوا علي ثياباً مخضبة بدمائهم .
- ٣ وقائم : عطف علي ثيابي ؛ وقائم السيف مقبضه . اندق : انكسر . أعقاب الرمح : أسافله حيث لا يكون السنان ، واحدها عقب . صدر الرمح : أعاليه حيث يكون السنان .
- ٤ جد : اجتهد وضد هزل . الجدد : الاجتهاد ، وضد الهزل . وقوله : جد جدتهم أي اشتد خطبهم ، ولم يكن هزلاً .
- ٥ فالطعن الذي يعرفونه : أي فعندي الطعن الذي يعرفونه للدفاع عنهم . الضمر : أي الخيول الضامرة البطون .
- ٦ التبر : الذهب . الصفر : النحاس الأصفر . يقول : لو أغنى غيري غنائي في الحروب ، لا اكتفى قومي به ؛ وكذلك النحاس لو نفق بين الناس في التداول كما ينفق الذهب لما كان الذهب غالياً .
- ٧ لم يغلها : أي لم يغل بها ، علي نزع الخافض . والمراد : لم يكن المهر غالياً بها مهما عظم ؛ فالحسنة مقابل المعالي ، والمهر مقابل نفوسنا .
- ٨ أعز : خير لمحدوف ، أي نحن .

الحمامة النائحة

قال ، وقد سمع حمامة تنوح على شجرة عالية ، وهو في الأسر

أقولُ ، وقد ناحَتْ بِقُرْبِي حَمَامَةٌ : أَيْ جَارَتَا ، هَلْ تَشْعُرِينَ بِحَالِي ؟
مَعَاذَ الْهَوَى ! مَا ذُقْتُ طَارِقَةَ النَّوَى ، وَلَا خَطَرْتَ مِنْكَ الْهُمُومُ بِبَالٍ^١
أَتَحْمِلُ مَحْزُونََ الْفُؤَادِ قَوَادِمُ^٢ ، عَلَى غُصْنِ نَائِي الْمَسَافَةِ عَالٍ^٣ ؟
أَيْ جَارَتَا ، مَا أَنْصَفَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا ، تَعَالَيْ ، أَقَاسِمُكَ الْهُمُومَ ، تَعَالِي !^٤
تَعَالَيْ ، تَرَى رَوْحًا ، لَدَيَّ ، ضَعِيفَةً ، تَرَدَّدُ فِي جِسْمِي يُعْدَدُّ ، بِال
أَيْضَحْكَ مَأْسُورٌ ، وَتَبْكِي طَلِيقَةً^٥ ، وَيَسْكُتُ مَحْزُونٌ^٦ ، وَيَتَدُبُّ سَالٍ ؟
لَقَدْ كُنْتُ أَوَّلَى مِنْكَ بِالْدَّمْعِ مُقْلَةً ؛ وَلَكِنْ دَمَعِي ، فِي الْحَوَادِثِ ، غَالٍ !

رسائل الحبيب

يَا لَيْلُ ، مَا أَغْفَلَ عَمَّا بِي حَبَائِي ، فَيْكَ ، وَأَحْبَابِي^١
يَا لَيْلُ ، نَامَ النَّاسُ عَنْ مَوْجَعٍ نَاءٍ ، عَلَى مَضْجَعِهِ ، نَابٍ^٢
هَبَّتْ لَهُ رِيحٌ شَامِيَّةٌ^٣ ، مَتَتْ إِلَى الْقَلْبِ بِأَسْبَابٍ^٤
أَدَّتْ رِسَالَاتِ حَبِيبٍ لَنَا ، فَهَمَّتْهَا مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِي

- ١ المَعَاذُ : الْمَلْجَأُ ، وَقَوْلُهُ مَعَاذَ الْهَوَى مِنْكَ مَعَاذًا ، أَيْ أَعْصِمْهُ عَصْمَةً وَأَحْفَظْهُ حَفْظًا .
- ٢ الْقَوَادِمُ : عَشْرُ رِيَشَاتٍ فِي مَقْدَمِ جَنَاحِ الطَّائِرِ ، وَهِيَ كِبَارُ الرِّيشِ ، مَفْرَدُهَا قَادِمَةٌ . يَقُولُ : لَوْ كُنْتُ حَزِينَةً الْفُؤَادِ لِأَصَابِكَ ضَعْفٌ وَفُتُورٌ ، وَلِمَا حَمَلْتِكَ قَوَادِمَكَ عَلَى هَذِهِ الشَّجَرَةِ الْعَالِيَةِ .
- ٣ الْهُمُومُ : أَيْ هُمُومِي . تَعَالِي الثَّانِيَةِ : كَسَرَ اللَّامَ فِيهَا لَفَةً .
- ٤ أَغْفَلَ : يُقَالُ أَغْفَلَ عَنِ الشَّيْءِ : جَعَلَهُ يَغْفُلُ عَنْهُ .
- ٥ نَاءٌ : بَعِيدٌ ، أَيْ يَبْعِدُ عَنْ وَطْنِهِ وَأَهْلِهِ . عَلَى مَضْجَعِهِ : الْجَارُ مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ أَيْ مُسْتَقَرٍّ . نَابٌ : غَيْرُ مُطْمَئِنٍّ وَلَا مُسْتَرِيحٍ ؛ يُقَالُ نَابَ عَنْ فَرَّاشِهِ : لَمْ يَطْمَئِنِّ وَلَمْ يَجِدِ الرَّاحَةَ عَلَيْهِ .
- ٦ مَتَتْ : يُقَالُ مَتَ إِلَيْهِ بَصْلَةٌ أَوْ قَرَابَةٌ : تَوَصَّلَ إِلَيْهِ . الْأَسْبَابُ : الْحَبَالُ ، وَالْمُرَادُ بِهَا الصَّلَاتُ الَّتِي بَلَّغَتْ بِهَا الرِّيحُ إِلَى قَلْبِ الشَّاعِرِ ، وَهِيَ أَنَّهُ ذَكَرَتْهُ بِأَحْبَبَتِهِ فِي الشَّامِ .

رثاء اخت سيف الدولة

قال يرثي خولة أخت سيف الدولة الكبرى ، وهو أسير في بلاد الروم ؛ توفيت في ميافارقين سنة ٩٦٣ م (٣٥٢ هـ) وبعث بالقصيدة إلى أخيها :

أوصيك بالْحُزْنَ ، لا أوصيك بالْحَلْدِ ؛ جَلَّ المَصَابُ عَنِ التَّعْنِيفِ والفَنَدِ^١
 لَمَّا أَجَلْتُكَ أَنْ تُكْفَى بِتَعَزِيَّةٍ عَنِ خَيْرِ مُفْتَقِدٍ ، يَا خَيْرَ مُفْتَقِدٍ
 هِيَ الرِّزِيَّةُ ! إِنْ ضَنْتُ بِمَا مَلَكَتْ فِيهَا الجُفُونُ ، فَمَا تَسْخُو عَلَى أَحَدٍ^٢
 بِي مِثْلُ مَا بَكَ مِنْ حُزْنٍ وَمِنْ جَزَعٍ ؛ وَقَدْ لَحَأْتُ إِلَى صَبْرٍ ، فَلَمْ أَجِدِ^٣
 لَمْ يَنْتَقِصْنِي بَعْدِي عَنْكَ مِنْ حُزْنٍ ، هِيَ المُوَاسَاةُ فِي قُرْبٍ وَفِي بُعْدٍ^٤
 لِأَشْرِكَنَّكَ فِي البَاسَاءِ ، إِنْ طَرَقَتْ ، كَمَا شَرِكْتُكَ فِي النِّعَمَاءِ والرَّغْدِ^٥
 أَبْكِي بَدَمْعٍ ، لَهُ مِنْ حَسْرَتِي مَدَدٌ ، وَأُسْتَرِيحُ إِلَى صَبْرٍ بِلَا مَدَدٍ^٦
 وَلَا أُسَوِّغُ نَفْسِي فَرَحَةً أَبَدًا ؛ وَقَدْ عَرَفْتُ الَّذِي تَلْقَاهُ مِنْ كَمَدٍ^٧
 وَأَمْنَعُ النَّوْمَ عَيْنِي أَنْ يُلِمَّ بِهَا ، عِلْمًا بِأَنَّكَ مَوْقُوفٌ عَلَى السَّهْدِ^٨
 يَا مُفْرَدًا ، بَاتَ يَبْكِي ، لَا مُعِينَ لَهُ ، أَعَانَتْكَ اللَّهُ بالتَّسْلِيمِ والجَلْدِ^٩
 هُوَ الِاسِيرُ المَفْدَى ، لَا فِدَاءَ لَهُ ، يَفْدِيكَ بِالنَّفْسِ والأَهْلِينَ والْوَلَدِ^{١٠}

١ الفند : إنكار العقل . يقول : إن المصيبة أعظم من أن ينال صاحبها تعنيف أو فند إذا استسلم إلى الحزن .

٢ الرزية : المصيبة . فيها : الضمير للرزية . وقوله : بما ملكت الجفون : أي بما ملكت من الدموع .

٣ الجزع : فقد الصبر .

٤ انتقصه : أنقصه . المواساة : المشاركة ، أي المشاركة في المصاب .

٥ الباساء : ضد النعماء .

٦ يقول : إنه يجد من حسرته عوناً على البكاء ، ولكنه لا يجد من نفسه عوناً على الصبر إذا أراد أن يستريح إليه .

٧ أسوغ نفسي فرحة : أي أجوزها لها .

٨ أن يلم : أي عن أن يلم . السهد : الأرق ، مصدر سهد .

٩ يا مفرداً : أراد به نفسه على سبيل التجريد . التسليم : الرضى ، أي الرضى بما حكم الله .

١٠ المفدى : الذي يقال له جعلت فداك . يفديك : الخطاب لسيف الدولة .

اغراض مختلفة

فخر وحماسة

من قصيدة يفتخر بها ويذكر إيقاعه مع سيف الدولة بالقبائل الثائرة :

ألم تَرْنَا أعَزَّ النَّاسِ جَاراً ، وأَمْنَعَهُمْ ، وأَمْرَعَهُمْ جَنَاباً؟^١
لَنَا الْجَبَلُ الْمُطِيلُ عَلَى نِزَارٍ ، حَكَلْنَا النَّجْدَ ، مِنْهُ ، وَالْهِيضَابَا^٢
تُفَضِّلُنَا الْأَنَامُ ، وَلَا تُحَاشِي ؛ وَنُوصِّفُ بِالْجَمِيلِ ، وَلَا نُحَابِي^٣
وَقَدْ عَلِمَتْ رِيْعَةٌ ، بَلْ نِزَارٌ ، بَأْنَا الرَّأْسُ ، وَالنَّاسَ الذَّنَابِي^٤
وَلَمَّا أَنْ طَغَتْ سُفْهَاءُ كَعْبٍ ، فَتَحْنَا ، بَيْنَنَا ، لِلْحَرْبِ بَابَا^٥
مَنْحَنَاهَا الْحَرَائِبَ ؛ غَيْرَ أَنَّا ، إِذَا جَارَتْ ، مَنْحَنَاهَا الْحِرَابَا^٦
وَلَمَّا ثَارَ سَيْفُ الدِّينِ ، ثُرْنَا ، كَمَا هَيَّجَتْ آسَاداً غِيْضَابَا^٧
أُسْنَتُهُ ، إِذَا لَاقَى طِعَانَا ؛ صَوَارِمُهُ ، إِذَا لَاقَى ضِرَابَا^٨
دَعَانَا ، وَالْأُسْنَةُ مُشْرَعَاتٌ ، فَكُنَّا ، عِنْدَ دَعْوَتِهِ ، الْجَوَابَا^٩

- ١ أمرعهم : أخصبهم . الجناب : فناء الدار ؛ وما قرب من محلة القوم .
- ٢ النجد : المرتفع من الأرض . الهضاب ، جمع هضبة : الجبل المنبسط على الأرض . يقول : إنهم أشرف القبائل النزارية وأعلاها حسباً ، وأكثرها عدداً .
- ٣ لا تحاشي : أي لا تستثني أحداً . لا نحابي : أي لا ينحرف عن الحق من يصفنا بالجميل ؛ يقال حاباه : مال إليه منحرفاً عن الحق .
- ٤ بَأْنَا : الباء زائدة قياساً . الذنابي : ذنب الطائر .
- ٥ سفهاء كعب : جهالهم ؛ وكعب قبيلة عربية خرجت على سيف الدولة .
- ٦ الحرائب : جمع حريبة وهي ما يعتاش به من المال .
- ٧ سيف الدين : أي سيف الدولة .
- ٨ أسنته : أي نحن أسنته ، وكذلك صوارمه .
- ٩ مشرعات : مسددات .

وَكُنَّا كَالسَّهَامِ ، إِذَا أُصَابَتْ مَرَامِيهَا ، فَرَامِيهَا أَصَابَتْ^١
صَنَائِعُ ، فَاقَ صَانِعُهَا ، ففَاقَتْ ، وَغَرَسَ ، طَابَ غَارِسُهُ ، فَطَابَتْ^٢

الشجاعة والكرم

وقال يفتخر :

إِنَّا ، إِذَا اشْتَدَّ الزَّمَا نُ ، وَنَابَ خَطْبٌ وَادْلَهَمَ^٣
أَلْفَيْتَ ، حَوْلَ بَيْوتِنَا ، عُدَدَ الشَّجَاعَةِ وَالْكَرَمِ^٤ ؛
لَلِقَا الْعِدَى ، بِيضَ السَّيِّو فِ ؛ وَلَلْنَدَى ، حُمَرَ النَّعَمِ^٥
هَذَا ، وَهَذَا دَأْبُنَا ؛ يُودَى دَمٌ ، وَيُرَاقُ دَمٌ^٦

أكرام الضيف

وقال في الفخر :

إِذَا مَرَرْتَ بِوَادٍ جَاشَ غَارِبُهُ ، فَاعْقِلْ قَلْوَصَكَ ، وَانْزِلْ ، ذَاكَ وَادِينَا^٧

- ١ يقول : إنهم كالسهم في يد سيف الدولة ، والسهم إذا أصابت المرمى فالفضل للرامي لا لها .
- ٢ صنائع : جمع صنعة وهي المصطنع والإحسان . تقول هو صنيعتي : أي الذي ربيته ، واصطنعته لنفسه ، وخرجه واختصاصته . يقول : نحن صنائع ، فاق صانعها سيف الدولة ، ففاقت هي ؛ ونحن غرس ، طاب غارسه سيف الدولة ، فطاب هو .
- ٣ ناب الخطب : نزل وألم . ادلم : اشتد سواده .
- ٤ ألفيت : وجدت .
- ٥ الندى : الكرم . النعم : الإبل .
- ٦ الدأب : العادة . يودى دم : تعطى ديته ، وهي حق الدم . يقول : نريق دم الأعداء بسيوفنا ، وهي عدة الشجاعة عندنا . ونحتمل الديات عن المستجيرين بنا ، وقد أعجزهم حملها ، فننقضي ما عليهم من حق الدماء ، بإذلين لهم لإبلنا ، وهي عدة الكرم عندنا .
- ٧ جاش : غل واضطرب . الغارب : أعالي الموج . القلوص : الناقة ، وعقلها : شد قوائمها بالحبل ليمنعها من القيام والسير . والمعنى : إذا مررت بواد خصيب تدفقت مياه النهر الجاري فيه ، فانزل على الرحب ، فذاك وادينا .

وإنْ وَقَفْتَ بِنَادٍ لَا يُطِيفُ بِهِ
نُغِيرُ فِي الْمَهْجَمَةِ الْغَرَاءِ نَنَحْرُهَا ؛
وَتُجْفَلُ الشَّوْلُ ، بَعْدَ الْخَمْسِ ، صَادِيَةٌ
وَتُصْبِحُ الْكُومُ أَشْتَاتًا مُرَوَّعَةً ،
وَيُصْبِحُ الضَّيْفُ أَوْلَانَا بِمَنْزِلِنَا ؛
أَهْلُ السَّفَاهَةِ ، فَاجْلِسْ ؛ ذَاكَ نَادِينَا ١
حَتَّى لِيَعْطَشَ ، فِي الْأَحْيَانِ ، رَاعِينَا ٢
إِذَا سَمِعْنَا ، عَلَى الْأَمْوَاهِ ، حَادِينَا ٣
لَا تَأْمَنُ ، الدَّهْرَ ، إِلَّا مِنْ أَعَادِينَا ٤
نَرْضَى بِذَاكَ ، وَيَمْضِي حُكْمُهُ فِينَا ٥

عند الموت

روى له ابن خالويه شعراً قاله عند موته ، يخاطب به ابنته امرأة أبي العشائر الحمداني :

أُبْنِيَّتِي ، لَا تَجْزَعِي ، كُلُّ الْأَنَامِ إِلَى ذَهَابٍ ؛
أُبْنِيَّتِي ، صَبْرًا جَمِيًّا ، لِأَنَّ الْجَلِيلَ مِنَ الْمُصَابِ ؛
نُوحِي عَلَيَّ بِحَسْرَةٍ ، مَنْ خَلَفَ سِتْرِي وَالْحِجَابِ
قُولِي ، إِذَا كَلَّمْتَنِي ، وَعَيَّيْتُ عَنْ رَدِّ الْجَوَابِ ؛
زَيْنُ الشَّبَابِ أَبُو فِرَا سِ ، لَمْ يُمَتِّعْ بِالشَّبَابِ ؛

- ١ نغير : نسرع إلى النحر . المهجمة من الإبل : من الأربعين أو السبعين إلى المائة ، أو ما دون المائة .
الغراء : الكريمة . ننحرها : أي ننحرها للضيوف . حتى : ابتدائية . وقوله : يعطش راعينا ،
أي أنهم يذبحون النوق للضيوف ، حتى لا يجد الراعي حلوبة ، يشرب من لبنها ويروي ظمأه .
- ٢ تجفل : تنفر هاربة فرعاء . الشول : جمع شائلة ، على غير قياس ، وهي من الإبل ما أتى عليها من حملها
أو وضعها سبعة أشهر فجف لبنها . الخمس : يقال سقى الإبل الخمس ، أي أورد لها الماء يوماً ،
ثم أظلمها ثلاثة أيام ، ثم أورد لها في اليوم الخامس . صادية : عطشى . الأمواه : المياه . وقوله :
إذا سمعنا صوت حاديننا : لأنها عندما تسمع صوت الحادي على الماء ، تدرك بالغريزة أنه سيسوقها إلى
النحر ، فتجفل هاربة تاركة الورود مع شدة عطشها .
- ٣ الكوم : القطعة من الإبل . يقول : تنفر الإبل عندما تسمع صوت الحادي ، وتصبح متفرقة مذعورة ؛
فهي لكثرة ما ينزل بنا من الضيوف ، لا تأمن منا مدى الدهر على حياتها ، ولكنها تأمن من الأعداء
أن يغيروا ، ويستولوا عليها .
- ٤ لا تجزعي : لا تفقدي الصبر . ورويت : لا تحزني . ذهاب : يجوز في هذا الوزن تسكين حرف الروي وتحريكه .
- ٥ كلمتني ، وفي رواية : ناديتني .

الشریف الرضی

الفخر

ثورة المجد

نَبَّهْتُهُمْ^١ مِثْلَ عَوَالِي الرِّمَاحِ إِلَى الْوَعْيِ قَبْلَ نُمُومِ الصَّبَاحِ
قَوَارِسُ^٢ نَالُوا الْمُنَى بِالْقَنَا ، وَصَافَحُوا أَغْرَاضَهُمْ^٣ بِالصَّفَّاحِ
لَغَارَةٍ سَامِعُ^٤ أَنْبَائِهَا يَغْنَصُ^٥ مِنْهَا بِالزُّلَالِ الْقَرَّاحِ
لَيْسَ عَلَى مُضْرِمِهَا سُبَّةٌ^٦ وَلَا عَلَى الْمُجْلِبِ مِنْهَا جُنَاحٌ^٧
دُونَكُمْ^٨ فَابْتَدِرُوا غُنْمَهَا : دُمِّي^٩ مُبَاحَاتٍ وَمَالٌ^{١٠} مُبَاحٌ^{١١}

* * *

يَا نَفْسُ^{١٢} مَنِ هَمَّ^{١٣} إِلَى هِمَّةٍ فَلَيْسَ^{١٤} مِنْ عِبَاءِ الْأَذَى مُسْتَرَاخٍ
قَدْ آنَ^{١٥} لِلْقَلْبِ الَّذِي كَدَّهُ^{١٦} طَوْلُ مُنَاجَاةِ الْمُنَى أَنْ يُرَاحَ^{١٧}
لَا بَدَّ^{١٨} أَنْ أُرَكَّبَهَا صَعْبَةً^{١٩} وَقَاحَةً^{٢٠} تَحْتَ غَلَامٍ^{٢١} وَقَاحٍ^{٢٢}
يُجْهِدُهَا^{٢٣} أَوْ يَنْشَنِي^{٢٤} بِالرَّدَى^{٢٥} دُونَ^{٢٦} الَّذِي قُدِّرَ^{٢٧} أَوْ بِالنَّجَاحِ^{٢٨}

١ المجلب منها : أي الذي يضيغ من هولها . الجناح : الإثم .

٢ الدمي : الصور المنقشة المزينة ، تضرب مثلاً في الحسن ، وتشبه بها النساء الجميلات ، كما هو المراد هنا ، واحداً دمية .

٣ كده : طلب منه الكد .

٤ وقاحة : ألحقت الهاء ضرورة . يقال : فرس وقاح الحافر ، إذا كان حافرها صلباً . غلام وقاح : أي صبور على الركوب ، من قولهم : رجل وقاح الذنب بتحريك النون .

الراح والراحة ذلُ الفتي والعزُّ في شربِ ضريبِ اللقاح^١
 في حيث لا حُكمَ لغيرِ القنا ولا مُطاعٌ غيرُ داعي الكِفاحِ
 ما أطيَّبَ الأمرَ ولو أنه على رذايا نَعَمٍ في مُراح^٢
 وأشعثَ المتفرقِ ذي هِمَّةٍ طوحه الهَمُّ بعيداً فطاحُ
 لما رأى الصبرَ مُضيراً بهِ ، راحَ ومن لم يُطقِ الذلَّ راحَ
 دفعاً بصدرِ السيفِ لما رأى أن لا يردَّ الضيمُ دفعاً بِراح^٣
 متى أرى الزوراءَ مُرتجَّةً تُمطرُ بالبيضِ الظُّبى أو تُراح^٤
 يصيحُ فيها الموتُ عن السُنِّ من العوالي والمواضي فصاحُ

* * *

متى أرى الأرضَ وقد زُلزِلَتْ بعارضٍ أغبرَ دامي النّواح^٥
 متى أرى الناسَ وقد صُبّحوا أوائلَ اليومِ بطعنِ صُراح^٦
 يكتفتُ الهاربُ في عِطفيه ، مُروّعا يرقُبُ وقعَ الجِراحِ
 متى أرى البيضَ وقد أمطرتْ سَيْلَ دَمٍ يَغلبُ سَيْلَ البطاح^٦
 متى أرى البيضةَ مَصدوعةً عن كلِّ نَشوانٍ طويلِ المِراح^٧

- ١ الضريب : اللبن يحلب بعضه فوق بعض من عدة لقاح . اللقاح : جمع لقوح وهي الناقة الحلوب بعدما تلقحت وقرب عهدها بالتناج . والمراد تفضيل تقشف البدو على ترف الحضرة ، فأولئك لا يشربون الألبان إلا بالغزو والحروب ، وهؤلاء يشربون الخمر وهم في راحة وضعف عزيمة .
 ٢ الرذايا ، جمع رذية : وهي الناقة الضعيفة والمهزولة من السير . رويت في الديوان بالزاي المعجمة ، وهو تحريف . النعم : الإبل . المراح : مأوى الإبل .
 ٣ الراح : جمع الراحة ، وهي باطن الكف .
 ٤ الزوراء : بغداد ، لأن أبوابها الداخلة جعلت مزورة عن الخارجة . تراح : تضربها الريح .
 ٥ العارض : السحاب المعترض في السماء ، والمراد غبار الحرب . النواح : النواحي على ترك الياء .
 ٦ البيض : السيوف . البطاح : جمع أبطح وبطحاء ، وهو مسيل واسع فيه دقاق الحصى .
 ٧ البيضة : الخوذة من الحديد تستعمل لوقاية الرأس في الحرب . المراح : المرح .

مُضْمَخِ الْجِيدِ نَوُومِ الضُّحَى
إِذَا رَدَّاحُ الرُّوعِ عَنَّتْ لَهُ،
قَوْمٌ رَضُوا بِالْعَجَزِ وَاسْتَبَدَلُوا
تَوَارِثُوا الْمُلْكَ ، وَلَوْ أَنْجَبُوا ،
غَطَّى رِدَاءُ الْعِزِّ عَوْرَاتِهِمْ
إِنِّي ، وَالشَّائِمُ عِرْضِي ، كَمَنْ
يَطْلُبُ شَاوِي وَهُوَ مُسْتَيْقِنٌ
فَارْمِ بَعَيْنَيْكَ مَلِيًّا تَرَى
وَارْقَ عَلَى ظِلْعِكَ هَيْهَاتَ أَنْ
لَا هَمَّ قَنَابِي بِرُكُوبِ الْعُلَى
إِنْ لَمْ أَنْلُهَا بِاشْتِرَاطٍ كَمَا

كَأَنَّهُ الْعَدْرَاءُ ذَاتُ الْوِشَاحِ^١
فَرَّ إِلَى ضَمِّ الْكَعَابِ الرِّدَّاحِ^٢
بِالسَّيْفِ يَدْمَى غَرْبُهُ كَأْسَ رَاحٍ
لَوَرَّثُوهُ عَنْ طِعَانِ الرِّمَاحِ
فَافْتَضَحُوا بِالذَّلِّ أَيَّ افْتِضَاحٍ
رَوَّعَ آسَادَ الشَّرَى بِالنَّبَاحِ
أَنْ عِنَانِي فِي يَمِينِ الْجِمَاحِ
وَقَعَ غُبَارِي فِي عَيُونِ الطَّلَاحِ^٣
يُزْعَزَعُ الطُّودُ بِمَرِّ الرِّيَّاحِ^٤
يَوْمًا وَلَا بَلَّ يَدِي بِالسَّمَّاحِ
شَتَّ عَلَى بَيْضِ الظُّبَى وَاقْتِرَاحِ^٥

تعب النفوس الكبار

لَأَيِّ حَبِيبٍ يَحْسَنُ الرَّأْيُ وَالْوُدُّ ،
أَرَى ذَمِّيَ الْإِيَّامَ مَا لَا يَضُرُّهَا ،
وَمَا هَذِهِ الدُّنْيَا لَنَا بِمُطِيعَةٍ ،
تَحُوزُ الْمَعَالِي وَالْعَبِيدَ لِعَاجِزٍ ،
وَأَكْثَرُ هَذَا النَّاسِ لَيْسَ لَهُ عَهْدُ
فَهَلْ دَافِعٌ عَنِّي ، نَوَائِبُهَا ، الْحَمْدُ؟
وَلَيْسَ خَلْقٌ مِنْ مُدَارَاتِهَا بُدَّ
وَيَخْدِمُ فِيهَا نَفْسَهُ الْبَطْلُ الْفَرْدُ^٥

١ مضمخ الجيد : مطيب العنق .

٢ الرِّدَّاح الأولي: الكتبية الثقيلة الحرارة. الرُّوع: هول الحرب. الرِّدَّاح الثانية: المرأة الثقيلة الأوراك.

٣ الطَّلَاح : الإبل أعيانها السير .

٤ ارق على ظلك : أي ارفق بنفسك ، ولا تتجاوز حدك . والظلع : العرج .

٥ تحوز : تجمع وتضم ، وتسوق .

أَكْلٌ قَرِيبٌ لِي بَعِيدٌ بَوْدُهُ ،
وَلِلَّهِ قَلْبٌ لَا يَبُلُّ غَلِيلُهُ
يُكَلِّفُنِي أَنْ أَطْلُبَ الْعِزَّ بِالْمُنَى ،
أَحِينَ ، وَمَا أَهْوَاهُ رَمَحٌ وَصَارِمٌ
فَيَأْتِيَنِي مِنْ قَلْبٍ مُعَنَّئِي بِهِ الْحَشَا ،
أُرِيدُ مِنَ الْآيَامِ كُلِّ عَظِيمَةٍ ،
وَلَيْسَ فَتًى مَنَّ عَاقٍ عَنْ حَمَلِ سَيْفِهِ
إِذَا كَانَ لَا يَمْضِي الْحُسَامُ بِنَفْسِهِ ،
وَحَوْلِي مِنْ هَذَا الْأَنَامِ عِصَابَةٌ
يَسُرُّ الْفَتَى دَهْرٌ ، وَقَدْ كَانَ سَاءَةً ،
وَلَا مَالَ إِلَّا مَا كَسَبَتْ بَنِيْلُهُ
وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا أَنْ تُصَاحِبَ فِتْنَةً
إِذَا طَرَبُوا يَوْمًا إِلَى الْعِزِّ ، شَمَّرُوا ،
وَكَمْ لِي فِي يَوْمِ الثَّوِيَّةِ رَقْدَةٌ ،
إِذَا طَلَبَ الْأَعْدَاءُ إِثْرِي بِبِلْدَةٍ ،
وَلَوْ شَاءَ رُمِحِي سَدَّ كُلَّ ثَنِيَّةٍ ،

وَكُلُّ صَدِيقٍ بَيْنَ أَضْلُعِهِ حِقْدٌ ؟
وَصَالٌ ، وَلَا يُلْهِيهُ عَنْ خِلَتِهِ وَعَدٌ
وَأَيْنَ الْعُلَى إِنْ لَمْ يُسَاعِدْنِي الْجَدُّ ١ ؟
وَسَابِغَةٌ زَغَفٌ وَذُو مَيْعَةٍ نَهْدٌ ٢
وَيَا لِي مِنْ دَمْعٍ قَرِيحٍ بِهِ الْجَدُّ ٣
وَمَا بَيْنَ أَضْلَاعِي لَهَا أَسَدٌ وَرَدٌ
إِسَارٌ ، وَحَلَاةٌ ، عَنْ الطَّلَبِ ، الْقَيْدُ ٤
فَلِلضَّارِبِ ، الْمَاضِي بِقَائِمِهِ ، الْجَدُّ ٥
تَوَدَّدُهَا يَخْفَى ، وَأَضْغَانُهَا تَبْدُو
وَتُخْدِمُهُ الْآيَامُ ، وَهُوَ لَهَا عَبْدٌ
ثَنَاءٌ ، وَلَا مَالَ لِمَنْ لَا لَهُ مُجَدُّ
مَطَاعِينَ لَا يَعْنيهِمُ النَّحْسُ وَالسَّعْدُ
وَأِنْ نُدَبُوا يَوْمًا إِلَى غَارَةٍ ، جَدَّوْا
يُضَاجِعُنِي فِيهَا الْمُهَنْدُ وَالْغِمْدُ
نَجَوْتُ وَقَدْ غَطَّتِي عَلَى إِثْرِي الْبُرْدُ
تُطَالِعُنِي فِيهَا الْمَغَاوِيرُ وَالْجُرْدُ ٥

* * *

- ١ الجَدُّ : الحظ والاجتهاد .
٢ السَّابِغَةُ : الدرع الطويلة . الزَغَفُ : الدرع اللينة الواسعة المحكمة . المَيْعَةُ : أول جري الفرس وأنشطه .
النَّهْدُ : الفرس الحسن الجميل الجسم اللحم الطويل المشرف .
٣ الإِسَارُ : الأسر . حَلَاةٌ : تخفف حَلَاةٌ أَي منعه عن الطلب ، أَي عن طلب المعالي . الْقَيْدُ : القيد .
٤ يَمْضِي الحُسَامُ : يقطع . الْقَائِمُ : مقبض السيف .
٥ الثَّنِيَّةُ : العقبة أو طريقها .

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَبْلَغُنِي الْمُنَى ،
 جِيَادٌ ، وَقَدْ سَدَّ الْغُبَارُ فِرَاجَهَا ،
 خِفَافٌ عَلَى إِثْرِ الطَّرِيدَةِ فِي الْفَلَا ،
 كَأَنَّ نَجُومَ اللَّيْلِ ، تَحْتَ سُورِجِهَا ،
 يُعِيدُ عَلَيْهَا الطَّعْنَ كُلُّ ابْنِ هِمَّةٍ ،
 يُضَارِبُ حَتَّى مَا لَصَارِمِهِ قُوًى ،
 تَغْتَرَّبَ لَا مُسْتَحْقِبًا غَيْرَ قُوَّتِهِ ،
 وَلَا خَائِفًا إِلَّا جَرِيرَةَ رُمُوحِهِ ،
 إِذَا عَرَبِيٌّ لَمْ يَكُنْ مِثْلَ سَيْفِهِ ،
 وَمَا ضَاقَ عَنْهُ كُلُّ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ ،
 إِذَا قَلَّ مَالُ الْمَرْءِ قَلَّ صَدِيقُهُ ،
 وَأَصْبَحَ يُغْضِي الطَّرْفَ عَنْ كُلِّ مَنْظَرٍ ،
 فَمَا لِي وَلِلْأَيَّامِ أَرْضَى بِجَوْرِهَا ،
 تَغَاضَى عَيُونُ النَّاسِ عَنِّي مَهَابَةً ،
 يَوَدُّ رِجَالٌ أَنَّنِي كُنْتُ مُفْحَمًا ،
 مَدَحَتْهُمْ فَاسْتَقْبَحَ الْقَوْلُ فِيهِمْ ،
 زَهِدْتُ ، وَزُهْدِي فِي الْحَيَاةِ لَعَلَّةٍ ،
 وَتَلَقَى بِي الْأَعْدَاءُ أَحْصِيَنَةً جُرْدُ ؟
 تَرَوْحُ إِلَى طَعْنِ الْقَبَائِلِ أَوْ تَغْدُو
 إِذَا مَا جَتِ الرَّمْضَاءُ وَاخْتَلَطَ الطَّرْدُ
 تَهَاوَى عَلَى الظُّلُمَاءِ ، وَاللَّيْلِ مُسَوَّدُ
 كَأَنَّ دَمَ الْأَعْدَاءِ فِي قَمِيهِ شَهْدُ
 وَيَطْعُنُ حَتَّى مَا لِلذَّابِلِ جَهْدُ^١
 وَلَا قَائِلًا إِلَّا لِمَا يَتَهَبُ الْمَجْدُ^٢
 وَلَا طَالِبًا إِلَّا الَّذِي تَطْلُبُ الْأُسْدُ^٣
 مَضَاءٌ عَلَى الْأَعْدَاءِ ، أَنْكَرَهُ الْجَدُّ
 مِنَ الْأَرْضِ ، إِلَّا ضَاقَ عَنْ نَفْسِهِ الْجِلْدُ
 وَفَارَقَهُ ذَاكَ التَّحَنُّنُ وَالْوَدُّ
 أَنْيَقِ ، وَيُلْهِمِهِ التَّغَرُّبُ وَالْبُعْدُ
 وَتَعْلَمُ أَنَّنِي لَا جَبَانَ وَلَا وَغْدُ ؟^١
 كَمَا تَنْقِي شَمْسَ الضُّحَى الْأَعْيُنُ الرُّمْدُ
 وَلَوْلَا خِصَامِي لَمْ يَوَدُّوا الَّذِي وَدُّوا
 أَلَا رَبُّ عُنُقٍ لَا يَلِيقُ بِهِ عِقْدُ
 وَحُجَّةٌ ، مَنْ لَا يَبْلُغُ الْأَمَلَ ، الزُّهْدُ

١ الذابِل : الرمح

٢ قَائِلًا : تَارِكًا

٣ الْجَرِيرَةُ : الْجَنَاحَةُ .

وهانَ على قلبي الزّمانُ وأهلُهُ ،
وأرضي من الأيامِ أنْ لا تُميتَنِي ،
ووجدانُنا ، والموتُ يَطلبُنا ، فقدُ
وبي ، دونَ أقراني ، نوائبُها النُّكدُ

فخر الهاشمي

لغيرِ العليّ مني القليّ والتّجنُّبُ ،
إذا اللهُ لم يَعدُرْكَ فيما تَرومُهُ ،
ملكتُ بحِلْمِي فرصةً ما استرقَها ،
فإنْ تلكُ سنِّي ما تَطاولَ باعُها
فحَسبي أنِّي في الأعادي مُبَغَّضٌ ،
وللحِلْمِ أوقاتٌ ، وللجَهِلِ مثلُها ،
يَصولُ عليّ الجاهِلونَ وأعتَي ،
يَرونَ احتمالي غُصّةً ، ويَزيدُهم
وأَعرِضُ عن كأسِ النَّدِيمِ كأنّها
وقورٌ ، فلا الأَلحانُ تأسرُ عَزمَتِي ،
ولا أَعْرِفُ الفَحشاءَ إلّا بوَصفِها ،
تَحَلَّمُ عن كَرِّ القَوَارِصِ شِيمَتِي
لساني حَصاةٌ يَقرَعُ الجَهِلَ بالحِجَى ،

ولولا العليّ ما كنتُ في الحبِّ أَرغبُ
فَمّا النَّاسُ إلّا عاذِلٌ أو مُؤثِّبٌ^١
من الدَّهرِ ، مفتولُ الذِّراعينِ أَغلبُ^٢
فلي من وَراءِ المَجْدِ قَلْبٌ مُدَرَّبُ
وأَتِي إلى غُرِّ المعالي مُحَبَّبُ
ولكنّ أوقاتي إلى الحِلْمِ أَقربُ
ويُعْجِمُ في القائلونَ وأَعرِبُ^٣
لَواعِجَ ضِغْنٍ أنْني لَسْتُ أَغْضَبُ
ومِضُّ غَمَامٍ ، غائرُ المَزنِ ، خُلِبُ
ولا تَمَكُّرُ الصَّهْبَاءِ بي حينَ أَشْرَبُ
ولا أنْطِقُ العَوراءَ والقلبُ مُغْضَبُ^٤
كأنّ مُعيدَ الدِّمِّ بالمدحِ مُطْنِبُ^٥
إذا نالَ مني العاضِهُ المُثَوِّبُ^٦

١ يعذرك : ينصرك . والعذير : النصير .

٢ استرقها : ملكها .

٣ يعجم : يبهم القول . أعرِب : أفصح .

٤ العوراء : الكلمة القبيحة .

٥ تحلم : تتكلف الحلم . القوارص من الكلام : التي تنقص وتؤلم .

٦ الحصة : الرزاق . العاضه : الكاذب الذي يجهي بالزور والبهتان . المثوب : المعتدي .

ولستُ براضٍ أنْ تَمَسَّ عَزَائِمِي فُضَالَاتٍ مَا يُعْطِي الزَّمَانُ وَيَسْلُبُ
غَرَائِبُ آدَابٍ حَسْبَانِي بِحِفْظِهَا زَمَانِي، وَصَرَفُ الدَّهْرِ نِعَمَ الْمُؤَدِّبِ

تراث النبي

- رُدُّوا تَرَاثَ مُحَمَّدٍ رُدُّوا ، لَيْسَ الْقَضِيبُ لَكُمْ وَلَا الْبُرْدُ !
- هَلْ عَرَقَتْ فِيكُمْ كَفَاطِمَةٌ ، أَمْ هَلْ لَكُمْ كُحْمَدٍ جَدَّةٌ ؟
- جُلُّ افْتِخَارِهِمْ بِأَنْتَهُمْ ، عِنْدَ الْخِصَامِ ، مَصَاقِعُ لُدَّةٌ^١
- إِنْ الْخَلَائِفَ وَالْأُولَى فَخَرُوا . بِهِمْ عَلَيْنَا قَبْلُ أَوْ بَعْدُ
- شَرُّفُوا بَنَا ، وَبَلَدْنَا خَلِيقُوا ، وَهُمْ صَنَائِعُنَا إِذَا عُدُّوا

أنف حمي

نفث الشاعر هذه الأبيات ، وقد ناله أمر ضاق به صدره ، فلما ظهرت جرى العتب من القادر بالله على والده لأجلها ، فأنكرها الرضي ولم يثبتها في ديوانه ، إلا أنها مشهورة عنه ، وقد وجدت بخطه ، وبعد ذلك بأيام صرفه القادر عن النقابة :

ما مُقَامِي عَلَى الْهَوَانِ ، وَعِنْدِي مِقُولٌ صَارِمٌ ، وَأَنْفٌ حَمِيٌّ !
وإِبَاءٌ مُحَلَّقٌ بِي عَنْ الضِّيمِ ، كَمَا رَاغَ طَائِرٌ وَحْشِيٌّ^٢
أَيُّ عُنْدٍ لَهُ إِلَى الْمَجْدِ ، إِنْ ذَلْ غُلَامٌ فِي غِمْدِهِ الْمَشْرِفِي ؟
أَلْبَسُ الذَّلَّ فِي دِيَارِ الْأَعَادِي ، وَبِمِصْرَ الْخَلِيفَةِ الْعَلَوِي

١ عرقت : أي كانت عريقة في كرم الأصل .

٢ المصاقع : جمع مصقع كمنبر ، وهو العالي الصوت ، ومن لا يرتج عليه في كلامه ولا يتعتع .. اللد : جمع ألد ، وهو الخصم الحريص الذي لا يميل إلى الحق .

٣ راغ : نفر .

مَن أبوه أبي ، ومولاه مَولاي ، إذا ضامني البعيدُ القصي^١
 لفَ عِرقي بعِرقه سيّدُ الناسِ جميعاً مُحَمّدٌ ، وعلى
 إنّ ذلّي بذلكَ الجوّ عزٌّ ، وأوامي بذلكَ النّقعِ ريّ^٢
 قد يذلُّ العزّيزُ ما لم يُشَمّرْ لانطلاقٍ ، وقد يُضامُ الأبّي !
 إنّ شرّاً عليّ لإسراعُ عزمي في طيّابِ العلى ، وحظّي ببطي
 أرْتضي بالأذى ، ولم يقفِ العزمُ قُصوراً ، ولم تَعزّ المَطّي-
 تاريكاً أُسرّتي رُجوعاً إلى حيثُ عذيري قيدٌ ، ورعي وبّي^٣
 كالذي يتخبّطُ الظّلامَ ، وقد أقمرَ من خلفه النّهارُ المضي !

١ أبوه : أي جده الرسول . مولاه : أي الإمام علي ، ينظر إلى حديث الولاية .
 ٢ الأوام : حر العطش . النقع : أن تجمع الريق في فمك ، والماء المستنقع .
 ٣ المذير : النصير . القد : السوط . الوبي : الكثير الوباء .

ابو العلاء المعري

الحياة والموت

ضحكة القبر

غيرُ مُسجِدٍ في مِلَّتِي واعتِقادي ، نوحُ بالكِ ، ولا تَرَنَّمُ شادِ
وشبَّيهُ صَوْتُ النّعيِّ ، إذا قيَّ سَ ، بصَوْتُ البَشِيرِ في كلِّ نادِ
أَبَكْتَ تِلْكَمُ الحَمَامَةُ ، أم غَدَ نَتَّ على فَرعٍ غُصْنِهَا المَيَّادِ ؟
صاحِ هَذي قُبُورُنَا تَمَلَأُ الرُّحُ بَ ، فأينَ القُبُورُ مِن عَهْدِ عادِ ؟
خَفَّفِ الوَطْءَ ما أَظُنُّ أَدِيمَ ^{وهد} الـ أَرْضِ إِلَّا مِن هَذهِ الأجسادِ
وقبَّحْ بنا ، وإنْ قَدُمَ العَهْدُ دُ ، هَوَانُ ^{إهانة} الآباءِ والأجدادِ
سرٌّ، إنْ اسطَعْتَ ، في الهَواءِ رُويداً ، لا اخْتِيالاً على رُفَاتِ العبادِ
رُبَّ لَحْدٍ ، قد صارَ لَحْداً مِراراً ، ضاحِكٍ مِن تَزاحُمِ الأضدادِ
ودَفِنٍ على بَقايا دَفِينٍ ، في طَوِيلِ الأزمانِ والآبادِ
تَعَبٌ كُلُّهَا الحَيَاةُ ، فَمَا أَعْدَ جَبُّ إِلَّا مِن رَاغِبٍ في ازديادِ
إنَّ حُزْناً ، في ساعةِ الموتِ ، أضعا فُ سرورٍ في ساعةِ الميلادِ
خَلِقَ النَّاسُ لِلْبَقَاءِ ، فَضَلَّتْ أُمَّةٌ يَحْسَبُونَهُمُ للنِّقَادِ
إنَّما يَنْقَلُونَ مِن دارٍ أَعْمَا لِي إلى دارٍ شِقْوَةٍ أو رِشَادِ

صَجَعَةُ الْمَوْتِ رَقْدَةٌ يَسْتَرِيحُ الـ
جِسْمُ فِيهَا ، وَالْعَيْشُ مِثْلُ الشَّهَادِ

* * *

بَانَ أَمْرُ الْإِلَهِ ، وَاخْتَلَفَ النَّاسُ
وَالَّذِي حَارَتِ الْبَرِّيَّةُ فِيهِ ،
وَاللَّيْبُ اللَّيْبُ مَنْ لَيْسَ يَغْدُو
تَرُّ بِكَوْنٍ مَصِيرُهُ لِلْفَسَادِ

مزاعم الفلاسفة

كَيْفَ احْتِيَالُكَ وَالْقَضَاءُ مَدْبَرٌ ،
أَرْوَاحُنَا مَعَنَا ، وَلَيْسَ لَنَا بِهَا
وَمَتَى سَرَى عَنْ أَرْبَعِينَ حَالِيفُهَا
نَفْسٌ تُحْسِنُ بِأَمْرٍ أُخْرَى ، هَذِهِ
مَنْ لِلدَّافِينَ بَأْنٍ يُفَرِّجُ لَحْدَهُ
وَالدَّهْرُ يَقْدُمُ وَالْمَعَاشِرُ تَنْقَضِي ،
زَعَمَ الْفَلَسَافَةُ الَّذِينَ تَنْطَبَسُوا
قَالُوا وَآدَمُ مِثْلُ أَوْبَرَ وَالْوَرَى
كَذِبٌ يُقَالُ عَلَى الْمَنَابِرِ دَائِمًا ،
وَلَعَلَّ دُنْيَانَا كَرَقْدَةٍ حَالِمٍ ،
فَالْعَيْنُ تَبْكِي فِي الْمَنَامِ فَتَجْتَنِي
وَالنَّفْسُ لَيْسَ لَهَا عَلَى مَا نَالَهَا

تَجْنِي الْأَذَى وَتَقُولُ إِنَّكَ مُجْبَرٌ
عِلْمٌ ، فَكَيْفَ إِذَا حَوَّتْهَا الْأَقْبَرُ
فَالشَّخْصُ يَصْغُرُ وَالْحَوَادِثُ تَكْبُرُ
جِسْرٌ إِلَيْهَا بِالْمَخَافِ يُعْبَرُ
عَنْهُ فَيَسْنَهُضُ وَهُوَ أَشْعَثُ أَغْبَرُ
وَالْعَجْزُ تَصْدِيقٌ بِمَيْنٍ يُخْبِرُ
أَنَّ الْمَنِيَّةَ كَسَرُهَا لَا يُجْبَرُ
كِبَنَاتِهِ ، جَهْلَ أَمْرٍ مَا أَوْبَرُ
أَقْلًا يَمِيدُ لِمَا يُقَالُ الْمَنِيرُ
بِالْعَكْسِ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ تُعْبَرُ
فَرَحًا ، وَتَضْحَكُ فِي الرِّقَادِ فَتُعْبَرُ
صَبْرٌ ، وَلَكِنْ بِالْكَرَاهَةِ تَصْبَرُ

١ بنات أوبر : نوع من الكماة رديئة الطعم . يرد على الطبيعيين الذين يحملون مصير الإنسان بعد الموت كمصير النبات والحيوان .

٢ تعبر : تدمع .

عذاب القبر

إذا حَرَّقَ الهِنْدِيُّ بالنَّارِ نَفْسَهُ ، فَلَمْ يَبْقَ نَحْضٌ للترابِ ولا عَظْمٌ^١
فهَلْ هُوَ خَاشٍ مِنْ نَسْكِيرٍ وَمَنْكَرٍ وَضَغْطَةِ قَبْرِ لَا يَقُومُ لها نَظْمٌ^٢

جزاء الآخرة

إذا أَتَانِي حِمَامِي مَاحِيًا شَبَّحِي وَمَا صَنَعْتُ ، فَعَيْشِي كُلُّهُ عَنَّتُ^٣
لَعَلَّ قَوْمًا يُجَازِيهِمْ مَلِكُهُمْ ، إِذَا لَقَوْهُ ، بِمَا صَامُوا وَمَا قَنَتُوا^٤

مصير الإنسان

صَاحِ ، مَا تَضْحَكُ البروقُ شَمَاتًا بِحِمَامٍ وَلَا تُبَكِّي الرَّعُودُ
يَا مَحَلِّي ، عَلَيْكَ مِنِّي سَلَامٌ ، سَوْفَ أَمْضِي وَيُنْجِزُ المَوْعُودُ
لَيْتَ شَعْرِي عَمَّنْ يَحُلِّكَ بَعْدِي ، أَقِيَامٌ لَصَالِحٍ أَمْ قُعُودُ ؟
أَيُرْجَوْنَ أَنْ أَعُودَ إِلَيْهِمْ ، لَا تُرْجَوُوا فَإِنِّي لَا أَعُودُ
وَبَلِّسْمي إِلَى التَّرَابِ هُبُوطٌ ، وَلرُوحِي إِلَى الهَوَاءِ صُعُودُ
وَعَلَى حَالِهَا تَدُومُ اللَّيَالِي ، فَنُحُوسٌ لِمَعَشَرٍ أَوْ سَعُودُ

شرط المعري

قَالَ المُنْجَمُ والطَّيِّبُ كِلَاهُمَا : لَا تُحْشَرُ الأجْسَادُ ، قَلْتُ : إِلَيْكُمَا
إِنْ صَحَّ قَوْلُكُمَا ، فَلَسْتُ بِخَاسِرٍ ، أَوْ صَحَّ قَوْلِي ، فَالْخَسَارُ عَلَيْكُمَا

١ النحض : اللحم .

٢ العنت : الشدة ودخول المشقة .

٣ قنتوا : أي قاموا بما عليهم الله من الطاعة والصلاة .

حيرة العقل في الموت

أَذْهَنِي طَالَ عَهْدُكَ بِالصِّقَالِ
سَتُطْلِقُنِي الْمَنِيَّةُ عَنْ قَرِيبٍ ،
إِذَا انْتَقَلَسْتُ عَنْ الْأَوْصَالِ نَفْسِي
أَسِيرُ فَلَا أَعُودُ وَمَا رُجُوعِي !
أُمُورٌ يَلْتَبَسْنَ عَلَى الْبَرَائَا ،
وَمَا جَ النَّاسُ فِي قِيلٍ وَقَالَ
فَأَنِّي فِي إِسَارٍ وَاعْتِقَالَ
فَمَا لِلْجِسْمِ عِلْمٌ بِانْتِقَالَ
وَقَدْ كَانَ الرَّحِيلُ رَحِيلًا قَالَ^١
كَأَنَّ الْعَقْلَ مِنْهَا فِي عِقَالَ

لا رجعة بعد الموت

ضَحِكْنَا وَكَانَ الضَّحْكُ مَنَا سَفَاهَةً ،
يُحَاطَمُنَا رَيْبُ الزَّمَانِ كَأَنَّا
وَحُقَّ لِسُكَّانِ الْبَسِيطَةِ أَنْ يَبْكُوا
زُجَاجٌ وَلَكِنْ لَا يُعَادُ لَهُ سَبْكُ

الروح بعد الموت

وَالرُّوحُ شَيْءٌ لَطِيفٌ لَيْسَ يُدْرِكُهُ
سُبْحَانَ رَبِّكَ ، هَلْ يَبْقَى الرَّشَادُ لَهُ ،
وَذَلِكَ نُورٌ لِأَجْسَادٍ يُحَسِّنُهَا ،
قَالَتْ مَعَاشِرُ : يَبْقَى عِنْدَ جُثَّتِهِ ،
وَلَيْسَ فِي الْإِنْسِ مِنْ نَفْسٍ إِذَا قُبِضَتْ^٢
عَقْلٌ وَيَسْكُنُ مِنْ جِسْمٍ الْفَتَى حَرَجًا^٣
وَهَلْ يُحِسُّ بِمَا يَلْقَى إِذَا خَرَجًا ؟
كَمَا تَبَيَّنَتْ تَحْتَ اللَّيْلَةِ السَّرْجَا
وَقَالَ نَاسٌ : إِذَا لَاقَى الرَّدَى عَرَجًا^٤
سَافَ الَّذِينَ لَدَيْهَا طَيِّبَهَا الْأَرَجَا

١ قال : مبغض .

٢ المخرج : المكان الضيق .

٣ عرج : ارتقى .

٤ ساف : اشم .

وأَسْعَدُ النَّاسِ بِالدُّنْيَا أَخُو زُهْدٍ ، نَافَى بَنِيهَا ، وَنَادَا ، إِذْ مَضَى : دَرَجَا^١

حيرته في الروح

إِنْ يَصْحَبِ الرُّوحَ عَقْلِي بَعْدَ مَظْعَنِيهَا لِمَوْتٍ ، عَنِّي ، فَأَجْدِرُ أَنْ تَرَى عَجَبًا
وإنْ مَضَتْ فِي الْهَوَاءِ الرَّحْبِ هَالِكَةً^٢ هَلَاكَ جَسْمِي فِي تُرْبِي فَوَاشَجَبًا^٣

لا أسف على الحياة

إِرْجِعْ إِلَى السَّنِّ فَانْظُرْ مَا تَقَادُمُهَا ، فَاحْكُمْ عَلَيْهِ وَلَا تَحْكَمْ عَلَى الشَّعْرِ
فَكَمْ ثَلَاثِينَ حَوْلًا شَيْبَتْ ، وَمَضَتْ سَتُونَ وَالشَّيْبُ فِيهَا غَيْرُ مُسْتَعِيرٍ
وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا صِبْغَةً جُعِلَتْ طَبَعًا وَإِنْ قِيلَ شَابَ الرَّأْسُ لِلدُّعْرِ
تَمْضِي الْحَيَاةُ ، وَمَا لِي لِثَرَاهَا أَسْفُ^٤ وَدِدْتُ أَنْ مُعِيرَ الْعَيْشِ لَمْ يُعِيرِ
وَالْمَوْتُ يَسْلُبُ مَا فِي الْأَنْفِ مِنْ شَمَمٍ تَحْتَ التَّرَابِ ، وَمَا فِي الْخَدِّ مِنْ صَعَرٍ
أَرَى فِرَارِي مِنَ الْمِقْدَارِ سَيِّئَةً ، لَوْ تَعَلَّمَ الْخَيْلُ عِلْمِي فِيهِ لَمْ تُعْعَرْ^٥
وَلَا أَلُومُ أَخَا الْإِلْحَادِ بَلْ رَجُلًا يَخْشَى السَّعِيرَ وَمَا يَنْفُكُ فِي سَعْرِ^٦

راحة القبر

لَمَّا ثَوَتْ فِي الْأَرْضِ ، وَهِيَ لَطِيفَةٌ ، قَدْ مَاوْنَا أَمْنًا مِنْ الْأَحْدَاثِ
لَمْ يَسْتَرْيَحُوا مِنْ شُرُورِ دِيَارِهِمْ ، إِلَّا بِرِحْلَتِهِمْ إِلَى الْأَجْدَاثِ

١ نافي بنيا : أي هاجرهم ودفنهم عنه . درج : مضى لسبيله .

٢ فوا شجبا : فوا حزنا .

٣ لم تعر : أي لم تضمر ولم ينتف ذنبها ، وبذلك يعظم شأنها .

٤ السمر : الجنون .

سبيل الردى

قَبِيحٌ أَنْ يُحَسَّ نَحِيبُ بَاكِ
ولم أُرِدِ الْمَنِيَّةَ بِاخْتِيَارِي ،
ولو خَيْرْتُ لَمْ أَتْرُكْ مَحَلِّي ،
وَجَدْتُ الْمَوْتَ يَنْتَظِمُ الْبِرَايَا ،
فَأَوْصِيكُمْ بِدُنْيَانَا هَوَانًا ،
إِذَا حَانَ الرَّدَى ، فَقَضَيْتُ نَحْيِي
ولكن أَوْشَكَ الْفَتْيَانِ سَحْيِي^١
فَأَسْكُنُ فِي مَضْيِقٍ بَعْدَ رَحْبٍ
بِشَجَبٍ مِنْهُ فِي أَعْقَابِ شَجَبٍ^٢
فَلِئَنِّي تَابِعُ آثَارَ صَحْيِي

الموت المسلط

بَقِيتُ ، وَمَا أَدْرِي بِمَا هُوَ غَائِبٌ ،
تَوَدَّ الْبَقَاءَ النَّفْسُ مِنْ خَيْفَةِ الرَّدَى ،
عَلَى الْمَوْتِ يَجْتَازُ الْمَعَاشِيرُ كُلَّهُمْ :
وَمَا الْأَرْضُ إِلَّا مِثْلُنَا الرِّزْقَ تَبْتَغِي ،
وَقَدْ كَذَبُوا حَتَّى عَلَى الشَّمْسِ أَنَّهَا
كَأَنَّ هِلَالَاً لَاحَ لِلطَّعْنِ فِيهِمْ ،
كَأَنَّ ضِيَاءَ الْفَجْرِ سَيْفٌ يَسْلُهُ
لَعَلَّ ، الَّذِي يَمْضِي ، إِلَى اللَّهِ أَقْرَبُ
وَطُولُ بَقَاءِ الْمَرْءِ سَمٌ مُجَرَّبُ
مُقِيمٌ بِأَهْلِيهِ ، وَمَنْ يَتَغَرَّبُ
فَتَأْكُلُ مِنْ هَذَا الْأَنَامِ وَتَشْرَبُ
تُهَانُ ، إِذَا حَانَ الشَّرُوقُ ، وَتُضْرَبُ^٣
حَنَاهُ الرَّدَى ، وَهُوَ السَّنَانُ الْمُجَرَّبُ
عَلَيْهِمْ صَبَاحٌ ، بِالْمَنَايَا مُذَرَّبُ^٤

١ الفتيان : الليل والنهار .

٢ الشجب : الإهلاك .

٣ في أخبار القصاصين أن الشمس تأبى الإشراق ، فتجلدها الملائكة ، وتسوقها قسراً ، وهذا من الإسرائيليات التي دخلت على الإسلام ، وورد في شعر لامية بن أبي الصلت .

٤ مذرب : مسموم .

أمراض الشيخوخة

لا خيرَ من بعدِ خمسِينَ انقَضَتْ كَمَلًا في أنْ تُمارِسَ أمراضاً وأرعاشاً
وقد يَعِيشُ الفَتَى حتَّى يُقالَ لَهُ : ما ماتَ عندَ لقاءِ المَوْتِ ، بل عاشَ

البقاء كشعر أبي تمام

وَجَدْتُ عَوَارِيَّ الحَيَاةِ كَثِيرَةً ، كَأَنَّ بَقَاءَ المَرءِ شَعْرُ حَبِيبٍ
وَتَلَقَّاهُ مِنْ فَرَطِ الصَّبَابَةِ جَاهِلًا ، يُغَيِّرُ أَعْلَى رَأْسِهِ بِصَبِيبٍ
وما كَرِهْتَ خَيْلٌ تُخَالُ وَأَيْنُقٌ بَيَاضاً بَدَأَ فِي غُرَّةٍ وَسَبِيبٍ
فإنَّ طريقَ النَّاسِ فِي الحَتَفِ واحدٌ أَكُنْتَ طَبِيبًا أَمْ نَقِيزَ طَبِيبٍ

عبء النسل

وَجَدْتُ المَوْتَ لِلحَيَوَانِ دَاءً ، وَكَيْفَ أَعَالِجُ الدَّاءَ القَدِيمَا !
وما دُنْيَاكَ إِلَّا دَارُ سَوْءٍ ، وَلَسْتُ عَلَى إِسَاءَتِهَا مُقِيمًا
أَرَى وَلَدَ الفَتَى عِبْأً عَلَيْهِ ، لَقَدْ سَعِدَ الَّذِي أَمْسَى عَقِيمًا
أَمَّا شَاهَدْتُ كُلَّ أَبِي وَلِيدٍ ، يَوْمَ طَرِيقَ حَتَفٍ مُسْتَقِيمًا؟
فإِذَا أَنْ يَرْبِّيَهُ عَدُوًّا ، وَإِذَا أَنْ يُخَلِّفَهُ يَتِيمًا

١ العواري بتشديد الياء وتخفيفها : ما يتداوله الناس بينهم ولا يبقى لأحد منهم كالمال ، واحدته عارة .

٢ الصبيبي : خضاب الشيب .

٣ تخال : تساس . السبيبي : شعر الذنب .

وصية الميت

جارانِ : شاكٍ ومسرورٍ بحالتيه ،
مالُ الدفينِ أتى الوراثَ ، فاقْتَسَموا
لا أطعموا منه مسكيناً ، ولا بدّلوا
أوصى فلم يقبلوا منه ، وعاهدَهم ،
والعيشُ داءٌ ، وموتُ المرءِ عافيةٌ ،
أنفاسُهُ كخطاهُ ، والبقاءُ لهُ
منازلُ الأنفسِ الأجسادُ يُظعنُها
كالغيثِ يبكي ، وفيهِ بارقٌ بسَمًا
ولم يُراعوهُ في ثلثٍ لهُ قَسَمًا
عرُفاً ، ولا كفّروا ، في حينه ، قَسَمًا
فقابلوا بخلافٍ كلِّ ما رَسَمًا
إنَّ داوّهُ بتواري شَخْصِه حُسَمًا
مَسافَةً ، فهو يقفَى كُلَّما انتَسَمًا
وفدُ الحِمَامِ ، فكم من منزِلٍ طَسَمًا

رسالة الغفران

آراء في النقد

مع عدي بن زيد

فيقول لعبيد : « ألك علم بعديّ بن زيد العباديّ ؟ » فيقول : « هذا منزله قريباً منك . » فيقف عليه ، فيقول : « كيف كانت سلامتك على الصراط ؟ » فيقول : « إنّي كنت على دين المسيح ، ومَنْ كان من أتباع الأنبياء قبل أن يُبعث محمد فلا بأس عليه ، وإنّما التّبيّة على من سجد للأصنام » .
فيقول الشيخ : « لقد هممت أن أسألك عن بيتك الذي استشهد به سيبويه وهو قولك :

أرواحٌ مُودّعٌ أم بُكورُ أنت فانظرْ لأيّ حالٍ تصيرُ

فإنّه يزعمُ أن « أنت » يجوز أن تُرفع بفعل مضمر يفسره قولك : فانظر ، وأنا أستبعد هذا المذهب ولا أظنّك أردته » فيقول عديّ بن زيد : « دغني من هذه الأباطيل ! ولكنني كنت في الدار الفانية صاحب قنّص ، فهل لك أن نركب فرسين من خيل الجنة ، فنبعثهما على صيرانها^١ ، وخيطان^٢ نعامها ، وأسراب ظبائها وعانات^٣ حُمُرّها ، فإن للقنيص لذّة ! » فيقول الشيخ : « إنّما أنا صاحب قلم ، ولم أكن صاحب خيل ! »

- ١ الصيران : جمع صيار وهي لغة في صوار ، والصوار بالضم ويكسر : القطيع من بقر الوحش .
- ٢ الخيطان : جماعات النعام .
- ٣ العانات ، جمع العانة : القطيع من حمر الوحش .

ملاحاة النابغة الجعدي والاعشى

ويقول نابغة بني جعدة ، وهو جالس يستمع : « يا أبا بصير ! أهذه الرباب
التي ذكرها السعدي هي ربابك التي ذكرتها في قولك :

فما نطق الديكُ حتى ملأتُ كوب الرباب له ، فاستدارا »

فيقول أبو بصير : « قد طال عمرك يا أبا ليلى ، وأحسبك أصابك الفند^١ ،
فبقيت على فندك إلى اليوم ! أما علمت أن اللواتي يسمين بالرباب أكثر من أن
يحصين ؟ أفتظن أن الرباب هذه هي التي ذكرها القائل :

ما بال قومك يا ربابُ خزرًا كأنهم غضاب^٢

أو التي ذكرها امرؤ القيس في قوله :

دار لهندٍ والربابِ وفترتنى ولميسَ ، قبل حوادث الأيام »

فيقول نابغة بني جعدة : « أتكلمني بمثل هذا الكلام يا خليع بني ضبيعة ،
وقد مت كافرًا وأقررت على نفسك بالفاحشة ، وأنا لقيت النبي ، صلى الله عليه
وسلم ، فأنشدته كلمتي التي أقول فيها :

بلغنا السماءَ مجدنا وسناؤنا ، وإننا لنبغي فوق ذلك مظهرًا

فقال لي : « إلى أين يا أبا ليلى ؟ » فقلت : « إلى الجنة بك يا رسول الله ! »

فقال : « لا يفضض الله فاك ! »

أغرّك أن عدك بعض الجهال رابع الشعراء الأربعة ، وكذب مفضلك ، وإنني
لأطول منك نفسًا ، وأكثر تصرفًا ، ولقد بلغت ، بعدد البيوت ، ما لم يبلغه أحد

١ الفند : الخرف .

٢ الخزر : المصابون بضيق العين .

من العرب قبلي ، وأنت لاهٍ بعفارتك^١ تفتري على كرائم قومك ، وإن صدقت فخرياً لك ولمقارك^٢ .

فيغضب أبو بصير ، فيقول : « أتقول هذا وإن بيتاً ممّا بنيت ليُعدّلُ بمائة من بنائك ؟ وإن أسهيت في منطقك ، فإن المسهب كحاطب الليل . وإنّي لفي الجرثومة من ربيعة الفرس ، وهل جعدة إلا رائدة ظليم^٣ نفور ؟ أتعيّرني مدح الملوك يا جاهل ؟ ولو قدرت على ذلك لهجرت إليه أهلك وولدك . واكنّك خلقت جباناً ، لا تُدَلِّجُ في الظلماء الداجية ، ولا تهجرُ في الوديقة^٤ الصاخدة^٥ . »

فيقول الجعدي : « اسكُتْ يا ضُلّ بن ضُلّ ، فأقسم أن دخولك الجنة من المنكرات ، ولكن الأفضية جرت كما شاء الله ! لحقّك أن تكون في الدرك الأسفل من النار ، ولقد صلي بها من هو خير منك . ولو جاز الغلط على ربّ العزة ، لقلت : إنك غُلط بك . »

واستقلّت بني جعدة ، وليوم^٦ من أيّامهم يرجع بمساعي قومك ! وزعمتني جباناً وكذبت ، لأنا أشجع منك ومن أبيك ، وأصبر على ادلاج المظلمة ذات الأريز^٦ ، وأشدّ ادلاجاً في الهاجرة أمّ الصّخدان ! »

ويثب نابغة بني جعدة على أبي بصير ، فيضربه بكوز من ذهب . فيقول الشيخ ، أصلح الله به : « لا عربدة في الجنان ، إنّما يعرف ذلك بين السفلة والهجاج^٧ ، وإنك يا أبا ليلى لمتترع^٨ . ولولا أن في الكتاب الكريم : « لا يُصدّعون عنها ولا يُنزفون » لظنناك أصابك نزف في عقلك . ويريد أن يُصلح بين الندماء ،

١ العفارة : الخبث والنكر .

٢ مقارك : مخالطك .

٣ الظليم : ذكر النعام ، والمراد طالبة نسب نفور منها .

٤ الوديقة : شدة الحر .

٥ الصاخدة : الشديدة القيظ .

٦ الاريز : الصقيع .

٧ الهجاج : الحمقى .

٨ متترع : مسرع إلى ما لا تحمد عقباه .

فيقول : « يجب أن يُحذر من ملك يعبرُ ، فيرى هذا المجلسَ ، فيرفعُ حديثه إلى الجبار الأعظم ، فلا يجرّ ذلك إلّا إلى ما تكرهان .

واستغنى ربّنا أن تُرفعَ الأخبار إليه ؛ ولكن جرى ذلك مجرى الحَفَظَة في الدار العاجلة . أما علمتما أن آدم خرج من الجنة بذنبٍ حقير ! فغير آمنٍ مَنْ وُلِد أن يُقدّر له مثل ذلك ! فسألتك بالله يا أبا بصير : هل يهَجِسُ لك تمنّي المدام ؟ » فيقول : « كلاً والله ، إنّها عندي كمثّل المَقِير ، لا يخطرُ ذكرها بالخلد ، فالحمد لله الذي سقاني عنها السَّلْوانة^١ » .

فيقول : « يا أبا ليلى ! إن الله ، جلّت قدرته ، مَنْ علينا بهؤلاء الحور العين اللواتي حوّلنَّ عن خلق الإوز^٢ ، فاختر لنفسك واحدة منهنَّ ، فلتذهب معك إلى منزلك تلاحنك أرقّ اللّحان ، وتسمعك ضروب الألحان » .

فيقول لبيد بن ربيعة : « إن أخذ أبو ليلى قينةً ، وأخذ غيره مثلها ، أليس ينتشر خبرها في الجنة ؟ فلا يؤمّن أن يسمّى فاعلو ذلك : أزواج الإوز^٢ » . فتضرب الجماعة عن اقتسام أولئك القيان .

مدح رضوان

فلما أقيمتُ في الموقف زُهاء شهرٍ أو شهرين ، وخيفتُ من الغرق ، في العرق ، زينت لي النفس الكاذبة أن أنظم أبياتاً في رضوان ، خازن الجنان ، عملتها في وزن : « قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان » ووسمتها بـ رضوان ، ثمّ ضانكتُ الناس حتى وقفت منه بحيث يسمع ويرى ، فما حفل بي ، ولا أظنه أبه لما أقول ، فغبرت^٢ برهة نحو عشرة أيّام من أيّام الفانية ، ثمّ عملت أبياتاً في وزن :

بانَ الخليطُ ولو طُويِعَتْ ما بانا وقطّعوا من حبال الوصل أقرانا

١ السلوانة : العسل .

٢ غبرت : أي مكثت .

ووسمتها برضوان ، ثم دنوت منه ، ففعلت كفعلي الأول ، فكأنني أحرك
ثبيراً ، وألتمس من العِضْر^١ عبيراً ، فلم أزل أتتبع الأوزان التي يمكن أن يوسم
بها رضوان حتى أفنيته ، وأنا لا أجد عنده مغوثة^٢ ، ولا ظننته فهم ما أقول ، فلمّا
استقصيتُ الغرض فما أنجحتُ ، دعوت بأعلى صوتي : « يا رضوان ! يا أمين الملك
الجبار الأعظم على الفراديس ! ألم تسمع ندائي بك ، واستغاثي إليك ؟ » فقال :
« لقد سمعتك تذكر رضوان وما علمت مقصدك ، فما الذي تطلبه أيتها المسكين ؟ »
فأقول : « أنا رجل لا صبر لي على اللّوَاب^٣ ، وقد استطلت مدة الحساب ، ومعني
صك بالتوبة ، وهي للذنوب كلّها ماحية ، وقد مدحتك بأشعار كثيرة ووسمتها
باسمك » فقال : « وما الأشعار ؟ » فقلت : « الأشعار جمع شعر ، والشعر كلامٌ
موزون تقبله الغريزة على شرائط إن زاد أو نقص أبانته الحس ، وكان أهل العاجلة
يتقربون به إلى الملوك والسادات فجئت بشيء منه إليك ، لعلك تأذن لي بالدخول
في هذا الباب ، فقد استطلت ما الناس فيه ، وأنا ضعيف منين^٤ ولا ريب أنني ممن
يرجو المغفرة ، ونصح له بمشيئة الله تعالى » فقال : « إنك لغيري الرأي ، أتأمل
أن آذن لك بغير إذن من رب العزة ؟ هيهات هيهات ! وأنتى لهم التناوش^٥ من
مكان بعيد ! »

مع امرئ القيس

ويسأل عن امرئ القيس بن حُجْرٍ ، فيقول : « يا أبا هند أخبرني عن
التسميط^٥ المنسوب إليك ، أصحيح هو عنك ؟ »

١ العِضْر : تراب يشبه الحص .

٢ اللوَاب : العطش .

٣ المنين : الضعيف .

٤ التناوش : التناول .

٥ التسميط : ضرب من الشعر المخمس ، أجزاءه على غير روي القافية .

وَيُسْهِدُهُ الَّذِي يَرُوهُ بَعْضُ النَّاسِ :

يَا قَوْمَ إِنَّ هَتَوَى إِذَا أَصَابَ الْفَقِي
فِي الْقَلْبِ ثُمَّ ارْتَقَى فَهَدَّ بَعْضَ الْقَوَى
فَقَدَّ هَتَوَى الرَّجُلُ

فيقول: « والله ما سمعتُ هذا قطّ، وإنّه لقَرِيٌّ^١ لم أسلكه، وإن الكذب لكثيرٌ،
وأحسبُ هذا لبعض شعراء الإسلام، ولقد ظلمني وأساء إليّ، أبعدَ كلمتي التي أوّلها:
ألا عِم صباحاً أيّها الطلّلُ البالي وهل يعمّن من كان في العُصُر الخالي
وقولي :

خليليّ مرّا بي على أمّ جُنْدَبٍ لأقضي حاجاتِ الفؤادِ المَعْدَبِ
يُقال لي مثل ذلك؟ والرّجْزُ من أضعف الشعر، وهذا الوزنُ من أضعف الرّجْزِ!
فيعجب لما سمعه من امرئ القيس .

مع عنبرة

وينظر ، فإذا عنبرةٌ متلدّد^٢ في السعير ، فيقول : « ما لك يا أخا عبس !
كأنّك لم تنطق بقولك :

ولقد شربتُ من المدامَةِ بعدَ ما ركدَ الهواجرُ بالمشوفِ المُعلّمِ^٣

١ القرى : مسيل الماء من الربوة ، ويكنى به عن الأمر الصغير .

٢ متلدّد : متحير يتلفت يمينا وشمالا .

٣ ركد : سكن : الهواجر ، جمع الهاجرة : شدة الحر قرب الظهر . المشوف : المجلو ، قوله المشوف
المعلم أي الدينار .

بزُجاجةٍ صفراءِ ذاتِ أسيرةٍ قُرِنتَ بأزهرَ في الشمالِ مُقدّم^١

وإني إذا ذكرتُ قولك : « هل غادر الشعراء من متردّم » لأقول : « إنما قيل ذلك وديوان الشعر قليلٌ محفوظٌ » ، فأما الآن فلو سمعتَ ما قيل بعد مبعث النبي ، صلى الله عليه وسلم ، لعنتبتَ نفسك على ما قلت ، وعلمتَ أن الأمر كما قال حبيبُ بنُ أوس^٢ :

فلو كان يَفْنَى الشعرُ أفناه ما قَرَّتْ حياضُك منه في العصور الذواهب^٣
ولكنه صوبُ العقول ، إذا انجلت سحاب منه أعقبَت سحاب

فيقول : « وما حبيبُكم هذا ؟ » فيقول : « شاعرٌ ظهر في الإسلام » وينشده شيئاً من نظمه ، فيقول : « أما الأصلُ فعربي ، وأما الفرع فنطق به غيبي ، وليس هذا المذهبُ على ما تعرف قبائلُ العرب . » فيقول ، وهو ضاحكٌ مستبشرٌ : « إنما يُنكَر عليه المستعار ، وقد جاءت العارِية في أشعار كثيرة من المتقدمين ، إلا أنها لا تجتمع كاجتماعها فيما نظمته حبيبُ بنُ أوس .
ولقد شقَّ عليّ دخولُ مثلك إلى الجحيم ، وكأنَّ أذني مُصغيةٌ إلى قينات الفسطاط وهي تغرّدُ بقولك :

أمن سُميَّة دمعُ العينِ تدريفُ لو أن ذا منك ، قبلَ اليومِ ، معروفُ »

مع عمرو بن كلثوم

فليت شعري ، ما فعلَ عمرو بنُ كلثوم ؟
فيقال : « ها هو ذا من تحتك ، إن شئتَ أن تُجاوره فجاوره . »

١ ذات أسيرة : ذات خطوط . أزهر : أي ابريق أبيض . في الشمال : أي مبرد بريح الشمال .
مقدم : أي مسدود بمصفاة لتصفيته .

٢ أبو تمام .

٣ قرئت : جمعت .

فيقول : « كيف أنت أيها المصطبيح^١ بصحن الغانية ، والمغتبيق^٢ من الدنيا الفانية ! لوددت أنك لم تُساند^٣ في قولك :

كَأَنَّ مُتَوْنَهُنَّ مُتَوْنُ غُدْرٍ تُصَفِّقُهَا الرِّيحُ إِذَا جَرَيْنَا^٤ »

فيقول عمرو : « إنك لقرير العين ، لا تشعر بما نحن فيه ، فاشغل نفسك بتمجيد الله ، واترك ما ذهب فإنه لا يعود . وأما ذكرك سينادي فإن الإخوة ليكونون ثلاثة أو أربعة ، ويكون فيهم الأعرج والأبثق^٥ فلا يُعابون بذلك ، فكيف إذا بلغوا المائة في العدد ؟ »

جنة الرجز

ويمرّ بأبيات ليس لها سُموق^٦ أبيات الجنة ، فيسأل عنها ، فيقال : « هذه جنة الرجز » فيقول : « تبارك العزيز الوهاب ، لقد صدق الحديث المروي : « إن الله يُحبّ معالي الأمور ويكره سَفْسَافَها » وإن الرجز لمن سَفْسَاف القريض ؛ قصّرتم أيّها النَّفَرُ فَقَصَّرتَ بكم ! »

ويعرض له رؤبة^٧ فيقول : « يا أبا الجحّاف ! ما كان أكلفك بقوافٍ ليست بالمعجبة ، تصنع رَجَزاً على الغين ، ورجزاً على الطاء ، وعلى الظاء ، وعلى غير ذلك من الحروف النافرة ، ولم تكن صاحبَ مثلٍ مذكور ، ولا لفظٍ يُستحسن ! » فيغضبُ رؤبة ويقول : « ألي تقول هذا ؟ وعني أخذ الخليل وكذلك أبو عمرو بن

١ المصطبيح : الذي يشرب الخمر صباحاً ، يشير الى قول عمرو في اول معلقته :
الا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الأندرينا

٢ المغتبيق : الشارب مساء .

٣ لم تُساند : أي لم تأت بالسناد في شعرك .

٤ غدر : مخفف غدر ، جمع غدير . السناد هنا في فتح الراء قبل الياء الساكنة في قوله جرينا .

٥ الأبثق : الاعور القبيح العور .

٦ سموق : ارتفاع .

٧ رؤبة بن العجاج .

العلاء ، وقد غَبَرَتْ^١ في الدار السالفة تفتخر باللفظة تقعُ إليك ، ممّا نقله أولئك عني وعن أشباهي ؟ » فإذا رأى ما في رُوءية من الانتخاء^٢ قال : « لو شِيك رَجَزُك ورجز أبيك لم تخرُج منه قصيدة مُستَحسنة ، ولقد كنت تأخذ جوائز الملوك بغير استحقاق ، وإنّ غيرك أولى بالأعطية والصّلات » فيقول رُوءية : « أليس رئيسُكم في القديم ، والذي ضَهَلْتَ^٣ إليه المقاييس ، كان يستشهد بقولي ويجعلني له كالإمام ؟ » فيقول : « لا فخرَ لك أن استشهد بكلامك ، فقد وجدناهم يستشهدون بكلام أمة وكعاء^٤ ، وكم روى النّحاة عن طفل ما له في الأدب » فيقول رُوءية : « أجئت لخصامنا في هذا المنزل ؟ فامض لطيتك ، فقد أخذت بكلامنا ما شاء الله ! » فيقول : « أقسمتُ ما يصلحُ كلامُكم للثناء ، تصكّون مسامع المُمتدّح بالجنّدل ، ومتى خرجتم عن صفة جمل ترثون له من طول العمل ، إلى صفة فرس أو كلب ، فلأنكم غيرُ الرّاشدين ! » فيقول رُوءية : « إن الله ، سبحانه وتعالى ، قال : « يتنازعون فيها كأساً لا لغوٌ فيها ولا تأثيم » وإن كلامك لمن اللغو ! » فإذا طالت المخاطبة بينه وبين رُوءية ، سمع العجّاج ، فتجاء يسأل المُحاجة^٥ .

المتنبى

فأمّا ما ذكره من قول أبي الطيّب : « أذُمّ إلى هذا الزمان أهيلَه » فقد كان الرجلُ مولعاً بالتصغير ، لا يقنع منه بـمُحَلّسة المُغِير ، كقوله :

مَنْ لي بفَهمِ أهيلِ عَصِرِ يدعي أن يحسبَ الهنديّ فيهِمْ باقِل^٦

١ غبرت : ظلت .

٢ الانتخاء : التعاطف .

٣ ضهلّت : رجعت .

٤ وكعاء : حمقاء .

٥ المحاجة : المسألة .

٦ باقل : رجل اشترى ظبيّاً بإحدى عشر درهماً فسئل عن ثمنه فبين لهم حسابه بفتح كفيه واخراج لسانه ، فانفلت الظبي ، فضرب به المثل في العي .

وقوله : « مقالي للأخيمق يا حلیم »

وقوله : « ونام الخویدم عن لیلنا »

وقوله : « أفي كل يوم تحت ضیبي شويعر^١ »

وغير ذلك ممّا هو موجود في ديوانه ، ولا ملامّة عليه ، إنّما هي عادة صارت كالطبع ، تُغتفر مع المحاسن . وهذا البيت الذي أوّله : « أذمّ إلى هذا الزمان أهيلّه » إنّما قاله في عليّ بن محمّد بن سيّار بأنطاكية قبل أن يمدح سيف الدولة . والشعراء مُطلق لهم ذلك ، لأن الآية شهدت عليهم بالتّخرّص وقول الأباطيل : « ألم ترّ أنّهم في كلّ وادٍ يّتهمون ؟ وأنّهم يقولون ما لا يفعلون ؟ »

١ الضبن : ما بين الكشح والابط .

بديع الزمان الهمذاني

رسائله

فتح بهاضية

كتب هذه الرسالة إلى الوزير أبي العباس الاسفرائيني بعد أن فتح الأمير محمود بن سبكتكين بهاضية من بلاد الهند ، ويقال لها أيضاً بهاطية . قال ابن خلدون : هي مدينة حصينة عليها نطاق من الأسوار ، وآخر من الخنادق بعيدة المهوى . عبر إليها السلطان نهر جيحون واقتتحها ، ثم أصلح أمورها ، واستخلف عليها من يعلم أهلها قواعد الإسلام ؛ ولما رجع إلى غزنة لقي شدة من الأمطار في الوحل ، وزيادة المدد في الأنهار ، وغرق كثير من عسكره :

إِنَّ اللَّهَ ، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ الْمُعْطِي مَا شَاءَ ، مَنَّ عَلَى الْإِنْسَانِ ، بِهَذَا
اللِّسَانِ ؛ خَلَقَ ابْنَ آدَمَ وَأَوْدَعَ فِكَيْهِ مُضْغَةً لَحْمٍ^١ يُصَرِّفُهَا فِي الْقُرُونِ
الْمَاضِيَةِ^٢ ، وَيُخَبِّرُ بِهَا عَنِ الْأُمَمِ الْآتِيَةِ ؛ يُخَبِّرُ بِهَا عَمَّا كَانَ بَعْدَ مَا
خُلِقَ^٣ ، وَعَمَّا يَكُونُ قَبْلَ أَنْ يُخْلَقَ^٤ . يَنْطِقُ بِالتَّوَارِيخِ عَمَّا وَقَعَ مِنْ
خَطْبٍ ، وَجَرَى مِنْ حَرْبٍ ، وَكَانَ مِنْ يَابِسٍ وَرَطْبٍ^٥ ؛ وَيَنْطِقُ بِالْوَحْيِ
عَمَّا سَيَكُونُ بَعْدُ^٦ ، وَصَدَقَ^٦ عَنْ اللَّهِ بِالْوَعْدِ . وَلَمْ يَنْطِقِ التَّارِيخُ بِمَا كَانَ ،

١ مضغة لحم : يريد بها اللسان .

٢ يصرفها : يقال صرفه في الأمور : أي قلبه . والمراد : أنه يصرف لسانه في الكلام على القرون الماضية .

٣ خلق : الضمير يعود إلى عما كان .

٤ يخلق : الضمير يعود إلى عما يكون . والمراد بذلك نبوءات الأنبياء .

٥ من يابس ورطب : أي من شدة ورخاء .

٦ وصدق : أي وعما صدق .

ولا الوحي بما يكون^١ بأن الله تعالى خصّ أحداً من عبادِه ، ليس النبيين^٢ ،
بما خصّ به الأمير السيّد ، يمين الدولة ، وأمين الملة^٣ . ودون الجاحد^٤ ،
إن جحد^٥ ، أخبار الدولة العباسية^٦ ، والمدة المروانية^٧ ، والسنين^٨
الحربية^٩ ، والبيعة الهاشمية^{١٠} ، والأيام الأموية^{١١} ، والإمارة العدوية^{١٢} ،
والخلافة التيممية^{١٣} ، وعهد الرسالة النبوية^{١٤} ، وزمان الفترة^{١٥} . ولولا
الإطالة^{١٦} ، لعدّدنا إلى عاد وشمود^{١٧} بطناً بطناً ، وإلى نوح وآدم قرناً قرناً ؛
ثم لم يجد قائل مقالا^{١٨} أن ملكاً ، وإن علا أمره ، وعظم قدره ، وكبر
سلطانهُ ، وهبت ريحه^{١٩} ، طرّق الهند^{٢٠} ، فأسر طاغيته بسطة ملك^{٢١} ،

١ بأن الله : بيان تفصيلي على التنازع من بما كان وبما يكون .

٢ ليس النبيين : أي إلا النبيين ، استثناء .

٣ الملة : الديانة .

٤ دون الجاحد : أي أمامه ، والظرف متعلق بخبر مقدم . وأراد بالجاحد من ينكر عليه زعمه بأن الله
خص الأمير بفضل لم يخص به أحداً من عبادِه إلا الأنبياء .

٥ إن جحد : أي إن جحد قولنا .

٦ أخبار : مبتدأ مؤخر .

٧ المدة المروانية : أي مدة الخلافة الأموية من مروان بن الحكم إلى مروان بن محمد آخر خلفائهم .

٨ السنين الحربية : أي مدة الخلافة الأموية من معاوية بن أبي سفيان بن حرب ، إلى حفيده معاوية بن
يزيد ؛ ثم انتقلت الخلافة إلى مروان بن الحكم .

٩ البيعة الهاشمية : بيعة علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم .

١٠ الأيام الأموية : أي أيام عثمان بن عفان الأموي .

١١ الإمارة العدوية : أي إمارة عمر بن الخطاب ، منسوبة إلى عدي أحد أجداده .

١٢ الخلافة التيممية : أي خلافة أبي بكر منسوبة إلى تيم أحد أجداده .

١٣ زمان الفترة : أي العصر الجاهلي قبل بعثة محمد .

١٤ عاد وشمود : من العرب البائدة .

١٥ أي لم يجد في أخبار الدول التي ذكرناها أن ملكاً .

١٦ هبت ريحه : أي انتشر ذكره .

١٧ طرق الهند : أي غزاها .

١٨ بسطة ملك : أي سعة ملك ؛ وبسطة منصوبة على المصدرية ، أي أسر طاغيته أسر بسطة ملك .

ثمَّ خَلَّاهُ ؛ وَعَرَضَ الْأَرْضَ ١ قُوَّةَ قَلْبٍ ٢ ؛ وَصَبَحَ سَجِسْتَانَ ٣ ، وَهِيَ الْمَدِينَةُ الْعَذْرَاءُ ٤ ، وَالْخِطَّةُ ٥ الْعَوْرَاءُ ٦ ، وَالطَّيَّةُ ٧ الْغَرَاءُ ٨ ؛ فَأَخَذَ مَلِكُهَا لِخِذَّةٍ عِزٍّ وَعُنفٍ ؛ ثُمَّ خَلَّاهُ تَخْلِيَةً فَضْلًا وَلُطْفًا . ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ خَاضَ الْبَحْرَ إِلَى بَهَاضِيَّةٍ ٩ ؛ وَالسَّيْلُ وَاللَّيْلُ جُنُودُهَا ١٠ ، وَالشُّوكُ وَالشَّجَرُ سِلَاحُهَا ١١ ، وَالضَّحُّ ١٢ وَالرَّيْحُ طَرِيقُهَا ، وَالْبَرُّ وَالْبَحْرُ ١٣ حِصَارُهَا ، وَالْجَنُّ ١٤ وَالْإِنْسُ ١٥ أَنْصَارُهَا ؛ فَقَتَلَ رِجَالَهَا ، وَغَنِمَ أَمْوَالَهَا ، وَسَاقَ أَقْيَالَهَا ١٦ ، وَكَثَّرَ أَصْنَامَهَا ، وَهَدَّمَ أَعْلَامَهَا ١٧ ؛ كُلَّ ذَلِكَ فِي فُسْحَةٍ شَتْوَةٍ ، قَبْلَ أَنْ يَتَطَرَّقَهَا ١٨ الصَّيْفُ ، تَوَسَّطَهَا السَّيْفُ . وَهُوَ اللَّهُ يُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَنْزِعُهُ مِمَّنْ يَشَاءُ .

ثُمَّ حَكَمَتِ عُلَمَاءُ الْأُمَّةِ ، وَاتَّفَقَ قَوْلُ الْأَئِمَّةِ أَنْ سَيْفَ الْحَقِّ أَرْبَعَةٌ ، وَسَائِرُهَا ١٩ لِلنَّارِ : سَيْفُ رَسُولِ اللَّهِ فِي الْمُشْرِكِينَ ٢٠ ، وَسَيْفُ أَبِي بَكْرٍ

- ١ عرض الأرض : أي أمرها على بصره ، كما يعرض الجند ، ليختبرها وينظر حالها .
- ٢ قوة قلب : أي عرض قوة قلب ، فقوة منصوبة على المصدرية .
- ٣ سجستان : ولاية واسعة من بلاد الفرس وهي جنوبي هراة ، وأرضها كلها رملة حارة سبعة ، والرياح فيها لا تسكن أبدًا ، ولا تزال شديدة .
- ٤ المدينة العذراء : أي التي لم يدخل إليها فاتح .
- ٥ الخطة : الأرض التي لم ينزلها نازل .
- ٦ العوراء : الفريدة ليس لها أخت ، أو التي لا ماء فيها .
- ٧ الطية : الجهة التي يطوي قاصدها البلاد من أجلها . الغراء : الشديدة الحر ، والنفيسة .
- ٨ أي كثيرة الأمطار والغيوم في الشتاء .
- ٩ أي تدفع عنها الغزاة غابة من الشجر والشوك .
- ١٠ الضح : ضوء الشمس إذا استمكن من الأرض ، فاشتدت الحرارة .
- ١١ البر والبحر : يريد بذلك أسوارها الحصينة ، وخذق الماء المحيط بها وما يتقدم ذلك من صعوبة مسالكها في قفارها وجبالها وأنهارها .
- ١٢ الجن : يبالغ في مناعتها فيجعل الجن يشتركون مع الإنس في الدفاع عنها .
- ١٣ الأقيال : الملوك . والمراد هنا ساداتها وأشرافها .
- ١٤ الأعلام : الجبال . والمراد هنا أسوارها وحصونها .
- ١٥ يتطرقها : يأتيها ، والضمير لبهاضية .
- ١٦ سائرها : أي بقية السيوف .
- ١٧ المشركين : الذين يجعلون لله شريكًا ، والمراد بهم مشركو قريش الذين حاربوا النبي وكانوا يعبدون الأصنام .

في المرتدّين^١ ، وسيفُ عليّ في الباغيين^٢ ، وسيفُ القصاصِ بينَ المسلمين^٣ .
 وسُيوفُ الأميرِ ، وفَقَّههُ اللهُ في مَواقِفِهِ ، لا تَخْرُجُ عَن هَذِهِ الأقسامِ :
 فسيفهُ بظاهرٍ هَراةَ^٥ فيمَن عَطَلَ^٦ الحَدَّ ، واتَّهَمَ^٧ بآئِهِ ارتدَّ ؛ وسيفهُ
 بظاهرٍ غَزَنَةَ^٧ سَدَّ في وَجْهِ العُقُوقِ^٨ ، نَوَعاً من الكُفْرِ والفُسُوقِ^٩ ؛ وسيفهُ
 بظاهرٍ مَرَوْ^{١٠} فيمَن نَقَضَ^{١١} العَهْدَ ، بَعْدَ تَغْلِيظِهِ^{١١} ، وَنَبَذَ^{١٢} اليمينَ بَعْدَ
 تَأْكِيدِهِ^{١٢} ؛ وسيفهُ بظاهرٍ سَجِسْتَانَ فيمَن نَبَذَ^{١٣} الحَرْبَ ، بَعْدَ رُقُودِهَا ،
 وَخَلَعَ^{١٤} الطَّاعَةَ ، بَعْدَ قَبُولِهَا ؛ وسيفهُ ، الآنَ ، في دِيَارِ الهِنْدِ ، سيفُ قُرْنَتَ
 بِهِ الفُتُوحُ ، وَأَثْنَتْ عَلَيْهِ المَلَأَتُكَّةُ^{١٥} وَالرُّوحُ^{١٦} ، وَذَلَّتْ بِهِ الأَصْنَامُ ، وَعَزَّ
 بِهِ الإسلامُ ، وَالنَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَاخْتَصَّ^{١٧} بِفَضْلِهِ الإمامُ^{١٨} ، وَاشْتَرَكَ^{١٩} فِي
 خَيْرِهِ الأَنَامُ ، وَأَرْخَتْ^{٢٠} بِذِكْرِهِ الأَيَّامُ^{٢١} ، وَأُحْفِيَّتْ^{٢٢} بِشَرْحِهِ الأَقْلَامُ .
 وَسَنَذَكُرُ من حَدِيثِ الهِنْدِ وَبِلَادِهَا ، وَغَلِظَ^{٢٣} أَكْبَادِهَا^{٢٤} ، وَشِدَّةَ

-
- ١ المرتدين : العرب الذين ارتدوا عن الإسلام بعد موت النبي ، فحاربهم أبو بكر .
 - ٢ الباغيين : يريد بهم الذين بغوا على علي في خلافته وحاربوه .
 - ٣ القصاص : القود ، أي إقامة الحد لمعاقبة الجناة من المسلمين ، كحد السرقة ، وحد القتل عمداً .
 - ٤ الظاهر : المكان المشرف من الأرض .
 - ٥ هراة : بلد في خراسان .
 - ٦ عطل الحد : أي أبطل إقامة الحدود الشرعية في معاقبة الجناة .
 - ٧ غزنة : مدينة بالأفغان ، وكانت عاصمة الدولة الغزنوية ، وأعظم سلاطينها فاتح بهاضية .
 - ٨ العقوق : أي الخروج عن الطاعة .
 - ٩ الفسوق : الخروج عن طريق الحق في الدين .
 - ١٠ مرو : بلد بخراسان .
 - ١١ تغليظه : توثيقه .
 - ١٢ تأكيده : الضمير يعود إلى اليمين وهي مؤنثة ، فالظاهر أنه أخذها نظير الخلف ، وهو مذكر ، أو أن الضمير عائد لنابذ اليمين ، وضمير اليمين محذوف تقديره : تأكيده إياها ، أو تأكيده لها .
 - ١٣ الروح : أي جبريل .
 - ١٤ الإمام : المراد به الأمير فاتح بهاضية .
 - ١٥ أي صار تاريخ الأيام يحسب من فتح بهاضية .
 - ١٦ أحفيت : أي برت .
 - ١٧ أي قسوتها وشدتها .

أَحْقَادِهَا ، وَقُوَّةَ اعْتِقَادِهَا ، وَصِدْقَ جِلَادِهَا ^١ ، وَكَثْرَةَ أَجْنَادِهَا ، نُبْدَأُ ^٢ ،
لِيَعْلَمَ السَّامِعُ أَيَّ غَزْوَةٍ غَزَاهَا الْأَمِيرُ السَّيِّدُ : إِنَّهَا بِلَادٌ ، لَوْ لَمْ تُحْيِهَا
السَّحَابُ بِدَرِّهَا ^٣ ، لَأَهْلَكَتْهَا الشَّمْسُ بِجَرِّهَا . فَهِيَ دَوْلَةٌ بَيْنَ الْمَاءِ وَالنَّارِ ،
وَنُوبَةٌ ^٤ بَيْنَ الشَّمْسِ وَالْأَمْطَارِ ؛ تَقْدَمُهَا صِعَابُ الْجِبَالِ ، وَتَحْجُبُهَا رِحَابُ
الْقِفَارِ ، وَيَعْصِمُهَا مُلْتَفَ الْغِيَاضِ ^٥ ، وَتَحْفُفُهَا طَوَاغِي الْأَنْهَارِ ، حَتَّى إِذَا خَرِقَتْ
هَذِهِ الْحُجُبُ ، خُلِصَ إِلَى عَدَدِ الرَّمْلِ وَالْحَصَى رِجَالًا ، وَشِبْهِ الْجِبَالِ
أَفْيَالًا ، وَأَنْزَاعِ الْمَخَاضِ جِلَادًا ^٦ ، وَمِيسَنَافِ الْجِمَالِ طِعَانًا ^٧ ، وَأَرْكَانِ الْجِبَالِ
ثَبَاتًا ؛ ثُمَّ لَا يَعْرِفُونَ غَدْرًا وَلَا بَيَاتًا ^٨ ، وَلَا يَخَافُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً ، وَلَا
يُبَالُونَ عَلَى أَيِّ جَنْبِيهِ وَقَعَ الْأَمْرُ ، وَيَنَامُونَ وَتَحْتَهُمُ الْجَمْرُ . وَرَبَّمَا عَمَدَ
أَحَدُهُمْ لَغَيْرِ ضَرُورَةٍ دَاعِيَةٍ ، وَلَا حَمِيَّةٍ بَاعِثَةٍ ، فَاتَّخَذَ لِرَأْسِهِ مِنَ الطَّيْنِ
لِكَلِيلًا ، ثُمَّ قَوَّرَ قَحْفَهُ ^٩ ، فَحَشَاهُ فَتِيلًا ، ثُمَّ أَضْرَمَ فِي الْفَتِيلِ نَارًا وَلَمْ يَتَأَوَّهْ ؛
وَالنَّارُ تَحْطِمُهُ عُضْوًا فَعُضْوًا ، وَتَأْكُلُهُ جُزْءًا فَجُزْءًا . فَأَمَّا مُحْرِقُ نَفْسِهِ
وَمُغْرِقُهَا ، وَآكِلُ لَحْمِهِ ، وَمُفْصِّلُ ^{١٠} عِظَامِهِ ، وَالرَّامِي بِهَا ^{١١} مِنْ شَاهِقٍ ،

١ جلادها : أي قتلها .

٢ نبذاً ، جمع نبذة : القطعة والشئ اليسير من الكلام ، وهي مفعول به من وسند كر .

٣ بدرها : أي بمطرها .

٤ نوبة : دولة .

٥ تقدمها : أي تتقدمها .

٦ الغياض : جمع غيضة وهي مجتمع الأشجار .

٧ الأنزاع : جمع نزع وهو الجذب والقطع . المخاض : طلق المرأة الحامل . يقول : إن ضربهم
بالسيوف موجع كأنه نزع المخاض .

٨ الميسناف : الحمل الذي لا يثبت الرجل على ظهره ، وإنما يقدمه ، وإما يؤخره ، فيجعل له سناف
أي حبل يشد به الرجل ويحكم ويثبت ؛ ومن ذلك قالوا أسنفوا أمرهم : أي أحكموه . وقوله
وميسناف الجمال طعاناً : أي أنه طعن محكم مسدد لا يختلف ولا يخل كإحكام السناف للرجل .

٩ البيات : الإيقاع بالعدو ليلاً على غفلة منه .

١٠ القحف : العظم الذي فوق الدماغ من الجمجمة .

١١ مفصل : مقطع .

١٢ الرامي بها : أي بنفسه .

فأكثرُ من أن يُعَدَّ . وأقلُّهُمُ من يَمُوتُ حَتَفَ أنفه ؛ فإذا ماتَ هذه الميثةُ
أحدُهُم ، سُبَّ بها أعقابُهُ ، وعَظُمَ عندَهُمُ عِقَابُهُ .
بلادُ هذه حالُها ، وفيكَلَّةُ تلكَ أهوالُها ، وجبالُ في السَّماءِ قِلالُها^١ ،
وفلاةُ يَلْمَعُ آلُها^٢ ، وغياضُ ضَيِّقُ مَجالُها ، وأنهارُ كَثيرةُ أوحالُها ، وطريقُ
طَوِيلُ مِطالُها^٣ ؛ ثمَّ الهِنْدُ ورجالُها ، والهِندُ وانيَّةُ^٤ ، واستِعمالُها ؛ زَحَمَ
الأميرُ السَّيِّدُ ، أدامَ اللهُ ظِلَّهُ ، هذه الأهوالَ بِمَنَكِبِهِ ، مُحْتَسِباً نَفْسَهُ^٥ ،
مُعْتَمِداً نَصَرَ اللهِ وَعَوْنَهُ ؛ فَرَكَضَ إِلَيْهِمْ بَعُونَ مِنَ اللهِ لَا يَخْذُلُ^٦ ،
وَمَدَدَ مِنَ التَّوْفِيقِ لَا يَفْتَرُ^٧ ، وَقَلْبَ مِنَ الْأَهْوَالِ لَا يَجْبُنُ^٨ ، وَحَثَّ عَلَى
الْمَطْلُوبِ لَا يَقْصُرُ^٩ ، وَسَيْفَ عَلَى الْفَضْرِيَّةِ لَا يَنْكُلُ^{١٠} ؛ فَسَهَّلَ اللهُ لَهُ الصَّعْبَ ،
وَكَشَفَ بِهِ الْخُطْبَةَ ، وَرَجَعَ ثانياً^{١١} من عِنايَةِ ، بِالْأَسَارِ تَنْظِيمُهُمُ الْأَغْلَالَ^{١٢} ،
وَالسَّبَايَا تَنْقُلُهُمُ الْجِمَالَ^{١٣} ، وَالْفَيْكَلَةَ كَأَنَّهَا الْجِبَالَ^{١٤} ، وَالْأَمْوَالَ وَلَا الرِّمَالَ^{١٥} .
فَتَحَّ ذَخْرَهُ اللهُ عَنِ الْمُلُوكِ السَّالِفَةِ الْخَالِيَةِ^{١٦} ، الْكَفَرَةِ الطَّاغِيَةِ^{١٧} ، الْجَبَابِرَةِ
الْعَاتِيَةِ^{١٨} ؛ حَتَّى وَسَمَهُ^{١٩} بِنَارِهِ ، وَجَعَلَهُ بَعْضَ آثَارِهِ ؛ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مُعِزِّ
الدِّينِ وَأَهْلِهِ ، وَمُذِلِّ الشِّرْكِ وَحِزْبِهِ ؛ وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ .

- ١ قلالها : أعاليها ، مفردھا قلة .
- ٢ آلها : أي السراب الذي يشرف على الناظر في المفاوز ، ويلمع كالماء من شدة الحر .
- ٣ مطاها : أي ماطلتها للسائر فيها لما هي عليه من الطول .
- ٤ الهندوانية : السيوف المطبوعة في الهند .
- ٥ محتسباً نفسه : أي مخاطراً بها لوجه الله طالباً الأجر والثواب .
- ٦ الفريية : الضرب . لا ينكل : لا يجبن ، والمراد : لا يكل .
- ٧ ثانياً : اسم فاعل من ثنى ، أي رد الشيء بعضه على بعض .
- ٨ ولا الرمال : أي ولا الرمال مثلها .
- ٩ ذخره الله عن الملوك : أي حبسه عنهم . الخالية : الماضية .
- ١٠ وسه : علمه . يقول : إن الله وسع هذا الفتح بنار الأمير ، أي كواه بها ، وجعل له علامة يعرف بها أنه مختص بهذا الأمير ، كما توسم الإبل والخيول بسمات أصحابها فتعرف بها .

مقاماته

المقامة الجاحظية

حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : أَثَارَتْنِي ^١ وَرِيفَقَةٌ وَلِيْمَةٌ ؛ فَأَجَبْتُ إِلَيْهَا
لِلْحَدِيثِ الْمَأْثُورِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَوْ دُعِيتُ إِلَى كُرَاعٍ ^٢
لَأَجَبْتُ ؛ وَلَوْ أَهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ ^٣ لَتَقَبَّلْتُ ؛ فَأَفْضَى بِنَا السَّيْرُ إِلَى دَارٍ
تُرِكَتُ وَالْحُسْنُ تَأْخُذُهُ ، تَنْتَقِي مِنْهُ وَتَنْتَخِبُ
فَانْتَقَتْ مِنْهُ طَرَائِفُهُ ، وَاسْتَزَادَتْ بَعْضَ مَا تَهَبُّ

قَدْ فَرِشَ بِسَاطِئِهَا ، وَبُسِطَتْ أَنْمَاطُهَا ، وَمُدَّ سِمَاطُهَا ^٦ ؛ وَقَوْمٌ ^٧
قَدْ أَخَذُوا الْوَقْتَ بَيْنَ آسٍ ^٨ مَخْضُودٍ ، وَوَرْدٍ ^٩ مَنْضُودٍ ، وَدَنْ ^{١٠} مَقْصُودٍ ،
وَنَايٍ ^{١٢} وَعُودٍ . فَصِرْنَا إِلَيْهِمْ ، وَصَارُوا إِلَيْنَا .

- ١ أثارتنى : أي أنهضتنى من مكاني .
- ٢ الكراع : ما استدق من ساق البقر والغنم ، يذكر ويؤنث .
- ٣ الذراع : فوق الكراع من أيدي البقر والغنم
- ٤ الطرائف : جمع الطريفة وهي الشيء المستحدث المعجب ؛ وقوله واستزادت بعض ما تهب : أي طلبت المزيد على ما انتقت من طرائف الحسن ، وهو بعض ما تهب غيرها من محاسنها ، والمراد أنها تشيع محاسنها على ما جاورها من الدور .
- ٥ الأنمط : جمع نمط وهو غطاء الفراش وظهارته ، أو ضرب من البسط .
- ٦ السمط : ما يمد عليه الطعام ، كالخوان وما أشبه .
- ٧ وقوم : عطف على دار .
- ٨ الآس : شجر ورقه عطر ، ويعرف عند العامة بالريحان ، وثمره بالحنبلاس ، وهو تحريف لحب الآس ، الواحدة آسة .
- ٩ المخضود : من خضد العود كسره أو ثناه من غير كسر .
- ١٠ منضود : وضع بعضه فوق بعض .
- ١١ الدن : وعاء الخمر . المقصود : أي بزل فسالت خمرته .
- ١٢ الناي : آلة من آلات الطرب ينفخ فيها .

ثُمَّ عَكَفْنَا عَلَى خِيَّوَانٍ قَدْ مَلِئَتْ حَيَاضَهُ^١، وَنَوَّرَتْ رِيَاضَهُ^٢، وَاصْطَفَتْ جِفَانَهُ^٣، وَاخْتَلَفَتْ أَلْوَانَهُ^٤ : فَمِنْ حَالِكٍ بِإِزَائِهِ نَاصِعٌ^٥، وَمِنْ قَانٍ تِلْقَاءَهُ^٦ فَاقِعٌ^٧. وَمَعَنَّا عَلَى الطَّعَامِ رَجُلٌ تَسَافَرُ يَدُهُ عَلَى الْخِيَّوَانِ^٨، وَتَسْفِرُ بَيْنَ الْأَلْوَانِ^٩، وَتَأْخُذُ وَجْوهَ الرُّغْفَانِ^{١٠}، وَتَتَفَقَّأُ عِيُونَ الْجِفَانِ^{١١}، وَتَرَعَى أَرْضَ الْجِيرَانِ^{١٢}. وَتَجُولُ فِي الْقَصْعَةِ^{١٣}، كَالرُّخِّ فِي الرُّقْعَةِ^{١٤}. يَزْحَمُ بِاللَّقْمَةِ اللَّقْمَةَ^{١٥}، وَيَهْزِمُ بِالْمُضْغَةِ الْمُضْغَةَ^{١٦}؛ وَهُوَ، مَعَ ذَلِكَ، سَاكِتٌ لَا يَنْبِسُ بِحَرْفٍ، وَنَحْنُ، فِي الْحَدِيثِ، نَجْرِي مَعَهُ^{١٧}، حَتَّى وَقَفَ بِنَا عَلَى ذِكْرِ الْجَا حِظِّ وَخَطَابَتِهِ^{١٨}، وَوَصَفِ ابْنِ الْمُتَقَفِّعِ وَذِرَابَتِهِ^{١٩}. وَوَافَقَ أَوَّلُ الْحَدِيثِ آخِرَ الْخِيَّوَانِ^{٢٠}، وَزَلْنَا عَنْ ذَلِكَ الْمَسْكَانِ^{٢١}.

فَقَالَ الرَّجُلُ : أَيْنَ أَنْتُمْ مِنْ الْحَدِيثِ الَّذِي كُنْتُمْ فِيهِ ؟ فَأَخَذْنَا فِي وَصْفِ الْجَا حِظِّ وَلَسَنِهِ^{٢٢}، وَحُسْنِ سَنَنِهِ^{٢٣} فِي الْفَصَاحَةِ^{٢٤}، وَسُنَنِهِ^{٢٥}، فِيمَا عَرَفْنَاهُ^{٢٦}. فَقَالَ : يَا قَوْمُ لِكُلِّ عَمَلٍ رِجَالٌ^{٢٧}، وَلِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ^{٢٨}، وَلِكُلِّ دَارٍ سَكَانٌ^{٢٩}،

-
- ١ الحياض : مستعارة للجفان والقصاع .
 - ٢ نورت : أزهرت ؛ وقوله نورت رياضه : أي زهت ألوان طعامه .
 - ٣ الجفان : جمع جفنة وهي القصعة الكبيرة .
 - ٤ القاني : الأحمر .
 - ٥ تلقاه : حذاه ومقابله ، الفاقع : الأصفر .
 - ٦ تسفر بين الألوان : أي تصلح بين ألوان الطعام ، فتزيل الاختلاف بضم بعضها الى بعض .
 - ٧ الرغفان : جمع الرغيف ؛ وتأخذ وجوه الرغفان : أي يتناول الجهة الفضلى منها .
 - ٨ تفقأ عيون الجفان : أي يسرع قبل غيره إلى الجفنة فيأخذ أطايبها .
 - ٩ ترعى أرض الجيران : أي يعتدي على حقوق جيرانه ، فيتناول من القصاع التي هي أمامهم .
 - ١٠ الرخ : من حجارة الشطرنج ، يذهب ويحيى في النواحي الأربع من الرقعة التي تصف عليها الحجارة .
 - ١١ ذرابته : حدة لسانه ؛ يقال : رجل حديد اللسان وذرب اللسان .
 - ١٢ أي قمنا عن الطعام .
 - ١٣ اللسن : الفصاحة .
 - ١٤ السنن : المنهج والسييل .
 - ١٥ السنن : جمع السنة وهي السيرة والطبيعة .
 - ١٦ يريد بذلك كله أنهم ليسوا من أهل هذا البحث ليخوضوا فيه ، فلكل عمل رجال ، ولكل دار سكان .

ولكلّ زَمانٍ جاحظٌ . ولو انتقدتُم^١ ، لبطلَ ما اعتقدتُم . فكلُّ كَشَرٍ
لهُ عن نابِ الإنكارِ ، وأشَمَّ بأنفِ الإكبارِ^٢ . وضَحِكْتُ لهُ لأجلُبَ ما عندهُ
وقلتُ : أفيدنا ، وزدنا . فقال : إن الجاحظَ في أحدِ شِقَيِ البلاغةِ^٣ يقطِفُ^٤ ،
وفي الآخرِ يَقِفُ . والبليغُ مَنْ لم يُقَصِّرْ نَظْمُهُ عَن نَثَرِهِ ، ولم يُزِرْ كَلَامُهُ
بشِعْرِهِ . فهل تروونَ للجاحظِ شِعراً رائعاً ؟ قلنا : لا . قال : فهلُموا إلى
كَلَامِهِ ، فهو بَعِيدُ الإشاراتِ^٥ ، قليلُ الاستعاراتِ ، قريبُ العباراتِ ،
مُنْقَادٌ لِعُرْيَانِ الكلامِ^٦ . يَسْتَعْمِلُهُ^٧ ، نَقُورُ مِنْ مُعْتَصِهِ يَهْمِلُهُ^٨ ؛ فهل
سَمِعْتُمُ لهُ لَفْظَةً مَصْنُوعَةً^٩ ، أو كَلِمَةً غَيْرَ مَسْمُوعَةٍ ؟ فقلنا : لا . قال :
فهل تُحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ مِنْ الكلامِ ما يُخَفِّفُ عَن مَنَكِبِكَ^{١٠} ، وَيَنِمُّ على
ما في يَدَيْكَ^{١١} ؟ فقلتُ : إي والله^{١٢} ! قال : فأطْلِقْ لي عن خِنَصِيرِكَ ، بما يُعِينُ
على سُكْرِكَ . فنلتهُ^{١٣} ردائي . فقال :

- ١ ولو انتقدتُم : أي لو كان لكم علم بالنقد .
- ٢ أي رفع أنفه استنكاراً واستعظاماً لقول هذا الرجل الذي استهان الجاحظ .
- ٣ شقي البلاغة : أي الشعر والنثر .
- ٤ يقطف : يسير مسرعاً .
- ٥ ولم يزر كلامه بشعره : أي ولم يحقر نثره شعره .
- ٦ بعيد الإشارات : أي أن إشاراته لا تؤدي المعنى الذي تلوح إليه أو أن الإشارات بعيدة عن نثره لا يستطيع الإتيان بها ، ولعل هذا هو المقصود هنا ، لأن الجاحظ لم يكن يعنى بمثل هذه الأنواع من المحسنات البيانية . والإشارة لمحة دالة وتلويح يعرف معناه البعيد من ظاهر لفظه كقول الشاعر :
جعلنا السيف ، بين الخد منه ، وبين سواد لمته ، عذارا
فأشار إلى هيئة الضربة دون ذكرها ، والمراد أنهم ضربوا عنقه .
- ٧ عريان الكلام : أي كلام واضح لا يكتسي أثواب المجاز والتشبيه والبدیع ، وهكذا كان إنشاء الجاحظ ، فبدیع الزمان يهاجم في هذه المقامة الأسلوب المطبوع الذي عرف به الجاحظ ، ليرفع من شأن أسلوبه المنمق المصنوع .
- ٨ المعتاص من الكلام : الذي اشتد وصعب استخراج معناه .
- ٩ المنكب : مجتمع رأس الكتف والعضد ؛ وقوله يخفف عن منكبيك : أي يجعله يخلع عليه رداءه .
- ١٠ ينم : أي يكشف ويذيع . على ما في يديك : أي من مال .
- ١١ إي : حرف جواب بمعنى نعم ، ولا تقع إلا قبل القسم .
- ١٢ نلته : أعطيته ، والفعل ناله ينوله نوالا .

لَعَمْرُ الَّذِي أَلْقَى عَلَيَّ ثِيَابَهُ^١ ؛ لَقَدْ حُشِيَتْ تِلْكَ الثِّيَابُ بِهِ ، مَسْجَدًا
فَتَتَّى قَمَرَتُهُ الْمَكْرُمَاتُ رِدَاءَهُ^٢ ، وَمَا ضَرَبْتُ قِدْحًا وَلَا نَصَبْتُ نَرْدَا^٣
أَعِيدُ نَظْرًا ، يَا مَنْ حَبَانِي ثِيَابَهُ^٤ ، وَلَا تَدْعِ الْآيَامَ تَهْدِمُنِي هَدَا^٥
وَقُلْ لِلأُولَى ، إِنْ أَسَفَرُوا ، أَسَفَرُوا ضُحَى^٦ ؛ وَإِنْ طَلَعُوا فِي غُمَّةٍ ، طَلَعُوا سَعْدًا^٧
صَلُّوا رَحِمَ الْعَلِيَا ، وَبُلُّوا لَهَاتَهَا^٨ ؛ فَخَيْرُ النَّدَى مَا سَحَّ وَابِلُهُ نَقْدًا^٩

قَالَ عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ : فَارْتَاخَتْ الْجَمَاعَةُ إِلَيْهِ ، وَانْثَلَتِ الصَّلَاتُ عَلَيْهِ .
وَقُلْتُ ، لَمَّا تَأَنَسْنَا : مِنْ أَيْنَ مَطْلَعُ هَذَا الْبَدْرِ ؟ فَقَالَ :

إِسْكَندَرِيَّةُ دَارِي ؛ لَوْ قَرَّ فِيهَا قَرَارِي^{١٠}
لَكِنَّ لَيْلِي بَنَجْدٍ ، وَبِالْحِجَازِ نَهَارِي^{١١}

المقامة المضيرية^{١٢}

حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : كُنْتُ بِالْبَصْرَةِ ، وَمَعِيَ أَبُو الْفَتْحِ
الْإِسْكَندَرِيُّ ، رَجُلٌ الْفَصَاحَةِ يَدْعُوهَا فَتُجِيئُهُ ، وَالبَلَاغَةِ يَأْمُرُهَا فَتُطِيعُهُ .

- ١ قمرته : غلبته في المقامرة وأخذت ماله . القدح : السهم الذي يقامر عليه : الرد : لعبة الزهر المعروفة عند العامة بالطاولة .
- ٢ حبانِي : أعطاني .
- ٣ للأولى : للذين ؛ تكتب الواو ولا تلفظ ، والمراد بهم أهل المجلس . أسفروا : كشفوا عن وجوههم . أسفروا ضحى : أي أشرقت وجوههم مثل الضحى . الغمة : الكربة والظلمة . طلعوا سعداً : أي طلوع نجوم السعد ، وهي عندهم عشرة كواكب .
- ٤ اللهاة : أي الخلق . سح وابله : سال مطره . يقول : أصبحت العلياء لقلة الكرام عطشى إليهم مقطوعة عنهم ، فاربطوا صلتكم بها أيها الكرام ، وبردوا عطشها بنداكم .
- ٥ انثالت : انهالت . الصلوات : العطايا ، واحداًها صلة .
- ٦ اسكندرية : ثغر من ثغور الأندلس ، وإليها نسب البديع بطله أبا الفتح الاسكندري .
- ٧ المعنى : أنه لا يستقر في مكان .
- ٨ المضيرية : نسبة إلى المضيرة ، وهي لحم يطبخ باللبن المضير ، أي الحامض .

وحَضَرنا معه دَعْوَةَ بَعْضِ التَّجَّارِ ، فَقَدِمَتْ إِلَيْنَا مَضِيرَةٌ تُشْنِي عَلَى الْحَضَارَةِ^١
وتَتَرَجَّرُ فِي الْغَضَارَةِ^٢ ، وَتُؤْذِنُ بِالسَّلَامَةِ^٣ ، وَتَشْهَدُ لِمُعَاوِيَةَ ، رَحِمَهُ
اللَّهُ ، بِالْإِمَامَةِ^٤ ، فِي قِصْعَةٍ يَزِلُّ عَنْهَا الطَّرْفُ^٥ ، وَيَمُوجُ فِيهَا الظَّرْفُ^٦ .
فَلَمَّا أَخَذَتْ مِنَ الْخَوَانِ مَكَانَهَا ، وَمِنَ الْقُلُوبِ أوطَانَهَا ، قَامَ أَبُو الْفَتْحِ
الْإِسْكَندَرِيُّ يَلْعَنُهَا وَصَاحِبَهَا ، وَيَمَقُّشُهَا وَآكِلَهَا ، وَيَثْلِبُهَا^٧ وَطَابِخَهَا .
وظَنَّنَاهُ يَمَزَحُ ، فَإِذَا الْأَمْرُ بِالضَّدِّ ، وَإِذَا الْمُزَاحُ عَيْنُ الْجِدِّ . وَتَنَحَّى عَنِ
الْخَوَانِ ، وَتَرَكَ مُسَاعَدَةَ الْإِخْوَانِ . وَرَفَعْنَاهَا ، فَارْتَفَعَتْ مَعَهَا الْقُلُوبُ ،
وَسَافَرَتْ خَلْفَهَا الْعُيُونُ ، وَتَحَلَّبَتْ لَهَا الْأَفْوَاهُ ، وَتَلَمَّظَتْ^٨ لَهَا الشِّفَاهُ ،
وَاتَّقَدَتْ لَهَا الْأَكْبَادُ ، وَمَضَى فِي إِثْرِهَا الْفُؤَادُ . وَلَكِنَّا سَاعَدْنَاهُ عَلَى هَجْرِهَا ،
وَسَأَلْنَاهُ عَنْ أَمْرِهَا ، فَقَالَ : قِصَّتِي مَعَهَا أَطْوَلُ مِنْ مُصِيبَتِي فِيهَا ؛ وَلَوْ
حَدَّثْتُكُمْ بِهَا ، لَمْ أَمَنِ الْمَقْتُ^٩ ، وَإِضَاعَةُ الْوَقْتِ . قُلْنَا : هَاتِ . قَالَ :

دَعَانِي بَعْضُ التَّجَّارِ إِلَى مَضِيرَةٍ ، وَأَنَا بَبْغَدَاذٍ^{١٠} ، وَلَزِمَنِي مُلَازِمَةٌ الْغَرِيمِ^{١١} ،
وَالْكَلْبُ لِأَصْحَابِ الرَّقِيمِ^{١٢} ، إِلَى أَنْ أَجَبْتُهُ إِلَيْهَا ، وَقَمْنَا . فَجَعَلَنِي طُولُ
الطَّرِيقِ ، يُشْنِي عَلَى زَوْجَتِهِ ، وَيُفْدِيهَا بِمُهِجَتِهِ ، وَيَصِفُ حِذْقَهَا فِي

- ١ تشني على الحضارة : أي لأن أهل الحضرة أمهر في طبخها من البدو .
- ٢ تترجرج : تموج وتتحرك . الغضارة : القصعة .
- ٣ تؤذن بالسلامة : أي تبشر آكلها بالسلامة .
- ٤ يقول : لو دعا معاوية الناس المخالفين له إلى أكلها ، لاشتراهم بها وشهدوا له بحقه في الخلافة .
- ٥ يزل عنها الطرف : أي يزلق عنها النظر ، لا يستطيع ثباتاً وهو يرنو إليها ، لشدة لمعانها .
- ٦ الظرف : حسن اللسان والبيان ؛ ويطلق أيضاً على حسن الوجه والهيئة .
- ٧ يثلبها : يعيبها .
- ٨ تلمظ : أخرج لسانه ومسح به شفتيه .
- ٩ لم آمن المقت : أي لم آمن أن تكرهوني من أجل طول خبرها .
- ١٠ ببغداد : لغة في بغداد .
- ١١ الغريم : من له دين عند الآخر ، يلزمه ويطالبه به .
- ١٢ أصحاب الرقيم : أهل الكهف ، وكان معهم كلب لم يفارقهم .

صَنَعَتِهَا ، وَتَأْتَقَهَا فِي طَبَخِهَا ، وَيَقُولُ : يَا مَوْلَايَ ، لَوْ رَأَيْتَهَا ، وَالْخِرْقَةُ فِي وَسْطِهَا ، وَهِيَ تَدُورُ فِي الدُّورِ ، مِنَ التَّنُّورِ إِلَى الْقُدُورِ ، وَمِنْ الْقُدُورِ إِلَى التَّنُّورِ ؛ تَسْنُفْتُ بِفِيهَا النَّارَ ، وَتَدُقُّ بِيَدَيْهَا الْأَبْزَارَ . وَلَوْ رَأَيْتَ الدَّخَانَ وَقَدْ غَبَرَ فِي ذَلِكَ الْوَجْهَ الْجَمِيلِ ، وَاثَّرَ فِي ذَلِكَ الْخَدَّ الصَّقِيلِ ، لَرَأَيْتَ مَنْظَرًا تَحَارُّ فِيهِ الْعُيُونُ ! وَأَنَا أَعَشَقُهَا ، لِأَنَّهَا تَعَشَّقُنِي ؛ وَمِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ أَنْ يُرْزَقَ الْمُسَاعَدَةَ مِنْ حَلِيلَتِهِ ، وَأَنْ يُسَعَّدَ بَطْعَيْنَتِهِ^١ ؛ وَلَا سِيَّما إِذَا كَانَتْ مِنْ طِينَتِهِ ؛ وَهِيَ ابْنَةُ عَمِّي لَحَاً^٢ ، طِينَتُهَا طِينَتِي ، وَمَدِينَتُهَا مَدِينَتِي ، وَعُمُومَتُهَا عُمُومَتِي ، وَأُرُومَتُهَا أُرُومَتِي^٣ . لَكِنَّهَا أَوْسَعُ مِنِّي خُلُقًا ، وَأَحْسَنُ خُلُقًا .

وَصَدَّعَنِي بِصِفَاتِ زَوْجَتِهِ ، حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى مَحَلَّتِهِ . ثُمَّ قَالَ : يَا مَوْلَايَ ، تَرَى هَذِهِ الْمَحَلَّةَ ؟ هِيَ أَشْرَفُ مَحَالٍّ بِبَغْدَادَ ، يَتَنَافَسُ الْأَخْيَارُ فِي نُزُولِهَا ، وَيَتَغَايَرُ الْكِبَارُ^٤ فِي حُلُولِهَا . ثُمَّ لَا يَسْكُنُهَا غَيْرُ التَّجَارِ ؛ وَإِنَّمَا الْمَرْءُ بِالْحَارِ . وَدَارِي فِي السُّطَّةِ^٥ مِنْ قِلَادَتِهَا ، وَالنَّقْطَةُ مِنْ دَائِرَتِهَا . كَمْ تُقَدِّرُ ، يَا مَوْلَايَ ، أَنْفَقَ عَلَى كُلِّ دَارٍ مِنْهَا ؟ قُلُّهُ تَخْمِينًا ، إِنَّ لَمْ تَعْرِفْهُ يَقِينًا . قُلْتُ : الْكَثِيرُ^٦ ! فَقَالَ : يَا سُبْحَانَ اللَّهِ ! مَا أَكْبَرَ هَذَا الْغَلَطَ ! تَقُولُ الْكَثِيرَ فَقَطْ ! وَتَنْفَسُ الصُّعْدَاءَ ، وَقَالَ : سُبْحَانَ مَنْ يَعْلَمُ الْأَشْيَاءَ .

وَانْتَهَيْنَا إِلَى بَابِ دَارِهِ ، فَقَالَ : هَذِهِ دَارِي . كَمْ تُقَدِّرُ ، يَا مَوْلَايَ ، أَنْفَقْتُ عَلَى هَذِهِ الطَّاقَةِ ؟ أَنْفَقْتُ ، وَاللَّهِ ، عَلَيْهَا فَوْقَ الطَّاقَةِ ، وَوَرَاءَ

١ الظلمنة : المرأة في الهودج ، والمراد هنا المرأة على الإطلاق .

٢ ابنة عمي لحاً : أي لاصقة النسب ؛ ونصب لحاً على الحال لأن ما قبله معرفة ؛ وتقول في النكرة : هي ابنة عم لح بالجر لأنه نعت لم .

٣ الأرومة : الأصل .

٤ يتغاير الكبار : أي يغار كل واحد من الآخر .

٥ السطة : الوسط ، والجوهرة التي تكون في وسط العقد هي أنفس جواهره وأعظمها .

٦ الكثير : أي أنفق الكثير .

الفاقة^١ . كيف ترى صنعتها وشكلها ؟ أرأيت ، بالله ، مثلها ؟ أنظر إلى دقائق الصنعة فيها ، وتأمل حسن تعريجها ! فكأنما خطَّ بالبركار ! وانظر إلى حذق النجار في صنعة هذا الباب ، اتخذته من كم ؟ قل : ومن أين أعلم . هو ساج^٢ من قطعة واحدة ، لا مأروض^٣ ولا عفن . إذا حرك أن ، وإذا نُقِرَ طن . من اتخذته يا سيدي ؟ اتخذته أبو إسحق ابن مُحَمَّد البصري ، وهو ، والله ، رجلٌ نظيفُ الأبواب ، بصيرٌ بصنعة الأبواب ، خفيفُ اليد في العمل . لله درُّ ذلك الرجل ! بحياتي ، لا استعنت إلا به على مثله . وهذه الحلقة^٤ ، تراها ، اشتريتها ، في سوق الطرائف^٥ ، من عمران الطرائفي بثلاثة دنانير معزيتة^٦ ، وكم فيها ، يا سيدي ، من الشبه^٧ ؟ فيها ستة أرتال ، وهي تدور بلولب في الباب . بالله ، دورها ، ثم انقصرها وأبصرها . وحياتي عليك ، لا اشتريت الحلقة إلا منه ، فليس يبيع إلا الأعلق^٨ .

ثم قرع الباب ، ودخلنا الدهليز ، وقال : عمرك الله يا دار ! ولا خربك يا جدار ! فما أمتن حيطانك ! وأوثق بُنيانك ! وأقوى أساسك ! تأمل ، بالله ، معارجها^٩ ، وتبسين دواخلها وخوارجها ، وسلني : كيف حصلتتها ؟ وكم من حيلة احتلتتها ، حتى عقدتها ؟ كان لي جارٌ يُكنى أبا سليمان

١ الفاقة : الفقر ؛ وقوله وراء الفاقة : أي أنفق عليها إنفاقاً كثيراً يقود إلى الفقر ، فكان إنفاقه مستقر وراء الفقر ، والفقر أمامه .

٢ الساج : أي قطعة من خشب الساج ، وهو شجر يطول ويرتفع جداً ، ويوجد بالهند .

٣ المأروض : الذي أكلته الأرضة ، وهي دودة بيضاء تبني على نفسها شبه دهليز ، لها مشفران تنقر بهما الخشب والآجر والحجارة ، جميعها أرض .

٤ على مثله : أي مثل هذا الباب .

٥ سوق الطرائف : كانت ببغداد لبيع النفائس والذخائر .

٦ الدنانير المعزية : منسوبة إلى المعز لدين الله الخليفة الفاطمي الرابع .

٧ الشبه : النحاس الأصفر .

٨ الأعلق : النفائس ، واحدها علق .

٩ المعارج : السلام .

يَسْكُنُ هَذِهِ الْمَحَلَّةَ ، وَلَهُ ، مِنْ الْمَالِ ، مَا لَا يَسَعُهُ الْحَزَنُ ، وَمِنْ الصَّامِتِ ١
 مَا لَا يَحْصُرُهُ الْوَزْنُ . مَاتَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَخَلَّفَ خَلْفًا ٢ أَتْلَفَهُ بَيْنَ الْحَمْرِ
 وَالزَّمْرِ ، وَمَزَقَهُ بَيْنَ النُّرْدِ وَالْقَمَرِ ٣ . وَأَشْفَقْتُ أَنْ يَسُوقَهُ قَائِدُ الْأَضْطِرَارِ ،
 إِلَى بَيْعِ الدَّارِ ؛ فَيَبِيعَهَا فِي أَثْنَاءِ الضَّجَرِ ، أَوْ يَجْعَلَهَا عُرْضَةً لِلخَطَرِ . ثُمَّ
 أَرَاهَا ، وَقَدْ فَاتَنِي شِرَاهَا ، فَأَتَقَسَّطُ عَلَيْهَا حَسَرَاتِ ، إِلَى يَوْمِ الْمَمَاتِ .
 فَعَمَدْتُ إِلَى أَثْوَابٍ لَا تَنْضُ ٤ تِجَارَتُهَا فَحَمَلْتُهَا إِلَيْهِ ، وَعَرَضْتُهَا عَلَيْهِ ،
 وَسَاوَمْتُهُ عَلَى أَنْ يَشْتَرِيَهَا نَسِيَّةً ٥ ، وَالْمُدْبِرُ ٦ يَحْسِبُ النَّسِيَّةَ عَطِيَّةً ،
 وَالْمُتَخَلِّفُ ٧ يَعْتَدُّهَا هَدِيَّةً . وَسَأَلْتُهُ وَثِيقَةً بِأَصْلِ الْمَالِ ، فَفَعَلَ ، وَعَقَدَهَا
 لِي ٨ . ثُمَّ تَغَافَلْتُ عَنْ اقْتِضَائِهِ ، حَتَّى كَادَتْ حَاشِيَةُ حَالِهِ تَرِقُ ٩ ، فَأَتَيْتُهُ
 فَاقْتَضَيْتُهُ ، وَاسْتَمَهَلَنِي ، فَأَنْظَرْتُهُ ١٠ ، وَالتَّمَسَّ غَيْرَهَا مِنَ الثِّيَابِ ،
 فَأَحْضَرْتُهُ . وَسَأَلْتُهُ أَنْ يَجْعَلَ دَارَهُ رَهِينَةً لَدَيَّ ، وَوَثِيقَةً فِي يَدَيَّ ؛
 فَفَعَلَ . ثُمَّ دَرَجْتُهُ بِالْمُعَامَلَاتِ إِلَى بَيْعِهَا ، حَتَّى حَصَلْتُ لِي بِحَدِّ صَاعِدٍ ١١ ،
 وَبَسَخْتُ مُسَاعِدَ ، وَقُوَّةَ سَاعِدَ ؛ وَرُبَّ سَاعٍ لِقَاعِدٍ ١٢ وَأَنَا ، بِحَمْدِ اللَّهِ ،
 مَجْدُودٌ ١٣ ؛ وَفِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ مَحْمُودٌ . وَحَسْبُكَ ، يَا مَوْلَايَ ، أَنْتِي

١ الصامت : المال من الذهب والفضة ونحوهما ؛ يقابله الناطق ، وهو المال من الإبل والمواشي ونحوها من الحيوان .

٢ الخلف : الولد الطالح ، والخلف بالتحريك : الولد الصالح .

٣ النرد : لعبة الزهر . القمر : المقامرة .

٤ لا تنض : لا تنبسط ولا تتحول من متاع إلى صامت من فضة وذهب ، أي كسدت تجارتها .
 ٥ نسيئة : أي مع تأخير الثمن .

٦ المدبر : من ساء حظه ؛ ومنه قولهم : صار أمره إلى الإقبال أو إلى الإدبار .

٧ المتخلف : المتأخر . أي المتأخر عن أداء دينه .

٨ عقدها : أي أحكم الوثيقة والتزم بما فيها .

٩ يقال رقت حاشيته : أي قل ماله وأقتر .

١٠ أنظرته : أمهله .

١١ بحد صاعد : أي بحد مرتفع .

١٢ رب ساع لقاعد : مثل يضرب لمن يسعى ويكسب ثم يتمتع غيره بكسبه ، دون أن يتعب في تحصيله .

١٣ مجدود : محظوظ .

كنتُ منذُ لَيَالٍ نائماً في البَيْتِ ، معَ مَنْ فيه ، إذِ قُرِعَ عَلَيْنَا البابُ . فقلتُ :
 مَنْ الطَّارِقُ الْمُتَابُ^١ ؟ فإذا امرأةٌ مَعَهَا عِقْدُ لآلٍ^٢ ، في جِلْدَةٍ ماءٍ ، وورقةُ
 آلٍ^٣ ، تَعْرِضُهُ لِلْبَيْعِ . فأخَذَتْهُ مِنْهَا لِإِخْذَةٍ خَلَّسٍ^٤ ، واشتَرَيْتُهُ بِثَمَنِ
 بَخْسٍ^٥ ؛ وَسَيَكُونُ لَهُ نَفْعٌ ظَاهِرٌ ، وَرِبْحٌ وَافِرٌ ، بِعَوْنِ اللَّهِ تَعَالَى وَدَوْلَتِكَ .
 وإنما جَدَّ ثَمُّكَ بهذا الحديثِ ، لتَعْلَمَ سَعَادَةَ جَدِّي فِي التَّجَارَةِ ؛ وَالسَّعَادَةَ
 تَنْبِطُ^٦ الْمَاءَ مِنَ الْحِجَارَةِ . اللَّهُ أَكْبَرُ ! لَا يُنْبِئُكَ أَصْدَقُ مِنْ نَفْسِكَ ،
 وَلَا أَقْرَبُ مِنْ أَمْسِكَ^٧ ! اشْتَرَيْتُ هَذَا الْحَصِيرَ فِي الْمُنَادَاةِ^٨ . وقد أَخْرَجَ مِنْ
 دُورِ آلِ الْفُرَاتِ^٩ ، وَقَتَ الْمُصَادَرَاتِ ، وَزَمَنَ الْغَارَاتِ . وَكنتُ أَطْلُبُ مِثْلَهُ
 مُنْذُ الزَّمَنِ الْأَطْوَلِ ، فَلَا أَجِدُ ؛ وَالدَّهْرُ حُبْلَى لَيْسَ يُدْرِي مَا يَلِدُ . ثُمَّ
 اتَّفَقَ أَنِّي حَضَرْتُ بَابَ الطَّاقِ^{١٠} ، وَهَذَا يُعْرَضُ فِي الْأَسْوَاقِ ، فَوَزَنْتُ فِيهِ
 كَذَا وَكَذَا دِينَاراً . تَأَمَّلْ ، بِاللَّهِ ، دَقَّتَهُ وَلِينَهُ وَصَنَعَتَهُ وَلَوْنَهُ ، فَهُوَ
 عَظِيمُ الْقَدْرِ ، لَا يَقَعُ مِثْلُهُ إِلَّا فِي النَّدَرِ^{١١} ! وَإِنْ كُنْتَ سَمِعْتَ بِأَبِي عِمْرَانَ
 الْحَصِيرِيِّ ، فَهُوَ عَمَلُهُ ؛ وَلَهُ ابْنٌ يَخْلُفُهُ الْآنَ فِي حَانُوتِهِ ، لَا يُوجَدُ

- ١ المتاب : أي الزائر وأصله الزائر مرة بعد مرة .
- ٢ لآل : أصله لآلء جمع لؤلؤة ، فسهلت الهمزة .
- ٣ في جلد ماء : من المجاز ، أي جلده صافية كجلدة الماء . الآل : هنا بمعنى السراب ، وهو ما يظهر من بعيد كأنه ماء .
- ٤ الخلس : الاختلاس .
- ٥ البخس : القليل الناقص من الثمن .
- ٦ تنبط : تستخرج الماء .
- ٧ أي لا يخبرك حقيقة أحوالك أحد أصدق من نفسك ، ولا يوم أقرب من أمسك ، لأنك لم تزل تتذكره جيداً ؛ وهذه الأخبار قريبة العهد لم يأت عليها النسيان .
- ٨ المناداة : أي المزايعة العلنية .
- ٩ آل الفرات : أسرة مشهورة كان أحدها علي بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات وزيراً للمقتدر بالله العباسي ، ثم قتله سنة ٣١٢هـ (٩٢٤م) وصادته على جميع أمواله ومتاعه . والمراد أن الحصير نفيس عظيم القيمة .
- ١٠ باب الطاق : من أبواب بغداد .
- ١١ في الندر : في النادر .

أعلاقُ الحُصْرِ إلّا عندهُ ؛ فيحياتي ، لا اشتريت الحُصْرَ إلّا مِنْ دُكَّانِهِ ،
 فالْمُؤْمِنُ ناصِحٌ لإخوانِهِ ، لا سيّما مَنْ تَحَرَّمَ بِخُؤَانِهِ ^١ .
 ونَعُودُ إلى حَدِيثِ الْمُضِيرَةِ ، فَقَدْ حَانَ وَقْتُ الظَّهيرةِ . يا غُلامُ ، الطَّسْتُ
 والماءُ . فَقُلْتُ : اللهُ أَكْبَرُ ! رَبُّمَا قَرُبَ الْفَرَجُ ، وَسَهَّلَ الْمَخْرَجُ . وَتَقَدَّمَ
 الْغُلامُ ، فَقَالَ : ترى هذا الْغُلامَ ؟ إِنَّهُ رُومِي الْأَصْلِ ، عِرَاقِي النَّشْءِ .
 تَقَدَّمَ يا غُلامُ ، واحسِرْ ^٢ عَنْ رَأْسِكَ ، وَشَمِّرْ عَنْ سَاقِكَ ، وانصُرْ عَنْ
 ذِرَاعِكَ ^٣ ، وافترِّ عَنْ أَسْنَانِكَ ، وأَقْبِلْ ، وأدْبِرْ . فَفَعَلَ الْغُلامُ ذَلِكَ .
 وَقَالَ التَّاجِرُ : باللهِ ، مَنْ اشْتَرَاهُ ؟ اشْتَرَاهُ ، واللهِ ، أَبُو الْعَبَّاسِ ، مِنَ الْنَخَّاسِ ^٤ .
 ضَمَّ الطَّسْتُ ، وَهَاتَ الْإِبْرِيْقَ . فَوَضَعَهُ الْغُلامُ ، وَأَخَذَهُ التَّاجِرُ ، وَقَلَّبَهُ
 وَأَدَارَ فِيهِ النَّظَرَ ، ثُمَّ نَقَرَهُ ، فَقَالَ : انظُرْ إلى هذا الشَّيْءِ ، كَأَنَّهُ جُذُوءُ
 اللَّهَبِ ، أَوْ قِطْعَةٌ مِنَ الذَّهَبِ ! شَبَّهُ الشَّامِ ، وَصَنَعَةُ الْعِرَاقِ ! لَيْسَ
 مِنْ خُلُقَانِ الْأَعْلَاقِ ^٥ ! قَدْ عَرَفَ دَارَ الْمُتْلُوكِ ، وَدَارَهَا ! تَأْمَلْ حُسْنَهُ !
 وَسَلِّني : متى اشْتَرَيْتَهُ ؟ اشْتَرَيْتُهُ ، واللهِ ، عامَ الْمَجَاعَةِ ، وادْخَرْتُهُ
 لِهَذِهِ السَّاعَةِ . يا غُلامُ ، الْإِبْرِيْقَ . فَقَدَّمَهُ . وَأَخَذَهُ التَّاجِرُ ، فَقَلَّبَهُ ،
 ثُمَّ قَالَ : وَأَنْبِؤْبُهُ مِنْهُ ! لَا يَصْلُحُ هَذَا الْإِبْرِيْقُ إلّا لِهَذَا الطَّسْتِ ؛ وَلَا يَصْلُحُ
 هَذَا الطَّسْتُ إلّا مَعَ هَذَا الدَّسْتِ ^٦ ؛ وَلَا يَحْسُنُ هَذَا الدَّسْتُ إلّا فِي هَذَا الْبَيْتِ ؛
 وَلَا يَجْمَلُ هَذَا الْبَيْتُ إلّا مَعَ هَذَا الضَّيْفِ . أَرْسِلِ الْمَاءَ ، يا غُلامُ ، فَقَدْ حَانَ
 وَقْتُ الطَّعَامِ . باللهِ تَرَى هَذَا الْمَاءَ مَا أَصْفَاهُ ؟ أَزْرَقُ كَعَيْنِ السَّنُورِ ، وَصَافٍ

١ تحرم بالشيء : تمنع واحتى بحرمته ؛ فقلوله تحرم بخوانه : أي صارت له حرمة الخبز والملح .

لأن أبا الفتح سيأكل عند التاجر ، ولذلك تجب على التاجر نصيحته .

٢ واحسر : واكشف .

٣ انص عن ذراعك : أي ازع ثوبك عنها ، من نضا الثوب : نزعه .

٤ النخاس : تاجر العبيد من سود وبيض .

٥ الخلقان : جمع خلق وهو البالي . الأعلاق : النفائس . والمراد : أنه نفيس غير بال .

٦ دارها : وجه الكلام : دار بها ، فنزع الخافض .

٧ الدست : صدر البيت والمجلس .

كَقَضِيبِ الْبَلُورِ ! اسْتَقِيَّ مِنَ الْفُرَاتِ^١ ، وَاسْتُعْمِلْ بَعْدَ الْبَيَاتِ^٢ ، فَجَاءَ
 كَلِيسَانَ الشَّمْعَةِ^٣ ، فِي صَفَاءِ الدَّمْعَةِ . وَلَيْسَ الشَّأْنُ فِي السَّقَاءِ ، الشَّأْنُ
 فِي الْإِنَاءِ^٤ ؛ لَا يَدُلُّكَ عَلَى نَظَافَةِ أَسْبَابِهِ^٥ ، أَصْدَقُ مِنْ نَظَافَةِ شَرَابِهِ .
 وَهَذَا الْمِنْدِيلُ^٦ ، سَلَّنِي عَنْ قِصَّتِهِ ؛ فَهُوَ نَسِجُ جُرْجَانٍ^٧ ، وَعَمَلُ أَرْجَانٍ^٨ .
 وَقَعَ إِلَيَّ ، فَاشْتَرَيْتُهُ ، فَاتَّخَذْتُ امْرَأَتِي بَعْضَهُ سَرَاوِيلًا ، وَاتَّخَذْتُ بَعْضَهُ
 مِندِيلًا . دَخَلْتُ فِي سَرَاوِيلِهَا عِشْرُونَ ذِرَاعًا ، وَانْتَزَعْتُ مِنْ يَدِهَا هَذَا
 الْقَدْرَ انْتِزَاعًا ؛ وَأَسْلَمْتُهُ إِلَى الْمُطْرَازِ ، حَتَّى صَنَعَهُ كَمَا تَرَاهُ ، وَطَرَزَهُ .
 ثُمَّ رَدَدْتُهُ مِنَ السُّوقِ ، وَخَزَنْتُهُ فِي الصَّنَدُوقِ . وَادْخَرْتُهُ لِلظُّرَافِ ،
 مِنَ الْأَضْيَافِ . لَمْ تُذَلِّهِ عَرَبُ الْعَامَةِ بِأَيْدِيهَا ، وَلَا النِّسَاءُ لِمَاقِيهَا^٩ . فَلِكُلِّ
 عِلْقٍ^{١٠} يَوْمٌ ، وَلِكُلِّ آلَةٍ قَوْمٌ . يَا غُلَامُ ، الْخُوانُ ، فَقَدْ طَالَ الزَّمَانُ ؛
 وَالْقِصَاعُ ، فَقَدْ طَالَ الْمِصَاعُ^{١١} ؛ وَالطَّعَامُ ، فَقَدْ كَثُرَ الْكَلَامُ .

فَأَتَى الْغُلَامُ بِالْخُوانِ ؛ وَقَلَبْنَاهُ التَّاجِرُ عَلَى الْمَكَانِ^{١٢} ، وَنَقَرَهُ بِالْبَنَانِ ،
 وَعَجَّمَهُ بِالْأَسْنَانِ^{١٣} ، وَقَالَ : عَمَرَ اللَّهُ بِغَدَاذَ ! فَمَا أَجُودَ مَتَاعَهَا ، وَأَظْرَفَ
 صُنَاعَهَا ! تَأَمَّلْ ، بِاللَّهِ ، هَذَا الْخُوانُ ! وَانْظُرْ إِلَى عَرَضِ مَتْنِهِ^{١٤} ، وَخِفَّةِ

- ١ استقي : أخذ . الفرات : الماء العذب ؛ أو لعله أراد به دجلة لأن قصة المضيرة وقعت في بغداد ؛ يقال الفراتان : أي الفرات ودجلة .
- ٢ البيات : أي أن يبيت الماء في إناء تحت السماء ليبرد ويصفو ؛ ومنه البيوت : الماء البارد الذي يبيت تحت السماء .
- ٣ كلسان الشمعة : أي يتلأأ متوهجاً .
- ٤ أي ليس الفضل لمن يسقي الماء بل الفضل للإناء الذي كان سبب صفائه ونظافته .
- ٥ نظافة أسبابه : أي الوسائل التي اتخذت لتصفيته .
- ٦ المنديل : خرقعة تستعمل لتجفيف الأيدي من الماء .
- ٧ جرجان : مدينة عظيمة بين طبرستان وخراسان اشتهرت بنسج الحرير .
- ٨ أرجان : مدينة كبيرة بفارس .
- ٩ ولا النساء لماقيا : أي لمسح دموعها ؛ كأنه يعتبر ذلك إهانة للمنديل .
- ١٠ العلق : النفيس من الأشياء .
- ١١ المصاع : المعارقة والمضاربة ؛ ومن المجاز قولهم : فلان يماصع بلسانه ؛ ذكره الأساس .
- ١٢ قلبه على المكان : أي قلبه على مكانه الذي يوضع فيه ؛ نابت آل التعريف عن الضمير .
- ١٣ عجمه بالأسنان : أي عضه ليختره .
- ١٤ المتن : الظهر ، أي ظهر الخوان .

وَزْنِهِ ، وَصَلَابَةِ عودِهِ ، وَحُسْنِ شَكْلِهِ ! فَقُلْتُ : هَذَا الشَّكْلُ ،
فَمَتَى الْأَكْلُ ؟ فَقَالَ : الْآنَ . عَجَّلْ يَا غُلَامُ ، الطَّعَامَ . لَكِنَّ الْخُوانَ
قَوَائِمُهُ مِنْهُ ^١ .

قال أبو الفتح : فَجَاشَتْ نَفْسِي ، وَقُلْتُ : قَدْ بَقِيَ الْخَبْزُ وَالْأَثَرُ ، وَالْخَبْزُ
وَصِفَاتُهُ ، وَالْحِنْطَةُ مِنْ أَيْنَ اشْتَرَيْتُ أَصْلًا ^٢ ؟ وَكَيْفَ اكْتَرَيْتُهَا حَمَلًا ^٣ ؟
وَفِي أَيِّ رَحَى طَحَنَ ؟ وَإِجَانَةً عَجَنَ ^٤ ؟ وَأَيَّ تَنْوِيرٍ سَجَّرَهُ ^٥ ؟ وَخَبَّازٍ
اسْتَأْجَرَ ؟ وَبَقِيَ الْخَطْبُ مِنْ أَيْنَ احْتُطِبَ ^٦ ؟ وَمَتَى جُلِبَ ^٧ ؟ وَكَيْفَ صُفِّفَ ،
حَتَّى جُفِّفَ ؟ وَحُبِّسَ ، حَتَّى يَبْسَ ^٨ ؟ وَبَقِيَ الْخَبَّازُ وَوَصَفُهُ ^٩ ، وَالتَّلْمِيزُ ^{١٠}
وَنَعْتُهُ ، وَالدَّقِيقُ وَمَدْحُهُ ، وَالْحَمِيرُ وَشَرْحُهُ ، وَالْمِلْحُ وَمَلَا حَتَّهُ . وَبَقِيَتْ
السُّكَّرَجَاتُ ^{١١} ، مَنْ اتَّخَذَهَا ؟ وَكَيْفَ انْتَقَذَهَا ^{١٢} ؟ وَمَنْ اسْتَعْمَلَهَا ؟ وَمَنْ
عَمِلَهَا ؟ وَالْحَلَّ ، كَيْفَ انْتَقَى عِنَبَهُ ^{١٣} ؟ أَوْ اشْتَرَى رُطْبَهُ ^{١٤} ؟ وَكَيْفَ صُهِرَجَتْ ^{١٥}
مِعَصْرَتُهُ ، وَاسْتَخْلَصَ لُبَّهُ ^{١٦} ؟ وَكَيْفَ قَيَّرَ حَبَّهُ ^{١٧} ؟ وَكَمْ يُسَاوِي دَنَّهُ ^{١٨} ؟
وَبَقِيَ الْبَقْلُ ، كَيْفَ احْتَبَلَ لَهُ ^{١٩} حَتَّى قُطِفَ ، وَفِي أَيِّ مَبْقَلَةٍ ^{٢٠} رُصِفَ ؟ وَكَيْفَ

١ قوائمه منه : أي أن قوائمه التي يقف عليها ، وظهره قطعة واحدة .

٢ اشتريت أصلاً : أي اشترى أصلها ، وهو الحب .

٣ اكترى لها حملاً : أي ما تحمل عليه ؛ ومنه في النهاية حديث تبوك ؛ قال أبو موسى : « أرسلني أصحابي إلى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، أسأله الحملان . » والحملان كالحمل مصدر حمل ؛ وذلك أنهم أرسلوه يطلب منه شيئاً يركبون عليه .

٤ الإجانة : وعاء يستعمل في الغسيل والعجين ونحوهما .

٥ سجر : أوقد .

٦ التلميز : أي غلام الخباز .

٧ السكرجات : صحاف الطعام .

٨ انتقذها : أي استخلصها من صاحبها الذي اتخذها .

٩ الرطب : ما نضج من البلح ، وكانوا يصنعون الحل من العنب والرطب .

١٠ صهرجت : طليت بالصاروج وهو أخلط من النورة ، أي الكلس ونحوه .

١١ قير : طلي بالقار أي الزفت . الحب بالضم : الخاوية .

١٢ الدان : الخاوية .

١٣ المبقلة : المكان الذي زرع فيه البقل .

تَوُتَّقُ^١ حَتَّى نَظْفَ؟ وَبَقِيَتِ الْمَضِيرَةُ^٢، كَيْفَ اشْتَرِي لَحْمُهَا؟ وَوُفِّي^٣ شَحْمُهَا؟
وَنُصِبَتْ قِدْرُهَا، وَأَجَجَتْ نَارُهَا؟ وَدُقَّتْ أَزْأَرُهَا، حَتَّى أَجِيدَ طَبْخُهَا،
وَعَقِدَ مَرْقَئُهَا؟ وَهَذَا خَطْبُ يَطْمُ^٤، وَأَمْرٌ لَا يَتِمُّ!
فَقُمْتُ. فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ فَقُلْتُ: حَاجَةٌ^٥، أَقْضِيهَا. فَقَالَ: يَا مَوْلَايَ،
تُرِيدُ كَتِيفًا يُزْرِي بَرِّيْعِي الْأَمِيرَ^٦، وَخَرِيفِي الْوَزِيرَ^٧؟ قَدْ جُصَّصَ^٨ أَعْلَاهُ،
وَصُهِرَجَ^٩ أَسْفَلُهُ، وَسُطِّحَ سَقْفُهُ، وَفُرِشَتْ بِالْمَرَمَرِ أَرْضُهُ؟ يَزِلُّ عَنْ
حَائِطِهِ الذَّرَّ فَلَا يَعْلَقُ، وَيَمْشِي عَلَى أَرْضِهِ الذَّبَابُ فَيَزَلُّ؟ عَلَيْهِ بَابٌ،
غَيْرَ أَنَّهُ^{١٠} مِنْ خَلِيطِي سَاجٍ^{١١} وَعَاجٍ^{١٢}، مُزْدَوِجَيْنِ أَحْسَنَ ازْدِوَاجٍ، يَتَمَنَّى
الضَّيْفُ أَنْ يَأْكُلَ فِيهِ! فَقُلْتُ: كُلُّ أَنْتَ مِنْ هَذَا الْجِرَابِ؟ لَمْ يَسْكُنِ
الْكَتِيفُ فِي الْحِسَابِ! وَخَرَجْتُ نَحْوَ الْبَابِ، وَأَسْرَعْتُ فِي الذَّهَابِ، وَجَعَلْتُ
أَعْدُو، وَهُوَ يَتَبَعُنِي، وَيَصِيحُ: يَا أَبَا الْفَتْحِ، الْمَضِيرَةُ! وَظَنَّ الصَّبَّيَّانُ أَنَّ
الْمَضِيرَةَ لَقَبْتُ لِي، فَصَاحُوا صِيَاحَهُ. فَرَمَيْتُ أَحَدَهُمْ بِحَجَرٍ، مِنْ قَرَطِ
الضَّجَرِ؛ فَلَقِيَ رَجُلٌ الْحَجَرَ بِعِمَامَتِهِ، فَغَاصَ فِي هَامَتِهِ^{١٣} فَأَخَذْتُ، مِنْ
النَّعَالِ، بِمَا قَدَّمَ وَحَدَّثَ^{١٤}؛ وَمِنْ الصَّفْعِ، بِمَا طَابَ وَخَبَثَ^{١٥}؛ وَحُشِرْتُ

- ١ تَوُتَّقُ : مجهول تأنق ، أي استعمل الدقة والحلق .
- ٢ وفي : أكثر وأتم .
- ٣ يطم : أي يعظم .
- ٤ حاجة : أي أريد حاجة .
- ٥ ربيعي الأمير : قصره الذي يقيم فيه أيام الربيع .
- ٦ خريفي الوزير : قصر الخريف .
- ٧ جصص : طلي بالحصص ، وهو الكلس .
- ٨ صهرج : عمل بالصاروج ، وهو النورة ، وهي أخلاط من الكلس .
- ٩ غيرانه : يريد بها فواصله ، مفردا غار ، وهي في الأصل : الأخدود بين اللحيين من الفم ، فاستعاره للفاصل بين الألواح . واللحيان : مثنى اللحي ، وهو عظم الحنك الذي عليه الأسنان .
- ١٠ الساج : خشب شجر هندي .
- ١١ العاج : ناب الفيل .
- ١٢ هامته : رأسه .
- ١٣ بما قدم وحدث : أي بنعال قديمة وجديدة .
- ١٤ الصفع : الضرب على قفا الرأس . بما طاب وخبث : أي صفع أيد لطيفة ، وأيد غليظة شديدة .

إلى الحبس ، فأقمتُ عامين في ذلك النّحس . فنذرتُ أنْ لا آكل مَضِيرَةً ،
 ما عِشتُ . فهلْ أنا في ذا ، يا لَ هَمْدانَ ، ظالمٌ^١ ؟
 قالَ عيسى بنُ هشامٍ : فقَبِلنا عُذْرَهُ ، ونَذَرنا نَذْرَهُ ، وقُلنا : قَدِمْنا
 جَنّتِ المَضِيرَةِ على الأحرارِ^٢ ، وقَدَمَتِ الأراذلُ على الأخيارِ^٣ .

المقامة البشرية

حدّثنا عيسى بنُ هشامٍ قالَ : كانَ بِشَرُّ بنُ عَوانَةَ العَبْدِي صُعلوكاً ،
 فأغارَ على رَكبٍ فيهِمُ امرأةٌ جَمِيلَةٌ ، فتزوَّجَ بها ، وقالَ : ما رَأيتُ كالْيَوْمِ !
 فقالتُ :

أعجَبَ بِشراً حَوَرٌ في عَيني وساعِدٌ أبيضٌ كاللَّجَينِ^٤
 ودونهُ ، مَسْرَحَ طَرفِ العَينِ ، خَمَصانَةٌ تَرفُلُ في حِجَلينِ^٥
 أحسَنُ مَن يَمْشِي على رِجلَينِ ، لو ضَمَّ بِشَرٌ بَينَها وبَينِي
 أدامَ هَجري ، وأطالَ بَينِي ، ولو يَقيسُ زَينَها بزَينِي
 لأسَفَرَ الصَّبَحُ لذي عَينَينِ^٦

قالَ بِشَرٌ : وَيَحْكُ^٧ ! مَن عَنيتِ ؟ فقالتُ : بِنْتَ عَمِّكَ فَاطِمَةَ

١ قوله : يا لَ همدان ظالم . هذا عجز بيت من الشعر لبعض لصوص بني همدان يقول فيه :

وكننت ، إذا قوم غزوني غزوتهم فهل أنا في ذا يا لَ همدان ظالم

٢ على الأحرار : المراد بذلك جنائتها على أبي الفتح .

٣ الأراذل والأخيار : المراد بذلك التاجر وأبو الفتح .

٤ الحور : شدة بياض العين وسوادها ، واستدارة خدقتها ، ورقة جفونها . اللجين : الفضة .

٥ دونهُ : أمامهُ . مسرح طرف العين : موضع ما يسرح النظر ، أي حيث يسرح نظره منتقلاً في محاسنها
 الخمصانة : الضامرة البطن . الحجلين ، مثنى الحجل : الخلخال .

٦ لأسفر الصبح لذي عينين : أي لظهر الفرق بين حسنهما وحسني ، ظهور الصبح لذي عينين .

٧ ويحك : كلمة رحمة ، وقد تكون بمعنى ويلك ؛ تقول : ويح لزيد ، فترفعها على الابتداء ، ويوح
 زيد ، ويوحاً له على النصب بفعل مضمر تقديره ألزمه الله ويحاً ، ونحو ذلك .

فَقَالَ : أَهْيَ مِنَ الْحُسْنِ بِحَيْثُ وَصَفْتَ ؟ قَالَتْ : وَأَزِيدُ وَأَكْثُرُ . فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

وَيَحْكُ ! يَا ذَاتَ الثَّنَايَا الْبَيْضِ ، مَا خَلَّتْنِي مِنْكَ بِمُسْتَعْيِضٍ^١
فَالآنَ ، إِذْ لَوَحَتْ بِالْتَّعْرِیضِ ، خَلَوْتُ جَوًّا ، فَاصْفِرِي وَبِیضِي^٢
لَا ضُمَّ جَفْنَايَ عَلَى تَغْمِیضِ ، مَا لَمْ أَشِلْ عِرْضِي مِنَ الْخَضِیضِ^٣

فَقَالَتْ :

كَمْ خَاطِبٍ فِي أَمْرِهَا أَلْحَا ، وَهِيَ إِلَيْكَ ابْنَةُ عَمِّ لَحَا^٤

ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى عَمَّتِهِ يَخْطُبُ ابْنَتَهُ ، وَمَسَّعَهُ الْعَمُّ أَمْنِيَّتَهُ . قَالَ أَلَا
يُرْعِي عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ ، إِنْ لَمْ يَزُوجْهُ ابْنَتَهُ .
ثُمَّ كَثُرَتْ مَضَرَّاتُهُ فِيهِمْ ، وَاتَّصَلَتْ مَعَرَّاتُهُ^٥ إِلَيْهِمْ . فَاجْتَمَعَ
رِجَالُ الْحَيِّ إِلَى عَمَّتِهِ ، وَقَالُوا : كُفَّ عَنَّا مَجْنُونُكَ ! فَقَالَ : لَا تُلْبِسُونِي
عَارًا ، وَأَمْهِلُونِي حَتَّى أَهْلِكَهُ بِنَعَضِ الْحَيْلِ . فَقَالُوا : أَنْتَ وَذَاكَ . ثُمَّ قَالَ
لَهُ عَمَّتُهُ : إِنِّي آلَيْتُ أَلَا أُزَوِّجَ ابْنَتِي هَذِهِ إِلَّا مِمَّنْ يَسُوقُ إِلَيْهَا أَلْفَ نَاقَةٍ
مَهْرًا ، وَلَا أَرْضَاهَا إِلَّا مِنْ نَوْقِ خُرَاعَةٍ . وَغَرَضُ الْعَمِّ كَانَ أَنْ يَسْلُكَ^٦

١ الثنايا : جمع الثنية ، وهي أربعة أضراس في مقدمة الفم ، ثنتان من فوق ، وثنتان من أسفل .
٢ لوح : أشار إليه من بعيد . التعريض : ضد التصريح . والمراد أنها عرضت بدمه حين نهته إلى ابنة
عمه الحسنة ، وهو غافل عنها ، يتزوج غريبة بدلا منها . خلوت جواً فاصفري وبيضي : أي أنه خلى
سبيلها ، وتركها آمنة . وهذا مثل أصله من قول كليب أو طرفة لقنبرة طارت بين يديه ، فتركها
ولم يتعرض لها ، وقال فيها من شعر : خلا لك الجوف بيضي واصفري .
٣ ما لم أشل : ما لم أرفع . الخضيض : القرار من الأرض عند منقطع الجبل ، يقال فلان في الخضيض :
أي في هوان وعار . والمراد أنه سيتزوج ابنة عمه ، ويزيل ما لحقه من الذم والعار بتخليه عنها ،
وميله إلى النساء الغريبات .

٤ ابنة عم لحا : أي لاصقة القرابة .

٥ قال : حلف .

٦ ألا يرعي على أحد : أي أن لا يبقي على أحد .

٧ المعرات : جمع المعرة ، وهي الأذية والشر .

بِشْرُ الطَّرِيقِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خُزَاعَةِ فَيَفْتَرِسَهُ الْأَسَدُ ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ قَدْ كَانَتْ
تَحَامَتُ عَنْ ذَلِكَ الطَّرِيقِ ، وَكَانَ فِيهِ أَسَدٌ يُسَمَّى دَاذًا ، وَحِيَّةٌ تُدْعَى
شُجَاعًا ، يَقُولُ فِيهِمَا قَائِلُهُمْ :

أَفْتَلَكُ مِنْ دَاذٍ وَمِنْ شُجَاعٍ ؛ إِنَّ يَلَكُ دَاذٌ سَيِّدَ السَّبَاعِ
فَإِنَّهَا سَيِّدَةُ الْأَفَاعِي

ثُمَّ إِنَّ بَشْرًا سَلَكَ ذَلِكَ الطَّرِيقَ ، فَمَا نَصَفَهُ^١ ، حَتَّى لَقِيَ الْأَسَدَ ،
وَقَمَصَ مَهْرَهُ^٢ ؛ فَنَزَلَ وَعَقَرَهُ^٣ ؛ ثُمَّ اخْتَرَطَ سَيْفَهُ إِلَى الْأَسَدِ^٤ ، وَاعْتَرَضَهُ
وَقَطَعَهُ^٥ ؛ ثُمَّ كَتَبَ بَدَمَ الْأَسَدِ ، عَلَى قَمِيصِهِ ، إِلَى ابْنَةِ عَمِّهِ :

أَفَاطِمَ ، لَوْ شَهِدْتَ بَيْطَنَ خَبْتٍ ؛ وَقَدْ لَاقَى الْهَزْبُ أَخَاكَ بِشْرًا^٥
إِذَا ، لَرَأَيْتَ لَيْثًا زَارَ لَيْثًا ، هِزْبَرًا أَغْلَبًا ، لَاقَى هِزْبَرًا^٦
تَبَهَّنَسَ ، إِذْ تَقَاعَسَ عَنْهُ مُهْرِي مُحَاذَرَةً ، فَقُلْتُ : عَقِرْتَ مُهْرًا^٧
أَنْلِ قَدَمِي ظَهَرَ الْأَرْضِ ، إِنِّي رَأَيْتُ الْأَرْضَ أَثْبَتَ مِنْكَ ظَهْرًا
وَقُلْتُ لَهُ ، وَقَدْ أَبْدَى نِصَالًا^٨ مُحَدَّدَةً ، وَوَجْهًا مُكَفَّهَرًا^٩
يُكَفِّفُ ، غِيلَةً ، إِحْدَى يَدَيْهِ ، وَيَبْسُطُ ، لِلْوُثُوبِ عَلَيَّ ، أُخْرَى^٩

١ نصفه : بلغ نصفه .

٢ قمص المهر : رفع يديه وطرحهما ، وعجن برجليه من الفزع .

٣ اخترط سيفه إلى الأسد : أي استله ومشى به إليه .

٤ قطه : قطعه عرضاً .

٥ الخبت : المطمئن من الأرض ، فيه رمل .

٦ الليث : الأسد ، وكذلك الهزبر . زار : وتروى رام وأم . الأغلب : من صفات الأسد ، والغليظ الرقبة .

٧ تبهنس : تبختر . تقاعس : أحجم وتأخر .

٨ أبدى نصالاً : أي كثر عن أنيابه . المكفهر : العابس من الغضب .

٩ يكفكف : هو في الأصل يدفع ويصرف مثل كف المتعدي ، على أن بديع الزمان استعمله هنا بمعنى يقبض

ضد يبسط ، ولم تذكره المعجمات فلعله مولد . غيلة : اغتيالاً .

يُدِلُّ بِمِخْلَبٍ ، وَبِحَدِّ نَابٍ ،
 وَفِي يُمْنَايَ مَاضِي الْحَدِّ ، أَبْقَى ،
 أَلَمْ يَبْلُغْكَ مَا فَعَلْتُ ظُبَاهُ ،
 وَقَلْبِي مِثْلُ قَلْبِكَ ، لَيْسَ يَخْشَى
 وَأَنْتَ تَرُومُ لِلْأَشْبَالِ قُوتًا ،
 فَفِيمَ تَسُومُ مِثْلِي أَنْ يُؤَلِّي ،
 نَصَحْتُكَ ، فَالْتَمِسْ ، يَا لَيْثُ ، غَيْرِي
 فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّ الْغَيْشَ نُصْحِي ،
 مَشَى ، وَمَشَيْتُ ، مِنْ أَسَدَيْنِ رَامَا
 هَزَزْتُ لَهُ الْحُسَامَ ، فَخِلْتُ أَنِّي
 وَجَدْتُ لَهُ بِجَائِشَةً ، أَرْتَهُ ،
 وَبِالْحَفَظَاتِ ، تَحَسَّبُهُنَّ جَمْرًا ١
 بِمَضْرِبِهِ ، قِرَاعُ الْمَوْتِ أَثَرًا ٢
 بِكَاطِمَةٍ ، غَدَاةٌ لَقِيتُ عَمْرًا ٣
 مُصَاوَلَةً ؛ فَكَيْفَ يَخَافُ ذَعْرًا ٤
 وَأَطْلُبُ لَابِنَةَ الْأَعْمَامِ مَهْرًا
 وَيَجْعَلُ فِي يَدَيْكَ النَّفْسَ قَسْرًا ٥
 طَعَامًا ؛ إِنْ لَحْمِي كَانَ مُرًّا !
 وَخَالَفَنِي كَأَنِّي قُلْتُ هُجْرًا ٦
 مَرَامًا ، كَانَ ، إِذْ طَلَبَاهُ ، وَعَرًّا ٧
 سَلَكْتُ بِهِ ، لَدَى الظُّلُمَاءِ ، فَجْرًا ٨
 بِأَنْ كَذَبْتَهُ ، مَا مَنَنْتَهُ غَدْرًا ٩

- ١ يدل : يتيه مستعلياً . المخلب : ظفر كل سبع من الطير وغيره .
- ٢ الماضي : السيف القاطع . المضرب : الحد . الأثر : أثر الجرح يبقى بعد البرء ؛ استعاره هنا لما تركت مقارعة الموت في حد السيف من الفلول .
- ٣ ألم يبلغك : خطاب للأسد يرجع إلى قوله فقلت له ، وقد أبدى نصلاً . الظبي : جمع ظبة وهي حد السيف ، واستعمل الجمع هنا على اعتبار أن كل جزء من حده ظبة . كاظمة : اسم موضع .
- ٤ مصاولة : مواثبة . الذعر : بالفتح الإخافة والإرهاب .
- ٥ فِيم : استفهام عن السبب مثل لم . تسوم : تكلف . يولي : يطلب الحرب . قسراً : قهراً .
- ٦ الهجر : الكلام القبيح والهديان .
- ٧ الوعر : ضد السهل .
- ٨ سل السيف : جرده . وتروى : شققت ، والمعنى : أنه عندما هز سيفه ازداد لمعانه ، فكأنه سل به فجراً في الظلماء .
- ٩ الجائشة : النفس . كذبتة : أي منته الأمانى وخيلت إليه من الآمال ما لا يكاد يتحقق . منته : أطعمته في الأمانى . يقول : أقدمت عليه باذلاً نفسي له ، بعد أن حاول إرهابي لأهرب منه ، فأرتته نفسي أن ما أطعمته من الغدر بي في ثباتها أمامه كان تأيلاً له وتخبيلاً بعيد التحقيق . ما : مفعول ثان لأرتته . وجملته بأن كذبتة : مفعول ثالث . وغدرا : مفعول ثان لمنته . ووجه الكلام : أرتته ما منته غدراً بي بأن كذبتة ، والباء زائدة .

وأطلقتُ المِهْنَدَ مِن يَمِينِي ، فَقَدَ لَهُ مِنْ الْأَضْلَاعِ عَشْرًا^١
فَخَرَّ مُجْدَلًا بَدَمٍ ، كَأَنِّي هَدَمْتُ بِهِ بِنَاءً مُشْمَخِرًا^٢
وَقُلْتُ لَهُ : يَعْزِزْ عَلَيَّ أَنِّي قَتَلْتُ مُنَاسِبِي جَلْدًا وَفَخْرًا^٣
وَلَكِنْ ، رُمْتُ شَيْئًا لَمْ يَرْمُهُ سِوَاكَ ، فَلَمْ أَطِيقْ ، يَا لَيْثُ ، صَبْرًا
تُحَاوِلُ أَنْ تُعَلِّمَنِي فِرَارًا ؟ لَعَمْرُ أَيْكَ ، قَدْ حَاوَلْتَ نُكْرًا^٤ !
فَلَا تَجْزَعُ ! فَقَدْ لَاقَيْتَ حُرًّا ، يُحَازِرُ أَنْ يُعَابَ ، فَمِتْ حُرًّا^٥
فَإِنْ تَكُ قَدْ قَتَلْتَ ، فَلَيْسَ عَارًا ؛ فَقَدْ لَاقَيْتَ ذَا طَرَفَيْنِ حُرًّا^٦

فَلَمَّا بَلَغَتْ الْآيَاتُ عَمَّهُ ، نَدِمَ عَلَى مَا مَنَعَهُ مِنْ تَزْوِيجِهَا ، وَخَشِيَ أَنْ تَغْتَالَهُ الْحَيَّةُ ؛ فَقَامَ فِي أَثَرِهِ ، وَبَلَغَهُ ، وَقَدْ مَلَكَتْهُ سُورَةُ الْحَيَّةِ^٧ .
فَلَمَّا رَأَى عَمَّهُ ، أَخَذَتْهُ حَمِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ ، فَجَعَلَ يَدُهُ فِي فَمِ الْحَيَّةِ وَحَكَّمَ سَيْفَهُ فِيهَا ، فَقَالَ :

بِشْرُ ، إِلَى الْمَجْدِ ، بَعِيدُ هَمُّهُ ؛ لَمَّا رَأَاهُ ، بِالْعَرَاءِ ، عَمَّهُ^٨
قَدْ ثَكَلَتْهُ نَفْسُهُ وَأُمُّهُ ، جَاشَتْ بِهِ جَائِشَةٌ تَهْمُهُ^٩

-
- ١ من الأضلاع عشرًا : تستعمل العرب عدد العشرة للدلالة على الكثرة ، لأنه تمام العقد الأول .
 - ٢ خر : سقط . مجدلا : صريعاً على الجدالة وهي الأرض . المشمخر : العالي الذرى .
 - ٣ فخرا : و يروى قهرا .
 - ٤ النكر : المنكر الذي لا تألفه النفس .
 - ٥ لا تجزع : لا تحزن .
 - ٦ ذا طرفين حرا : أي حراً من جهة الأب ، ومن جهة الأم .
 - ٧ سورة الحية : سطوتها واعتداؤها .
 - ٨ هم : أي همته ، ورجل بعيد الهم : أي طلاب للمعالي البعيدة المنال . العراء : الفضاء لا يستتر فيه بشي .
 - ٩ ثكلته : حال أولى من الهاء في رآه ، بمعنى أبصره . جاشت : أي هاجت حال ثانية . به : أي عليه . جائشة : وصف لمحدوف ، أي حية هائجة . تهمة : أي تودع الهم في قلبه لما يتوقع من شرها .

قام إلى ابن الفلا يؤمُّهُ ، فغاب فيه يَدُهُ وكمُّهُ^١
ونفسُهُ نفسي وسمي سبهُ

فلما قتل الحية ، قال عمه : إني عرضتكَ^٢ طمعا في أمرٍ^٣ قد ثنى
الله عني عنه^٤ ، فارجع لأزوجك ابنتي . فلما رجع ، جعل بشر تملأ
فمه فخرا ، حتى طلع أمرد كشق القمر^٥ ، على فرسه ، مدججا في
سلاحه . فقال بشر : يا عم ، إني أسمع حس صيد . وخرج^٦ ، فإذا
بغلام على قيد^٧ . فقال : ثكلتك أمك ، يا بشر ! أن قتلت^٨ دودة
وبهيمة تملأ ماضيك^٩ فخرا ؟ أنت في أمان إن سلمت عمك . فقال
بشر : من أنت ؟ لا أم لك ! قال : اليوم الأسود والموت الأحمر^{١٠} . فقال
بشر : ثكلتك من سلحتك ! فقال : يا بشر ، ومن سلحتك !
وكرر كل واحد منهما على صاحبه . فلم يتمكّن بشر منه ، وأمكن الغلام
عشرون طعنة في كلبية بشر ، كلما مسه شبا السنان^{١١} ، حماه عن بدنه ،

- ١ قام : جواب لما رآه ، وفاعله يعود إلى بشر . ابن الفلا : أي الحية ، لأن الحيات العظيمة قلما توجد إلا في الفلوات . والفلا : جمع فلاة . يؤمّه : يقصده . فيه : أي في فيه . كمّه : يظهر أنه لف يده في كمّه ، وأدخلها في فم الحية .
- ٢ عرضتك : أي عرضتك للهلاك .
- ٣ طمعا في أمر : أي في تخليص ابنتي منك .
- ٤ ثنى الله عني عنه : أي ردني وصرفني عنه ، كما يرد عنان الجواد ليسير إلى جهة غير الجهة التي كان يسير إليها .
- ٥ شق القمر : أي فلقة من القمر .
- ٦ وخرج : أي خرج للصيد الذي سمع حسه . والحس : الصوت والحركة التي تسمعها قرية منك ولا تراها .
- ٧ على قيد : على قيد رمح منه ، أي مقدار طول الرمح .
- ٨ أن قتلت : أي الآن قتلت .
- ٩ الماضغان : أصول اللحيين عند منبت الأضراس ، واللحيان ، مثني اللحي : مكان ما تنبت اللحية ، فقله تملأ ماضيك : أي تملأ فمك .
- ١٠ الموت الأحمر : القتل ، أو الموت الشديد .
- ١١ شبا السنان : حده .

إبقاءً عليه . ثمَّ قالَ : يا بشرُ ، كيفَ ترى ؟ أليسَ لو أردتُ ، لأطعمتُكَ
 أنيابَ الرَّمحِ ؟ ثمَّ ألقى رُمحَهُ ، واستَلَّ سَيْفَهُ ، فضرَبَ بِشراً عشرينَ ضربةً
 بعَرَضِ السَّيْفِ ، ولم يَتَمَكَّنْ بشرٌ من واحدة . ثمَّ قالَ : يا بشرُ ، سلِّمْ
 عَمَّكَ ، واذهبْ في أمان . قالَ : نَعَمْ ولكنْ بشرِيطَةً أن تقولَ لي مَنْ
 أنتَ . فقالَ : أنا ابنُكَ . فقالَ : يا سُبْحانَ اللهِ ! ما قارنتُ عَقِيلَةً^١ قطَّ ؛
 فأنتَ هذه المِنْحَةُ ؟ فقالَ : أنا ابنُ المرأةِ التي دَلتَكَ على ابنةِ عَمِّكَ .
 فقالَ بشرٌ :

تِلْكَ الْعَصَا مِنْ هَذِهِ الْعُصْيَةِ ! هَلْ تَلِدُ الْحَيَّةُ إِلَّا الْحَيَّةَ ؟^٢

وحلَفَ : لا رَكَبَ حِصَاناً ، ولا تَزَوَّجَ حِصَاناً^٣ . ثمَّ زَوَّجَ ابنةَ عَمِّهِ
 لابْنِهِ .

١ العقيلة : المرأة الكريمة المخدرة . والمراد أنه لم يقارن بعد امرأة كريمة لتأتيه بمثل هذا الولد النجيب .
 ٢ العصا : فرس بلذيمة الأبرش . والعصية : أمها ، ومنه المثل : لا يلد العصا غير العصية . والمراد :
 أن بشراً لم يعجب أن يكون الولد ابن تلك المرأة ، فقد خبر ما عندها من ذكاء ودهاء .
 ٣ الحصان بفتح الحاء : المرأة العفيفة .

ابو الفرج الاصبهاني

كتاب الاغاني

اخبار الشعراء

جميل وبشينة في خلوة

بينا أنا^١ في إيلي ، في الربيع ، إذا أنا برجلٍ مُنطَوٍ على رجليه كأنه^٢ جان^٣ ،
فسلّم عليّ ، ثمّ قالَ : ممّنْ أنتَ يا عبدَ الله ؟ فقلْتُ : أحدُ بني حنظلة .
قالَ : فانتسب . فانتسبتُ ، حتّى بلغتُ إلى فخذِي^٤ الذي أنا منه . ثمّ سألتني
عن بني عذرة أين نزلوا . فقلْتُ له : هل ترى ذلك السفح^٥ ؟ فإنهم نزلوا
من ورائه . قالَ : يا أبا بني حنظلة ، هل لك في خيرٍ تصطنعه^٥ إليّ ؟
فوالله لو أعطيتني ما أصبحت تسوق من هذه الإبل ، ما كنتُ بأشكرَ منّي
لكَ عليه . فقلْتُ : نعم ، ومن أنتَ أولاً ؟ قالَ : لا تسألني من أنا ،
ولا أخبرك غيرَ أنّي رجلٌ ببني وبين هؤلاء القوم ما يكون بين بني العَم^٥ ؛
فإن رأيت أن تأتيهم ، فإنك تجد القوم في مجلسهم ، فتشدهم^٥ بكرة^٥

١ المحدث شيخ من بني حنظلة من بني تميم .

٢ الجان : حية كحلاء العين لا تؤذي ، كثيرة في الدور .

٣ الفخذ : أقرب عشيرة الرجل من الحي .

٤ السفح : أصل الجبل أو أسفله .

٥ تشدهم بكرة : تناديهم وتسألهم عنها . البكرة : الفتية من الإبل

أدماء^١ تَجُرُّ خَفْيَهَا ، غُفْلًا^٢ من السَّمة . فإن ذَكَرُوا لك شَيْئًا ،
فذلك ، وإلا استأذنتهم^٣ في البيوت^٤ وقلت : إن المرأة والصبي قد يريان
ما لا يرى الرجال ؛ فتشدهم^٥ ولا تدع أحداً تُصيبه عينك ، ولا بيتاً من
بيوتهم^٦ إلا نشدتها فيه .

فأتيت القوم ؛ فإذا هم على جزور^٧ يقتسمونها ، فسلمت وانتسبت
لهم^٨ ، ونشدتهم ضالتي ، فلم يذكرُوا لي شيئاً . فاستأذنتهم^٩ في البيوت
وقلت : إن الصبي والمرأة يريان ما لا ترى الرجال . فأذنوا ؛ فأتيت أقصاها
بيتاً ، ثم استقريتها بيتاً أنشدتهم^{١٠} ، فلا يدكرون شيئاً ؛ حتى إذا انتصف
النهار ، وأذاني حرّ الشمس ، وعطشت ، وفرغت من البيوت ، وذهبت
لأنصرف ، حانت مني التفاتة^{١١} ؛ فإذا بثلاثة أبيات ، فقلت : ما عند هؤلاء
إلا ما عند غيرهم^{١٢} ، ثم قلت لنفسي : سوأة^{١٣} ! وثق بي رجل^{١٤} ، وزعم
أن حاجته تعدل^{١٥} مالي ، ثم أتته فأقول : عجزت عن ثلاثة أبيات !
فانصرفت عامداً إلى أعظمها بيتاً ؛ فإذا هو قد أرخى مؤخره ومقدمه^{١٦} ،
فسلمت ، فرد علي السلام^{١٧} ، وذكرت ضالتي ، فقالت جارية منهم :
يا عبد الله ، قد أصبت ضالتك ، وما أظنك إلا قد اشتد عليك الحر^{١٨} ،
واشتهيت الشراب ؛ قلت : أجل ؛ قالت : ادخل . فدخلت ، فأتتني
بصحفة فيها تمر من تمر هجر^{١٩} ، وقدح فيه لبن^{٢٠} ؛ والصحفة مصرية

١ أدماء : من الإبل بيضاء ، ومن الناس سمراء .

٢ غفلا : لا سمة عليها أي لا علامة .

٣ استأذنتهم في البيوت : أي في سؤال من في البيوت من النساء والصبيان .

٤ الجزور : الناقة المذبوحة .

٥ استقريتها : تتبعتها .

٦ السوأة : الخلة القبيحة ، ويقال في الدعاء : سوأة لك . والمراد هنا : سوأة لي ، كما تقول : قبحاً لي .

٧ تعدل : تساوي .

٨ أرخى مؤخره ومقدمه : أي أرخيت ستور الحياء من مؤخره ومقدمه .

٩ هجر : اسم لجميع أراضي البحرين ، وهي مشهورة بتمرها .

مُفَضَّضَةٌ ، والقَدَحُ مُفَضَّضٌ لم أرَ إناءً قَطَّ أَحْسَنَ منه . فقالت : دونك . فتجمعت ، وشربت من اللبن ، حتى رويت ، ثم قلت : يا أمة الله^١ ، والله ، ما أتيت اليومَ أَكْرَمَ منك ، ولا أَحَقَّ بالفضلِ ؛ فهل ذكرتِ من ضالتي شيئاً ؟ فقالت : هل ترى هذه الشجرةَ فوقَ الشَّرَفِ^٢ ؟ قلتُ : نعم . قالت : فإنَّ الشمسَ قد غربتْ أمسٍ وهي تُطيفُ حولَها ، ثمَّ حالَ الليلُ بيَّني وبينَها .

فقسمتُ ، وجزيتها الحيرَ ، وقلتُ : واللهِ لقد تغديتُ ورويتُ ! فخرجتُ ، حتى أتيتُ الشجرةَ ، فأطفتُ بها ؛ فواللهِ ، ما رأيتُ مِن أثرٍ ، فأتيتُ صاحبي ، فإذا هو مُتَشَحٌّ ، في الإبلِ^٣ ، بكسائه ، ورافعٌ عقيرته^٤ يُغْنِي . قلتُ : السلامُ عليك . قال : وعليكَ السلامُ ، ما وراءك ؟ قلتُ : ما ورائي من شيءٍ . قال : لا عليك^٥ ! فأخبرتُني بما فعلتُ . فاقتصصتُ عليه القصةَ ، حتى انتهيتُ إلى ذِكْرِ المرأةِ وأخبرتهُ بالذي صنعَتُ . فقال : قد أصبتَ طلبتَكَ . فعجبتُ من قوله ، وأنا لم أجِدْ شيئاً . ثمَّ سألتُني عن صِفَةِ الإناثين : الصَّحْفَةُ والقَدَحُ . فوصفتُهُما له . فتنفَّسَ الصُّعْداءُ ، وقال : قد أصبتَ طلبتَكَ ، ويحك ! ثمَّ ذكرتُ له الشجرةَ ، وأنها رأتها تُطيفُ بها . فقال : حسبك !

فمَكَثْتُ حتى إذا أوتُ إيلي إلى مَبَارِكِها ، دَعَوْتُهُ إلى العشاءِ ، فلم يَدْنُ منه ، وجلسَ مِنِّي بِمَزْجَرِ الكلبِ^٦ . فلَمَّا ظَنُّ أنَّني قد نِمْتُ ، رَمَقْتُهُ ،

١ يا أمة الله : يقال للمرأة يا أمة الله ، والرجل يا عبد الله ، على الأخص إذا كانا مجهولي الاسم والنسب عند من يخاطبهما .

٢ الشرف : المكان العالي .

٣ في الإبل : أي معها مستقر .

٤ العقيرة : صوت الرجل إذا غنى أو قرأ أو بكى .

٥ لا عليك : أي لا بأس عليك .

٦ رأتها : ضمير النصب يعود على البكرة .

٧ بمزجر الكلب : أي في مكان ما يزجر الكلب ، أي يردع ليهداً ويكف . والمراد أنه جلس متنحياً صامتاً كالكلب المزجور .

فَقَامَ إِلَى عَيْبَةَ^١ لَهُ ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهَا بُرْدَيْنِ ، فَأَتَزَرَ بِأَحَدِهِمَا^٢ وَتَرَدَّى^٣
 بِالْآخِرِ . ثُمَّ انْطَلَقَ عَامِداً نَحْوَ الشَّجَرَةِ . وَاسْتَبْطَنَتُ الْوَادِيَّ ، فَجَعَلَتْ
 أَخْفِي نَفْسِي ، حَتَّى إِذَا خِفْتُ أَنْ يَرَانِي ، انْبَطَحْتُ ؛ فَلَمْ أَزَلْ كَذَلِكَ ،
 حَتَّى سَبَقَتْهُ إِلَى شَجَرَاتٍ قَرِيبٍ مِنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ ، بِحَيْثُ أَسْمَعُ كَلَامَهُمَا ،
 فَاسْتَتَرْتُ بِهِنَّ ؛ وَإِذَا صَاحَبَتْهُ عِنْدَ الشَّجَرَةِ . فَأَقْبَلَ حَتَّى كَانَ مِنْهَا غَيْرَ
 بَعِيدٍ ، فَقَالَتْ : اجْلِسْ ؛ فَوَاللَّهِ ، لَكَأَنَّهُ لَصِقَ بِالْأَرْضِ . فَسَلَّمَ عَلَيْهَا ،
 وَسَأَلَهَا عَنْ حَالِهَا أَكْرَمَ سُؤَالَ سَمِعْتُ بِهِ قَطًّا^٤ وَأَبْعَدَهُ مِنْ كُلِّ رِيْبَةٍ .
 وَسَأَلَتْهُ مِثْلَ مَسْأَلَتِهِ ؛ ثُمَّ أَمَرَتْ جَارِيَةً مَعَهَا ، فَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ طَعَاماً . فَلَمَّا
 أَكَلَ وَفَرَغَ ، قَالَتْ : أَنْشِدْنِي مَا قُلْتَ ؛ فَأَنْشَدَهَا :

عَلِقْتُ الْهُوَى ، مِنْهَا ، وَلَيْدًا فَلَمْ يَزَلْ ، إِلَى الْيَوْمِ ، يَنْمِي حُبُّهَا وَيَزِيدُ^٥

فَلَمْ يَزَلْ يَتَحَدَّثَانِ ، مَا يَقُولَانِ فُحْشًا وَلَا هُجْرًا^٦ ، حَتَّى التَفَتَتْ
 التَّفَاتَةَ ، فَنَظَرَتْ إِلَى الصَّبْحِ ، فَوَدَّعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ أَحْسَنَ وَدَاعٍ
 مَا سَمِعْتُ بِهِ قَطًّا ، ثُمَّ انْصَرَفَا .

فَقُمْتُ ، فَمَضَيْتُ إِلَى إِبِلِي ، فَاضْطَجَعْتُ ؛ وَكُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَمْشِي
 خَطْوَةً ، ثُمَّ يَلْتَفِتُ إِلَى صَاحِبِهِ^٧ . فَجَاءَ بَعْدَ مَا أَصْبَحْنَا ، فَرَفَعَ بُرْدِيهِ ،
 ثُمَّ قَالَ : يَا أَخَا بَنِي تَمِيمٍ ، حَتَّى مَتَى تَنَامُ ! فَقُمْتُ ، وَتَوَضَّأْتُ ، وَصَلَّيْتُ ،

١ العيبة : وعاء من آدم يكون فيه المتاع .

٢ اتزَرَ بأحدهما : أي شده على وسطه ، وهو المتزَرُ والإزار .

٣ ترَدَّى : ارتدى .

٤ استبطنت الوادي : سرت في بطنه .

٥ قريب : يستعمل للواحد وللجمع .

٦ سمعت به قط : من غير ما النافية جائز على قلة ، ومنعه بعضهم .

٧ علقت الهوى : بمعنى علقت به ، أي نشبت به فما أستطيع خلاصاً . والمعنى : أنه أحبها وهو وليد ، ولم يزل حبها ينمو معه ويزيد . يقال : نما ينمو ، ونمى ينمي .

٨ الهجر : الكلام القبيح .

٩ رجع الحديث هنا إلى جميل وبثينة ، وهو إتمام لقوله : ثم انصرفا .

وحَلَبْتُ لِإِبْلِ ، وَأَعَانَنِي عَلَيْهَا ، وَهُوَ أَظْهَرَ النَّاسِ سُرُوراً . ثُمَّ دَعَوْتُهُ إِلَى
الْغَدَاءِ فَتَعَدَّيْ ؛ ثُمَّ قَامَ إِلَى عَيْبَتِهِ فَافْتَتَحَهَا ، فَإِذَا فِيهَا سِلَاحٌ وَبُرْدَانٍ مِمَّا
كَسَّتَهُ الْمُلُوكُ ، فَأَعْطَانِي أَحَدَهُمَا ، وَقَالَ : أَمَّا وَاللَّهِ ، لَوْ كَانَ مَعِيَ شَيْءٌ
مَا ذَخَرْتُهُ عَنْكَ . وَحَدَّثَنِي حَدِيثَهُ ، وَانْتَسَبَ لِي ؛ فَإِذَا هُوَ جَمِيلٌ بْنُ
مَعْمَرٍ ، وَالْمَرْأَةُ بُشَيْنَةُ . وَقَالَ لِي : إِنِّي قَدْ قُلْتُ آيَاتًا فِي مُنْصَرَفِي مِنْ عِنْدِهَا ؛
فَهَلْ لَكَ ، إِنْ رَأَيْتَهَا ، أَنْ تُنْشِدَهَا ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ؛ فَأَنْشَدَنِي :

وَمَا أَنْسَمَ الْأَشْيَاءِ ، لَا أَنْسَ قَوْلَهَا ، وَقَدْ قَرَّبْتُ نِضْوِي : أَمِصَّرَ تُرِيدُ ١ ؟

الْآيَاتُ . ثُمَّ وَدَّعَنِي وَانْصَرَفَ . فَمَسَكْتُ ، حَتَّى أَخَذَتِ الْإِبِلُ مَرَاتِعَهَا ٢ ،
ثُمَّ عَمَدْتُ إِلَى دُهْنٍ ٣ كَانَ مَعِيَ ، فَدَهَنْتُ بِهِ رَأْسِي ؛ ثُمَّ ارْتَدَيْتُ بِالْبُرْدِ ،
وَأَتَيْتُ الْمَرْأَةَ فَقُلْتُ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ، إِنِّي جِئْتُ أَمْسِ طَالِباً ، وَالْيَوْمَ
زَائِراً ؛ أَفَتَأْذَنُونَ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ . فَسَمِعْتُ جَوَّيْرِيَّةً تَقُولُ لَهَا : يَا بُشَيْنَةُ ،
عَلَيْهِ ، وَاللَّهِ ، بُرْدٌ جَمِيلٌ . فَجَعَلْتُ أَثْنِي عَلَى ضَيْفِي وَأَذْكُرُ فَضْلَهُ ، وَقُلْتُ :
إِنَّهُ ذَكَرَكَ فَأَحْسَنَ الذِّكْرَ ؛ فَهَلْ أَنْتِ بَارِزَةٌ لِي ، حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْكَ ؟ قَالَتْ :
نَعَمْ . فَلَبِستُ ثِيَابَهَا ، ثُمَّ بَرَزْتُ ، وَدَعَتْ لِي بِطَرْفٍ ؛ ثُمَّ قَالَتْ : يَا أَخَا
بَنِي تَمِيمٍ ، وَاللَّهِ ، مَا ثَوْبَاكَ هَذَانِ بِمُشْتَبِهَيْنِ ٦ . وَدَعَتْ بَعِيبَتِهَا ، فَأَخْرَجَتْ
لِي مِلْحَقَةً ٧ مَرْوِيَّةً ٨ مُشْبَعَةً ٩ مِنَ الْعُصْفَرِ ؛ ثُمَّ قَالَتْ : أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ

١ ما أنس : أي إن أنس . م الأشياء : أي من الأشياء ؛ استعملت في الشعر . النضو : المهزول من الإبل
لكثرة الأسفار .

٢ أخذت الإبل مراتعها : أي انتهت من رعيها .

٣ الدهن : ما يدهن به الرأس واللحية من زيت الأثمار للتطيب .

٤ طالباً : أي طالباً ضالتي .

٥ الطرف : الأثمار الغريبة ، واحداً طرفة .

٦ أي لا يشبه أحدهما الآخر ، فهما غير متناسبين .

٧ الملحقة : اللباس فوق سائر اللباس من دثار البرد ونحوه .

٨ المروي : نسبة إلى مرو ، بلدة بفارس .

٩ العصفرة : نبت يصنع بزهره صبغ أصفر .

لَتَقُومَنَّ إِلَى كِسْرِ الْبَيْتِ^١ ، وَلَتَتَخَلَعَنَّ مِدْرَعَتَكَ^٢ ، ثُمَّ لَتَأْتِرَنَّ بِهَذِهِ
 الْمِلْحَفَةِ ، فَهِيَ أَشْبَهُ بِبُرْدِكَ . فَفَعَلْتُ ذَلِكَ ، وَأَخَذْتُ مِدْرَعَتِي فَجَعَلْتُهَا
 إِلَى جَانِبِي ، وَأَنْشَدْتُهَا الْأَبْيَاتَ ، فَدَمَعَتْ عَيْنَاهَا . وَتَحَدَّثْنَا طَوِيلًا مِنَ النَّهَارِ ،
 ثُمَّ انصَرَفْتُ إِلَى إِبِلِي بِمِلْحَفَةٍ بُشِينَةٍ ، وَبُرْدٍ جَمِيلٍ ، وَنَظَرَةً مِنْ بُشِينَةٍ .

الدارمي^٣ وتاجر الخمر

أَخْبَرَنِي الْحَرَمِيُّ بْنُ الْعَلَاءِ قَالَ : حَدَّثَنَا الزَّبِيرُ بْنُ بَكَّارٍ . . . الخ .
 أَنَّ تَاجِرًا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ قَدِمَ الْمَدِينَةَ بِخُمُرٍ ، فَبَاعَهَا كُلَّهَا ، وَبَقِيَتْ
 السُّودُ مِنْهَا فَلَمْ تَنْفُقْ . وَكَانَ صَدِيقًا لِلدَّارِمِيِّ ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَيْهِ ، وَقَدْ كَانَ
 نَسَكَ وَتَرَكَ الْغِنَاءَ وَقَوْلَ الشُّعْرِ ؛ فَقَالَ لَهُ : لَا تَهْتَمَّ بِذَلِكَ ، فَإِنِّي
 سَأُنْفِقُهَا لَكَ حَتَّى تَبِيعَهَا أَجْمَعَ . ثُمَّ قَالَ :

قُلْ لِلْمَلِكَةِ ، فِي الْخِمَارِ الْأَسْوَدِ : مَاذَا صَنَعْتَ بِرَاهِبٍ مُتَعَبِّدٍ ؟
 قَدْ كَانَ شَمَّرَ لِلصَّلَاةِ ثِيَابَهُ ، حَتَّى وَقَفَتْ لَهُ بَابُ الْمَسْجِدِ

وَوَغَنَى فِيهِ ؛ وَغَنَى فِيهِ أَيْضًا سِنَانُ الْكَاتِبِ ، وَشَاعَ فِي النَّاسِ وَقَالُوا :
 قَدْ فَتَكَ^٤ الدَّارِمِيَّ وَرَجَعَ عَنْ نُسْكِهِ . فَلَمْ تَبْقَ فِي الْمَدِينَةِ ظَرِيفَةٌ^٥ إِلَّا
 ابْتَاعَتْ خِمَارًا أَسْوَدَ ، حَتَّى نَفِدَ مَا كَانَ مَعَ الْعِرَاقِيِّ مِنْهَا . فَلَمَّا عَلِمَ بِذَلِكَ
 الدَّارِمِيَّ ، رَجَعَ إِلَى نُسْكِهِ ، وَلَزِمَ الْمَسْجِدَ .

١ كسر البيت : جانبه ، والشقة السفلى من الحياء .

٢ المدرعة : ضرب من الثياب ، ولا تكون إلا من الصوف .

٣ الدارمي : شاعر أموي من مكة ، وكان يحسن الغناء .

٤ الخمر : جمع الخمار وهو ما تغطي به المرأة رأسها .

٥ فتك : محن .

قوة هلال^١

وقال خالد بن كلثوم : كان هلال بن الأسعر ، فيما ذكروا ، يرد مع الإبل ، فيأكل ما وجد عند أهله ، ثم يرجع إليها ، ولا يتزود طعاماً ولا شراباً ، حتى يرجع يوم ورودها ، لا يتذوق طعاماً ولا شراباً . وكان عادي الخلق^٢ لا توصف صفتته .

قال خالد بن كلثوم : فحدثنا عنه من أدركه : أنه كان يوماً في إبل له ، وذلك عند الظهيرة في يوم شديد وقع الشمس محتدم الهاجرة^٣ ؛ وقد عمد إلى عصاه فطرح عليها كساءه ، ثم أدخل رأسه تحت كسائه من الشمس . فبينما هو كذلك ، إذ مر به رجلان : أحدهما من بني تهشل ، والآخر من بني فقيم^٤ ، كانا أشد تميميين ، في ذلك الزمان ، بطشاً ، يقال لأحدهما الهياج ؛ وقد أقبل من البحرين ومعهما أنواط^٥ من تمر هجر^٦ . وكان هلال بناحية الصعاب^٧ . فلما انتهيا إلى الإبل ، ولا يعرفان هلالاً بوجهه ، ولا يعرفان أن الإبل له ، ناديا : يا راعي ، أعندك شراب تسقيننا ؟ وهما يظنانه عبداً لبعضهم . فناداهما هلال ورأسه تحت كسائه : عليكما الناقة^٨ التي صفتها كذا ، في موضع كذا ، فأنبأها ؛ فإن عليها وطبين^٩ من لبن ، فاشربا منهما ما بدا لكما . قال^{١٠} :

- ١ هلال : شاعر أموي ، وربما أدرك الدولة العباسية . وكان شديداً عظيم الخلق أكولا ، صبوراً على الجوع .
- ٢ عادي الخلق : عملاق ضخم الجسم ، نسبة إلى عاد ؛ والعرب تضرب المثل بأحلام قوم عاد وأجسامهم .
- ٣ الهاجرة : نصف النهار ، وشدة الحر .
- ٤ فقيم ونهشل : كلاهما من دارم ، ثم من تميم .
- ٥ الأنواط ، جمع نوط : القفة الصغيرة فيها التمر ونحوه .
- ٦ هجر : ناحية البحرين كلها .
- ٧ الصعاب : اسم جبل بين اليمامة والبحرين ، وقيل : رمال بين البصرة واليمامة صعبة المسالك .
- ٨ عليكما الناقة : أي الزمها ولا تفارقاها ، فعليك هنا اسم فعل ، ويقال أيضاً عليك به : أي استمسك به .
- ٩ الوطب : سقاء اللبن خاصة ، ويكون من جلد .
- ١٠ قال : الضمير يعود على المحدث .

فقال له^١ أحدُهُما : وَيَحْك ! انْهَضْ ، يا غُلَامُ ، فَأْتِ بِذَلِكَ اللَّبَنِ !
فَقَالَ لَهُمَا : إِنَّ تَكَ لَكُمْ حَاجَةً ، فَسَتَأْتِيَانِيهَا فَتَسْجِدَانِ الْوَطْبَيْنِ ، فَتَشْرَبَانِ .
قال : فَقَالَ أَحَدُهُما : إِنَّكَ ، يا ابنَ اللِّخْناءِ^٢ ، لَتَغْلِيظُ الْكَلَامَ ؛ قُمْ
فَاسْقِنَا . ثُمَّ دَنَا مِنْ هَيْلَالٍ وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ^٣ . وَقَالَ لَهَا ، حَيْثُ^٤ قَالَ لَهُ
أَحَدُهُما : « إِنَّكَ يَا ابنَ اللِّخْناءِ لَتَغْلِيظُ الْكَلَامَ » : أَرَاكُمْ ، وَاللَّهِ ،
سَتَلْقَيَانِ هَوَانًا وَصِغَارًا^٥ .

وَسَمِعَا ذَلِكَ مِنْهُ ، فَدَنَا أَحَدُهُما ، فَأَهْوَى لَهُ ضَرْبًا بِالسَّوْطِ عَلَى عَجْزِهِ ،
وَهُوَ مُضْطَجِعٌ . فَتَنَاوَلَ هَيْلَالٌ يَدَهُ ، فَاجْتَذَبَهُ إِلَيْهِ ، وَرَمَاهُ تَحْتَ فَخْذِهِ ،
ثُمَّ ضَغَطَهُ ضَغْطَةً ؛ فَنَادَى صَاحِبَهُ : وَيَحْك ! أَغِثْنِي ، قَدْ قَتَلْتَنِي ! فَدَنَا
صَاحِبُهُ مِنْهُ ، فَتَنَاوَلَهُ هَيْلَالٌ أَيْضًا ، فَاجْتَذَبَهُ ، فَرَمَى بِهِ تَحْتَ فَخْذِهِ
الْأُخْرَى ، ثُمَّ أَخَذَ بَرِيقَيْهِمَا ، فَجَعَلَ يَصُكُّ بَرُؤُسَيْهِمَا بَعْضًا بِبَعْضٍ ؛
لَا يَسْتَطِيعَانِ أَنْ يَمْتَنِعَا مِنْهُ . فَقَالَ أَحَدُهُما : كُنْ هَيْلَالًا ، وَلَا نُبَالِي
مَا صَنَعْتَ . فَقَالَ لَهَا : أَنَا وَاللَّهِ هَيْلَالٌ ، وَلَا ، وَاللَّهِ ، لَا تُفْلِتَانِ مِنِّي ،
حَتَّى تُعْطِيَانِي عَهْدًا وَمِيثَاقًا لَا تَخِيْسَانِ بِهِ^٦ . لَتَأْتِيَانِ الْمِرْبَدَ^٧ ، إِذَا قَدِمْتُمَا
الْبَصْرَةَ ، ثُمَّ لَتُنَادِيَانِ بِأَعْلَى أَصْوَاتِكُمَا بِمَا كَانَ مِنِّي وَمِنْكُمْ . فَعَاهَدَاهُ ،
وَأَعْطِيَاهُ نَوْطًا مِنَ التَّمْرِ الَّذِي مَعَهُمَا . وَقَدِمَا الْبَصْرَةَ ، فَأَتَيَا الْمِرْبَدَ ،
فَنَادَيَا بِمَا كَانَ مِنْهُ وَمِنْهُمَا .

١ اللِّخْناء : صفة للأمة ، ومن شتم العرب : يا ابن اللِّخْناء ، كأنهم يقولون : يا دنيء الأصل يا لئيم .

٢ وهو على تلك الحال : أي رأسه تحت كسائه .

٣ حيث : هنا ظرفية زمانية كحين .

٤ الصغار : الرضى بالذل .

٥ قوله : برقاها ورؤوسها بالجمع دون التثنية ، لكرهه اجتماع تثنيتين ، مع ظهور المراد ، وقد تستعمل التثنية والإفراد .

٦ لا تخيْسَان به : لا تغدران به ولا تنكثان ، وضمير به عائد إلى الأقرب .

٧ المربد : سوق بالقرب من البصرة ، كانت فيها مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء .

أبو دلامة وسلمة الوصيف

دَخَلَ أَبُو دُلَامَةَ عَلَى الْمَهْدِيِّ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ سَلَمَةُ الْوَصِيفُ^١ واقفاً ،
فَقَالَ : إِنِّي أَهْدَيْتُ لَكَ ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مُهْرًا لَيْسَ لِأَحَدٍ مِثْلُهُ ؛ فَإِنْ
رَأَيْتَ أَنْ تُشَرِّفَنِي بِقَبُولِهِ . فَأَمَرَهُ بِإِدْخَالِهِ إِلَيْهِ . فَخَرَجَ وَأَدْخَلَ إِلَيْهِ
دَابَّتَهُ^٢ الَّتِي كَانَتْ تَحْتَهُ ، فَإِذَا بِهِ بِرْذَوْنَ^٣ مُحْطَمٌ^٤ أَعْجَفُ^٥ هَرِمٌ . فَقَالَ
الْمَهْدِيُّ : أَيُّ شَيْءٍ هَذَا ، وَيْلَكَ ! أَلَمْ تَزْعُمْ أَنَّهُ مُهْرٌ ! فَقَالَ لَهُ : أَوْلَيْسَ
هَذَا سَلَمَةُ الْوَصِيفِ بَيْنَ يَدَيْكَ قَائِمًا ، تُسَمِّيهِ الْوَصِيفَ وَلَهُ ثَمَانُونَ سَنَةً ،
وَهُوَ عِنْدَكَ وَصِيفٌ ! فَإِنْ كَانَ سَلَمَةُ وَصِيفًا ، فَهَذَا مُهْرٌ . فَجَعَلَ سَلَمَةُ
يَشْتُمُهُ^٦ وَالْمَهْدِيُّ يَضْحَكُ . ثُمَّ قَالَ لِسَلَمَةَ : وَيْلَكَ ، إِنَّ هَذِهِ مِنْهُ
أُخَوَاتٌ ، وَإِنْ أَتَى بِهَا فِي مَحْفِلٍ فَضَحَكَ . فَقَالَ أَبُو دُلَامَةَ : وَاللَّهِ لَأَفْضَحَنَّهُ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ فَلَيْسَ مِنْ مَوَالِيكَ أَحَدٌ ، إِلَّا وَقَدْ وَصَلَنِي ، غَيْرَهُ ؛ فَإِنِّي
مَا شَرِبْتُ لَهُ الْمَاءَ قَطُّ . قَالَ : فَقَدْ حَكَمْتُ عَلَيْهِ أَنْ يَشْتَرِيَ نَفْسَهُ مِنْكَ
بِأَلْفِ دِرْهَمٍ ، حَتَّى يَتَخَلَّصَ مِنْ يَدِكَ . قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ عَلَى أَنْ لَا يُعَاوِدَ .
فَقَالَ لَهُ : مَا تَرَى ؟ قَالَ : أَفْعَلُهُ ، فَلَوْلَا أَنِّي مَا أَخَذْتُ مِنْهُ شَيْئًا قَطُّ ،
مَا فَعَلْتُ مَعَهُ مِثْلَ هَذِهِ . فَمَضَى سَلَمَةُ فَحَمَلَهَا إِلَيْهِ .

١ الوصيف : الخادم ، أو خادم الملوك والأمراء ، ويكون في الغالب قتي .

٢ البرذون : دابة الحمل الثقيلة البطيئة ، أو الفرس غير الأصيل .

٣ أعجف : هزيل .

٤ قال : أي سلمة .

٥ أفعل : أي لا أعاود .

اخبار المغنين

معبد في السفينة

كَانَ مَعْبَدٌ قَدْ عَلَّمَ جَارِيَةً مِّنْ جَوَارِي الْحِجَازِ الْغِنَاءَ تَدْعَى «ظَبِيَّةَ» ، وَعُتِيَ بِتَخْرِيجِهَا ؛ فَاشْتَرَاهَا رَجُلٌ مِّنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، فَأَخْرَجَهَا إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَبَاعَهَا هُنَاكَ ؛ فَاشْتَرَاهَا رَجُلٌ مِّنْ أَهْلِ الْأَهْوَازِ ، فَأَعْجَبَ بِهَا ، وَذَهَبَتْ بِهِ كُلُّ مَذَهَبٍ وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ . ثُمَّ مَاتَتْ بَعْدَ أَنْ أَقَامَتْ عِنْدَهُ بُرْهَةً^١ مِّنَ الزَّمَانِ . وَأَخَذَ جَوَارِيَهُ أَكْثَرَ غِنَائِهَا عَنْهَا . فَكَانَ لِمَحَبَّتِهِ لِيَاهَا ، وَأُسْفَى عَلَيْهَا ، لَا يَزَالُ يُسْأَلُ عَنْ أَخْبَارِ مَعْبَدٍ وَأَيْنَ مُسْتَقَرُّهُ ، وَيُظْهِرُ التَّعَصُّبَ لَهُ وَالْمِيلَ إِلَيْهِ وَالتَّقْدِيمَ لَغِنَائِهِ عَلَى سَائِرِ أَغْنِيَ أَهْلِ عَصْرِهِ ؛ إِلَى أَنْ عُرِفَ ذَلِكَ مِنْهُ . وَبَلَغَ مَعْبَدٌ خَبَرَهُ ، فَخَرَجَ مِنْ مَكَّةَ حَتَّى أَتَى الْبَصْرَةَ ، فَلَمَّا وَرَدَهَا صَادَفَ الرَّجُلَ قَدْ خَرَجَ عَنْهَا ، فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ، إِلَى الْأَهْوَازِ ، فَاکْتَرَى سَفِينَةً . وَجَاءَ مَعْبَدٌ يَلْتَمِسُ سَفِينَةً يَنْحَدِرُ فِيهَا إِلَى الْأَهْوَازِ ، فَلَمْ يَجِدْ غَيْرَ سَفِينَةِ الرَّجُلِ ؛ وَلَيْسَ يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ . فَأَمَرَ الرَّجُلُ الْمَلَّاحَ أَنْ يُجْلِسَهُ مَعَهُ فِي مُؤَخَّرِ السَّفِينَةِ ، فَفَعَلَ ؛ وَانْحَدَرُوا . فَلَمَّا صَارُوا فِي قَمِ نَهْرِ الْأُبُلَّةِ^٢ ، تَغَدَّوْا وَشَرَبُوا ؛ وَأَمَرَ جَوَارِيَهُ فغَنَيْنَ ، وَمَعْبَدٌ سَاكِتٌ وَهُوَ فِي ثِيَابِ السَّفَرِ ، وَعَلَيْهِ قُرُوءٌ وَخُفَّانِ غَلِيظَانِ وَزِيٌّ جَافٍ مِنْ زِيِّ أَهْلِ الْحِجَازِ ؛ إِلَى أَنْ غَنَّتْ إِحْدَى الْجَوَارِي :

صوت

بَانَتْ سُعَادُ ، وَأَمْسَى حَبْلُهَا انْصَرَمَا ، وَاحْتَلَّتِ الْغُورَ وَالْأَجْرَاعَ^٣ مِنْ لُضْمًا^٤

١ البرهة بفتح الباء وضمها : الزمن الطويل ، وتأتي بمعنى الزمن مطلقاً .

٢ الأبله : بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة .

٣ الغور : المظلم من الأرض . الأجرع : جمع جرع : الرملة الطيبة المنبت . لضم : واد يجبل تهامة ، وهو الوادي الذي فيه المدينة .

إحدى بليّ ، وما هامَ الفؤادُ بها إلاّ السّفاهَ ، وإلاّ ذُكْرَةَ حُلُمًا

— قالَ حمّادٌ : والشّعْرُ للنّابغةِ الذّبيانيّ ، والغناءُ لمعبّدٍ ، خفيفٌ ثَقِيلٌ
أولَ بالبنصيرِ ؛ وفيه لغيره ألحانٌ قديمةٌ ومُحدثةٌ —

فلَمْ تُجِدْ أداءَهُ ، فصاحَ بها مَعْبَدٌ : يا جاريةُ ، إنَّ غِناءَكَ هذا ليسَ
بمُسْتَقِيمٍ . قالَ : فقالَ له مولاها ، وقد غَضِبَ : وأنتَ ما يُدريكَ الغِناءَ
ما هو ؟ لِمَ لا تُمسِكُ وتلزِمُ شأنَكَ ؟ فأمسَكَ مَعْبَدٌ .
ثمَّ غَنَّتْ أصواتاً من غِناءِ غيرِهِ ، وهو ساكِتٌ لا يتكلّمُ ، حتى غَنَّتْ :

صوت

بابنةُ الأزديّ قلابي كَثِيبٌ ، مُسْتَهَامٌ عِنْدَها ، ما يُنِيبُ^١
ولقد لامُوا ، فقلتُ : دَعُوني ! إنَّ مَنْ تَنْهَوْنَ عَنْهُ حَبِيبٌ
إنّما أبلَى عِظامي وجِسمي حُبُّها ، والحُبُّ شيءٌ عَجِيبٌ
أيّها العائبُ عندي هواها ، أنتَ تَفدي مَنْ أراكَ تَعِيبُ

— والشّعْرُ لمعبّدِ الرّحمنِ بنِ أبي بَكْرٍ ، والغِناءُ لمعبّدٍ ثَقِيلٌ أولُ
بالسّبابةِ في مَجَرى البِنصيرِ —

قالَ : فأخَلَّتْ بِبَعْضِهِ . فقالَ لها مَعْبَدٌ : يا جاريةُ ، لَقَدْ أَخَلَلْتُ
بهذا الصّوتُ إخلالاً شَدِيداً . فغَضِبَ الرّجلُ وقالَ له : وَيْلَكَ ! ما أنتَ
والغِناءُ ! ألا تَكُفّ عَنّ هذا الفُضُولِ ! فأمسَكَ . وغَنَّتِ الجوّاري مَلِيّاً^٣ .
ثمَّ غَنَّتْ إحداهنَّ :

١ بلي : اسم قبيلة . السّفاه : الطيش وخفة الحلم . الذّكرة : نقيض النسيان ، وتكسر الذال .

٢ ينيب : يتوب .

٣ ملياً : أي ساعة طويلة .

صوت

خَلِيلِي ، عُوْجَا مِنْكُمَا سَاعَةً مَعِي عَلَى الرَّبْعِ نَقْضِي حَاجَةً^١ ، وَتُوَدِّعُ^٢
وَلَا تُعْجِلَانِي أَنْ أَلِيْمَ بِيْدِ مَنَّةٍ لِعِزَّةٍ ، لَاحَتْ لِي بِبَيْدَاءَ بَلَقْعٍ^٣
وَقُولَا لِقَلْبٍ قَدْ سَلَ : رَاجِعِ الْهَوَى ؛ وَلِلْعَيْنِ : أَذْرِي مِنْ دُمُوعِكَ ، أَوْ دَعِي
فَلَا عَيْشَ إِلَّا مِثْلُ عَيْشٍ مَضَى لَنَا مَصِيْفًا ، أَقَمْنَا فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَرْبَعٍ^٤

— الشَّعْرُ لِكُثَيِّرٍ ، وَالْغِنَاءُ لِمَعْبَدٍ خَفِيفٌ ثَقِيلٌ بِالسَّبَابَةِ فِي مَسْجَرِ
الْوُسْطَى ، وَفِيهِ رَمَلٌ^٥ لِلْغَرِيضِ —

قَالَ : فَلَمْ تَصْنَعْ فِيهِ شَيْئًا . فَقَالَ لَهَا مَعْبَدٌ : يَا هَذِهِ ، أَمَا تَقُومِينَ عَلَى
أَدَاءِ صَوْتٍ وَاحِدٍ ؟ فَغَضِبَ الرَّجُلُ وَقَالَ لَهُ : مَا أَرَاكَ تَدَعُ هَذَا الْفُضُولَ
بُوجَهٍ وَلَا حِيلَةَ ! وَأَقْسِمُ بِاللَّهِ لَتُنْ غَاوَدْتُ ، لِأُخْرِجَنَّكَ مِنَ السَّفِينَةِ .
فَأَمْسَكَ مَعْبَدٌ ، حَتَّى إِذَا سَكَتَتِ الْجَوَارِي سَكْنَةً ، انْدَفَعَ يُغَنِّي
الصَّوْتِ الْأَوَّلَ حَتَّى فَرَّغَ مِنْهُ ، فَصَاحَ الْجَوَارِي : أَحْسَنْتَ ، وَاللَّهِ ، يَا رَجُلُ !
فَاعْدُهُ . فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ ، وَلَا كَرَامَةَ . ثُمَّ انْدَفَعَ يُغَنِّي الثَّانِي ، فَقُلْنَ
لَسَيِّدِهِنَّ : وَيَحْكُ ! هَذَا ، وَاللَّهِ ، أَحْسَنَ النَّاسِ غِنَاءً ، فَسَلَّهُ أَنْ يُعِيدَهُ
عَلَيْنَا وَلَوْ مَرَّةً وَاحِدَةً ، لَعَلَّنَا نَأْخُذُهُ عَنْهُ ؛ فَإِنَّهُ ، إِنْ فَاتَنَا ، لَمْ نَجِدْ
مِثْلَهُ أَبَدًا . فَقَالَ : قَدْ سَمِعْتُنَّ سُوءَ رَدِّهِ عَلَيْكُنَّ وَأَنَا خَائِفٌ مِثْلَهُ
مِنْهُ ؛ وَقَدْ أَسْلَفْنَاهُ الْإِسَاءَةَ ، فَاصْبِرْنَ حَتَّى نُدَارِيَهُ .
ثُمَّ غَنَّى الثَّالِثَ ، فَزَلَزَلْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ ، فَوَتَّبَ الرَّجُلُ فَخَرَجَ

١ منكما : ويروى فابكيا ، وهو أجود . نقضي : مجزوم بجواب الأمر ، وأشبهت الحركة فظهرت الياء
للشعر .

٢ البلقع : المقفر ، للمذكر والمؤنث .

٣ المربع : الموضع ينزلونه في الربيع .

٤ الغريض : من مشاهير المغنين في بني أمية .

٥ مثله : أي مثل هذا الرد .

إِلَيْهِ ، وَقَبِلَ رَأْسَهُ وَقَالَ : يَا سَيِّدِي ، أَخْطَأْنَا عَلَيْكَ وَلَمْ نَعْرِفْ مَوْضِعَكَ .
فَقَالَ لَهُ : فَهَبْكَ لَمْ تَعْرِفْ مَوْضِعِي ، قَدْ كَانَ يَتَّبِعُنِي لَكَ أَنْ تَتَشَبَّهَتْ
وَلَا تُسْرِعْ إِلَيَّ بِسُوءِ الْعِشْرَةِ وَجَفَاءِ الْقَوْلِ . فَقَالَ لَهُ : قَدْ أَخْطَأْتُ ،
وَأَنَا أَعْتَدِرُ إِلَيْكَ مِمَّا جَرَى ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَنْزِلَ إِلَيَّ وَتَخْتَلِطَ بِي .
فَقَالَ : أَمَّا الْآنَ فَلَا . فَلَمْ يَزَلْ يَرْفُقُ بِهِ حَتَّى نَزَلَ إِلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ
الرَّجُلُ : مِمَّنْ أَخَذْتَ هَذَا الْغِنَاءَ ؟ قَالَ : مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْحِجَازِ ؛
فَمِنْ أَيْنَ أَخَذَهُ جَوَارِيكَ ؟ فَقَالَ : أَخَذْتُهُ مِنْ جَارِيَةٍ كَانَتْ لِي ابْتِاعَهَا
رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ مِنْ مَكَّةَ ، وَكَانَتْ قَدْ أَخَذَتْ عَنْ أَبِي عَبَّادٍ
مَعْبُودٌ ، وَعُسِّيَ بِتَخْرِيجِهَا ، فَكَانَتْ تَحُلُّ مِنِّي مَحَلَّ الرُّوحِ ؛ ثُمَّ اسْتَأْثَرَ
اللَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، بِهَا ، وَبَقِيَ هَؤُلَاءِ الْجَوَارِي ، وَهُنَّ مِنْ تَعْلِيمِهَا ؛ فَأَنَا
إِلَى الْآنَ أَتَعَصَّبُ لِمَعْبُودٍ وَأَفْضَلُهُ عَلَى الْمُغَنِّينَ جَمِيعًا ، وَأَفْضَلُ صَنَعَتِهِ
عَلَى كُلِّ صَنَعَةٍ . فَقَالَ لَهُ مَعْبُودٌ : أَوْ لَأَنَّكَ لَأَنْتَ هُوَ ! أَفَتَعْرِفُنِي ؟
قَالَ : لَا . فَصَكَ^١ مَعْبُودٌ بِيَدِهِ صَلْعَتَهُ ، ثُمَّ قَالَ : فَأَنَا ، وَاللَّهِ ، مَعْبُودٌ ،
وَالِإِلَيْكَ قَدِمْتُ مِنَ الْحِجَازِ وَوَأَفَيْتُ الْبَصْرَةَ ، سَاعَةً نَزَلَتْ السَّفِينَةُ ،
لَأَقْصِدَكَ بِالْأَهْوَازِ ؛ وَاللَّهِ ، لَا قَبْصَرْتُ فِي جَوَارِيكَ هَؤُلَاءِ ، وَلَأَجْعَلَنَّ لَكَ
فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ خَلْقًا مِنَ الْمَاضِيَةِ . فَأَكَبَّ الرَّجُلُ وَالْجَوَارِي عَلَى
يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ يَقْبَلُونَهَا وَيَقُولُونَ : كَتَمْتُنَا نَفْسَكَ ، طَوْلَ هَذَا الْيَوْمِ ،
حَتَّى جَفَوْنَاكَ فِي الْمُخَاطَبَةِ ، وَأَسْنَا عِشْرَتَكَ ، وَأَنْتَ سَيِّدُنَا وَمَنْ نَتَمَنَّى
عَلَى اللَّهِ أَنْ نَلْقَاهُ !

ثُمَّ غَيَّرَ الرَّجُلُ زِيَّهِ وَحَالَهُ وَخَلَعَ عَلَيْهِ عِدَّةَ خِلَعٍ ، وَأَعْطَاهُ ،
فِي وَقْتِهِ ، ثَلَاثُمِائَةَ دِينَارٍ ، وَطِيبًا وَهَدَايَا بِمِثْلِهَا . وَانْحَدَرَ مَعَهُ إِلَى
الْأَهْوَازِ ، فَأَقَامَ عِنْدَهُ حَتَّى رَضِيَ حِذْقَ جَوَارِيهِ وَمَا أَخَذْتُهُ عَنْهُ
ثُمَّ وَدَّعَهُ وَانْصَرَفَ إِلَى الْحِجَازِ .

١ صك : ضرب .

موت حنين^١

أخْبَرَنِي عَمِّي قَالَ : حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَعْدٍ قَالَ : حَدَّثَنِي
حَسَّانُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَارِثِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ قَالَ : حَدَّثَنَا عُبَيْدُ بْنُ
حُنَيْنٍ^٢ الْحِيرِيُّ قَالَ :

كَانَ الْمُغَنُّونَ فِي عَصْرِ جَدِّي أَرْبَعَةَ نَفَرٍ ثَلَاثَةٌ بِالْحِجَازِ ، وَهُوَ
وَحْدَهُ بِالْعِرَاقِ ، وَالَّذِينَ بِالْحِجَازِ : ابْنُ سُرَيْجٍ وَالْغَرِيضُ وَمَعْبِدٌ .
فَكَانَ يَبْلُغُهُمْ أَنَّ جَدِّي حُنَيْنًا قَدْ غَنَّى فِي هَذَا الشَّعْرِ :

هَلَا بَكَيتَ عَلَى الشَّبَابِ الذَّاهِبِ ، وَكَفَفْتَ عَنْ ذَمِّ الْمَشِيبِ الْآئِبِ^٣ !
هَذَا ، وَرُبَّ مُسَوِّفٍ سَقَيْتُهُمْ ، مِنْ خَمْرِ بَابِلَ ، لَدَّةٌ لِلشَّارِبِ^٤ !
بَكَرُوا عَلَيَّ بِسُحْرَةٍ ، فَصَبَحْتُهُمْ مِنْ ذَاتِ كُوبٍ مِثْلَ قَعْبِ الْحَالِبِ^٥ !
بَزُجَاجَةٍ مِلْءِ الْيَدَيْنِ ، كَأَنَّهَا قِنْدِيلُ فِصْحٍ فِي كَنِيسَةٍ رَاهِبٍ^٦ !

قَالَ : فَاجْتَمَعُوا فَتَذَاكَرُوا أَمْرَ جَدِّي ، وَقَالُوا : مَا فِي الدُّنْيَا أَهْلُ
صِنَاعَةٍ شَرُّ مِنَّا ؛ لَنَّا أَخُ الْعِرَاقِ وَنَحْنُ بِالْحِجَازِ ، لَا نَزُورُهُ وَلَا نَسْتَزِيرُهُ .
فَكَتَبُوا إِلَيْهِ وَوَجَّهُوا إِلَيْهِ نَفَقَةً^٧ ، وَكَتَبُوا يَقُولُونَ : نَحْنُ ثَلَاثَةٌ وَأَنْتَ
وَحْدَكَ ، فَأَنْتَ أَوْلَى بِزِيَارَتِنَا . فَشَخَّصَ^٨ إِلَيْهِمْ ، فَلَمَّا كَانَ عَلَى مَرَحَلَةٍ^٩

١ حنين : من نصارى الحيرة ، شاعر ، ومن أكابر المغنين في بني أمية .

٢ عبيد بن حنين : نسبه أبو الفرج إلى جده لشهرته .

٣ الآئب : الراجع .

٤ المسوفين : جمع مسوف وهو الصبور ، ومن يصنع ما شاء لا يرده أحد .

٥ القعب : القدح الضخم . والمراد : فصيحهم من خمرة في كوب كبير كقعب الحالب ؛ والكوب : كوز لا عروة له ، أو لا خرطوم له .

٦ فصح : أي عيد الفصح عند النصارى . والمراد أن زجاجة الخمر تشع إشعاع قنديل الفصح .

٧ شخخص : ذهب .

٨ المرحلة : المسافة التي يقطعها المسافر في نحو يوم .

مِنْ الْمَدِينَةِ ، بَلَغَهُمْ خَبَرُهُ ، فَخَرَجُوا يَتَلَقَّوْنَهُ ، فَلَمَّ يَوْمٌ كَانَ أَكْثَرَ حَشَرًا وَلَا جَمْعًا مِنْ يَوْمَيْدٍ . وَدَخَلُوا ، فَلَمَّا صَارُوا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ ، قَالَ لَهُمْ مَعْبُدٌ : صِيرُوا إِلَيَّ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ سُرَيْجٍ : إِنْ كَانَ لَكَ مِنَ الشَّرَفِ وَالْمُرُوءَةِ مِثْلُ مَا لِمَوْلَاتِي سُكَيْنَةَ بِنْتِ الْحُسَيْنِ ، عَطَفْنَا إِلَيْكَ ؛ فَقَالَ : مَا لِي مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ . وَعَدَلُوا إِلَى مَنْزِلِ سُكَيْنَةَ ، فَلَمَّا دَخَلُوا إِلَيْهَا أَذْنَتْ لِلنَّاسِ إِذْنًا عَامًّا ، فَغَصَّتِ الدَّارُ بِهِمْ ، وَصَعِدُوا فَوْقَ السَّطْحِ . وَأَمَرَتْ لَهُمْ بِالْأَطْعِمَةِ ، فَأَكَلُوا مِنْهَا . ثُمَّ إِنَّهُمْ سَأَلُوا جَدِّي حُنَيْنًا أَنْ يُغْنِيَهُمْ صَوْتُهُ الَّذِي أَوْلَهُ :

« هَلَا بِسَكَيْتَ عَلَى الشَّبَابِ الذَّاهِبِ »

فَغَنَّاهُمْ إِيَّاهُ ، بَعْدَ أَنْ قَالَ لَهُمْ : ابْدَأُوا أَنْتُمْ ؛ فَقَالُوا : مَا كُنَّا لِنَتَقَدَّمَكَ وَلَا نَغْنِيَّ قَبْلَكَ ، حَتَّى نَسْمَعَ هَذَا الصَّوْتِ . فَغَنَّاهُمْ إِيَّاهُ ، وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ صَوْتًا ؛ فَازْدَحَمَ النَّاسُ عَلَى السَّطْحِ وَكَثُرُوا لِيَسْمَعُوهُ ، فَسَقَطَ الرُّوْاقُ عَلَى مَنْ تَحْتَهُ ، فَسَلِمُوا جَمِيعًا وَأُخْرِجُوا أَصْحَاءَ ، وَمَاتَ حُنَيْنٌ تَحْتَ الْهَدْمِ . فَقَالَتْ سُكَيْنَةُ ، عَلَيْهَا السَّلَامُ : لَقَدْ كَدَّرَ عَلَيْنَا حُنَيْنٌ سُرُورَنَا ؛ انْتَظَرْنَاهُ مُدَّةً طَوِيلَةً كَأَنَّا ، وَاللَّهِ ، كُنَّا نَسُوقُهُ إِلَى مَنِيَّتِهِ .

بارك الله فيك ، وبارك الله عليك

كَانَ بَعْضُ أَهْلِ نَهْيِكَ قَدْ تَعَاطَى الْغِنَاءَ ؛ فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّهُ قَدْ أَحْكَمَهُ ، شَاوَرَنِي ، وَأَبِي حَاضِرٌ ، فَقُلْتُ لَهُ : إِنْ قَبِلْتَ مِنِّي فَلَا تُغْنِ ، فَلَسْتُ فِيهِ^٢ كَمَا أَرْضَى . فَصَاحَ أَبِي عَلَيَّ صَيْحَةً شَدِيدَةً ، ثُمَّ قَالَ لِي :

١ المحدث إسحق الموصلي ابن إبراهيم ، وكلاهما من أشهر المغنين في بني العباس .
٢ فيه : أي في الغناء .

وما يُدريك يا صبي ! ثم أقبل على الرجل ، فقال : أنت ، يا حبيبي ،
 بضد ما قال ، وإن لزمت الصنعة برعنت فيها .
 فلما خلا بي قال لي : يا أحمق ! ما عليك أن يُخزي الله مائة
 ألف مثل هذا ! هؤلاء أغنياء ملوك ، وهم يُعَيِّرُونَنَا بِالْغِنَاءِ ، فدعهم
 يتَهَتَّكُوا بِهِ وَيُعَيِّرُوا وَيَفْتَضِحُوا ، ويحتاجوا إلينا فنستفيع بهم ،
 ويبين فضلنا لدى الناس بأمثالهم . ولزمت النهيكي يأخذ عنه ويبره^٢
 فيُجزل . فكان إذا غنى فأحسن قال له : بارك الله فيك ؛ وإذا أساء ،
 قال : بارك الله عليك . وكثر ذلك منه ، حتى عرف النهيكي معناه فيه
 فغنى يوماً ، وأبي ساه عنه ، فسكت ولم يقل له شيئاً ؛ فقال له :
 جعلت فداك ، يا أستاذي ، أهذا الصوت من أصوات « فيك » أم « عليك » ؟
 فضحك أبي ، ولم يكن عليم أنه قد فطن لقوله ؛ ثم قال له : والله
 لأقبلن عليك حتى تصير كما تشتهي ؛ فإنك ظريف أديب .
 وعني به حتى حسن غناؤه وتقدم . وفيه يقول أبي :

أوجب الله لك الحـ ق على مثلي بظرفك
 لن تراني ، بعد هذا ناطقاً إلا بوصفك
 وترى القوة فيما تشتهيه ، بعد ضعفك

١ أي يحتاجوا إلينا ليتعلموا منا

٢ يبره : يصله ويحسن إليه .

نوادير مختلفة

اكروم من معن بن زائدة

كان المنصور قد طلب معن بن زائدة طلباً شديداً ، وجعل فيه مالا ؛ فحدثني معن بن زائدة باليمن^٢ أنه اضطر ، لشدة الطلب ، إلى أن أقام في الشمس حتى لوتحت وجهه ، وخفف عارضيه وحيته ، ولبس جبة صوف غليظة ، وركب جملاً من الجمال النقال ليمضي إلى البادية فيقيم بها . وكان قد أبلت في حرب يزيد بن عمر بن هبيرة^٣ بلاء حسناً غاظ المنصور ، وجد في طلبه .

قال معن : فلما خرجت من باب حرب ، تبعني أسود متقلداً سيفاً ، حتى إذا غبت عن الحرس ، قبض على خطام جملي ، فأناخه ، وقبض علي . فقلت له : ما لك ؟ قال : أنت طليبة أمير المؤمنين . قلت : ومن أنا ، حتى يطلبني أمير المؤمنين ! قال : معن بن زائدة . فقلت : يا هذا ، اتق الله ! وأين أنا من معن ! قال : دع هذا عنك ، فأنا ، والله ، أعرف به منك . فقلت له : فإن كانت القصة كما تقول ، فهذا جوهر حملته معي بقي بأضعاف ما بذله المنصور لمن جاءه بي ، فخذوه ، ولا تسفك دمي . قال : هاتيه . فأخرجته إليه ؛ فنظر إليه ساعة ، وقال : صدقت في قيمته ، ولست قابله حتى أسألك عن

١ فحدثني : المتكلم مروان بن أبي حفصة .

٢ ولي المنصور معن اليمن بعد أن رضي عنه .

٣ كان يزيد من كبار قواد بني أمية ، وأميراً على العراقيين من قبل الخليفة مروان بن محمد ، قتل بواسط وهو يحارب العباسيين ، سنة ٧٥٠ م (١٣٢ هـ) .

٤ باب حرب : موضع ببغداد ينسب إلى حرب بن عبد الله البلخي المعروف بالراوندي أحد قواد المنصور .
٥ الخطام : الزمام الذي يوضع في أنف البعير ليقطد به .

شيء ، فإن صدقتني أطلقك . فقلت : قل . قال : إن الناس قد وصفوك بالجوذ ؛ فأخبرني هل وهبت قط مالك كله ؟ قلت : لا . قال : فنصفه ؟ قلت : لا . قال : فثلثه ؟ قلت : لا . حتى بلغ العشر ، فاستحييت فقلت : أظن أنني قد فعلت هذا . فقال : ما أراك فعلته ؛ أنا ، والله ، راجل^١ ، ورزقي من أبي جعفر عشر^٢ون درهماً ، وهذا الجوهرة قيمته آلاف دنانير ، وقد وهبته لك ، وهبتك لنفسك ، والجودك المأثور عنك بين الناس ؛ ولتعلم أن في الدنيا أجود منك ، فلا تعجبك نفسك ؛ ولتحقير ، بعد هذا ، كل شيء تفعله ، ولا تتوقف عن مكرمة .

ثم رمى بالعقد في حجر^٣ي ، وخلق خطام البعير وانصرف . فقلت : يا هذا ، قد ، والله ، فضحتني ، ولسفك دمي أهون علي مما فعلت ؛ فخذ ما دفعته إليك ، فإني غني عنه . فضحك ، ثم قال : أردت أن تكذبني في مقامي هذا^٤ ، والله ، لا آخذه ، ولا آخذ بمعروف^٤ ثمناً أبداً . ومضى . فوالله ، لقد طلبته ، بعد أن أمنت ، وبذلت لمن جاءني به ما شاء ، فما عرفت له خبراً ، وكأن الأرض ابتلعتة .

١ راجل : أي لا يملك مطية يركبها لفقره .

٢ حجرى : حضني .

٣ في مقامي هذا : أي مقام الجود الذي ارتفع به على من .

٤ بمعروف : الباء للبدل .



العصر العباسي الرابع

الحريري (١٠٥٤-١١٢٢ م و ٤٤٦-٥١٦ هـ (?))

ابن الأثير (١١٦٢-١٢٣٩ م و ٥٥٨-٦٣٧ هـ)

الحري

المقامات

المقامة الأولى الصنعانية^١

حَدَّثَ الْحَرِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ : لَمَّا اقْتَعَدْتُ غَارِبَ الْاِغْتِرَابِ^٢ ،
وَأَنَأْتُني الْمَتْرَبَةَ^٣ عَنِ الْأَتْرَابِ^٤ ؛ وَطَوَّحْتُ^٥ بِي طَوَائِحُ الزَّمَنِ^٦ ، إِلَى صَنْعَاءِ
الْيَمَنِ^٧ ، فَدَخَلْتُهَا خَاوِي الْوِفَاضِ^٨ ، بَادِي الْإِنْفَاضِ^٩ ، لَا أَمْلِكُ بُلْغَةَ^{١٠} ،
وَلَا أَجِدُ فِي جِرَابِي مُضْغَةً^{١١} . فَطَفِيقْتُ أَجُوبَ طُرُقَاتِهَا^{١٢} مِثْلَ الْحَائِمِ^{١٣} ،
وَأَجُولُ فِي حَوْمَاتِهَا جَوْلَانَ الْحَائِمِ^{١٤} ، وَأُرُودُ^{١٥} ، فِي مَسَارِحِ لِمَحَاتِي^{١٦} ،
وَمَسَايِحِ^{١٧} غَدَوَاتِي وَرَوَحَاتِي ، كَرِيماً أَخْلَقَ لَهُ دِيبَاجَتِي^{١٨} وَأَبُوحُ إِلَيْهِ

- ١ الصنعانية : نسبة إلى صنعاء اليمن على غير قياس .
- ٢ الغارب : مقدم ظهر الدابة ، استعاره للاغتراب .
- ٣ المتربة : الفقر . الأتراب : جمع ترب وهو من نشأ معك وكان من سنك .
- ٤ طوحت : رمت . طوائح الزمن : خطوبه وقوافله .
- ٥ الخاوي : الفارغ . الوفاض : جمع وفضة وهي خريطة من جلد يجعل فيها الراعي زاده .
- ٦ الإنفاض : فناء الزاد والمال .
- ٧ البلغة : اليسير من العيش يتبلغ به أي يسد به الجوع .
- ٨ أجوب طرقاتها : أقطعها .
- ٩ حوماتها : أي معظم مواضعها التي يجتمع فيها الناس . الحائم : العطشان الذي يحوم حول الماء ، وطائر يقال إنه إذا اشتد به العطش ، ورد الماء فحام عليه حتى يفرق وهو يشرب ، فإن ناله الماء تساقط ريشه .
- ١٠ أرود : أطلب . مسارح لمحاتي : المواضع التي يسرح فيها النظر .
- ١١ المسايح : مواضع السياحة ، واحدها مسيحة .
- ١٢ كريماً : مفعول أرود . أخلق الثوب : لبسه حتى أبلاه . الديباجة : الوجه ، أو صفحة الخد ؛ وقوله أخلق له ديباجتي : أي أبذل له ماء وجهي وهو الحياء يبذله الإنسان في السؤال وطلب الحاجة .

بِحَاجَتِي ، أَوْ أَدِيًّا تُفَرِّجُ رُؤْيَيْتُهُ غُمَّتِي ، وَتُرْوِي رِوَايَتُهُ غُلَّتِي ^١ ؛ حَتَّى
أَدْتَنِي خَاتِمَةَ الْمَطَافِ ، وَهَدَّتْنِي فَاتِحَةَ الْأَلْطَافِ ^٢ ، إِلَى نَادِ رَحِيبٍ ،
مُحْتَوٍ عَلَى زِحَامٍ وَنَحِيبٍ ؛ فَوَلَجْتُ غَابَةَ الْجَمْعِ ، لِأَسْبُرَ مَجْلِبَةَ الدَّمْعِ ^٣ ،
فَرَأَيْتُ ، فِي بُهْرَةِ الْحَلَقَةِ ^٤ ، شَخْصًا شَخَتْ ^٥ الْحَلَقَةِ ؛ عَلَيْهِ أَهْبَةُ
السِّيَاحَةِ ، وَلَهُ رَنَّةُ النَّيَاحَةِ ، وَهُوَ يَطْبَعُ الْأَسْجَاعَ بِجَوَاهِرٍ لَقْظِهِ ،
وَيَقْرَعُ الْأَسْمَاعَ بِزَوَاجِرٍ وَعَظِهِ . وَقَدْ أَحَاطْتُ بِهِ أَخْلَاطُ الزُّمْرِ ، لِإِحَاطَةِ
الْهَالَةِ بِالْقَسَمِ ، وَالْأَكْمَامِ بِالشَّمْرِ . فَدَلَفْتُ ^٦ إِلَيْهِ لِأَقْتَبِسَ مِنْ فَوَائِدِهِ ،
وَأَلْتَقِطَ بَعْضَ فَرَائِدِهِ . فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ ، حِينَ خَبَّ ^٧ فِي مَجَالِهِ ،
وَهَدَرَتْ شَقَاشِقُ ^٨ ارْتِجَالِهِ :

« أَيُّهَا السَّادِرُ فِي غُلُوتَائِهِ ^٩ ، السَّادِلُ ثَوْبَ خَيْلَائِهِ ^{١٠} ، الْجَانِحُ فِي
جَهَالَاتِهِ ، الْجَانِحُ إِلَى خَزَعِبَلَاتِهِ . إِيَّامَ تَسْتَمِرُّ عَلَى غَيْكَ ، وَتَسْتَمِرُّ
مَرَعَى بَغْيِكَ ! وَحَتَّامَ تَتَنَاهَى فِي زَهْوِكَ ، وَلَا تَنْتَهِي عَنْ لَهْوِكَ !
تُبَارِزُ بِمَعْصِيَتِكَ ، مَالِكَ نَاصِيَتِكَ ^{١١} ! وَتَجْتَرِيءُ بِقُبْحِ سِيرَتِكَ ، عَلَى
عَالِمِ سَرِيرَتِكَ ! وَتَتَوَارَى ^{١٢} عَنْ قَرِيبِكَ ، وَأَنْتَ بِمَرَأَى رَقِيبِكَ ^{١٣} ! »

١ الغلة : شدة العطش .

٢ فاتحة الألفاظ : أي أول ألفاظ الله بي ، وهي ما ينال الإنسان من التوفيق بفضل الله ومنه .

٣ أي لأختبر سبب الدمع .

٤ بهرة الحلقة : وسطها .

٥ الشخت : الدقيق النحيف .

٦ دلف : مشى مشياً رويداً أو يقارب الخطو .

٧ خب : أسرع .

٨ الشقاشق : جمع شقشقة بكسر الشينين ، وهي في الأصل ما يخرج البعير من فيه إذا هاج وهدر ؛ ويقال للخطيب إنه لذر شقشقة تشبهاً له بالفعل الكثير الهدير .

٩ السادر : الذي لا يبالي بما صنع . الغلواء : الغلو ومجاوزة الحد ، وأول الشباب .

١٠ الخيلاء : الكبر .

١١ الناصية : الشعر في مقدم الرأس أو هي الطرة ؛ وقوله مالك ناصيتك : أي الله تعالى .

١٢ تتوارى : أي تتوارى بفتح سيرتك

١٣ رقيبك : أي عالم أمرك وهو الله .

وَتَسْتَخْفِي مِنْ مَمْلُوكِكَ ، وما تَخْفَى خَافِيَةً عَلَى مَلِكِكَ !
 أَتَظُنُّ أَنَّ سَتَنَفَعُكَ حَالُكَ ، إِذَا آنَ ارْتِحَالُكَ ؟ أَوْ يُنْقِذُكَ مَالُكَ ،
 حِينَ تُوْبِقُكَ^١ أَعْمَالُكَ ؟ أَوْ يُغْنِي عَنْكَ نَدَمُكَ ، إِذَا زَلَّتْ قَدَمُكَ ؟
 أَوْ يَعْطِفُ عَلَيْكَ مَعَشَرُكَ ، يَوْمَ يَضُمُّكَ مَحْشَرُكَ^٢ ؟
 هَلَّا انْتَهَجْتَ^٣ مَحَجَّةً ، اهْتَدَيْتَ ، وَعَجَلْتَ مُعَالَجَةً دَائِكَ ،
 وَفَلَلْتَ شَبَابَ اعْتِدَائِكَ^٤ ، وَقَدَعْتَ نَفْسَكَ^٥ فَهِيَ أَكْبَرُ أَعْدَائِكَ !
 أَمَّا الْحِمَامُ مِعَادُكَ ، فَمَا إِعْدَادُكَ ؟ وَبِالْمَشِيبِ إِنْذَارُكَ ، فَمَا إِعْذَارُكَ^٦ ؟
 وَفِي اللَّحْدِ مَقِيلُكَ^٧ ، فَمَا قِيلُكَ ؟ وَإِلَى اللَّهِ مَصِيرُكَ ، فَمَنْ نَصِيرُكَ ؟
 طَالَمَا أَيَقْظُكَ الدَّهْرُ فَتَنَاعَسْتَ ، وَجَذَبَكَ الْوَعْظُ فَتَقَاعَسْتَ^٨ !
 وَتَجَلَّتْ لَكَ الْعِبَرُ فَتَعَامَيْتَ ، وَحَصَّحَصَ لَكَ الْحَقُّ فَتَمَارَيْتَ^٩ ،
 وَأَذْكَرَكَ الْمَوْتُ فَتَنَاسَيْتَ ، وَأَمَكَّنَكَ أَنْ تُؤَاسِيَ^{١٠} فَمَا آسَيْتَ ! تُؤَثِّرُ
 فَلَسًا تَوْعِيهِ^{١١} ، عَلَى ذِكْرِ تَعْيِهِ^{١٢} ؛ وَتَخْتَارُ قَصْرًا تُعْلِيهِ ، عَلَى بَرٍّ تُولِيهِ ؛
 وَتَرْغَبُ^{١٣} عَنْ هَادٍ تَسْتَهْدِيهِ ، إِلَى زَادٍ تَسْتَهْدِيهِ ؛ وَتُغْلِبُ حُبَّ ثَوْبٍ

- ١ توبقك : تهلكك .
 ٢ المحشر : قيامة الأموات واجتماعهم للدينونة .
 ٣ انتهجت : سلكت .
 ٤ المحجة : الطريق .
 ٥ أي كسرت حد ظلمك .
 ٦ قدعت نفسك : كففتها عن القبيح .
 ٧ اعذارك : بفتح الهمزة جمع عذر ، وبكسرهما مصدر أعذر الرجل : أي أبدى عذراً .
 ٨ مقيلك : أي مرقدك ، وأصله النوم بالقائلة وهي الظهر .
 ٩ تقاعست : تأخرت .
 ١٠ حصحص : ظهر من الحص أي ذهاب الشعر وظهور ما تحته . تماريت : شككت .
 ١١ تؤاسي : تحسن إلى غيرك ، وتجعله أسوتك في شيء من مالك .
 ١٢ توعيه : تجعله في وعائك .
 ١٣ الذكر : الكتاب فيه تفصيل الدين . تعيه : تحفظه .
 ١٤ رغب عنه : نقيض رغب فيه .

تَشْتَهِيهِ ، عَلَى ثَوَابٍ تَشْتَرِيهِ . يَوَاقِيتُ الصَّلَاتِ ١ ، أَعْلَقُ بِقَلْبِكَ مِنْ
مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ ؛ وَمُغَالَاةُ الصَّدُوقَاتِ ٢ ، آثَرُ عِنْدَكَ مِنْ مُوَالَاةِ الصَّدَقَاتِ .
وَصِحَافُ الْأَلْوَانِ ٣ ، أَشْهَى إِلَيْكَ مِنْ صَحَائِفِ الْأَدْيَانِ ؛ وَدُعَابَةُ الْأَقْرَانِ ٤ ،
آنَسُ لَكَ مِنْ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ . تَسَامُرُ بِالْعُرْفِ ٥ وَتَنْتَهِكُ حِمَامَهُ ٦ ، وَتَحْشِي
عَنِ النُّكْرِ وَلَا تَتَحَامَاهُ ٧ ، وَتُزَحْزِحُ عَنِ الظِّلْمِ ٨ ثُمَّ تَغْشَاهُ ٩ ، وَتَخْشَى
النَّاسَ وَاللَّهَ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ١٠ . « ثُمَّ أَنْشَدَ :

تَبَّأَ لِطَالِبِ دُنْيَا ، ثَنَى إِلَيْهَا انْصِبَابَهُ ٧
مَا يَسْتَفِيقُ غَرَامًا بِهَا ، وَفَرَطَ صَبَابَهُ
وَلَوْ دَرَى ، لَكَفَاهُ مِمَّا يَرُومُ صُبَابَهُ ٨

ثُمَّ إِنَّهُ لَبَدَّ عَجَاجَتَهُ ٩ ، وَغِيَضَ مُجَاجَتَهُ ١٠ ، وَاعْتَضَدَ شَكُوتَهُ ١١ ،
وَتَأَبَّطَ هِرَاوَتَهُ ١٢ ، فَلَمَّا رَنَّتِ الْجَمَاعَةُ إِلَى تَحْقِيزِهِ ، وَرَأَتْ تَأَهُّبَهُ
لِمَزَايِلَةِ مَرَكَزِهِ ؛ أَدْخَلَ كُلٌّ مِنْهُمْ يَدَهُ فِي جَيْبِهِ ، فَأَفْعَمَ ١٣ لَهُ

-
- ١ الصَّلَاتُ : العطايا .
 - ٢ الصَّدُوقَاتُ : جمع صدقة وهي ما يعطى للنساء من المهر .
 - ٣ صِحَافُ الْأَلْوَانِ : أي قصاع ألوان الطعام .
 - ٤ الْأَقْرَانُ : جمع قرن وهو المماثل .
 - ٥ الْعُرْفُ : المعروف .
 - ٦ تَغْشَاهُ : تأتية .
 - ٧ ثَنَى : عطف وصرف .
 - ٨ الصَّبَابَةُ : البقية اليسيرة من الماء ، والمراد : الشيء القليل .
 - ٩ لَبَدَّ عَجَاجَتَهُ : أي سكن غباره ، كناية عن الكف عما هو فيه .
 - ١٠ غِيَضَ مُجَاجَتَهُ : أي ابتلع ريقه .
 - ١١ اعْتَضَدَ شَكُوتَهُ : أي جعل قربته في عضده .
 - ١٢ الْهَرَاوَةُ : العصا .
 - ١٣ أَفْعَمَ : ملأ .

سَجَلًا^١ مِنْ سَيْبِهِ^٢؛ وَقَالَ: «اصْرِفْ هَذَا فِي نَفَقَتِكَ، أَوْ فَرَّقْهُ عَلَى رُفَقَتِكَ». فَتَقَبَّلَهُ مِنْهُمْ مُغْضِيًا، وَانْشَنَى عَنْهُمْ مُشْنِيًا؛ وَجَعَلَ يُوَدِّعُ مَنْ يُشِيعُهُ، لِيَخْفَى عَلَيْهِ مَهْيَعُهُ^٣، وَيُسْرَبُ مَنْ يَتَّبَعُهُ، لِكَيْ يُجْهَلَ مَرْبَعُهُ^٤. قَالَ الْحَرِثُ بْنُ هَمَّامٍ: فَاتَّبَعْتُهُ مُوَارِيًا عَنْهُ عِيَانِي^٥، وَقَفَوْتُ لِأَثَرِهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَرَانِي، حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَغَارَةٍ، فَانْسَابَ فِيهَا عَلَى غَرَارَةٍ^٦. فَأَمْهَلْتُهُ رَيْثَمَا خَلَعَ نَعْلَيْهِ، وَغَسَلَ رِجْلَيْهِ. ثُمَّ هَجَمْتُ عَلَيْهِ فَوَجَدْتُهُ مُثَافِنًا^٨ لِتَلْمِيزٍ، عَلَى خُبْرٍ سَمِيدٍ^٩، وَجَدْتُ حَنِيذًا^{١٠}، وَقُبَّالَتَهُمَا خَائِبَةً نَبِيدٍ. فَقُلْتُ لَهُ: «يَا هَذَا، أَيْسَكُونُ ذَاكَ خَبَرَكَ، وَهَذَا مَخْبَرَكَ؟» فَرَفَرَزَقَرَةً الْقَيْظِ^{١١}، وَكَادَ يَتَمَيِّزُ^{١٢} مِنَ الْغَيْظِ؛ وَلَمْ يَزَلْ يُحْمَلِقُ إِلَيَّ، حَتَّى خِفْتُ أَنْ يَسْطُو عَلَيَّ. فَلَمَّا أَنْ خَبْتُ^{١٣} نَارَهُ، وَتَوَارَى أَوَارُهُ^{١٤} أَنْشَدَ. شَعْر:

لَبِستُ الخَمِيصَةَ أَبْغِي الخَيْصَةَ ، وَأَنْشَبْتُ شِصِّي فِي كُلِّ شَيْصَةٍ^{١٥}

- ١ السجل : الدلو إذا كان فيها ماء .
- ٢ سيبه : عطائه . والمراد : أجزل له العطاء .
- ٣ المهيح : الطريق الواضح الواسع .
- ٤ يسرب : يفرق ، يقال سرب الإبل : أرسلها قطعة قطعة .
- ٥ مربعه : أي منزله .
- ٦ عياني : شخصي .
- ٧ الغرارة : الغفلة .
- ٨ مثافناً : أي مجالساً .
- ٩ سميد : حواري ، وهو الأبيض الخالص .
- ١٠ حنيد : سمين ، أو المشوي على حجارة محماة ، توضع فوقه لينضج .
- ١١ القَيْظ : شدة الحر في الصيف .
- ١٢ يتميز : أي يتمزق .
- ١٣ خبت : خمدت .
- ١٤ الأوار : حر النار والشمس ، استعير للغَيْظ .
- ١٥ الخميصه : كساء أسود مربع معلم . قال ابن الأثير : «وكانت من لباس الناس قديماً .» ولذلك لبسها أبو زيد ليقوم بها واعظاً لأنها ليست من الثياب المصبغة التي تلبس للزينة . الخميصه : حلوى تصنع من العسل والدقيق ، أو من التمر والسمن ، أو من الدبس والأرز . أنشبت : أنفذت وأوقعت . الشخص : حديدة معوجة دقيقة تعرف بالصنارة يصاد بها السمك . الشيصه : جنس من السمك أو الخبيث منه ، الممتنع صيده لتحوزه . والمراد : أنني أخذت في كل مكسب ، وخضت في كل مطلب بين جيد ورديء ، أو سهل وصعب .

وَصَيَّرْتُ وَعَظِي أَحْبُولَةً ، أَرِيغُ الْقَنِيصَ بِهَا وَالْقَنِيصَةَ^١
 وَالْجَمَانِي الدَّهْرُ ، حَتَّى وَلَجْتُ ، بِلُطْفِ احْتِيَالِي ، عَلَى اللَّيْثِ ، عَيْصَةً^٢
 عَلَى أَنْفِي لَمْ أَهَبْ صَرْفَهُ ، وَلَا نَبَضْتُ لِي مِنْهُ فَرِيصَةً^٣
 وَلَا شَرَعْتُ بِي . . . عَلَى مَوْرِدٍ يُدْتَسُّ عِرْضِي ، نَفْسٌ حَرِيصَةً^٤
 وَلَوْ أَنْصَفَ الدَّهْرُ فِي حُكْمِهِ ، لَمَّا مَلَكَ الْحُكْمَ أَهْلَ النَّقِيصَةِ^٥

ثُمَّ قَالَ لِي : « ادْنُ فَكُلْ » ، وَإِنْ شِئْتَ فَقَسِّمْ وَقُلْ . « فَالتَفَتُ إِلَى
 تَلْمِيذِهِ وَقُلْتُ : « عَزَمْتُ عَلَيْكَ بِمَنْ تَسْتَدْفِعُ بِهِ الْأَذَى » ، لَتُخْبِرْتَنِي
 مَنْ ذَا ! » فَقَالَ : « هَذَا أَبُو زَيْدِ السَّرُوجِيِّ سِرَاجُ الْغُرَبَاءِ ، وَتَاجُ
 الْأُدَبَاءِ . » فَانصَرَفْتُ مِنْ حَيْثُ أَتَيْتُ ، وَقَضَيْتُ الْعَجَبَ^٦ مِمَّا رَأَيْتُ .

المقامة الرابعة والعشرون القطيعية^٨

حَكَى الْحَرِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ : عَاشَرْتُ بِقَطِيعَةِ الرَّبِيعِ ، فِي إِبَّانِ
 الرَّبِيعِ ، فِتْيَةً ، وَجُوهُهُمْ أَبْلَجُ مِنْ أَنْوَارِهِ^٩ ، وَأَخْلَاقُهُمْ أَبْهَجُ مِنْ

١ الأحيولة : شبكة الصيد . أريغ : أطلب . القنيص والقنيسة : الصيد من ذكر وأنثى .

٢ الليث : الأسد . العيص : أي أجيمة الأسد .

٣ صرفه : حوادثه ، والضمير يعود على الدهر . الفريضة : لحمة تكون تحت الكتف ، من شأنها أن
 ترتعد عند الفزع .

٤ شرعت بي : أي أوردني الماء . نفس : فاعل شرعت .

٥ عزمت عليك : أي أقسمت عليك .

٦ بمن تستدفع به الأذى : أي بالله تعالى .

٧ قضى العجب : أي بلغ من العجب أقصاه ، فلا عجب بعده ؛ وقيل : بل وفي العجب حقه ؛ وفي
 المصباح « وقولهم : لا أقضي منه العجب » قال الأصمعي : لا يستعمل إلا منفياً ، أي لا يمكن توفية
 العجب حقه لعظم الأمر .

٨ القطيعية : نسبة إلى قطيعه الربيع ، وهي محلة ببغداد .

٩ أبلج : أضوا . الأنوار ، جمع نور : الزهر ، أو الأبيض منه .

أَزْهَارِهِ ، وَالنَّفَاطِظُهُمْ أَرْقُ مِنْ نَسِيمِ أَسْحَارِهِ ؛ فَاجْتَلَيْتُ^١ مَا يَزْرِي^٢ عَلَى
الرَّبِيعِ الزَّاهِرِ ، وَيُغْنِي عَنْ رَنَاتِ الْمَزَاهِرِ^٣ . وَكُنَّا تَقَاسَمْنَا^٤ عَلَى حِفْظِ
الْوَدَادِ ، وَحَظَرِ الْاسْتِبْدَادِ ، وَأَنْ لَا يَتَفَرَّدَ أَحَدُنَا بِالتِّدَادِ ، وَلَا يَسْتَأْثِرَ
وَلَوْ بِرَذَازٍ^٥ .

فَأَجْمَعْنَا^٦ ، فِي يَوْمٍ سَمَا دَجْنُهُ^٧ ، وَنَمَّا حُسْنُهُ ، وَحَكَمَ بِالْإِصْطِبَاحِ^٨
مُزْنُهُ^٩ ، عَلَى أَنْ نَنْتَهِيَ بِالْخُرُوجِ ، إِلَى بَعْضِ الْمُرُوجِ ؛ لِنُسْرَحَ النَّوَاطِرَ
فِي الرِّيَاضِ النَّوَاصِرِ ، وَنَتَصَقَّلَ الْخَوَاطِرَ بِشَيْمِ الْمَوَاطِرِ^{١٠} . فَبَرَزْنَا ، وَنَحْنُ
كَالشُّهُورِ عِدَّةٍ^{١١} ، وَكُنْدَ مَانِي جَذِيمَةٍ^{١٢} مَوْدَةٍ ، إِلَى حَدِيقَةِ أَخَذَتْ زُخْرُفَهَا^{١٣}
وَأَزَيَّنَتْ^{١٤} ، وَتَنَوَّعَتْ أَزَاهِيرُهَا وَتَكَلَّوْنَتْ . وَمَعَنَا الْكُمَيْتُ الشَّمْسُوسُ^{١٥} ،
وَالسَّقَاةُ الشَّمْسُوسُ ، وَالشَّادِي الَّذِي يُطْرِبُ السَّامِعَ وَيُلْهِمُهُ ، وَيَقْرِي^{١٦} كُلَّ

١ اجتليت : نظرت .

٢ يزري : يقال زرى عليه : عابه .

٣ المزاهر : جمع مزهر وهو العود .

٤ تقاسنا : تحالفنا .

٥ الرذاز : المطر الضعيف . والمراد : الشيء القليل .

٦ أجمعنا : اتفقنا .

٧ سما دجنه : أي ارتفع غيمه .

٨ الاصطباح : أي شرب الخمر صباحاً .

٩ المزن : السحاب أو ذو الماء منه ، واحده مزنة .

١٠ بشيم الماطر : أي برؤية السحب الممطرة .

١١ ونحن كالشهور عدة : أي ونحن اثنا عشر شخصاً بعدد شهور السنة .

١٢ الندمان : النديم . جذيمة : هو جذيمة الأبرش ملك الحيرة ؛ قيل فادمه مالك وعقيل ابنا فالج مدة

أربعين سنة فضرب به وبهما المثل في صفاء المودة والوفاق .

١٣ أخذت زخرفها : أي تكاملت في حسنها .

١٤ أزيئت : تزيئت .

١٥ الكميت : الأحمر الضارب إلى السواد ، صفة للخمر والفرس . الشمسوس : الفرس الذي يمنع ظهره

من الركوب ، وهو هنا مستعار للخمرة الكميت . والمراد أنها تمتنع على اللثام والبخلاء ، أو على من

لم يتعود شربها ، لأنها سريعة الإسكار .

١٦ يقري : يضيف ، من الضيافة .

سَمِعَ مَا يَشْتَهِيهِ . فَلَمَّا اطْمَأَنَّ بِنَا الْجُلُوسُ ، وَدَارَتْ عَلَيْنَا الْكُؤُوسُ ،
وَعَمِلَ^١ عَلَيْنَا ذِمْرٌ^٢ ، عَلَيْهِ طِمْرٌ^٣ ، فَتَجَهَّمْنَاهُ^٤ تَجَهَّمِ الْغَيْدِ الشَّيْبِ^٥ ،
وَوَجَدْنَا صَفْوَى^٦ يَوْمَنَا قَدْ شَيْبَ^٧ . إِلَّا أَنَّهُ سَلَّمَ تَسْلِيمَ أُولَى الْفَهْمِ ، وَجَلَسَ
يَفْضُ لَطَائِمِ النَّثْرِ وَالنَّظْمِ^٨ ؛ وَنَحْنُ نَنْزَوِي^٩ مِنْ انْبِسَاطِهِ ، وَنَنْبَرِي
لِطَيِّ بِسَاطِهِ^{١٠} ؛ إِلَى أَنْ غَنَى شَادِينَا الْمَغْرِبُ^{١١} وَمُغَرَّدُنَا الْمُطَرِبُ :

إِلَامَ ، سَعَادُ ، لَا تَصِلِينَ حَبْلِي ؛ وَلَا تَأْوِينَ لِي مِمَّا أَلَاقِي^{١٢}
صَبْرْتُ عَلَيْكَ ، حَتَّى عِيلَ صَبْرِي وَكَادَتْ تَبْلُغُ الرُّوحُ التَّرَاقِي^{١٣}
وَهَا أَنَا قَدْ عَزَمْتُ عَلَى انْتِصَافِ ، أَسَاقِي فِيهِ خِلِّي مَا يُسَاقِي^{١٤}
فَإِنْ وَصَلَا أَلَدُّ بِهِ ، فَوَصَّلْ ؛ وَإِنْ صَرَّمَا ، فَصَرَّمْ كَالطَّلَاقِ^{١٥}

قال : فَاسْتَفْهَمْنَا الْعَابِثَ بِالْمِثْنِيِّ^{١٦} : « لِمَ نَصَبَ الْوَصْلَ الْأَوَّلَ وَرَفَعَ
الثَّانِي ؟ » فَأَقْسَمَ بِتُرْبَةِ أَبْوَيْهِ ، لَقَدْ نَطَقَ بِمَا اخْتَارَهُ سَيِّوَيْهِ .

- ١ وغل : دخل ، والواغل في الشراب كالوارش في الطعام ، وهو الذي يدخل على القوم من غير أن يدعى .
- ٢ الذمر : من أسماء الدواهي .
- ٣ طمر : ثوب خلق .
- ٤ تجهمناه : استقبلناه بوجه كالح .
- ٥ الغيد : الفتيات النواعم ، واحدها غيداء .
- ٦ الشيب : جمع أشيب وهو مفعول تجهم .
- ٧ شيب : أي خلط بالكدر .
- ٨ اللطائم : جمع لطيمة وهي وعاء العطر . والمراد : يتحدث بأطيب المنثور والمنظوم .
- ٩ فنزوي : فنقبض .
- ١٠ انبرى للشيء : اعترض له . لطى بساطه : أي لازعاجه وإخراجه .
- ١١ المغرب : الذي يأتي بالغريب من الأغاني . وفي رواية المغرب : وهو الذي لا يلحن في كلامه .
- ١٢ تأوين : ترقين وترحين .
- ١٣ التراقي : جمع ترقوة وهي أعلى عظام الصدر وقرب العنق .
- ١٤ الانتصاف : استيفاء الحق .
- ١٥ الصرم : القطيعة والهجر .
- ١٦ المثنائي : أي أوتار العود لكونها مثنى . العابث بالمثنائي : أي المغني الضارب على العود .

فَتَشَعَّبَتْ^١ حِينَئِذٍ آرَاءُ الْجَمْعِ ، فِي تَجْوِيزِ النَّصْبِ وَالرَّفْعِ ، فَتَقَالَتْ
فِرْقَةٌ : رَفَعُهُمَا هُوَ الصَّوَابُ ، وَقَالَتْ طَائِفَةٌ : لَا يَتَجَوَّزُ فِيهِمَا إِلَّا
الانْتِصَابُ ، وَاسْتَبَنَّهُمْ عَلَى آخَرِينَ الْجَوَابُ ، وَاسْتَعَرَّ بَيْنَهُمُ الاِصْطِخَابُ .
وَذَلِكَ الْوَاعِلُ يُبْذِي ابْتِسَامَ ذِي مَعْرِفَةٍ ، وَإِنْ لَمْ يَقْهُ بِبَيِّنَةٍ شَفَةِ .
حَتَّى إِذَا سَكَنَتِ الزَّمَا جِرُ ، وَصَمَتَ الْمَرْجُورُ وَالزَّاجِرُ ، قَالَ : « يَا
قَوْمُ أَنَا أَنْبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ ، وَأُمَيِّزُ صَحِيحَ الْقَوْلِ مِنْ عَالِيهِ ، إِنَّهُ
لَيَتَجَوَّزُ رَفْعُ الْوَصْلَيْنِ وَنَصْبُهُمَا^٢ ، وَالْمُغَايَرَةُ فِي الْإِعْرَابِ بَيْنَهُمَا ، وَذَلِكَ
بِحَسَبِ اخْتِلَافِ الْإِضْمَارِ ، وَتَقْدِيرِ الْمَحْذُوفِ فِي هَذَا الْمِضْمَارِ » .

قَالَ : فَفَرَطُ^٣ مِنَ الْجَمَاعَةِ إِفْرَاطُ^٤ فِي مُمَارَاتِهِ^٥ ، وَانْخِرَاطُ^٦ إِلَى
مُبَارَاتِهِ . فَقَالَ : « أَمَّا إِذَا دَعَوْتُمْ^٧ نَزَالَ^٨ ، وَتَلَبَّيْتُمْ^٩ لِلنِّضَالِ ، فَمَا
كَلِمَةٌ هِيَ إِلَّا شِئْتُمْ حَرْفَ مَحْبُوبٍ^٩ ، أَوْ اسْمٌ لِمَا فِيهِ حَرْفُ حَلُوبٍ^٩ ؟

١ تشعبت : تفرقت .

٢ يجوز رفع الوصلين ونصبهما الخ ... : أودع سيبويه هذه المسألة النحوية في كتابه، وجوز في إعرابها
أربعة أوجه ، أحدها وهو أجودها ، أن تنصب الوصل الأول على أنه خبر كان وهي واسمها محذوفان ،
وترفع الوصل الثاني على أنه خبر مبتدأ محذوف ، والوجه الثاني أن تنصبهما جميعاً ، على تقدير إن
كان جزائي منه وصل ، فأنا أجزيه وصل ؛ والوجه الثالث أن ترفعهما جميعاً ، على تقدير إن كان
لي منه وصل ، فجزاؤه وصل ؛ والوجه الرابع ، وهو أضعفها ، أن ترفع الوصل الأول على ما تقدم
شرحه في الوجه الثالث ، وتنصب الثاني على ما تقدم شرحه في الوجه الثاني ، ويكون التقدير إن كان
لي منه وصل ، فأنا أجزيه وصل .

٣ فرط : سبق .

٤ الإفراط : تجاوز الحد .

٥ مماراته : مجادلته .

٦ انخرط : أي إقبال .

٧ نزال : للأمر أي انزل ، مبني على الكسر ؛ يقال ذلك في الدعوة إلى المبارزة في الحرب .

٨ تلبيت : يقال تلبى الرجل للحرب أي تشمر وتحزم لها .

٩ حرف محبوب : أي نعم ، فهي حرف يراد به التصديق أو الوعد عند السؤال . حرف حلوب :

أي النعم وهي الإبل أو كل ماشية فيها إبل ، والحرف : الناقة الضامرة .

وأيُّ اسمٍ يَتَرَدَّدُ بَيْنَ فَرْدٍ حَازِمٍ ، وَجَمْعٍ مُلَازِمٍ^١ ؟ وأَيَّةُ هَاءٍ إِذَا التَّحَقَّقَتْ ،
أَمَاطَتْ الثَّقَلَ ، وَأُطْلِقَتْ الْمُعْتَقَلُ^٢ ؟ وفي أَيِّ مَوَاطِنٍ تَلْبَسُ الذُّكْرَانُ ،
بَرَاقِعِ النَّسْوَانِ ؛ وَتَبَرُّزُ رَبَّاتِ الْحِجَالِ ، بَعَمَائِمِ الرِّجَالِ^٣ ؟ »

قالَ الْمُخْبِرُ بِهَذِهِ الْحِكَايَةِ : فَوَرَدَ عَلَيْنَا مِنْ أَحَاجِيهِ^٤ اللَّاتِي هَالَتْ^٥ ،
لَمَّا انْهَالَتْ ، مَا حَارَتْ لَهُ^٦ الْأَفْكَارُ وَحَالَتْ^٦ . فَلَمَّا أَعْجَزْنَا الْعَوْمُ^٧ فِي بَحْرِهِ ،
وَاسْتَسَلَمَتْ تَمَائِمُنَا لِسِحْرِهِ^٧ ، عَدَلْنَا^٨ مِنْ اسْتِثْقَالِ الرَّوْيَةِ لَهُ^٩ ، إِلَى
اسْتِثْزَالِ الرَّوَايَةِ عَنْهُ^٩ ؛ وَمِنْ بَغْيِ التَّبَرُّمِ بِهِ^٩ ، إِلَى ابْتِغَاءِ التَّعَلُّمِ مِنْهُ^٩ .
فَقَالَ : « وَالَّذِي نَزَلَ النَّحْوُ^{١٠} فِي الْكَلَامِ ، مَسْزِلَةٌ الْمِلْحِ فِي الطَّعَامِ ،
وَحَاجَبَةٌ عَنْ بَصَائِرِ الطَّغَامِ^{١١} ، لَا أَنْتُسِكُمْ^{١١} مَرَامًا ، وَلَا شَقِيتُ لَكُمْ^{١١}
غَرَامًا ، أَوْ تُخَوِّلَنِي^{١٢} كُلُّ يَدٍ ، وَيَخْتَصِّنِي كُلُّ مِنْكُمْ^{١٣} بِيَدٍ^{١٣} ، » فَلَمْ

١ حازم : أي ضابط . والمراد بالاسم المتردد بين المفرد والجمع : سراويل ، فقليل إنه مفرد وجمعه سراويلات ، وقيل هو جمع واحده سراويل ، وقوله حازم : لأنه يضم الخصر ويضبطه . وقوله جمع ملازم : أي ممنوع من الصرف .

٢ أماطت : أزالته . المعتقل : أي الممنوع من الصرف . والمراد بذلك مثل جمع صيارف فإنه ممنوع من الصرف ، فإذا لحقته الهاء ، فقلت صيارفة ، خف ثقله ، وأطلق من اعتقاله ، وصرف .

٣ الذكران : جمع ذكر نقيض الأنثى . ربات الحجال : أي النساء صاحبات الخدور . والحجال : جمع حجلة وهي كالحقبة أو خدر العروس . والمراد هنا أول مراتب العدد المضاف وذلك ما بين الثلاثة إلى العشرة ، فإنه يؤنث مع المذكر ، ويذكر مع المؤنث .

٤ أحاجيه : ألغازه ومعنياته ، واحدها أحجية .

٥ هالت : من الهول .

٦ حالت : أي أصابها العقم .

٧ التمايم : جمع تيمة وهي الخرزة تعلق في عنق الولد على اعتقاد أنها ترد عنه العين والسم .

٨ عدلنا : أي رجعنا .

٩ التبرم : التضجر .

١٠ والذي : الواو للقسم ؛ والمراد بالذي نزل النحو : الله تعالى .

١١ الطغام : أوغاد الناس ، للواحد والجمع .

١٢ أو : بمعنى حتى . تخولني : تعطيني بلا منة .

١٣ بيد : أي بنبعة وعطاء .

يَبْقَى فِي الْجَمَاعَةِ إِلَّا مَنْ أذْعَنَ لِحُكْمِهِ ، وَنَبَذَ^١ إِلَيْهِ خُبْرًا كَمَهُ^٢ .
فَلَمَّا حَصَلَتْ تَحْتَ وَكَائِهِ^٣ ، أَضْرَمَ شُعْلَةَ ذَكَائِهِ ، فَكَشَفَ حِينَئِذٍ
عَنْ أَسْرَارِ الْغَايَةِ ، وَبَدَأَ إِعْجَازَهُ ، مَا جَلَّ بِهِ صَدَأُ الْأَذْهَانِ ، وَجَلَّى
مَطْلَعُهُ بِشُورِ الْبُرْهَانِ .

* * *

ثُمَّ إِنَّهُ انْسَابَ انْسِيَابَ الْأَيْمِ^٤ ، وَأَجْفَلَ^٥ إِجْفَالَ الْغَيْمِ^٦ ؛ فَعَلِمْتُ
أَنَّهُ سِرَاجُ سَرُوجٍ ، وَبَدْرُ الْأَدَبِ الَّذِي يَجْتَابُ الْبُرُوجَ^٧ ؛ وَكَانَ قُصَارَانًا^٨
التَّحَرَّقَ لِبُعْدِهِ ، وَالتَّفَرَّقَ مِنْ بَعْدِهِ .

المقامة الرابعة والثلاثون الزبيدية

أَخْبَرَ الْحَرِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ : لَمَّا جُبْتُ الْبَيْدَ^٩ ، إِلَى زَبِيدٍ^{١٠} ، صَحِبَنِي
غُلَامٌ قَدْ كُنْتُ رَبَيْتُهُ إِلَى أَنْ بَلَغَ أَشْدَهُ^{١١} ، وَتَقَفْتُهُ حَتَّى أَكْمَلَ
رُشْدَهُ . وَكَانَ قَدْ أَنْسَ بِأَخْلَاقِي ، وَخَبَرَ مَجَالِبَ وَفَاقِي ، فَلَمْ يَكُنْ
يَتَخَطَّى مَرَامِي ، وَلَا يُخْطِئُ فِي الْمَرَامِي . لَا جَرَمَ^{١٢} أَنْ قُرْبَهُ^{١٣}

١ نَبَذَ : طَرَحَ وَرَمَى .

٢ كَمَهُ : أَيِ خَفِيَ كَمَهُ ، وَهُوَ كُنْيَةٌ عَمَّا أُعْطِيَ مِنَ الْمَالِ الَّذِي كَانَ مَخْبُوءًا فِي كَمِهِ .

٣ حَصَلَتْ : الضَّمِيرُ يَعُودُ عَلَى الْحَبَاءَةِ . الْوَكَاءُ : رِبَاطُ الْقُرْبَةِ وَغَيْرِهَا ، وَالْمُرَادُ هُنَا : رِبَاطُ صِرْتِهِ .

٤ جَلَّ : صَقَلَ .

٥ جَلَّى : كَشَفَ . مَطْلَعُهُ : الضَّمِيرُ يَعُودُ إِلَى مَا جَلَّ .

٦ الْإِيمُ : الْحَيَّةُ .

٧ أَجْفَلَ : جَرَى وَأَسْرَعَ . الْغَيْمُ : أَيِ السَّحَابِ الْخَالِي مِنَ الْمَطَرِ ، يَكُونُ سَرِيعَ الْجَرِيِّ لَخَفَتِهِ .

٨ يَجْتَابُ : يَقْطَعُ . الْبُرُوجُ : أَيِ بُرُوجِ السَّمَاءِ الَّتِي يَنْزِلُ فِيهَا الْبَدْرُ . وَالْمُرَادُ هُنَا : بُرُوجُ الْأَدَبِ أَيِ
أَغْرَاضِهِ وَفَنُونِهِ الرَّفِيعَةِ .

٩ قُصَارَانًا : غَايَتَنَا وَآخِرَ أَمْرِنَا .

١٠ جَبْتُ : قَطَعْتُ .

١١ زَبِيدٌ : بَلَدٌ بِالْيَمَنِ خَصْبٌ كَثِيرُ الْبَسَاتِينِ وَالْمِيَاهِ .

١٢ أَشْدَهُ : قُوَّتُهُ ، مَا بَيْنَ ثَمَانِي عَشْرَةٍ إِلَى ثَلَاثِينَ سَنَةً ، وَاحِدٌ جَاءَ عَلَى بِنَاءِ الْجَمْعِ ، أَوْ جَمَعَ لَا وَاحِدَ لَهُ .

١٣ لَا جَرَمَ : حَقًّا ، لَا مَحَالَةَ .

١٤ الْقُرْبُ : جَمْعُ قُرْبَةٍ أَيِ أَعْمَالِهِ الصَّالِحَةِ ؛ وَهِيَ فِي الْأَصْلِ مَا يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ وَالطَّاعَةِ .

التأطست^١ بصقر^٢، وأخلصته^٣. لتضري^٤ وسفري^٥؛ فألوى^٦ به الدهر^٧ المبيد^٨،
حين ضمتنا زبيد^٩. فلما شالت^{١٠} نعمته^{١١}، وسكنت^{١٢} نامته^{١٣}، بقيت^{١٤} عاماً
لا أسيغ^{١٥} طعاماً، ولا أريغ^{١٦} غلاماً، حتى ألبأتني^{١٧} شوائب^{١٨} الوحدة^{١٩}، ومتاعب^{٢٠}
القومة^{٢١} والقعدة^{٢٢}، إلى أن أعتاض^{٢٣} عن الدر^{٢٤} الحرز^{٢٥}، وأرتاد^{٢٦} من هو سيداد^{٢٧}-
من عوز^{٢٨}. فقصدت^{٢٩} من يبيع^{٣٠} العبيد^{٣١}، بسوق^{٣٢} زبيد^{٣٣}.

* * *

فلاني^١ لأستعرض^٢ الغلمان^٣، وأستعرف^٤ الأثمان^٥؛ إذ عارضني^٦ رجل^٧
قد اختطم^٨ بلثام^٩، وقبض^{١٠} على زند^{١١} غلام^{١٢}، وقال^{١٣} :

من يشتري^١ مني^٢ غلاماً صنعاً؟ في خلقه وخلقه^٣ قد برعاً^٤
بكل^٥ ما نطت^٦ به مضطجعاً^٧، يشفيك^٨ إن قال^٩، وإن قلت^{١٠}، وعى^{١١}
وإن نصيبك^{١٢} عشرة^{١٣}، يقل^{١٤} : لعا، وإن تسمه^{١٥} السعي^{١٦} في النار^{١٧}، سعى^{١٨}

١. التأطست : التصقت .

٢. صفري : أي قلبي ؛ والصفري : العقل ولب القلب .

٣. الحضر : خلاف البادية ، وهنا مأخوذ بمعنى الإقامة ، لأن أهل الحضر مقيمون وأهل البادية مترحلون .

٤. ألوى به : أهلكه .

٥. شالت : ارتفعت وانتصبت . نعمته : باطن قدمه ؛ يقال شالت نعمته : أي مات ، من الكناية ،
لأن باطن القدم ينتصب عند الموت .

٦. النامة : النعمة والصوت ؛ يقال : أسكن الله نأتمه ونأتمه مشددة ، أي أماته .

٧. أريغ : أطلب .

٨. شوائب الوحدة : أي أكدارها .

٩. أرتاد : أطلب .

١٠. أستعرض الغلمان : أي أطلب عرضهم علي .

١١. اختطم : جعل اللثام على خطمه أي أنفه .

١٢. الصنع : الحاذق في الصنعة .

١٣. نطت به : يقال ناط به الأمر ، أي علقه به ، وجعله في عهده . وعى : حفظ .

١٤. لعا : كلمة تقال للعائر ، أي سلمت ونجوت . تسمه : تكلفه .

وَأَنْ تُصَاحِبَهُ ، وَلَوْ يَوْمًا ، رَعَى ؛ وَإِنْ تُقَنَّعَهُ بِظِلْفٍ قَنِعًا^١
 وَهُوَ ، عَلَى الْكَيْسِ الَّذِي قَدْ جَمَعَا ، مَا فَاهَ قَطًّا كَاذِبًا ، وَلَا ادَّعَى^٢
 وَلَا أَجَابَ مَطْمَعًا حِينَ دَعَا ؛ وَلَا اسْتَجَازَ نَثَّ سِرًّا أُودِعَا^٣
 وَطَالَمَا أَبْدَعَ فِيمَا صَنَعَا ، وَفَاقَ فِي النَّثْرِ وَفِي النِّظْمِ مَعَا
 وَاللَّهِ ، لَوْلَا ضَنْكَ عَيْشٍ صَدَعَا ، وَصِيبِيَّةٌ أَضْحَوْا عُرَاةً جُوعَا^٤
 مَا بَعَثَهُ بِمُلْكٍ كَسَرَى أَجْمَعَا

قَالَ : فَلَمَّا تَأَمَّلْتُ خَلْقَهُ الْقَوِيمَ^٥ ، وَحُسْنَهُ الصَّمِيمَ^٦ ، خِلْتُهُ مِنْ
 وَلَدَانِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ، وَقُلْتُ : مَا هَذَا بَشَرًا ، إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ^٧ !
 ثُمَّ اسْتَنْطَقْتُهُ عَنْ اسْمِهِ ، لَا لِرَغْبَةٍ فِي عِلْمِهِ ؛ بَلْ لَأَنْظُرَ أَيْنَ فَصَاحَتُهُ
 مِنْ صَبَاحَتِهِ^٨ ، وَكَيْفَ لَهْجَتُهُ^٩ مِنْ بَهْجَتِهِ ؛ فَلَمْ يَنْطِقْ بِحُلُوةٍ
 وَلَا مُرَّةٍ ، وَلَا فَاهَ قُوَّةَ ابْنِ أُمَّةٍ وَلَا حُرَّةٍ ؛ فَضَرَبْتُ عَنْهُ صَفْحًا^{١٠} ،
 وَقُلْتُ : « قُبْحًا لِعَيْتِكَ^{١١} وَشَقًّا^{١٢} ! » فَغَارَ فِي الضَّحْكَ وَأَنْجَدَ^{١٣} ، ثُمَّ أَنْغَضَ

- ١ رعى : أي رعى الصحبة . تقنعه : ترضيه . الظلف : للبقرة والشاة ونحوهما بمنزلة القدم للإنسان . والمراد أنه يرضى بالشيء القليل .
- ٢ الكيس : الخدق والعقل . ادعى : أي ادعى على غيره شيئاً بغير حق .
- ٣ دعا : فاعله يعود على مطمع . النث : إفشاء الخبر .
- ٤ صدع : أي صدع الفؤاد ، شقه .
- ٥ القويم : المستقيم .
- ٦ الصميم : الخالص .
- ٧ الصباحة : الحسن .
- ٨ لهجته : أي لفظه .
- ٩ أي أعرضت عنه جانباً .
- ١٠ المي : العجز عن أداء الكلام .
- ١١ شقاً : بعداً ، أو إتباع لقبحاً .
- ١٢ غار : أتى الغور ، وهو ما انخفض من الأرض . أنجد : أتى النجد ، وهو ما ارتفع من الأرض ؛ والمعنى أنه ذهب في الضحك كل مذهب .

رَأْسَهُ^١ إِلَيَّ وَأَنْشَدَ :

يَا مَنْ تَلَهَّبَ غَيْظُهُ إِذْ لَمْ أَبْحَ بِاسْمِي لَهُ ؛ مَا هَكَذَا مَنْ يُنْصِفُ !
إِنْ كَانَ لَا يُرْضِيكَ إِلَّا كَشْفُهُ ، فَأَصْنَحْ لَهُ : أَنَا يَوْسُفُ أَنَا يَوْسُفُ^٢
وَلَقَدْ كَشَفْتُ لَكَ الْغِطَاءَ ، فَإِنْ تَكُنْ قَطِينًا عَرَفْتَ ، وَمَا إِخَالُكَ تَعْرِفُ^٣

قال : فَسَرَى عَتْبِي بِشِعْرِهِ ، وَاسْتَبَى لُبِّي بِسِحْرِهِ ، حَتَّى شَدَّهَتْ^٤
عَنِ التَّحْقِيقِ ، وَأَنْسَيْتُ قِصَّةَ يَوْسُفَ الصَّدِيقِ . وَلَمْ يَكُنْ لِي هَمٌّ إِلَّا^٥
مُسَاوَمَةَ مَوْلَاهُ فِيهِ ، وَاسْتِطْلَاعَ طِلْعِ الثَّمَنِ^٦ لِأُوقِيهِ ؛ وَكُنْتُ أَحْسِبُ
أَنَّهُ سَيَنْظُرُ شَرْرًا إِلَيَّ ، وَيُغْلِي السِّيمَةَ^٧ عَلَيَّ ، فَمَا حَلَقَ إِلَى حَيْثُ حَلَقْتُ^٨ ،
وَلَا اعْتَلَقَ^٩ بِمَا بِهِ اعْتَلَقْتُ ، بَلْ قَالَ : « إِنْ الْغُلَامَ ، إِذَا نَزَرَ ثَمَنُهُ ،
وَحَقَّتْ مُؤْنُهُ ، تَبَرَّكَ بِهِ مَوْلَاهُ ، وَالتَّحَفَ^{١٠} عَلَيْهِ هَوَاهُ ، وَإِنِّي لِأُؤِيرُ^{١١}
تَحْيِيْبَ هَذَا الْغُلَامِ إِلَيْكَ ، بِأَنْ أَخَقِّفَ ثَمَنَهُ عَلَيْكَ ، فَزِنْ مِائَتِي^{١٢}
دِرْهَمٍ إِنْ شِيتَ ، وَاشْكُرْ لِي مَا حَيَّيْتُ . » فَتَقَدَّثَهُ الْمُبْلَغُ فِي الْحَالِ ،
كَمَا يُنْقَدُّ فِي الرَّخِيصِ الْحَلَالِ ، وَلَمْ يَخْطُرْ لِي بِيَالٍ ، أَنْ كُلَّ مُرْخَصٍ
غَالٍ . فَلَمَّا تَحَقَّقَتِ الصَّفْقَةُ^{١١} ، وَحَقَّتِ^{١٢} الْفُرْقَةُ ، هَمَلْتُ عَيْنَا الْغُلَامِ ،

١ أنفص رأسه : حركه مستهزئاً متعجباً .

٢ أصخ : استمع .

٣ يريد أنه حر لا يجوز بيعه ، ودعا نفسه يوسف إشارة إلى يوسف الصديق الذي باعه إخوته ، وهو حر لا يباع .

٤ سرى : أذهب . عتبي : أي لومي له .

٥ شدهت : دهشت وشغلت .

٦ استطلع طلع الشيء : طلب معرفته .

٧ السيمة : المساومة في البيع .

٨ حلق الطائر : ارتفع في طيرانه واستدار كالحلقة ؛ والمعنى هنا أنه لم يرتفع بفكره إلى حيث ارتفعت .

٩ اعتلق : بمعنى تعلق .

١٠ التحف : أي اشتغل .

١١ الصفقة : أي البيعة .

١٢ حققت : وجبت .

وَلَا هُمُولَ دَمْعِ الْغَمَامِ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى صَاحِبِيهِ وَقَالَ :

لَحَاكَ اللَّهُ ! هَلْ مِثْلِي يُبَاعُ ، لَكَيْمًا تَشْبَعَ الْكَرْشُ الْجِيَاعُ ١
وَهَلْ فِي شِرْعَةٍ الْإِنْصَافِ أَنْتِي أَكَلَفُ خُطَّةً لَا تُسْتَطَاعُ ٢
وَأَنْ أُبْلَى بِرَوْعٍ بَعْدَ رَوْعٍ ، وَمِثْلِي حِينَ يُبْلَى لَا يُرَاعُ ٣
أَمَّا جَرَّبْتَنِي ، فَخَبَّرْتَ مِنِّي نَصَائِحَ لَمْ يُمَازِجْهَا خِدَاعُ ٤
وَكَمْ أُرْصَدْتَنِي شَرَكًا لَصِيدٍ ، فَعُدْتُ ، وَفِي حَبَائِلِي السَّبَاعُ ٥
وَنُطْتُ بِي الْمَصَاعِبَ ، فَاسْتَقَادْتُ مُطَاوِعَةً ، وَكَانَ بِهَا امْتِنَاعُ ٦
وَأَيُّ كَرِيهَةٍ لَمْ أُبَلِّ فِيهَا ، وَغُنْمٌ لَمْ يَكُنْ لِي فِيهِ بَاعُ ٧
وَمَا أَبْدَتَ لِي الْأَيَّامُ جُرْمًا ، فَيُكْشَفُ فِي مُصَارَمَتِي الْقِنَاعُ ٨
وَلَمْ تَعْشُرْ ، بِحَمْدِ اللَّهِ ، مِنِّي عَلَى عَيْبٍ يُكْتَمُ أَوْ يُذَاعُ ٩
فَأَنْتِي سَاغَ عِنْدَكَ نَبْدُ عَهْدِي كَمَا نَبَدْتَ بُرَايَتَهَا الصَّنَاعُ ١٠

* * *

عَلَى أَنْتِي سَنَأُنْشِدُ عِنْدَ بَيْعِي : أَضَاعُونِي ، وَأَيَّ فَتَى أَضَاعُوا !

- ١ يقال لحاه الله : أي قبحه ولعنه . الكرش : الذي الخف والظلف بمنزلة المعدة للإنسان ، ويكنى بها عن عيال الرجل وصغار أولاده ، وهو المراد هنا .
- ٢ الشريعة : الشريعة . الخطئة : الأمر .
- ٣ الروع : الفرع .
- ٤ نطت بي : علقني بي . استقادت : انقادت .
- ٥ الكريهة : أي النازلة المكروهة . لم أبل فيها : أي لم أحسن مقاومتها ودفعتها .
- ٦ مصارمتي : مقاطعتي . يكشف القناع : أي يجاهر .
- ٧ فأنى : فكيف . ساغ : جاز وسهل ولد . البراية : ما يطرح من الشيء الذي يصنع ، لأنه لا ينتفع به ؛ وقوله برأيتها : ارجع الضمير إلى متأخر . الصناعات : المرأة الحاذقة في الصنعة .

قال : فَلَمَّا وَعَى الشَّيْخُ أَبْيَاتَهُ^١ ، وَعَقَلَ^٢ مُنَاغَاتَهُ^٣ ، تَنَفَّسَ الصُّعْدَاءُ ،
وَبَكَى حَتَّى أَبْكَى البُعْدَاءَ . ثُمَّ قَالَ لِي : « إِنِّي أَحَلَّ هَذَا الْغُلَامَ مَحَلَّ^٤
وَلَدِي ، وَلَا أُمَيِّزُهُ عَنْ أَفْلَازِ كَبِيدِي ؛ وَلَوْلَا خُلُوءُ مُرَاحِي^٥ ، وَخُبُوءُ
مِصْبَاحِي^٦ ، لَمَّا دَرَجَ عَنْ عُسِّي^٧ ، إِلَى أَنْ يُشَيِّعَ نَعْشِي . »

* * *

ثُمَّ قَالَ لَهُ : « أَسْتَوْدِعُكَ مَنْ هُوَ نِعَمَ الْمَوْلَى » ؛ وَشَمَّرَ ذَيْلَهُ^٨
وَوَلَّى . فَلَبِثَ الْغُلَامُ فِي زَفِيرٍ وَعَوِيلٍ ، رَيْشَمَا يَقْطَعُ مَدَى مِيلٍ^٩ . فَلَمَّا
اسْتَفَاقَ ، وَكَفَّكَ دَمْعُهُ الْمُهْرَاقَ ؛ قَالَ : « أَتَدْرِي لِمَ أَعَوْلْتُ^{١٠} ،
وَعَلَامَ عَوَّلْتُ ؟ » فَقُلْتُ : « أَظُنُّ فِرَاقَ مَوْلَاكَ ، هُوَ الَّذِي أَبْكَاكَ . »
فَقَالَ : « إِنَّكَ لَفِي وَادٍ وَأَنَا فِي وَادٍ ، وَاسْكُمُ بَيْنَ مُرِيدٍ وَمُرَادٍ^{١١} . » ثُمَّ
أَنْشَدَ :

لَمْ أَبْكِ ، وَاللَّهِ ، عَلَى الْفِ نَزَحَ ، وَلَا عَلَى فَوْتِ نَعِيمٍ وَفَرَحَ
وَأَنَّمَا مَدَمْعُ أَجْفَانِي سَقَحَ عَلَى غَيْبِي^{١٢} ، لَحْظُهُ حِينَ طَمَحَ
وَرَطَهُ ، حَتَّى تَعَنَّى ، وَافْتَضَحَ ، وَضَيَّعَ الْمَنْقُوشَةَ الْبَيْضَ الْوَضَحَ^{١٣}
وَيْكَ ! أَمَا نَاجَشْتُكَ هَاتِيكَ الْمُلْحَ ، بِأَنِّي حُرٌّ وَبَيْعِي لَمْ يُبَحْ^{١٤} ؟
إِذْ كَانَ فِي يُوسُفَ مَعْنَى قَدْ وَضَحَ

١ عقل : أدرك .

٢ مناغاته : أي كلامه ، وأصله من ناغى الطفل : كلمه بما يعجبه ويسره .

٣ مراحي : مسكني .

٤ الخبو : الخمود ؛ ويريد يخبو مصباحه شيخوخته وضعفه .

٥ أي أنه ظل يبكي مدة يبتعد بها صاحبه الشيخ مقدار ميل .

٦ ورطه : أوقعه في ورطة ، وهي الأمر الذي يصعب الخلاص منه . تعنى : تعب . المنقوشة : يريد بها الدراهم . البيض الوضح : أي النقية البيضاء .

٧ ويك : وي كلمة تعجب أو زجر ، والكاف حرف خطاب . الملح : الكلمات المستملحة ، ويريد بها الشعر الذي تعرف به إليه .

قال : فَتَمَثَّلْتُ مَقَالَهٗ فِي مِرْآةِ الْمُدَاعِيبِ ، وَمَعْرِضِ الْمُلَاعِيبِ .
فَتَصَلَّبَ تَصَلَّبَ الْحَقِّ ، وَتَبَرَّأَ مِنْ طِينَةِ الرَّقِّ . فَجَلُّنَا فِي مُخَاصَمَةٍ ،
اتَّصَلَتْ بِمُلَاكَمَةٍ ، وَأَفْضَتْ إِلَى مُحَاكَمَةٍ . فَلَمَّا أَوْضَحْنَا لِلْقَاضِي الصُّورَةَ ،
وَتَلَوْنَا عَلَيْهِ السُّورَةَ^١ ، قَالَ : « أَلَا إِنَّ مَنْ أَنْذَرَ ، فَقَدْ أَعَذَّرَ^٢ ، وَمَنْ
حَذَّرَ ، كَمَنْ بَشَّرَ ، وَمَنْ بَصَّرَ^٣ ، فَمَا قَصَّرَ . وَإِنْ فِيمَا شَرَحْتُمَاهُ
لَدَلِيلًا عَلَى أَنَّ هَذَا الْغُلَامَ قَدْ نَبَّهَكَ فَمَا ارْعَوَيْتَ ، وَنَصَحَ لَكَ فَمَا
وَعَيْتَ . فَاسْتُرْ دَاءَ بَلَهِكَ وَاكْتُمْنَاهُ ، وَلَمْ نَفْسِكَ وَلَا تَكُفُّهُ ، وَحَذَارِ
مِنْ اعْتِلَاقِهِ^٤ ، وَالطَّمَعِ فِي اسْتِرْقَاقِهِ ؛ فَإِنَّهُ حُرٌّ الْأَدِيمِ^٥ ، غَيْرُ مُعَرَّضٍ
لِلتَّقْوِيمِ^٦ . وَقَدْ كَانَ أَبُوهُ أَحْضَرَهُ أَمْسِرَ ، قُبَيْلَ أَفْوَلِ الشَّمْسِ ،
وَاَعْتَرَفَ بِأَنَّهُ فَرَعُهُ الَّذِي أَنْشَاهُ ، وَأَنْ لَا وَارِثَ لَهُ سِوَاهُ . »
فَقُلْتُ لِلْقَاضِي : « أَوْتَعْرِفُ أَبَاهُ ؟ أَخْزَاهُ اللَّهُ ! » فَقَالَ : « وَهَلْ
يُجْهَلُ أَبُو زَيْدٍ الَّذِي جُرْحُهُ جُبَارٌ^٧ ، وَعِنْدَ كُلِّ قَاضٍ لَهُ أَخْبَارٌ وَإِخْبَارٌ^٨ ! »
فَسَحَرَقْتُ^٩ حِينَئِذٍ وَحَوَّلَقْتُ^{١٠} ، وَأَفَقْتُ وَلَكِنْ حِينَ فَاتِ الْوَقْتِ .
وَأَيْقَنْتُ أَنَّ لِيثَامَهُ كَانَ شَرَكٌ مَكِيدَتِهِ ، وَبَيْتَ قَصِيدَتِهِ^{١١} . فَتَكَسَّ
طَرَفِي مَا لَقَيْتُ ، وَآلَيْتُ^{١٢} أَنْ لَا أَعَامِلَ مُلْتَمًا مَا بَقِيَتْ .

١ السورة : يريد بها القصة .

٢ أعذر : صار معذوراً .

٣ بصر : عرف الأمر وأوضحه .

٤ اعتلّقه : إمساكه .

٥ الأديم : الجلد ، وهو هنا بمعنى الأصل .

٦ للتقويم : أي ليجعل له قيمة في البيع .

٧ جبار : هدر لا قصاص فيه .

٨ إخبار بالكسر : إعلام .

٩ تحرقت : سحقت أنيابي حتى سمع لها صريف .

١٠ حولقت : أي قلت لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم .

١١ بيت قصيدته : أي أغرب حيله .

١٢ آليت : حلفت .

ابن الأثير

المثل السائر

ميزة الكتاب

وهتداني اللهُ لاِبْتِدَاعِ أَشْيَاءَ لَمْ تَكُنْ مِنْ قَبْلِي مُبْتَدَعَةً ، وَمَنْعَنِي
دَرَجَةَ الاجْتِهَادِ الَّتِي لَا تَكُونُ أَقْوَالُهَا تَابِعَةً وَإِنَّمَا هِيَ مُتَّبَعَةٌ . وَكُلُّ
ذَلِكَ يَظْهَرُ عِنْدَ الْوُقُوفِ عَلَى كِتَابِي هَذَا وَعَلَى غَيْرِهِ مِنْ الْكُتُبِ .
وَقَدْ بَنَيْتُهُ عَلَى مُقَدِّمَةٍ وَمَقَالَتَيْنِ ، فَالْمُقَدِّمَةُ تَشْتَمِلُ عَلَى أَصُولِ
عِلْمِ الْبَيَانِ ؛ وَالْمَقَالَتَانِ تَشْتَمِلَانِ عَلَى فُرُوعِهِ : فَالْأُولَى فِي الصَّنَاعَةِ
اللَفْظِيَّةِ ، وَالثَّانِيَّةُ فِي الصَّنَاعَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ . وَلَا أَدْعِي ، فِيمَا أَلْفَتْهُ مِنْ
ذَلِكَ ، فَضِيلَةَ الْإِحْسَانِ ، وَلَا السَّلَامَةَ مِنْ سَلْقِ اللِّسَانِ ؛ فَإِنَّ الْفَاضِلَ
مَنْ تَعَدَّ سَقَطَاتِهِ ، وَتُحْصَى غَلَطَاتُهُ .

وَيُسَيِّءُ بِالْإِحْسَانِ ظَنًّا ، لَا كَمَنْ هُوَ بَابِنِهِ وَبِشِعْرِهِ مَفْتُونٌ^٢

وإِذَا تَرَكْتُ الْهَوَى قُلْتُ : إِنَّ هَذَا الْكِتَابَ بَدِيعٌ فِي إِغْرَابِهِ ، وَلَيْسَ
لَهُ صَاحِبٌ فِي الْكُتُبِ فَيُقَالُ إِنَّهُ مِنْ أَخْدَانِهِ^٣ أَوْ مِنْ أَتْرَابِهِ^٤ ، مُفْرَدٌ
بَيْنَ أَصْحَابِهِ . وَمَعَ هَذَا فَإِنِّي أَتَيْتُ بِظَاهِرِ هَذَا الْعِلْمِ دُونَ خَافِيهِ ، وَحُمْتُ

١ سلق اللسان : أذيته ، أي النقد اللاذع .

٢ هذا البيت من قصيدة لأبي تمام في مدح الوراق .

٣ أخدانه : أصحابه .

٤ أترابه : رفقاؤه من عمره .

حَوْلَ حِمَاهُ وَلَمْ أَقَعْ فِيهِ : إِذِ الْغَرَضُ إِنَّمَا هُوَ الْحُصُولُ عَلَى تَعْلِيمِ الْكَلِمِ
الَّتِي بِهَا تُنَظَّمُ الْعُقُودُ وَتُرَضَّعُ ، وَتُخَلَّبُ الْعُقُولُ فَتُخَدَّعُ ؛ وَذَلِكَ شَيْءٌ
تُحِيلُ عَلَيْهِ الْخَوَاطِرُ ، وَلَا تُنطِقُ بِهِ الدَّفَاتِرُ .

وَأَعْلَمُ ، أَيُّهَا النَّاطِرُ فِي كِتَابِي ، أَنَّ مَدَارَ عِلْمِ الْبَيَانِ عَلَى حَاكِمِ
الذَّوْقِ السَّلِيمِ ، الَّذِي هُوَ أَنْفَعُ مِنْ ذَوْقِ التَّعْلِيمِ . وَهَذَا الْكِتَابُ ، وَإِنْ
كَانَ فِيمَا يُلْقِيهِ إِلَيْكَ أَسْتَاذًا ، وَإِذَا سَأَلْتَ عَمَّا يُنْتَفَعُ بِهِ فِي فَنِّهِ قِيلَ لَكَ :
هَذَا ، فَإِنَّ الدَّرَبَةَ وَالْإِدْمَانَ أَجْدَى عَلَيْكَ نَفْعًا ، وَأَهْدَى بَصَرًا وَسَمْعًا ،
وَهُمَا يُرِيَانِكَ الْخَبَرَ عَيَانًا ، وَيَجْعَلَانِ عُسْرَكَ مِنَ الْقَوْلِ إِمْكَانًا ، وَكُلَّ
جَارِحَةٍ مِنْكَ قَلْبًا وَلِسَانًا^٢ . فَخُذْ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ مَا أَعْطَاكَ ، وَاسْتَنْبِطْ
بِإِدْمَانِكَ مَا أَخْطَاكَ^٣ . وَمَا مَثَلِي ، فِيمَا مَهَّدْتُهُ لَكَ مِنْ هَذِهِ الطَّرِيقِ ،
إِلَّا كَمَنْ طَبَعَ سَيْفًا وَوَضَعَهُ فِي يَمِينِكَ لَتُقَاتِلَ بِهِ ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ أَنْ
يَخْلُقَ لَكَ قَلْبًا ؛ فَإِنَّ حَمْلَ التَّصَالِ ، غَيْرُ مُبَاشَرَةِ الْقِتَالِ .

اللفظة المفردة

وَقَدْ رَأَيْتُ جَمَاعَةً مِنَ الْجُهَّالِ إِذَا قِيلَ لِأَحَدِهِمْ : إِنَّ هَذِهِ اللَّفْظَةَ
حَسَنَةٌ وَهَذِهِ قَبِيحَةٌ : أَنْكَرَ ذَلِكَ وَقَالَ : كُلُّ الْأَلْفَافِ حَسَنٌ ، وَالْوَاضِعُ
لَمْ يَضَعْ إِلَّا حَسَنًا . وَمَنْ يَبْلُغْ جَهْلُهُ إِلَى أَنْ لَا يَفَرِّقَ بَيْنَ لَفْظَةِ الْغُصْنِ
وَلَفْظَةِ الْعُسْلُوجِ ؛ وَبَيْنَ لَفْظَةِ الْمُدَامَةِ وَلَفْظَةِ الْإِسْفِنْطِ ؛ وَبَيْنَ لَفْظَةِ
السَّيْفِ وَلَفْظَةِ الْخَنْسَلِيلِ ؛ وَبَيْنَ لَفْظَةِ الْأَسَدِ وَلَفْظَةِ الْفَدَاوِكْسِ ،
فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُخَاطَبَ بِخَطَابٍ وَلَا يُجَاوَبَ بِجَوَابٍ ، بَلْ يُتْرَكُ وَشَأْنُهُ كَمَا
قِيلَ : اتْرُكُوا الْجَاهِلَ بِجَهْلِهِ ، وَلَوْ أَلْقَى الْجَعْرَ فِي رَحْلِهِ^٤ . وَمَا مِثَالُهُ ،

١ تحيل عليه الخواطر : أي تعقم لا تلد .

٢ قوله : كل جارحة قلباً ولساناً ، أي فيها الإدراك والفصاحة .

٣ ما أخطأك : ما أخطأك ، أي ما فاتك .

٤ الجعر : البحر اليابس . رحله : منزله ، أو رحل ناقته .

في هذا المقام ، إلا كمن يسوي بين صورة زنجية سوداء مظلمة
السواد شوهاء الخلق ، ذات عين محمرة ، وشفة غليظة كأنها كلوة^١ ،
وشعر ققط^٢ كأنه زبيبة^٣ ؛ وبين صورة رومية بيضاء مشربة بحمرة^٤
ذات خد أسيل^٣ ، وطرف كحيل ، ومبسم كأنما نظم من أقاح^٤ ،
وطرة كأنها ليل على صباح . فإذا كان بإنسان من سقم النظر أن
يسوي بين هذه الصورة وهذه ، فلا يبعد أن يكون به من سقم
الفكر أن يسوي بين هذه الألفاظ وهذه ؛ ولا فرق بين النظر والسمع
في هذا المقام ؛ فإن هذا حاسة وهذا حاسة ، وقياس حاسة على حاسة مناسب .
فإن عاند معاند في هذا وقال : أغراض الناس مختلفة فيما يختارونه
من هذه الأشياء ؛ وقد يعشق الإنسان صورة الزنجية التي ذممتها ،
ويفضلها على صورة الرومية التي وصفتها ؛ قلت في الجواب : نحن
لا نحكم على الشاذ النادر الخارج عن الاعتدال ، بل نحكم على
الكثير الغالب ؛ وكذلك إذا رأينا شخصاً يحب أكل الفحش مثلاً أو أكل
الجص والتراب ، ويختار ذلك على ملاذ الأطعمة ، فهل نستجيد
هذه الشهوة أو نحكم عليه بأنه مريض قد فسدت معدته وهو
محتاج إلى علاج ومداواة ؟
ومن له أدنى بصيرة يعلم أن للألفاظ في الأذن نغمة لذيذة
كنغمة أوتار ، وصوتاً منكراً كصوت حمار ؛ وأن لها في الفم أيضاً حلاوة
كحلاوة العسل ، ومرارة كمرارة الحنظل ؛ وهي على ذلك تجري
متجرى النغمات والطعوم .

١ شعر ققط : أي قصير جعد ك شعر الزوج .

٢ مشربة بحمرة : الذي في كتب اللغة مشربة حمرة بغير تعدية .

٣ الأسيل : الخد اللين الطويل .

٤ أقاح : جمع أقحوان وهو نبت أصفر الزهر ، في وسطه وحواليه ورق أبيض تشبه به الأسنان في حسن
نظمها وبياضها .

المنافرة بين الالفاظ

وهذا النوع لم يُحَقِّقْ أَحَدٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْبَيَانِ الْقَوْلَ فِيهِ ؛ وَغَايَةُ مَا يُقَالُ : إِنَّهُ يُنْبَغِي أَنْ لَا تَكُونِ الْأَلْفَاظُ نَافِرَةً عَنْ مَوَاضِعِهَا ، ثُمَّ يُكْتَفَى بِهَذَا الْقَوْلِ مِنْ غَيْرِ بَيَانٍ وَلَا تَفْصِيلٍ ، حَتَّى إِنَّهُ قَدْ خُلِطَ هَذَا النَّوعُ بِالْمُعَاطَلَةِ ؛ وَكُلُّ مِنْهُمَا نَوْعٌ مُفْرَدٌ بِرَأْسِهِ ، لَهُ حَقِيقَةٌ تَخُصُّهُ ، إِلَّا أَنَّهُمَا قَدْ اشْتَبَهَا عَلَى عُلَمَاءِ الْبَيَانِ ، فَكَيْفَ عَلَى جَاهِلٍ لَا يَعْلَمُ . وَقَدْ بَيَّنْتُ هَذَا النَّوعَ وَفَصَّلْتُهُ عَنْ الْمُعَاطَلَةِ ، وَضَرَبْتُ لَهُ أُمثلةً يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى أَخَوَاتِهَا وَمَا يَجْرِي مَجْرَاهَا .

وَجُمْلَةُ الْأَمْرِ أَنْ مَدَارَ سَبْكِ الْأَلْفَاظِ عَلَى هَذَا النَّوعِ وَالَّذِي قَبْلَهُ دُونَ غَيْرِهِمَا مِنْ تِلْكَ الْأَنْوَاعِ الْمَذْكُورَةِ ؛ لِأَنَّ هَذَيْنِ النَّوعَيْنِ أَصْلًا سَبْكِ الْأَلْفَاظِ ، وَمَا عَدَاهُمَا فَرَعٌ عَلَيْهِمَا . وَإِذَا لَمْ يَكُنِ النَّائِرُ أَوْ النَّاطِمُ عَارِفًا بِهِمَا ، فَإِنَّ مَقَاتِلَهُ^١ تَبْدُو كَثِيرًا .

وَحَقِيقَةُ هَذَا النَّوعِ الَّذِي هُوَ الْمُنَافَرَةُ أَنْ يُذَكَّرَ لَفْظٌ أَوْ أَلْفَاظٌ يَكُونُ غَيْرُهَا ، مِمَّا هُوَ فِي مَعْنَاهَا ، أَوَّلَى بِالذِّكْرِ . وَعَلَى هَذَا فَإِنَّ الْفَرْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُعَاطَلَةِ أَنَّ الْمُعَاطَلَةَ هِيَ التَّرَاكُبُ وَالتَّدَاخُلُ إِمَّا فِي الْأَلْفَاظِ أَوْ فِي الْمَعَانِي ، عَلَى مَا أَشَرْتُ إِلَيْهِ . وَهَذَا النَّوعُ لَا تَرَاكُبَ فِيهِ ، وَإِنَّمَا هُوَ إِيرَادُ الْأَلْفَاظِ غَيْرِ لَائِقَةٍ بِمَوَاضِعِهَا الَّذِي تَرَدُّ فِيهِ ؛ وَهُوَ يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ : أَحَدُهُمَا يُوجَدُ فِي اللَّفْظَةِ الْوَاحِدَةِ ، وَالْآخَرُ فِي الْأَلْفَاظِ الْمُتَعَدِّدَةِ . فَأَمَّا الَّذِي يُوجَدُ فِي اللَّفْظَةِ الْوَاحِدَةِ فَإِنَّهُ إِذَا وَرَدَ فِي الْكَلَامِ ، أُمِكنَ تَبْدِيلُهُ بِغَيْرِهِ مِمَّا هُوَ فِي مَعْنَاهُ ، سَوَاءٌ كَانَ ذَلِكَ الْكَلَامُ نَشْرًا أَوْ نَظْمًا . وَأَمَّا الَّذِي يُوجَدُ فِي الْأَلْفَاظِ الْمُتَعَدِّدَةِ فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُ تَبْدِيلُهُ بِغَيْرِهِ فِي الشَّعْرِ بَلْ يُمْكِنُ ذَلِكَ فِي النَّشْرِ خَاصَّةً ؛ لِأَنَّهُ يَعْسُرُ فِي الشَّعْرِ مِنْ أَجْلِ الْوَزْنِ .

١ مقاتله . أي مواضع الضعف فيه .

فَمِمَّا جَاءَ مِنْ الْقِسْمِ الْأَوَّلِ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي :
 فَلَا يُبْرَمُ الْأَمْرُ الَّذِي هُوَ حَالِلٌ ، وَلَا يُحْلَلُ الْأَمْرُ الَّذِي هُوَ يُبْرَمُ
 فَلَفْظَةُ حَالِلٌ نَافِرَةٌ عَنْ مَوْضِعِهَا ، وَكَانَتْ لَهُ مَسْدُوحَةٌ^١ عَنْهَا ،
 لِأَنَّهُ لَوْ اسْتَعْمَلَ عِوَضًا عَنْهَا لَفْظَةُ نَاقِضٌ فَقَالَ :
 فَلَا يُبْرَمُ الْأَمْرُ الَّذِي هُوَ نَاقِضٌ ، وَلَا يُنْقَضُ الْأَمْرُ الَّذِي هُوَ يُبْرَمُ
 لَجَاءَتِ اللَّفْظَةُ قَارَةً فِي مَسَاكِنِهَا غَيْرَ قَلْقَةٍ وَلَا نَافِرَةٍ .
 وَبَلَغَنِي عَنْ أَبِي الْعَلَاءِ بْنِ سُلَيْمَانَ الْمَعْرِيِّ أَنَّهُ كَانَ يَتَعَصَّبُ لِأَبِي
 الطَّيِّبِ ، حَتَّى إِنَّهُ كَانَ يُسَمِّيهِ الشَّاعِرَ وَيُسَمِّي غَيْرَهُ مِنْ الشُّعْرَاءِ
 بِاسْمِهِ ، وَكَانَ يَقُولُ : لَيْسَ فِي شِعْرِهِ لَفْظَةٌ يُمَكِّنُ أَنْ يَقُومَ عَنْهَا
 مَا هُوَ فِي مَعْنَاهَا فَيَجِيءَ حَسَنًا مِثْلَهَا . فَيَا لَيْتَ شِعْرِي ، أَمَا وَقَفَ عَلَى هَذَا
 الْبَيْتِ الْمُشَارِ إِلَيْهِ ؟ لَسَكِنَ الْهَوَى . كَمَا يُقَالُ ، أَعْمَى ؛ وَكَانَ أَبُو الْعَلَاءِ
 أَعْمَى الْعَيْنِ خِلْقَةً ، وَأَعْمَاهَا عَصَبِيَّةٌ ، فَاجْتَمَعَ لَهُ الْعَمَى مِنْ جِهَتَيْنِ .
 وَهَذِهِ اللَّفْظَةُ الَّتِي هِيَ حَالِلٌ وَمَا يَجْرِي مَجْرَاهَا قَبِيحَةٌ الْاسْتِعْمَالِ ،
 وَهِيَ فَكٌّ الْإِدْغَامِ فِي الْفِعْلِ الثَّلَاثِي ، وَنَقْلُهُ إِلَى اسْمِ الْفَاعِلِ ، وَعَلَى هَذَا
 فَلَا يَحْسُنُ أَنْ يُقَالَ : بَلَّ الثَّوْبَ فَهُوَ بِالِلْ ، وَلَا سَلَّ السِّيفَ فَهُوَ سَالِلٌ ؛
 وَلَا أَنْ يُقَالَ : هَمَّ بِالْأَمْرِ فَهُوَ هَامِمٌ ، وَلَا خَطَّ الْكِتَابَ فَهُوَ خَاطِيطٌ ،
 وَلَا حَنَّ إِلَى كَذَا فَهُوَ حَانِنٌ . وَهَذَا لَوْ عُرِضَ عَلَى مَنْ لَا ذَوْقَ لَهُ
 لَأَدْرَكَهُ وَفَهِمَهُ ، فَكَيْفَ مَنْ لَهُ ذَوْقٌ صَحِيحٌ كَأَبِي الطَّيِّبِ ! لَكِنْ
 لَا بُدَّ لِكُلِّ جَوَادٍ مِنْ كِبْوَةٍ .

١ المندوحة : المتسع من الشيء .

أبو تمام والبحري والمتنبي

وَقَدْ اكْتَفَيْتُ فِي هَذَا بِشِعْرِ أَبِي تَمَّامٍ حَبِيبِ بْنِ أَوْسٍ ، وَأَبِي عُبَادَةَ الْوَلِيدِ ، وَأَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّئِي ؛ وَهَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ هُمْ لَاتُ الشَّعْرِ وَعِزَّاهُ وَمَنَاتُهُ^١ ، الَّذِينَ ظَهَرَتْ عَلَى أَيْدِيهِمْ حَسَنَاتُهُ وَمُسْتَحْسَنَاتُهُ . وَقَدْ حَوَتْ أَشْعَارُهُمْ غَرَابَةَ الْمُحَدِّثِينَ إِلَى فَصَاحَةِ الْقُدَمَاءِ ، وَجَمَعَتْ بَيْنَ الْأَمْثَالِ السَّائِرَةِ وَحِكْمَةِ الْحُكَمَاءِ .

أَمَّا أَبُو تَمَّامٍ فَإِنَّهُ رَبَّ مَعَانٍ وَصَيْقَلُ الْبَابِ^٢ وَأَذْهَانٌ ، وَقَدْ شَهِدَ لَهُ بِكُلِّ مَعْنَى مُبْتَسِكٍ ، لَمْ يَمُشْ فِيهِ عَلَى أَثَرٍ ؛ فَهُوَ غَيْرُ مُدَافِعٍ عَنْ مَقَامِ الْإِغْرَابِ ، الَّذِي بَرَزَ فِيهِ عَلَى الْأَضْرَابِ . وَلَقَدْ مَارَسْتُ مِنَ الشَّعْرِ كُلَّ أَوَّلٍ وَآخِرٍ ، وَلَمْ أَقُلْ مَا أَقُولُ فِيهِ إِلَّا عَنْ تَنْقِيبٍ وَتَنْقِيرٍ ؛ فَمَنْ حَفِظَ شِعْرَ الرَّجُلِ ، وَكَشَفَ عَنْ غَامِضِهِ ، وَرَاضَ فِكْرَهُ بِرَأْضِهِ^٣ ، أَطَاعَتْهُ أَعْيُنُهُ الْكَلَامِ ، وَكَانَ قَوْلُهُ فِي الْبَلَاغَةِ مَا قَالَتْ حَذَامٌ^٤ . فَخُذْ مِنِّي فِي ذَلِكَ قَوْلَ حَكِيمٍ ، وَتَعَلَّمْ ، فَتَقَوَّ كُلَّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ .

وَأَمَّا أَبُو عُبَادَةَ الْبُحْرِيُّ فَإِنَّهُ أَحْسَنَ فِي سَبْكِ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى ، وَأَرَادَ أَنْ يَشْعُرَ فَعَنَى ، وَلَقَدْ حَازَ طَرَفِي الرِّقَّةَ وَالْجَزَالَ^٥ عَلَى الْإِطْلَاقِ ؛ فَبَيْنَمَا يَكُونُ فِي شَظْلَفٍ نَجْدٍ^٦ إِذْ تَشَبَّثَ بِرَيْفِ الْعِرَاقِ^٧ . وَسُئِلَ أَبُو

١ اللات : الصخرة التي كانت تعبدها ثقيف في الطائف ، ولها بيت يعرف ببيت الربة . العزى : هي أعظم الأصنام عند قريش ، وكانوا يزورونها ويهدون لها ، ويتقربون عندها بالدبح . وقد بني عليها بيت . مناة : أقدم الأصنام ، وكان منصوباً على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد بين مكة والمدينة . وكانت العرب جميعاً تعظمه ، ولا سيما الأوس والخزرج . والمراد هنا أن هؤلاء الشعراء الثلاثة هم أرباب الشعر المفضلون .

٢ الصيقل : الذي يشحذ السيوف ويجلوها . الألباب : العقول .

٣ برأضه : الضمير يعود على شعر الرجل ، والرائض اسم فاعل من راضه رياضة : ذلله وجعله طيعاً .

٤ حذام : علم لامرأة ، مبنئ على الكسر ، يضرب بها المثل في صدق القول ، قيل إنها زرقاء اليمامة .

٥ الجزالة : متانة الألفاظ وبعدها من الركاقة .

٦ شظلف نجد : أي في خشونة شعراء نجد وشدتهم .

٧ الريف : الأرض التي فيها زرع وخصب . وقوله في ريف العراق : أي في رقة شعراء العراق وليتهم .

الطيب المتنبّي عنه وعن أبي تمام وعن نفسه ، فقال : أنا وأبو تمام
 حكيّمان ، والشاعر البحتري . ولعمري إنه أنصف في حكمه ،
 وأعرب بقوله هذا عن متانة علمه ؛ فإن أبا عبادة أتى في شعره
 بالمعنى المقدود من الصخرة الصماء^١ ، في اللفظ المصوغ من سلاسة
 الماء ، فأدرك بذلك بُعد المرام ، مع قربه إلى الأفهام . وما أقول إلا أنه
 أتى في معانيه بأخلاق الغالية^٢ ، ورقي في دياجته لفظه إلى الدرجة العالية .
 وأما أبو الطيب المتنبّي فإنه أراد أن يسلك مسلك أبي تمام ،
 فقصرت عنه خطاه ، ولم يعطيه الشعر من قياده ما أعطاه ؛ لكنه
 حظي في شعره بالحكم والأمثال ، واختص بالإبداع في وصف مواقف
 القتال ، وأنا أقول قولاً لست فيه متأثماً^٣ ، ولا منه متلثماً ، وذلك
 أنه إذا خاض في وصف معركة ، كان لسانه أمضى من نصاليها ، وأشجع
 من أبطاليها ، وقامت أقواله للسامع مقام أفعالها ؛ حتى تظنّ الفريقين
 قد تقابلا ، والسلاحين قد تواصلوا . فطريقه في ذلك تضلّ بسالكه^٤ ،
 وتقوم بعدد تاركه . ولا شك أنه كان يشهد الحروب مع سيف
 الدولة بن حمدان فيصف لسانه ما أدّى إليه عيانه . ومع هذا فإنني
 رأيت الناس عادلين فيه عن سنن التوسط ؛ فإما مفرط في وصفه ،
 وإما مفرط . وهو وإن انفرد بطريق صار أبا عذره^٥ ، فإن سعادة
 الرجل كانت أكبر من شعره . وعلى الحقيقة فإنه خاتم الشعراء ،
 ومهما وصف به فهو فوق الوصف وفوق الإطراء .

١ الصماء : الصخرة الصلبة المصمتة . والمراد بالمعنى المقدود من الصخرة الصماء : الذي فيه قوة ولا يبلغ إليه إلا بكد وعناء .

٢ الغالية : أخلاق من الطيب . والمراد أن معانيه كأخلاق الغالية في طيها وحسن ائتلاف أنواعها .

٣ متأثماً : تابعاً ؛ والمراد أنه غير راجع عن قوله .

٤ بسالكه : الضمير يعود على في ذلك ، أي في ذلك الوصف .

٥ المفرط : نقيض المفرط .

٦ أبا عذره : أي مبتكره ، وأول من شقه .

فهرست

العصر العباسي الأول

بشار بن برد

٧	الهجاء
١٣	المدح
١٧	الغزل
٢٢	الفخر والحماسة
٢٥	آراؤه وعقائده

أبو العتاهية

٢٨	الزهد والحكم

أبو نواس

٣٢	الخمر
٣٨	الغزل
٤١	المدح
٤٨	الهجاء
٥١	الطرديات
٥٣	الزهديات

أبو تمام

٥٥	المدح
٦٧	الرثاء
٧٢	أغراض مختلفة

دعبل

٧٦	الهجاء
٨٤	المدح
٨٥	الرثاء
٩٠	أغراض مختلفة

ابن المقفع

٩٢	كلیلة ودمنة
١١٢	الأدب الصغير
١١٦	الأدب الكبير

العصر العباسي الثاني

البحري

١٢٥	المدح
١٣٤	الرثاء
١٣٥	أغراض مختلفة

ابن الرومي

١٤٤	المدح
١٥٤	الهجاء
١٦٠	الرثاء
١٦٢	الغزل

أبو العلاء المعري

٢٧٠	الحياة والموت
٢٧٨	رسالة النفران

بديع الزمان الهمذاني

٢٨٨	رسائله
٢٩٤	مقاماته

أبو الفرج الاصبهاني

٣١٤	كتاب الأغاني

العصر العباسي الرابع

الحريري

٣٣٥	المقامات

ابن الاثير

٣٥٢	المثل السائر

١٦٤	الوصف
١٧٠	أغراض مختلفة

الجاحظ

١٧٤	كتاب الحيوان
١٨٩	كتاب البخل
٢٠٣	البيان والتبيين

العصر العباسي الثالث

المتنبي

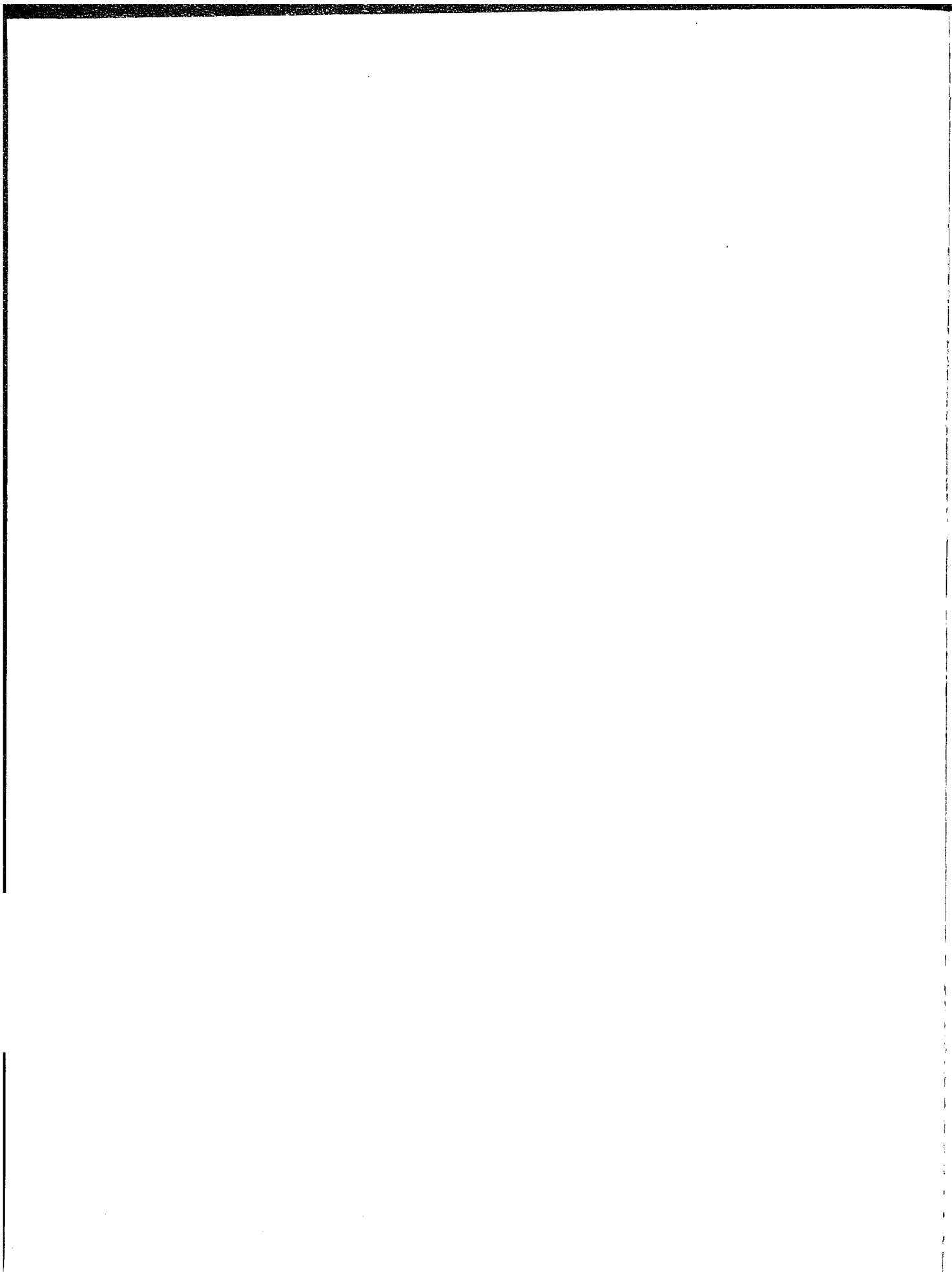
٢١٥	المدح
٢٢٤	الرثاء
٢٢٨	المهجاء
٢٣٢	الفخر
٢٣٩	الشكوى

أبو فراس

٢٤١	الروميات
٢٥٩	أغراض مختلفة

الشريف الرضي

٢٦٢	الفخر



To: www.al-mostafa.com